المخطوطات العربية في الغرب الاسلامي

وضعية المجموعات وآفاق البحث

مؤسسة الملك عبد العزيز

الدار البيضاء

ولادة

المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي

وضعية المجموعات وآفاق البحث

مؤسسة الملك عبد العزيز

الدار البيضاء

ولادة

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء
الايداع القانوني رقم 1990/906

الفهرس

2 — توثيق وفهرسة وتنظيم ونشر وصيانة المخطوطات العربية الإسلامية

3 — إشكالية تحقيق ودراسة التراث المخطوط للغرب الإسلامي

كلمة الأستاذ إدريس السلاوي
المتصرف المنتدب للمؤسسة، بمناسبة إفتتاح ندوة «المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي : وضعية المجموعات وآفاق البحث»

باسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين،

حضرات السيدات والسادة.

إن مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية التي حصل لها شرف الدعوة إلى هذا الملتقى العلمي وتنظيمه لفخورة بتحقيق هذه الأمنية الغالية التي سعينا من أجلها طيلة سنة. وإنه ليزيد من اعتزازها أن تلتئم اليوم في رحابها نخبة من المفكرين والباحثين والمسؤولين عن مجموعات المخطوطات العربية في مختلف الخزانات داخل العالم العربي وخارجه، ليعالجوا جميعا موضوعا من أغنى الموضوعات يحتم حوارا واسعا بين مختلف الأطراف تفكيرا شاملا يأخذ بعين الاعتبار مختلف الجوانب التي يطرحها التراث المخطوط إنطلاقا من الصيانة إلى الفهرسة والتحقيق فالنشر.

أيهـا السـادة

إن الموضوع الذي يجمع شملنا اليوم موضوع أساسي ومصيري. فالكل يعلم أن الحضارة العربية الإسلامية في جوهرها حضارة الكتابة والتأليف، والدارسون للموضوع يجعلون على أنه لم تؤلف أمة من الأمم المعروفة في العهد القديم أو الوسيط مثل ما ألفته الأمة العربية الإسلامية في مختلف ميادين المعرفة. ورغم ما أصاب تراثنا المخطوط من نكبات أضاعت الكثير منه، خلال تاريخ أمتنا الطويل والحافل، فإن ما يوجد منه اليوم في مختلف خزانات العالم يزيد، حسب تقدير المتخصصين في المخطوطات العربية والمتتبعين لمظانها، على ثلاثة ملايين مخطوط.

وهذا الرقم ليس إلا مؤقتا ويتزايد بتقدم وانتشار أعمال الفهرسة وصدور النشرات والكشافات التي تعرف بهذا التراث الغني الذي أصبح بحكم انتشاره في مختلف أنحاء المعمور وإقبال الدارسين عليه، تراث الإنسانية قاطبة.

أيـهـا السـادة

لايخفى عليكم وأنتم أعرف الناس بالموضوع أن تراثنا العربي المخطوط أصبح في العصر الحديث ضالة الباحثين الذين أدركوا أهميته فسعوا لتحقيقه ونشره، فتوالت الإصدارات وتعددت الأبحاث والأطروحات الجامعية في هذا المجال. ولا عجب في ذلك فالنهضة الفكرية والحضارية للأمم ترتكز بالأساس على إعادة إكتساب للذاكرة وللتاريخ وإخضاعها لإرادة المعرفة وروح النقد والتحقيق.

إن المحافظة على التراث العربي المخطوط وفهرسته وتحقيقه ونشره لتعميم الاستفادة منه مهمة جليلة تحتاج لتظافر الجهود على مختلف الأصعدة. وفي خضم المجهودات المبذولة سواء على المستوى القطري أو الجهوي أو على مستوى المنظمات الدولية، تتشرف مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بإضافة لبنة إلى هذا الصرح العلمي عن طريق تنظيمها لهذه الندوة الدولية التي ستكون إن شاء الله نقطة الإنطلاق لمشروع علمي طموح يهدف إلى تنظيم لقاءات دورية مع باحثين شباب أكدوا حضورهم من خلال تحقيقهم للتراث الفكري والعلمي للغرب الإسلامي. ويندرج هذا العمل الثقافي الذي آلت المؤسسة على نفسها أن تضطلع به في صلب التوجيه النير لصاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز مشيدها وراعيها، إذ أبى سموه إلا أن يجعل من هذه المؤسسة منارة للعرفان تضرب جذورها في أرض تراثنا وأصالتنا الحضارية بينما تشرئب هامتها لتحصيل علوم العصر الحديث ومعارفه. وليس هذا إلا واحدة من العلامات الوضاءة الدالة على إيمان سموه بأهمية العلم والثقافة ودورهما في نهضة وتقدم الأمة.

عزمنا أكيد في أن تشكل أعمال هذه الندوة العلمية الهامة الإنطلاقة لعمل المؤسسة على واجهة جديدة من واجهات نشاطها والمتمثلة في تشجيع الباحثين الشباب على دراسة وتحقيق المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي والتعريف بأعمالهم. كما أن أملنا كبير في أن يخرج هذا الملتقى الفكري الهام بنتائج تعمق معرفتنا بهذا التراث وبما يتطلبه من عناية عاجلة.

واسمحوا لي في هذا الباب أن أقترح على جمعكم المحترم تشكيل لجنة متابعة تسهر على تتبع ما سينبثق عن هذه الندوة من توصيات.

مرحبا بكم جميعا في هذه المؤسسة وفي هذا البلد الأمين العريق في المجد الذي شاءت إرادة ملكه الهمام جلالة الحسن الثاني أن يكون أرض الحوار والحرية. كما أعبر عن شكري لكافة الأساتذة والباحثين والمتخصصين الذين لبوا دعوتنا، وأتمنى لهم إقامة طيبة ومفيدة ومثرية.

وفقنا الله جميعا وجعل أعمال ندوتنا مفعمة بالنشاط، غنية بالنتائج ومكللة بالنجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله.

التقرير التمهيدي

الدكتور محمد حجي
أستاذ بكلية الآداب ــ الرباط

قد يتساءل المرء لماذا تقام هذه الندوة الدولية حول وضعية المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي ؟ ولماذا تحشد كل هذه الطاقات للبحث في موضوع قد يبدو لأول وهلة ان أمره قد تكفلت به فهارس المكتبات التي نشر ويُنشر العديد منها ؟ إن الإجابة عن هذه التساؤلات تقتضي الحديث عن أهمية المخطوطات العربية عموما، ودور الغرب الإسلامي في إثراء التراث العربي والحفاظ عليه عبر العصور، غير أننا قبل أن نخوض في هذا المجال بكل ما يمكن من التجرد والإيجاز، نود أن نشير إلى أن الندوة ليست غاية في حد ذاتها، تُنشر صحفُها لتُقتل بحثا ونقاشا في أيام معدودات ثم تُطوى. وإنما هي بمثابة ما يقدم في أول الوجبة من «مقبلات» لفتح شهية الأكل إلى التهام ما يأتي بعد من صنوف الطعام.

إن مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء، وهي تستقبل كل يوم عددا غير قليل من الباحثين، سواء من المتمرسين المتمكنين، أو الشباب الواعدين، قد اختارت في الواقع صنفا معينا من القراء عندما اختارت لمادتها المكتبية موضوعين أساسيين هما الدراسات الإسلامية، والعلوم الإنسانية. وغير خاف ما كان للمسلمين من بالغ الإهتمام بهذا النوع من الدراسات عبر الحقبة وما أنتجوه فيها من كتب مطولاتٌ، ورسائل مختصرات، وما عرف لهم فيها من حوار وردود ومناظرات، مما يعد ثروة فكرية لا يستهان بها، وإسهاما جديا في الحضارة الإنسانية بوجه عام. ذلك ما تريد المؤسسة أن تثير انتباه زبنائها الباحثين إليه، ليطلعوا، أو بالأحرى ليزدادوا اطلاعا على هذا التراث المخطوط الضخم، ويتعرفوا عن قرب

على ما يزخر به من عطاءات وإمكانات، وما يقف دونه من صعوبات ومعوِّقات، فيقبلوا على إحيائه وتجديده، تعريفا وتنظيما وتحقيقا. وستتلو هذه الندوة الموسعة بحول الله ندوات مصغرة تخصص كل واحدة منها لدراسة مخطوط من المخطوطات المتعلقة بالدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية.

قد تكون المخطوطات العربية أكثر المخطوطات في العالم، لا لكون العرب أكثر الأمم عددا، ولا لكون حضارتهم أعرق الحضارات وأطولها زمنا في مسار التاريخ. وإنما لكون العربية لغة القرآن، ومن ثم لغة الإسلام، أصبحت القاسم المشترك بين جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منذ القرن الهجري الأول حتى مطلع قرننا القرن الخامس عشر هذا، ولا حاجة إلى التذكير بإسهام المسلمين — على الصعيد العالمي — في مختلف ميادين المعرفة الإنسانية لا سيما في القرون الستة الأولى التي امتازت بالخلق والإبداع، فكان التراث العربي الضخم الذي استفادت منه الإنسانية قاطبة، مثلما استفادت قبل من التراث الإغريقي واللاتيني، وهي على درب التطور والتدرج نحو الحضارة الغربية التي نعيشها.

وقد تنبه الأوربيون في مطلع عصر النهضة إلى ظاهرة عالمية اللغة العربية وبالتالي وحدة مفاهيم المخطوطات العربية وتداولها على امتداد رقعة العالم الإسلامي. وسجل عالم أندلسي — مغربي يدعى أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي في هذا الصدد حواراً طريفاً جرى بينه وبين علماء هولنديين في لايد سنة 1612، وذلك في كتابه**ناصر الدين على القوم الكافرين** الذي نشره في السنة الماضية الزميل الأستاذ محمد رزوق. كان أحد هؤلاء الهولنديين قضى سنوات في بلاد الهند، وحمل معه منها مخطوطا عربيا في التصوف يتحدث عن سيرة صالح كان لا يكلم أحدا في الجامع، وإذا اضطر إلى الإجابة خرج إلى الباب وتكلم. حمل الرحالة هذا الكتاب إلى أفوقاي وطلب منه إن كان يستطيع قراءته. فاطلع عليه وقال : فهمت كل ما فيه وباستطاعتي أن أترجمه إلى اللغة الأجنبية تعجب الهولنديون وقالوا : كيف تفهم أنت ما كتب في بلاد بينها وبين بلادك مسافة سنة في البحر تقريباً. ونحن في أوربا متجاورون ولغاتنا شتى لايفهم بعضنا البعض !

ونشير إلى أن أفوقاي كان يعرف إلى جانب العربية، الاسبانية والبرتغالية والفرنسية من اللغات الحية، كما كان يعرف اللغتين الإغريقية واللاتينية، وهو الذي ترجم من الاسبانية إلى العربية **كتاب العز والمنافع**، لمواطنه إبراهيم بن أحمد بن نافع الأندلسي التونسي، وسيتحدث لنا عنه الأستاذ حسين مؤنس.

إذا كان الشرق الإسلامي قد سبق في ميدان الإنتاج الفكري مع العباسيين في بغداد، فإن الغرب لم يلبث أن دخل حلبة السباق العلمي مع الأمويين في قرطبة، والأغالبة في تونس، والمرابطين والموحدين في مراكش، ثم لم ينقطع التأليف عند المسلمين حتى في عهد ما سمي بعصر الإنحطاط، بل ازداد كماً ــ على الأقل ــ في هذه الفترة، وظهر علماء موسوعيون أفذاذ أمثال ابن خلدون، وابن خلكان، والقلقشندي، والجلال السيوطي، وأحمد المقري، وأحمد ابن القاضي، وأضرابهم كثير.

ومثلما تعرضت المخطوطات العربية لكارثة الإغراق والإحراق في الشرق على يد التتار، تعرضت المخطوطات العربية في الغرب بعد نهاية دولة الإسلام في الأندلس إلى ضروب من الإتلاف على يد محاكم التفتيش الرهيبة. ثم بُعثر عدد كبير من هذه المخطوطات التي استطاع أن يخرجها المهاجرون الأندلسيون المطرودون في جملة ما سُمح لهم بحمله من أمتعتهم النفيسة على ظهورهم، وشُتت في مختلف بقاع الأرض التي التجؤوا إليها شرقاً وغرباً، إذ وصلوا كما هو معلوم حتى إلى أميركا. ولم يسلم من التراث الأندلسي المخطوط ــ نسبيا ــ إلا ما نقل إلى العدوة المغربية، وبخاصة المغرب الأقصى.

لا أريد، أيها السادة والسيدات، أن أستمر في رسم هذه الصورة القاتمة عن المخطوطات العربية التي عرفت محنة أخرى لا تقل شراسة عن سابقاتها خلال القرنين الأخيرين مع الاستعمار الغربي المتسلط على العالم الإسلامي، وذلك عن طريق السلب والنهب، والتحريف والتعتيم، حتى عد بعضهم ثبات التراث العربي المخطوط لكل هذه الخطوب من معجزات التاريخ.

إن من حسنات هذه الندوة أن جمعت في صعيد واحد علماء متخصصين من مختلف جهات المعمور، آصرتُهم اهتمام مشترك بالمخطوطات العربية في الغرب الإسلامي، ليتحدثوا إلى الحضور الكريم عن الوضعية الحالية لهذه المخطوطات أو عن بعض الجوانب العلمية والتقنية في طرق التعامل معها. أتوا من المغرب وموريطانيا والجزائر وتونس ومصر والمملكة العربية السعودية، والكويت، وتركيا، ومن إسبانيا، وفرنسا، وإنجلترا، والنمسا، وألمانيا، وهولاندا، وأميركا.

إن هناك أقطارا أخرى توجد بها مجموعات من المخطوطات العربية غير ممثلة هنا، كما أن ثمت خزانات كثيرة للمخطوطات العربية في المساجد والزوايا بالمغرب وسائر البلاد الإسلامية، سنستمع إلى عرض نموذج واحد منها فقط بزاوية تنغملت،

إضافة إلى مكتبات خاصة لا تقع تحت حصر. وأحسن نموذج لها كتاب **خلال جزولة** للمرحوم المختار السوسي الذي طاف أثناء إقامته الإجبارية بسوس في منتصف القرن الهجري الماضي على عشرات الخزانات وسجل في هذا الكتاب بعض ما اطلع عليه فيها في أربع مجلدات.

إن هذه الندوة ليست غاية في حد ذاتها ــ كما قلت في البداية ــ وليست الوحيدة من نوعها في مشارع مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء وإنما هي فرصة لطرح قضايا التراث العربي المخطوط، ومناقشتها من طرف مختصين خرِّيتين، وإفساح مجال الحوار أمام الباحثين والمهتمين بهذا اللون من التراث العربي الإسلامي من أجل استعداد أحسن للإسهام في الندوات المتخصصة المقبلة التي ستعمل على تحليل وتفصيل ما تجمله هذه الندوة الأولى.

I

وضعية مخطوطات الغرب الإسلامي في المكتبات العربية واللاتينية

وضعية المخطوطات العربية في الخزانة العامة بالرباط

الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني
عضو أكاديمية المملكة المغربية

أسست الحماية الفرنسية سنة 1924 الخزانة العامة بالرباط وسمتها الخزانة العامة للحماية الفرنسية. فالفرنسيون كانوا يريدون التعرف علينا وعلى تاريخنا وفكرنا من خلال تراثنا. عندما استقل المغرب اتجهت الحركة الوطنية المغربية في محاولة لتحويل المؤسسات الفرنسية التي أسست لصالح الفرنسيين إلى مؤسسات مغربية تعمل لصالح المغاربة، ومن ذلك الخزانة العامة بالرباط. وضعت الحماية فيها ما كانت قد قدمته من مخطوطات في معهد الدروس وبعض المكتبات الخاصة التي استولت عليها ومنها خزانة زاوية الشيخ ماء العينين في فاس، وبعض خزانات السلطان مولاي عبد الحفيظ في بعض القصور الملكية التي استولت عليها وظلت تنميها باقتناءات جديدة. وبعد الإستقلال دخلت مخطوطات كثيرة إلى الخزانة العامة، أهمها بعض مخطوطات الأوقاف ومكتبات الباشا الكلاوي والشيخ عبد الحي الكتاني والحاج محمد المقري والفقيه محمد الحجوي، فبلغت أرقام المخطوطات في الخزانة العامة سنة 1971 : 10064 مخطوطا، ونظرا لأن كثيرا من الأرقام يتضمن أكثر من كتاب فإن عدد المخطوطات إذ ذاك ناهز 000 30 مخطوط، ولم ينقطع إغناء الخزانة العامة بالمخطوطات سواء عن طريق الإقتناء أو الإهداء حتى الآن.

وتتميز مخطوطات الخزانة العامة بالحروف التالية :

الدال للمخطوطات القديمة، القاف للأوقاف، الكاف لخزانة عبد الحي الكتاني، الجيم للكلاوي، والحاء للحجوي، إلخ...

وإذا كانت عملية فهرسة مخطوطات الخزانة العامة لم تشملها بأكملها فإنها مع ذلك قطعت مراحل مهمة انطلاقا من فهرسة القسم الأول الذي وضعه ليفي بروفانسال سنة 1921 لمخطوطات حرف الدال والذي اشتمل على 3500 مخطوط، لم يفهرس منه باللغة العربية سوى اسم المؤلفات، أما أسماء مؤلفيها وتاريخهم والتعريف بالكتاب فقد جاء بالفرنسية لأن المخطوط كان يرمي إلى فرنسة المغرب والقضاء على اللغة العربية، لكن انتصار الحركة الوطنية المغربية وعملها على إحياء الشعور الوطني جعل الحماية نفسها تتراجع عن هذا الإتجاه عندما نشر الجزء الأول من القسم الثاني الذي وضعه المرحوم عبد الله الركراكي وعلوش سنة 1954، والجزء الثاني الذي طبع سنة 1958 كان باللغة العربية أيضا، وقد اشتمل هذان الجزءان على 2133 مخطوطا، وبعده صدر الجزء الأول من القسم الثالث الذي وضعه الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني بمساعدة الأستاذ صالح التادلي سنة 1973 اشتمل على 955 مخطوطا، من رقم 2766 إلى 3721، أما الجزء الثاني من القسم الثالث فقد هيأه الأستاذ الكتاني بمساعدة التادلي منذ سنوات لكنه لم ينشر بعد.

أما المخطوطات المهمة التي دخلت الخزانة بعد الاستقلال أو ما يصطلح على تسميتها بحروف ق، ك، ج ،ح، فلم يفهرس منها فهرسة كاملة سوى القليل، ويشتمل القسم الثالث من فهارس مخطوطات الخزانة العامة على 905 مخطوطا من حرف د من رقم 3722 إلى 4626 وهو مقسم بحسب الفنون على النحو التالي : النحو، التصريف، اللغة، البلاغة، العروض، الآداب، النقد الأدبي، الأدب الشعبي، التاريخ، التراجم، الفهارس، الأنساب، الرحلات، السياسة، الجغرافية، القصص والحكايات، التربية، أدب اللياقة، الخط، الموسيقى، النظم السياسية، الفروسية، والرماية، علم الحيوان، الطب، الرياضيات، الكيمياء، الهندسة، علم الفلك بما فيه من التوقيت والتعديل والرصد والتنجيم، الأوقاف، الأذكار والأوراد تعبير الرؤيا والمرائي، الردود والمناظرات، الفنون المختلفة.

كما أورد الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني أسماء بعض المخطوطات المهمة المفهرسة في هذا الفهرس التحليلي والتي نجد بها اسم المؤلف، وتاريخ وفاته، والمصادر التي ترجمت له، وموضوع الكتاب وأهميته، إلى جانب المراجع التي ذكرت المخطوط، ومن أهم ما اهتم به قسم المخطوطات في الخزانة العامة إلى جانب البحث عن

نوادر المخطوطات والتعريف بها، التعرف على مؤلفي بعض المخطوطات التي لم تذكر فيها أسماء مؤلفيها، وهذا ما يجب أن يهتم به المفهرس، ولن يتأتى له ذلك ما لم تتوفر لديه الكفاءة للقيام بمثل هذا العمل الذي يسمح له بالتعرف على قيمة هذا الكتاب أو ذاك.

فما يهمنا هو التعرف على قيمة المخطوط من ناحيتين : الناحية العلمية وناحية القلة، خاصة وأن هذا الموضوع أصبح موضوعا عالميا، فليس المخطوط الذي توجد منه ألف نسخة كالمخطوط الذي توجد منه نسخة أو نسختان أو ثلاث في أنحاء العالم.

وتبقى أهم الأسباب التي دفعتنا للإهتمام بالمخطوطات العربية في المغرب هي التعرف على تراثنا المجهول، إذ نعرف الكثير عن المخطوطات العربية أو المغربية الموجودة خارج المغرب، في الوقت الذي نجهل فيه الكثير عن المخطوطات الموجودة داخل بلدنا، يضاف إلى ذلك أن تاريخ المغرب قد ابتلي بأعداء وحسدة من مشارق الأرض ومغاربها الذين حاولوا النيل من تراثنا، وذلك بالطعن في تاريخ المغرب وثقافته. إلا أن المغاربة ظلوا يعتبرون أن جميع ما جاء به الإسلام ملك لنا ولافضل لأحد علينا فيه، كما أن الإسلام لافضل لأحد علينا فيه، فقد أكرمنا الله به وكذلك كل ما جاء به الإسلام ملك للمسلمين أجمعين، لهذا فإن المكتبة المغربية أو الخزانة المغربية والمخطوطات المغربية ليست مخطوطات مغربية بمعنى أن جميع المخطوطات الموجودة في المغرب ليست بالضرورة من تأليف المغاربة، بل فيها تآليف لمغاربة وأندلسيين وجزائريين وتونسيين وليبيين ومصريين وشاميين وعراقيين وهنود وإيرانيين، بل وحتى تآليف مسلمي الإتحاد السوفياتي. كل هذا يوجد منه الكثير في تراثنا المخطوط. فبالرغم مما أصاب الكتاب المغربي من أزمات فقد استطاع المغاربة أن يحافظوا للمكتبة العربية على الكثير من ذخائرها التي لم تبق إلا في المغرب وحده، فكان من الواجب علينا الإهتمام بهذا التراث وصيانته ودراسته والإعتناء به فكان قسم المخطوطات في الخزانة العامة وكان العمل داخل المغرب وخارجه لتحقيق هذه الغاية.

وأهم انتصار تم تحقيقه يتجلى في عملية تحقيق مخطوط ينال به الطالب شهادة عليا باعتباره مادة من مواد شهادة الإجازة والتي كان للأستاذ إبراهيم الكتاني الفضل الكبير في تحقيقها، وفي هذا تكون جيل هو الذي حقق للمخطوط المغربي انتصارا كبيرا حيث عرفه جيل من الأساتذة الشباب.

ومن ضمن مجهودات قسم المخطوطات في الخزانة العامة بالرباط أيضا رحلات داخل المغرب وخارجه للبحث عن نوادر المخطوطات العربية فكان أهمها إطلاقا الرحلات التي قام بها الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني إلى وادي درعة، وبالضبط إلى الزاوية الناصرية في تامكروت، فكانت هذه الرحلة هي حدث القرن، عثر خلالها الباحث على 4000 مخطوط وهذه بعض الأمثلة.

كتاب الدلائل في شرح ما أغفله أبو عبيدة قتيبة من الغريب في الحديث، لأبي محمد قاسم بن ثابت بن حذف العوفي الطراطلسي المتوفى سنة 302 — 915، مات مؤلفه قبل إتمامه فأكمله أبوه الذي توفي سنة 313 هـ. قال علي القاضي عنه «إنه لم يؤلف مثله في المغرب»، وقال الحافظ بن العرضي «ولو قال ولا في المشرق لما بعد» تم تصوير هذا المخطوط من طرف قسم المخطوطات بالخزانة العامة لفائدة رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق والذي اهتم بتحقيقه والكتابة عنه.

أعلام السنن في شرح المرتل في أحاديث البخاري وهو أول شرح وضع لصحيح البخاري لأبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي المتوفى سنة 388/ 999، ذكر صاحب كشف الظنون عنه أنه شرح لطيف فيه نكت لطيفة ولطائف شريفة.

كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس للقاضي أبي بكر بن العربي **المعافري** دفين فاس، الذي طلب العلم في الأندلس وفي القدس وفلسطين وبغداد فعاد بعلم غزير جدا، يضاف إلى ذلك أن أباه كان وزيرا فعين له فقهاء المالكية الذين ربوه على التعطش للمذهب المالكي، وبعد ذهابه إلى الشرق تعرف على مختلف المذاهب وخاصة وجهة نظر مالك مقارنة بوجهات نظر المذاهب الأخرى. ومن المعروف أن السلف الصالح رضي الله عنه والصحابة والصالحين كانت لهم آراؤهم الأصولية ومناهجهم الخاصة في فهم النصوص الشرعية، ولكن الذي وضع منهجا متميزا لفهم النصوص الفقهية في تاريخ الفكر الفقهي هو الإمام الشافعي رضي الله عنه تلميذ الإمام مالك. وهذا ما يعرفه الكثير إلا أن أبا بكر بن العربي المعافري له رأي آخر في الموضوع، فهو يعتبر أن أول من وضع أصول الفقه في الإسلام هو الإمام مالك.

مثال الطالب في شرح ديوان الغرائب لمجدكي المبارك بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير المتوفى سنة 606 — 1210، صاحب النهاية في غريب

الحديث، يعود تاريخ نسخه إلى سنة 606 وهو من النوادر لم يذكره صاحب كشف الظنون ولابروكلمان، وذكر اسمه إسماعيل البغدادي في إيضاح المقلوب ولم يذكر إسم مؤلفه.

مخطوط إسمه **جامع الأساسي في الحديث**، كتب على ظهره بخط ناسخه مايلي :

ـ يعود تاريخ نسخه إلى شهر محرم من سنة 830 على يد محمد بن الحسن بن علي البدراوي إلا أنه وبعد الدراسة التي قام بها الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني لهذا المخطوط توصل إلى أنه من تأليف الحافظ ابن كثير صاحب التاريخ والتفسير.

وضعية المخطوطات
في المملكة العربية السعودية

الدكتور يحيى محمود ساعاتي

أستاذ مشارك بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض

خطة الدراسة وأهدافها :

تعالج هذه الدراسة واقع المخطوطات في المملكة العربية السعودية من حيث التكوين التاريخي والإنتماء الإداري وحجم المقتنيات والتجهيزات السائدة لأداء الخدمات، وهي تهدف إلى كشف العلائق بين عناصر الطرح لاستخراج صورة تعبر عن مكانة هذه المجموعة داخل المملكة.

وقد اعتمد الباحث في إعدادها على معلومات مباشرة استقاها من استبانة وزعها على المكتبات وأقسام المخطوطات في المملكة حملت جملة من الاستفسارات التي مثلت الإجابة عنها محور معلوماتها، حيث استقى منها التواريخ والاتجاهات وأنماط الخدمة وحجم المجموعات، كما اعتمد على مجموعة من المصادر التي توافرت فيها معلومات عن وضعية المخطوطات في المملكة لاستكمال الصورة بقدر الإمكان.

الدراسات السابقة :

ولايدعى الباحث السبق لدراسته هذه إذ أن هناك مجموعة من الدراسات التي وضعها باحثون في فترات مختلفة حملت معلومات عن مخطوطات المملكة إما في تناول شمولي لأوضاعها أو في جزئيات ناقشت جوانب منها، وهذه الدراسات هي :

ـ طاشكندي، عباس / **فهرس وصفي للمجموعة التاريخية من المخطوطات**

العلمية في مكتبة عارف حكمت ــ رسالة دكتوراه بتسبرج : مدرسة علوم المكتبات والمعلومات بجامعة بتسبرج، 1974 م (باللغة الإنجليزية).

وتتركز هذه الدراسة على هدفين الأول استنباط فهرسة وضعية لمجموعة المخطوطات العلمية بمكتبة عارف حكمت، والهدف الثاني تطوير عناصر الوصف الأساسية والمهمة للتعريف بالمخطوطات العربية وتقنين بعض النظم العلمية المبسطة لفهرسة المخطوطات.

الربيع، محمد بن عبد الرحمان **«التعاون والتنسيق بين الجامعات السعودية في ميدان المخطوطات»** عالم الكتب مج 1، ع 2 (شوال 1400 هـ ــ أغسطس 1980 م) ص ص 160 ــ 167.

وقد حاول الربيع فيها طرح مجموعة من الآراء **والإقتراحات** التي يعتقد أنها تعين وتسهم في تطوير وضع المخطوطات في المملكة وتؤدي إلى تيسير **الاستفادة** منها.

ــ التونسي، حمادى علي محمد / **المكتبات العامة بالمدينة المنورة ماضيها وحاضرها** ــ رسالة ماجستير بإشراف عباس صالح طاشكندي. ــ جدة : قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم **الإنسانية** بجامعة الملك عبد العزيز، 1401 هـ ــ 1981 م، 260 ص.

وهي دراسة تفصيلية عن واقع المكتبات في المدينة المنورة ركز فيها الباحث على مجموعاتها خاصة المخطوطة منها فتتبع تاريخها ونوادرها وموضوعاتها إلى جانب الخدمات التي تقدمها.

الجبوري، عبد الله، **«المخطوطات العربية وفهارسها في الخليج وشبه الجزيرة العربية»** عالم الكتب، مج 3 ع 4 (ربيع الآخر 1403 هـ ــ يناير/ فبراير 1983 م) ص ص 692 ــ 706

يعرض الجبوري لواقع المخطوطات في دول الخليج والجزيرة وقد جاء حديثه عن المملكة في الصفحات من 693 إلى 702 حيث أشار إلى المكتبات التي تضم مخطوطات سواء كانت حكومية أو خاصة مع إعطاء نبذة عن كل مكتبة والحديث عن الفهارس التي نشرت عن مخطوطاتها.

شريتح، سعد الدين / **فهارس المخطوطات في المملكة العربية السعودية** ــ

رسالة ماجستير بإشراف عباس طاشكندي. جدة : قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز، 1405 هـ ـــ 1985 م، 161 ص.

وهي دراسة عمد فيها الباحث إلى تتبع أدوات الضبط الببيليوغرافي للمخطوطات وقد قسمها إلى فصول كان الثاني منها بعنوان الإرهاصات الأولية لفهارس المخطوطات في المملكة العربية السعودية تحدث فيه عن نشأة المكتبات الأولى في شبه الجزيرة وتطورها وعرض لأنواع الفهارس التي كانت موجودة وما طرأ عليها من تطور وتغير.

وفي الفصل الثالث تناول المناهج الببيليوجرافية لفهارس المخطوطات العربية في المملكة إذ حصر كل فهارس المخطوطات التي صدرت حتى تاريخ إعداد الرسالة ورتبها تاريخيا ودرسها دراسات تفصيلية وحلل مناهجها.

الفصل الرابع تحليل سمات المناهج الببيليوجرافية لفهارس المخطوطات في المملكة وتناول فيه التطور التاريخي للفهرس ودخوله مرحلة الضبط الببيليوجرافي بسبب المحاولات العديدة التي برزت في مجال فهرسة المخطوطات العربية.

المشوخي، عابد سليمان فهرسة المخطوطات العربية. رسالة ماجستير بإشراف قاسم أحمد السامرائي الرياض : قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الإجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406 هـ / 1407 هـ، 274 ص.

عرض في الفصل الثاني الخاص باتجاهات فهرسة المخطوط العربي عند العرب والمسلمين تعرض إلى اتجاهاته في المملكة فتناول الفهارس التي صدرت حتى اعداد الرسالة في جامعات الإمام والملك سعود والملك عبد العزيز وأم القرى والإسلامية ومكتبة الحرم المكي ومكتبة عارف حكمت بالمدينة ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، وعلق على مناهجها ونقدها.

ويتضح لنا من العرض السابق أن ثلاثة من تلك الدراسات قد ركزت على الفهرسة والفهارس في حين توزعت الثلاثة الأخرى على دراسة يقترب منهجها من بحثنا هذا وهي دراسة الجبوري، ودراسة ركزت على قضية التعاون أما الثالثة فكانت عن مكتبات المدينة المنورة التي تشكل المخطوطات جزءا كبيرا من مقتنياتها.

لمحة تاريخية

من المرجح أن أول مخطوط عربي ظهر إلى الوجود، كان في المدينة المنورة وذلك عندما تم جمع القرآن الكريم على صحائف من الرق ثم استنسخت منه مجموعة من المصاحف التي وزعت على بعض العواصم في الأمصار الإسلامية وذلك في عصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كما أن حركة تدوين الحديث الشريف والكتابة في موضوعات ذات علاقة بالعقيدة والتفسير أفرزت مجموعة من الكتب التي احتفظ بها أصحابها، ولعل من أهم الدلالات على قيام حركة تدوين جيدة في بلاد الحرمين الشريفين في القرن الهجري الأول أن عروة بن الزبير المتوفى عام 93 هـ بالمدينة المنورة كان يملك كتب فقه أحرقها في يوم الحرة عام 63 هـ ثم ندم على ذلك فيما بعد ندما شديدا[1]. كما أن رجلا من أبناء مكة هو عبد الحكم بن عمرو الجمحي عمد في أواخر ذلك القرن تقريبا إلى إنشاء مكتبة عامة هي الأولى من نوعها في تاريخ الإسلام والمؤسف أن خبر هذه المكتبة لانجده إلا في إشارة سريعة يوردها أبو الفرج الأصبهاني عند حديثه عن الشاعر الأحوص الأنصاري وكيف أنه عندما زار مكة التقى بعبد الحكم الجمحي فأخذه إلى مكتبته تلك حيث جعلها في بيت وضع فيه «شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل فن وجعل في الجدار أوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقرأه أو بعضه ما يلعب به فلعب به مع بعضهم...»[2]

وعلى مدار القرون الهجرية التالية تكونت مكتبات في كل من مكة والمدينة داخل الحرمين أو خارجهما ففي أوائل القرن الخامس الهجري كانت هناك مكتبة داخل الحرم المكي الشريف وقد جاءت الإشارة إليها في حديث للأزرقي المؤرخ

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ) / **سير أعلام النبلاء** أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط.ـــ بيروت : مؤسسة الرسالة، 1401 هـ ـــ 1981 م، التاريخ بيوم الحرة أورده ابن سعد في طبقاته أنظر الحلوجي، عبد الستار، / **المخطوط العربي منذ نشأته حتى القرن الرابع الهجري** الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1398 هـ ـــ 1978 م، ص 98

(2) الأصبهاني / أبو الفرج علي بن الحسين (ت 656 هـ) **كتاب الأغاني** بتصحيح أحمد الشنقيطي.ـــ القاهرة، محمد أفندي ساسي المغربي (مطبعة التقدم)، 1323 هـ، 51/4.

الذي يذكر بأن سيل عام 417 هـ قد دخل الحرم ووصل إلى خزائن الكتب فأتلف منها الشيء الكثير[3].

كما اشتهرت في القرن السادس الهجري مكتبة حظيت باهتمام العلماء والباحثين المقيمين في مكة والمترددين عليها وهي المعروفة بـ (خزانة المالكية) التي أوقف بها العالم المغربي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن فتوح المكناس أمام مقام المالكية بالمسجد الحرام في عام 588 هـ نسخة من المغرب لابن أبي زمين المالكي في ست مجلدات.[4].

واحتوت بعض أربطة مكة المكرمة على مكتبات خاصة بها، منها رباط ربيع وتكونت من إهداءات وأوقاف جاء بها أعلام في أوقات مختلفة من بينهم الملك الأفضل علي بن يوسف بن أيوب صاحب دمشق الذي قدم للرباط مجموعة من الكتب في عام 622[5] ومجموعة أخرى أوقفها محمد بن عيسى بن سالم الأزدي الشريشي المعروف بابن خشيش قبل عام 674[6]

واحتوى رباط الخوزي في مكة المكرمة أيضا على مكتبة أسهم في بناء مجموعتها علماء منهم محمود بن جمال الدين الهروي الناسخ المتوفى سنة 796 هـ[7] وأحمد ابن سليمان التروجي المتوفى سنة 812 هـ[8]

وقد أسهم بعض الملوك والحكام المسلمين في تزويد مكتبات مكة المكرمة

---

(3) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت 223 هـ) **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** تحقيق رشدي صالح ملحس. ط 4. ـ مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، 1403 هـ ـ 1983 م، 312/2 (الملحقات).

(4) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت 832 هـ) **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** تحقيق فؤاد سيد. ـ ط 2. ـ بيروت، مؤسسة الرسالة، 1405 هـ ـ 1985 م، 74/2.
وابن فهد، النجم عمر بن محمد بن محمد (ت 885 هـ) **اتحاف الورى بأخبار أم القرى** تحقيق فهيم شلتوت. ـ مكة المكرمة : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، د.ت، 488/2.

(5) الفاسي، 276/6

(6) السابق، 246/2

(7) السابق، 137/7

(8) السابق، 44/3

بالنفائس من المخطوطات من بينهم أحد ملوك المغرب إذ بعث بمصحف ضخم حمل على بغل مع أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اليقوري المتوفى سنة 707 هـ ليوقفه بمكة ومن المؤكد أن المكان الذي جعل فيه ذلك المصحف هو الحرم المكي الشريف وان كانت الإشارة إليه قد أغفلت في المصدر الذي يورد لنا هذا الخبر(9).

وفي المدينة المنورة كانت هناك مكتبات أيضا من أهمها تلك التي جعلت في الحرم النبوي الشريف هي حصيلة ما أوقفه ملوك وحكام وعلماء وأثرياء في فترات زمنية مختلفة، ففي عام 580 هـ كانت فيه «خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة»(10) كما أوقف عليه كتبا نفيسة إبراهيم بن رجب بن حماد الرواشي الكلابي المتوفى سنة 755 هـ(11).

وأوقف أحد سلاطين بلاد فارس وهو شاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدي المتوفى سنة 787 هـ خزانة كتب فيه وذلك عند زيارته للمدينة وصفت بأنها اشتملت على «محاسن الكتب ومفاخرها»(12)

كما حظيت مكتبة المدرسة الشهابية باهتمام العلماء المقيمين والوافدين على المدينة حيث أوقفوا عليها مجموعات نفيسة من الكتب منهم أبو إسحاق الذي كان يُدرس فيها في عام 726 هـ(13) وأبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي المتوفى سنة 754 هـ(14)، وصفي الدين بن محمد الكازروني المتوفى سنة 755 هـ(15)، ومحي

(9) المقري، أحمد بن محمد (ت 1041) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** بتحقيق إحسان عباس. ـــ بيروت : دار صادر، دار بيروت، 1388 هـ ـــ 1968 م 53/2.

(10) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت 614 هـ) **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير**. طبعة جديدة منقحة بإشراف لجنة تحقيق التراث. ـــ بيروت : دار مكتبة الهلال، 1981 م، ص 153

(11) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمان (ت 902 هـ) **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**. المدينة المنورة : أسعد الطربزني الحسيني، 1399 هـ ـــ 1979 م، 114/1.

(12) السابق، 2 / 209

(13) ابن فرحون اليعمري، أبو محمد عبد الله (ت 769 هـ) **كتاب نصيحة المشاور وتسلية المجاور** (مخطوطة تم نسخها في عام 1093 هـ محفوظة بدار الكتب المصرية برقم 43049) ورقة 120

(14) السابق، ورقة 93

(15) السابق، ورقة 100

الدين الحوراني وهو من أهل القرن الثامن الهجري والذي كان يملك مجموعة كبيرة من الكتب أوقفها كلها على المدرسة[16].

وظل الإهتمام قائما بالمكتبات في بلاد الحرمين الشريفين حتى فترة الحكم العثماني عندما ظهرت بعض المكتبات التي لاتزال موجودة حتى اليوم.

ونستخلص من الموجز السابق مدى العناية الفائقة بجمع المخطوطات وحفظها في المنطقة التي تتكون منها المملكة العربية السعودية وأنها تعود إلى بدايات التاريخ الإسلامي.

واقع المخطوطات في مكتبات المملكة.

وإذا كان الحديث السابق يوضح لنا الجذور التاريخية لمجموعات المخطوطات المحفوظة في بعض المكتبات الموجودة حاليا في المملكة العربية السعودية فإن ما سنورده لاحقا صورة لواقعها المعاصر حيث نتحدث عن المكتبات الحالية التي تحتوي على مخطوطات والتي تتوزع على ثلاثة أنواع هي :

ــ المكتبات القديمة منذ القرن الثالث عشر الهجري : وهي تلك التي تحتوي على مخطوطات وجدت فيها منذ تأسيسها.

ــ المكتبات الحديثة : وهي التي تكونت مجموعاتها المخطوطة منذ بداية التسعينات الهجرية عن طريق الشراء والتصوير والإهداء.

ــ المكتبات الخاصة.

أولا : المكتبات القديمة :

أ ــ مكتبة الحرم المكي الشريف :

وتعتبر أقدم مكتبة معاصرة في المملكة العربية السعودية إذ أنها تأسست في عام 1262 هـ[17] باهتمام ورعاية من السلطان العثماني عبد المجيد ولذلك عرفت

(16) السابق، ورقة 54

(17) يذكر عبد الله الجبوري أن تاريخها يعود إلى عام (1259 هـ) أنظر صفحة 693 من بحثه : «المخطوطات العربية وفهارسها في الخليج وشبه الجزيرة العربية» **عالم الكتب** مج 3، ع 4 (ربيع الآخر 1403 هـ ــ فبراير 1983 م) وقد اعتمدنا التاريخ المثبت في صلب الدراسة لوروده في الاستبانة التي أجابت على أسئلتها إدارة المكتبة نفسها.

بالمكتبة المجيدية وتضم مجموعات مخطوطة كانت محفوظة داخل الحرم المكي لعلها بقية ما كان قد تجمع فيه على مدار القرون الهجرية ثم ضمت إليها عن طريق الوقف والإهداء مجموعات أخرى مثل مجموعة الشرواني ومكتبة الدهلوي ومكتبة المعلمي ومكتبة الحسن الإدريسي ومكتبة عبد الغني الزمزمي[18].

وقد نقلت هذه المكتبة في العصر السعودي من مقرها القديم إلى بناية خاصة بها في منطقة باب السلام ثم شيد لها بناء كبير حديث مقابل الحرم المكي وزودت بالكتب المطبوعة والدوريات والأجهزة والآلات وطورت الخدمات المكتبية فيها بما يتلاءم مع متطلبات العصر وأضيفت إليها مخطوطات عن طريق الشراء إلى جانب بعض المصورات وهي تتبع حاليا الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وقد خصص لمخطوطاتها قسم مستقل أنشىء في عام 1400 هـ.

2 ــ مكتبة عارف حكمت

أوقفها شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت في عام 1270 هـ وجمع لها نفائس الكتب التي قدرت بعشرة آلاف كتاب، أرسل منها من مقر إقامته باستانبول ستة آلاف مع شيخ الحرم وخادم الروضة لتودع في البناية التي شيدها بالمدينة[19] لتكون مكانا لها ورغبة في أن تستمر في أداء دورها دون أي إعاقة مادية فأوقف عليها أوقافا جارية كثيرة من بيوت ودكاكين وخانات وبساتين في المدينة وتركيا[20] وقد حرص عارف حكمت على انتقاء مجموعة المخطوطات التي أوقفها في مكتبته هذه واقتنى لها النفائس من كل مكان وبذل في سبيل ذلك أموالا كثيرة[21] وتشرف عليها حاليا وزارة الحج والأوقاف.

---

(18) عريف، محمد خضر، «تاريخ مكتبة الحرم المكي» **عالم الكتب** مج 4، ع 4 (ربيع الثاني 1404 هـ ــ يناير 1984 م) ص 547

(19) الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله (ت 1270 هـ) **عارف حكمت حياته ومآثره أو شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم** تحقيق محمد العبد الخطراوي. ــ المدينة المنورة : مكتبة التراث، 1403 هـ ــ 1983 م، ص ص 54 ــ 55

(20) التونسي، حمادى علي / **المكتبات العامة بالمدينة المنورة ماضيها وحاضرها** رسالة ماجستير إشراف عباس صالح طاشكندي. ــ جدة : قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز، 1401 هـ ــ 1981 م، ص 16

(21) الألوسي «مقدمة المحقق» ص 32

3 ـــ مكتبة عبد الله بن العباس بالطائف

ويعود الفضل في إنشاء هذه المكتبة إلى والي الحجاز في العصر التركي محمد رشدي الشرواني الذي توفي عام 1291 هـ، حيث جمع مخطوطات ومطبوعات خصص لها مكانا مجاورا لمسجد عبد الله بن العباس رضي الله عنه في الطائف، ثم أضيفت إليها مجموعات أخرى من بينها مخطوطات عبد الحفيظ بن عثمان القارىء، ثم أهملت هذه المكتبة زمنا طويلا حتى اندثر أمرها وتلف الكثير من مخطوطاتها إلى أن أعيد فتحها مرة ثانية في حدود سنة 1384 هـ بجهود وزير الحج والأوقاف سابقا حسين عرب وتشرف عليها حاليا وزارة الحج والأوقاف[22].

4 ـــ مكتبة الحرم النبوي الشريف :

أنشئت هذه المكتبة في عام 1351 هـ بجهود عبيد مدني الذي كان مديرا لأوقاف المدينة المنورة واشتملت على مجموعات خاصة أغلبها مما أهدي أو أوقف على الحرم النبوي الشريف من مثل مجموعة محمد العزيز الوزير التونسي ومجموعة محمد مرشد ومجموعة محمد ياسين الخياري ومجموعات كانت موقوفة على محكمة المدينة المنورة وكتب من وقف طوسون أحمد باشا والي جدة في العصر التركي، وتشغل هذه المكتبة حاليا منذ عام 1399 هـ/1978 م مجموعة غرف في علو باب عمر بن الخطاب في الجهة الشمالية من الحرم النبوي[23] وتشرف عليها إداريا الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

5 ـــ المكتبة العامة السعودية :

وهي أقدم مكتبة في منطقة الرياض وكانت تؤدي دورا مهما في الثمانينات والتسعينات الهجرية ويعود تاريخها إلى عام 1373 هـ[24] وهي تحتوي على

---

(22) حسين، عثمان محمود / **فهرس المخطوطات العربية بمكتبة عبد الله بن العباس بمدينة الطائف**. ـــ الكويت : معهد المخطوطات العربية، 1407 هـ ـــ 1986 م، ص ص 7 ـــ 8

(23) التونسي، ص ص 24 ـــ 26. الجبوري، ص 697 ويذكر أن من بين الذين أسهموا في إنشائها الدكتور محمد حسين خان قنصل الحكومة الهندية في المدينة المنورة.

(24) الجاسر، حمد/ **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**. ـــ الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1386 هـ ـــ 1966 م (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ـــ 2) ص 131

مجموعة من المخطوطات المهداة والموقوفة بعضها يمثل التراث الفكري لعلماء المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

وقد نقلت مؤخرا إلى جناح خاص بها في مقر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء ولم تعد تحمل اسمها القديم.

6 ــ مكتبة مكة المكرمة

سعى إلى إنشاء هذه المكتبة عباس قطان المتوفى في عام 1370 هـ حيث شيد لها مقرا خاصا بها في الموقع الذي ولد فيه الرسول ﷺ وقد أفتتحت في عام 1379 هـ وتضم مخطوطات منها مجموعة محمد ماجد الكردي المتوفى في سنة 1349 هـ[25] وهي تتبع وزارة الحج والأوقاف، وتقوم جامعة أم القرى حاليا بتنظيم مخطوطاتها وفهرستها وتصويرها.

7 ــ مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمدينة المنورة

رغم أن تاريخ إنشاء هذه المكتبة يعود إلى عام 1403 هـ إلا أنها تحتوي على كافة المجموعات التي كانت تشتمل عليها مكتبة المدينة المنورة العامة التي تأسست في عام 1380 هـ مثل مجموعة المكتبة المحمودية ومجموعة إبراهيم الختني والصافي وعمر حمدان ومجموعات المدارس والأربطة الوقفية في المدينة[26] وقد نقلت مجموعاتها إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامة بعد أن أزيل مبناها المقابل للحرم النبوي الشريف ضمن مشروع التوسعة الجديدة للحرم.

ولعل أهم ما يجمع بين المكتبات السابقة أن مجموعاتها وجدت منذ إنشائها حيث رافقت تكوينها ونشأتها وتم الحصول عليها عن طريق تجميع مخطوطات كانت متناثرة في الحرمين الشريفين والأربطة والمساجد والمدارس الوقفية إضافة إلى مجموعات أهديت من قبل أصحابها وهي تعتبر المجموعة الأساسية للمخطوطات في المملكة العربية السعودية حتى فترة التسعينات الهجرية.

---

(25) ابن دهيش، عبد اللطيف «مكتبة مكة المكرمة» **عالم الكتب** مج 6، ع، 4 (ربيع الثاني 1406 هـ ــ ديسمبر 1985 م) ص 491

(26) التونسي، ص ص 29 ــ 30

ثانيا : المكتبات الحديثة :

ونقصد بها تلك المكتبات التي شرعت في تجميع المخطوطات منذ بداية التسعينات الهجرية وأغلبها مكتبات جامعية وبحثية.

وأول هذه المكتبات هي مكتبة جامعة الملك سعود التي شرعت في بناء مجموعة مخطوطاتها منذ عام 1390 هجرية مما دفع بها إلى إنشاء قسم للمخطوطات في عام 1391 هـ، وفي عام 1393 هـ أنشيء قسم المجموعات الخاصة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز في جدة وقسم المخطوطات في مكتبة جامعة أم القرى التي كانت في ذلك الوقت فرعا لجامعة الملك عبد العزيز، والأقسام الثلاثة السابقة تعد اليوم وحدات مستقلة ضمن عمادات شؤون المكتبات في الجامعات الثلاث كما عمدت دار الكتب الوطنية بالرياض إلى إنشاء قسم مستقل للمخطوطات في عام 1393 هـ، كما أنشيء قسم المخطوطات في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام 1395 هـ وهو العام الذي أنشئت فيه عمادة شؤون المكتبات بهذه الجامعة

أما الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فإن قسم المخطوطات فيها تكون في عام 1396 هـ ضمن عمادة شؤون المكتبات، وفي العام نفسه أنشيء قسم المخطوطات في دارة الملك عبد العزيز بالرياض وكذلك شرعت جامعة أم القرى التي كانت فرعا لجامعة الملك عبد العزيز في تأسيس مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي الذي يعنى بجمع المخطوطات وقد غير إسم المركز منذ عام 1407 هـ إلى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي وفي عام 1399 هـ اقتنت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون مجموعة من المخطوطات أضيفت إلى مكتبتها بالرياض.

وفي عام 1405 هـ أنشيء قسم المخطوطات في مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية وقسم المخطوطات في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض.

ويجمع بين المخطوطات المحفوظة في المكتبات البحثية والجامعية أنها تكونت عن طريق الشراء المباشر من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها وقد أنفقت في سبيل ذلك ملايين الريالات السعودية، إضافة إلى مجموعات قليلة أهديت إلى بعضها مثل مجموعة الأمير عبد الله بن عبد الرحمان آل سعود التي أهداها ورثته لمكتبة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ومجموعة محمد بن عيسى العقيلي

المهداة إلى مكتبة الملك سعود، ومجموعة محمد نصيف التي ضمت إلى مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ومخطوطات محمد سرور الصبان التي أهديت إلى مكتبة جامعة أم القرى، كما أن أغلب هذه المكتبات قد اهتمت بتصوير مخطوطات من داخل المملكة وخارجها لتيسير الفائدة منها للباحثين والدارسين.

ثالثا : المكتبات الخاصة :

وإلى جانب المخطوطات المحفوظة في المكتبات السابقة والتي تتبع هيئات وإدارات حكومية وجهات علمية، فإن هناك مخطوطات كثيرة لاتزال ضمن مكتبات خاصة يمتلكها أفراد من مثل مخطوطات آل الحفظي في عسير[27] ومخطوطات مكتبة عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ وكذلك محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ الرياض[28] ومخطوطات مكتبة محمد بن عبد الرحمان العبيكان الخاصة بالرياض، والأخيرة نشر لها فهرس خاص ومخطوطات موزعة في مدن وقرى القصيم وحائل أشار إليها سليمان بن وائل التويجري[29].

المقتنيات :

يتفاوت حجم المقتنيات من المخطوطات في المكتبات بالمملكة العربية السعودية بين مجموعات قليلة تتراوح مابين العشرين إلى أقل من الألف مخطوطة، وأخرى متوسطة تتراوح بين الألف إلى ما دون الخمسة آلاف، وثالثة كبيرة يصل مجموعها إلى أكثر من عشرة آلاف مخطوطة، ولا يحكم حجم المقتنيات قدم المكتبة بل نشاطها وتركيزها على تنمية مجموعتها فعلى سبيل المثال نجد أن أكبر مجموعة من المخطوطات الأصلية توجد في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية رغم أن الاهتمام بها يعود إلى عام 1405 هـ في حين لا يتجاوز عددها 131 مخطوطة في دار الكتب الوطنية التي تأسست في عام 1380 هـ.

ويبين لنا الجدول التالي حجم المقتنيات الأصلية والمصورة في المكتبات التي استطاع الباحث الحصول على إحصاء لمخطوطاتها عن طريق الاستبانة التي قام بتوزيعها مع إحصاءات لمجموعات أخرى وردت في بعض المصادر التي رجع إليها.

(27) آل زلفه، محمد بن عبد الله «مخطوطات آل الحفظي بين الضياع والحفظ» عالم الكتب مج 7، ع 3 (محرم 1407 هـ — سبتمبر 1986 م) ص ص 299 — 307.

(28) الجاسر، ص ص 131 — 132

(29) أنظر مجلة البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ع 2 (1399 هـ) وع 3 (1400 هـ).

جدول رقم (1)

الجهة	الأصول		المصورات		غير محدد	المجموع	
	عنوان	مجلد	ورق	مصغرات			
الجامعة الاسلامية	3536		16850	14461		34847	
جامعة الامام محمد بن سعود	9000	8000	1000	11,000		21,000	
جامعة أم القرى : قسم المخطوطات بالمكتبة	1852				1166 مصورات	3018	(30)
معهد البحوث العلمية				23,000		23,000	
جامعة الملك سعود	10362	7350	1763	6375		18500	
جامعة الملك عبد العزيز	2392	3017	625	2376		5393	
الجامع الكبير بعنيزة	49					49	(31)
الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون	36					36	(32)
دار الكتب الوطنية	131		500	500		1131	
دارة الملك عبد العزيز	20		360	847		1227	
مركز الملك فيصل	12,000	9000	287	8000		20287	
مكتبة الحرم النبوي	1440	940	60			1500	
مكتبة الحرم المكي	10778	9701	1623	3237		15638	
المكتبة السعودية	600				100 مصورات	700	(33)
مكتبة عارف حكمت	5005					5005	(34)
مكتبة عبد الله بن العباس	450					450	(35)
المكتبة العلمية الصالحية بعنيزة	63					63	(36)
المكتبة العلمية العامة في بريدة	35					35	(37)
مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض	500	337	50	70		620	
مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمدينة	7445			1600		9045	
مكتبة مكة المكرمة	1200					1200	(38)
مكتبات خاصة بالقصيم	157					157	(39)
مكتبات خاصة بحائل	196					196	(40)
مكتبة محمد الميكان بالرياض	400	232				400	(41)
مكتبة عبد الرحمان شبيان بالخماس	15					15	(42)
المجموع	67662		23118	71466	1266	163512	=

ويتبين لنا من الجدول السابق أن مجموع المخطوطات الأُصلية والمصورة التي توجد في المملكة حاليا تصل إلى 63512 مخطوطة، من بينها 662 67 مخطوطة أصلية و 118 23 مخطوطة مصورة على ورق و 71467 مخطوطة مصورة على ميكروفيلم؛ كما يتبين منه أن نسبة كبيرة من المخطوطات الأصلية قد ضمت إلى مكتبات المملكة العربية السعودية من بداية التسعينات الهجرية، وهي الفترة التي شرعت فيها المكتبات الجامعية والبحثية في توجيه الاهتمام إلى جمع المخطوطات وحفظها.

ولعل من المفيد أن نشير إلى أن هناك مكررات كثيرة بين المصورات نظرا لعدم قيام تنسيق بين الجهات التي كانت تطلبها، فعلى سبيل المثال تتكرر مصورات مكتبة تشيسربيتي في دبلن في أكثر من مكتبة من المكتبات بالمملكة، كما أن العديد

=(30) ساعاتي، يحيى محمود / **الاختيار والتزويد في المكتبات الجامعية بالمملكة العربية السعودية**.ـــ رسالة دكتوراه بإشراف عبد الستار الحلوجي. ـــ القاهرة : قسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب بجامعة القاهرة، 1403 هـ ـــ 1983، ص 277.

(31) التويجري، سليمان بن وائل «مخطوطات القصيم» **مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي** ع 2 (1399 هـ) ص. 330.

(32) «فهرس الكتب المخطوطة بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون» **عالم الكتب** مج 1، ع 2 (شوال 1400 هـ ـــ أغسطس 1980 م) ص ص 168 ـــ 176

(33) الجبوري، ص 701

(34) التونسي، ص 13

(35) حسين، ص 9

(36) التويجري «مخطوطات القصيم» ص 330

(37) السابق، ص 329

(38) ابن دهيش، ص 491

(39) التويجري، «مخطوطات القصيم» ص ص 329 ـــ 361

(40) التويجري، سليمان بن وائل «المخطوطات في منطقة حائل» **مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي** ع 3 (1400 هـ) ص ص 439 ـــ 452

(41) **فهرس المخطوطات بمكتبة محمد بن عبد الرحمان العبيكان الخاصة**.ـــ الرياض (شركة العبيكان للطباعة)، 1404 هـ.

(42) عواد، كوركيس / **فهارس المخطوطات في العالم**.ـــ الكويت : معهد المخطوطات العربية، 1405 هـ ـــ 1984 م 394/1

منها قد قام بتصوير مخطوطات مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، إضافة إلى جملة من مصورات بعض المكتبات مأخوذة عن نسخ أصلية محفوظة فيها.

أما المجالات المعرفية التي تتوزع عليها هذه المخطوطات وخاصة الأصلية منها فإنها تتركز على علوم الدين الإسلامي بالدرجة الأولى، ثم اللغة والنحو والصرف فالأدب والتاريخ والجغرافيا وأخيرا الطب والعلوم(43).

وبالنسبة للفترات الزمنية التي تعود إليها هذه المخطوطات فهي تشمل القرون من الثامن إلى الرابع عشر، وقلة منها تعود إلى القرون السابقة للثامن، كما أن غالبيتها تنتمي إلى القرون من العاشر حتى الثالث عشر.

وتوضح الفهارس المنشورة نماذج من المخطوطات النادرة التي تحتفظ بها مكتبات المملكة العربية السعودية.

الخدمات :

تعد الخدمات الهدف الأساسي الذي تسعى نحو تحقيقه المكتبات التي تحتفظ بمخطوطات فيها، وفي سبيل تنفيذ هذا الهدف لابد من توافر مجموعة من العناصر تتمثل فيما يأتي :

1 ـــ الجهاز الفني والإداري.
2 ـــ توفير المعلومات المتعلقة بها للراغبين في الاستفادة منها.
3 ـــ الأجهزة والآلات.
4 ـــ الصيانة والحفظ.

---

(43) توصلنا إلى هذا الرأي من خلال ما أشير إلينا في الاستبانات التي وزعت على المكتبات وأقسام المخطوطات إضافة إلى ماورد في رسالة «الاختيار والتزويد في المكتبات الجامعية بالمملكة العربية السعودية» ليحيى ساعاتي حيث ذكر عند مناقشته لمجموعات المخطوطات في المكتبات الجامعية ما نصه «وتمثل الموضوعات الدينية كالفقه والعقائد والتفسير والحديث نسبة كبيرة من مجموعات تلك المقتنيات فهي تشكل على سبيل المثال 63% من مجموع المخطوطات المصورة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى...» كما أن من بين تسعة فهارس نشرتها جامعة الإمام هناك ست مجلدات عن مخطوطات علوم الدين الإسلامي واللغة العربية ومجلدين عن الأدب وواحد عن المخطوطات التركية والفارسية.

1 ـ الجهاز الفني والإداري :

فبالنسبة للجهاز الفني والإداري، نجد أن كافة المكتبات التي تضم مخطوطات قد اهتمت بهذا العنصر ولكن بنسب متفاوتة كما يوضح ذلك الجدول التالي :

جدول رقم (2)

		الاداريون	الفنيون	غير محدد
1	مكتبة الحرم المكي	3	6	
2	مكتبة الحرم المدني	2	2	
3	جامعة الإمام	3	3	
4	مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة		1	
5	مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض		1	
6	مركز الملك فيصل	1	3	
7	الجامعة الإسلامية	5	2	
8	جامعة الملك سعود	6	6	
9	جامعة الملك عبد العزيز	1		
10	دار الكتب	1		
11	دارة الملك عبد العزيز	1	6	
12	مكتبة عارف حكمت	1		1

وأغلب العاملين في أقسام المخطوطات من المؤهلين جامعيا في تخصصات إنسانية من بينهم بعض الحاصلين على البكالوريوس من شعبة المخطوطات في قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ويبلغ عدد الإداريين والفنيين في أقسام المخطوطات أو المكتبات التي تكون المخطوطات أغلب محتوياتها 54 موظفا من بينهم 23 إداريا و 31 فنيا.

وبمقارنة عدد الفنيين بالعدد الإجمالي للمقتنيات المحفوظة في أقسام المخطوطات والمكتبات التي تتركز مجموعاتها في المخطوطات نجد أن كل فني يقابله 5270 مخطوطة تقريبا وهو ما يعني قلة عدد الفنيين الذين يفترض أن يؤدوا الأشياء التالية :

1 ـ تسجيل المخطوطات.

2 ــ فهرستها وتصنيفها.

3 ــ صيانتها وترميمها.

4 ــ تقديم خدمات المعلومات للراغبين في الاستفادة منها.

2 ــ توفير المعلومات المتعلقة بها للراغبين في الاستفادة منها.

وأهم خطوة يتحقق من خلالها هذا العنصر، أن تكون المخطوطات مفهرسة ومصنفة بطريقة علمية تتيح للعاملين الفنيين الإجابة عن الأسئلة التي قد تطرح عليهم من الباحثين، من مثل مدى توفر مخطوطة بعينها، وعدد النسخ التي تحتفظ بها المكتبة منها، أو الرغبة في معرفة اسم مؤلف مخطوطة لم ترد فيها إشارة إلى المؤلف، أو معلومات عن حالة المخطوطة وتاريخها.

واعتمادا على الاستبانة التي وزعت على الجهات ذات العلاقة بالمخطوطات في المملكة، وكذلك بالرجوع إلى بعض المصادر الأخرى، نخرج بالصورة التالية عن وضع الفهرسة في أقسام ومكتبات المخطوطات بالمملكة.

جدول رقم (3)

الجهة	المخطوطات المفهرسة	
	الأصول	المصورات
الجامعة الاسلامية	1061	15655
جامعة الإمام	8000	12,000
جامعة الملك سعود	10154	8138
جامعة الملك عبد العزيز	2033	
دار الكتب الوطنية	131	
دارة الملك عبد العزيز	20	1257
مكتبة الحرم المكي	2400	454
مكتبة الحرم النبوي	1440	60
مكتبة مركز الملك فيصل	3100	340
مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض	550	
مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمدينة	4000	
	32889	37904

ويظهر لنا من الجدول أن المفهرس من المخطوطات الأُصلية المحفوظة في مكتبات تتبع جهة حكومية يصل إلى 32889، في حين يصل عدد المفهرس من المصورات إلى 37904، وجميع هذه المكتبات تملك فهارس خاصة، كما أن بعضها صدرت عنه فهارس مطبوعة، ونضيف إلى ما سبق أعداد المخطوطات التي فهرست بواسطة أشخاص، ونشرت معلومات منها في كتب، أو دوريات ويصل عددها إلى 1401 مخطوطة أصلية، وبالتالي يرتفع عدد المخطوطات الأُصلية التي تتوفر معلومات عنها إلى 34290 مخطوطة وهي تمثل ما نسبته 51% تقريبا، أما بالنسبة للمصورات، فلو افترضنا أن 30% منها هي عبارة عن مصورات لأُصول تقتنيها المكتبات نفسها فإن نسْبة المفهرس من المتبقى سوف يصل إلى 56%.

ولابد أيضا ملاحظة أن هناك اختلافا بينا في إجراءات فهرسة المخطوطات في الجهات التي نعرض لها في هذه الدراسة، فبعضها يعمد إلى نوع من الفهرسة الدقيقة التفصيلية الشاملة، في حين أن الأُخرى تكتفي بفهرستها بشكل مختصر وموجز، ولاشك أن المنهج الأُول هو المطلوب والمحبذ وان كان الثاني أيسر وأسرع في توفير المعلومات الأُولية.

3 ـ الأجهـزة والآلات :

تتوفر في معظم المكتبات التي شملها البحث أجهزة تصوير ميكروفيلمي واستنساخ وتحميض أفلام، وتلبي أقسام المخطوطات حاجة المستفيدين من خلال تصوير ما يحتاجون إليه من مخطوطات باستخدام هذه الأُجهزة، كما أن بعضها يملك أجهزة تصوير متنقلة لتصوير المخطوطات المحفوظة في مكتبات داخل المملكة. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن الجهات التالية : وهي جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الاسلامية وجامعة أم القرى ومركز الملك فيصل ودارة الملك عبد العزيز تتوافر فيها أنواع عديدة من الأُجهزة الخاصة بالتصوير.. وما يتبعها من أجهزة تحميض واستنساخ.

الصيانة والترميم

ومن المعروف أن المخطوطات تحتاج إلى نوع من الصيانة أو الترميم لتكون في وضع مناسب للاستخدام، ولتخليصها من بعض الأُضرار التي أصابتها نتيجة إهمالها سابقا، وعدم العناية بها على الوجه المطلوب.

وتعاني كافة المكتبات من قلة الفنيين المتمرسين المؤهلين للعمل في مجال الترميم،

وقد وجد الباحث أن مركزالملك فيصل يضم وحدة جيدة للترميم تفوق الوحدات الموجودة في المكتبات الأخرى التي توجد فيها مثل هذه الوحدة، والتي تتبع أقسام المخطوطات في جامعات الملك سعود، والإمام محمد بن سعود، والجامعة الإسلامية، ودارة الملك عبد العزيز.

كما أن الجهات المشار إليها سابقا تمتلك أجهزة ومعدات حديثة للترميم أكثرها تكاملا وتنوعا موجود في وحدة الترميم في مركز الملك فيصل.

أنواع الخدمات التي تقدمها مكتبات وأقسام المخطوطات

تتوزع الخدمات التي تقدمها مكتبات وأقسام المخطوطات على أنشطة مختلفة مثل :

أ ـ الخدمات المرجعية :

وتتمثل في إرشاد الباحثين إلى فهارس المخطوطات ومساعدتهم في التحقق من بعض المعلومات التي يحتاجون إليها، وتملك أغلب أقسام المخطوطات مراجع أساسية في التراجم واللغة، وفهارس المخطوطات المنشورة.

وقد تتطلب الخدمة المرجعية الخاصة بالمخطوطات قيام العاملين في هذه الأقسام بتوفير معلومات عنها في الفهارس المنشورة ومثل هذه المعلومات تتكون لدى المهتمين بأمور المخطوطات من خلال المتابعة الدقيقة لما ينشر عنها في بعض الكتب والدوريات ومن خلال الاتصالات الشخصية.

ولعل مما يعيب الخدمة المرجعية في مكتبات وأقسام المخطوطات بالمملكة والعالم العربي عامة قلة عدد العاملين في هذا الحقل من المؤهلين القادرين على أداء هذه الخدمة بشكل جيد، نظرا لأنها تتطلب ثقافة تراثية راقية إضافة إلى معرفة جيدة بمهنة المكتبات.

ب ـ خدمة التصوير

وتتركز في تصوير مخطوطات أصلية أو استنساخ من المصورات للباحثين الذين يحتاجون إليها، ويتم التصوير من الأصول عادة بعد التأكد من حاجة الباحث شريطة ألا تكون قد صورت من قبل لباحث آخر، كما أنها تسعى نحو توفير مصورات لمن يحتاج إلى نسخ أخرى معروفة وموجودة في مكتبات تقتني

مخطوطات من داخل المملكة أو خارجها، وفي حالة رغبة باحث في الحصول على نسخة ورقية من نسخة خاصة به مصورة على ميكروفيلم فيمكن تحقيق ذلك له شريطة الحصول على النسخة المصورة على الميكروفيلم بعد التأكد من عدم وجودها من قبل.

ج ــ الفهارس المنشورة

ولاشك أن الفهارس المنشورة تعد أفضل وسيلة تيسر للباحثين معلومات عن المخطوطات المحفوظة في مكتبة من المكتبات، خاصة أولئك الذين لايجدون فرصة كافية للتردد على المكتبة لبعد مواقعهم عنها، أو عدم قدرتهم على قضاء وقت طويل في البحث عن المعلومات من خلال استخدام الفهارس البطاقية، أو أولئك الذين يرغبون في تتبع قضايا محددة لا تتيح لهم فرصة الوقوف عليها إلا الفهارس المنشورة.

وتعود بدايات ظهور فهارس المخطوطات المطبوعة والموزعة خارج حدود المكتبة نفسها إلى عام 1391 هـ عندما أقدم قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الملك سعود على إصدار فهارس مطبوعة على الآلة الكاتبة، ويعرض أحد الباحثين لهذا الفهرس قائلا «وقد واكب تجميع المخطوطات في الجامعة فهرسة المخطوطات أولا بأول على بطاقات، ولكن هذا الاتجاه عند كل من الدكتور حسن شاذلي فرهود ويحيى محمود ساعاتي اتجاها يرمي إلى الإختصار والإيجاز من أجل إنجاز أكبر عدد ممكن..»(44).

وقد تمكن القسم من نشر سبعة أجزاء من هذا الفهرس، صدرت الأجزاء الثلاثة الأولى منه باسم «نشر المخطوطات الموجودة في جامعة الرياض» ثم تحول الإسم ابتداء من الجزء الرابع إلى «مخطوطات جامعة الرياض» وكان آخر ما صدر منه هو الجزء السابع في عام 1393 هـ.

وشهدت الفترة التي ظهر فيها فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود (الرياض

---

(44) شريتح، سعد الدين / **فهارس المخطوطات في المملكة العربية السعودية**.ــ رسالة ماجستير بإشراف عباس صالح طاشكندي. ــ جدة : قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز، 1405 هـ ــ 1985 م ص 59

سابقا) ظهور فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي، والذي كان المجلد الأول منه عن علوم القرآن ونشر في عام 1391 هـ وآخر ما نشر منه هو الجزء الثالث وكان عن التاريخ والتراجم والسيرة النبوية وذلك في عام 1392 هـ.

وبمقارنة العمل في الفهرسين نجد تباينا واضحا بينهما فالأول يميل إلى الإيجاز والإختصار، بينما الثاني يميل إلى التفصيل والإسهاب، كما أن الأول رتب هجائيا بينما اعتمد الثاني في ترتيبه على تقارب الموضوعات.

ويتفق الفهرسان في أنهما طبعا بالآلة الكاتبة وأن توزيعهما كان محدودا لقلة ما كان يطبع منهما.

كما أن قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود أقدم في عام 1393 هـ على نشر فهرس المخطوطات التي قام بتصويرها من مكتبات المدينة المنورة لا يختلف من حيث المنهج وطريقة الإخراج والطباعة عن فهرس المخطوطات الأصلية الذي أشرنا إليه سابقا.

وأعاد قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود نشر فهرس مخطوطاته في عام 1395 هـ وفق منهج جديد اعتمد على الترتيب الموضوعي في كل جزء مع سرد معلومات تفصيلية عن كل مخطوطة، وقد صدرت منه ستة أجزاء آخرها في عام 1406 هـ وكان عن الفقه الإسلامي وأصوله.

وفي عام 1395 هـ صدر فهرس مخطوطات المكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز.

وشاركت جامعة الإمام في إصدار فهارس المخطوطات ابتداء من عام 1396 هـ حيث نشرت عمادة شؤون المكتبات بجامعة الإمام أول فهرس لها بعنوان (قائمة حصرية بمخطوطات الفقه الإسلامي الموجودة بمكتبات الرياض) وثانيها (فهرس مخطوطات مكتبة المغفور له سمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمان بن فيصل آل سعود المهداة إلى جامعة الإمام) في عام 1398 هـ.

وابتداء من عام 1401 هـ أخذت العمادة في نشر فهارس لمقتنياتها من المخطوطات مرتبة موضوعيا، واستخدم فيها منهج وسط في سرد المعلومات، وكان أولها بعنوان (فهرس المخطوطات والمصورات الجزء الأول المصاحف والتجويد والقراءات) وقد نشر منها أربعة في عام 1407 هـ.

كما أسهمت جامعة أم القرى في ميدان نشر فهارس المخطوطات ابتداء من عام 1399 هـ عندما ظهر عن مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي — معهد البحوث العلمية حاليا — (فهرس المصورات الميكروفيلمية الموجودة بمكتبة الميكروفيلم بمركز البحث العلمي) وفي عام 1403 هـ نشر قسم المخطوطات بعمادة شؤون المكتبات الجزء الأول من فهرس مخطوطات جامعة أم القرى.

وفي أعقاب عام 1403 هـ نجد مشاركات أخرى من هيئات تقتني مخطوطات حيث نشرت الجامعة الإسلامية (النشرة الببليوجرافية الخاصة بالمخطوطات) كما نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ثلاثة أجزاء لمقتنياته من المخطوطات، وتميزت فهارس المركز بالإسهاب في الوصف وإعطاء معلومات تفصيلية مطولة، لذلك فإن ما نشره من فهارس لايضم غير القليل جدا من العناوين.

وآخر الجهات التي نشرت فهرسا لمقتنياتها من المخطوطات هي مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض، وهو يعتمد على إعطاء معلومات موجزة عن كل مخطوطة.

أما المكتبات الأخرى فلم تشارك في نشر فهارس لمخطوطاتها، ولكن ذلك لا يعني أنه لم تصدر فهارس منشورة عن مقتنياتها، فمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة نشرت عن مخطوطاتها فهارس عديدة بجهود فردية، وهي فهارس جزئية لا تقدم في مجموعها غير معلومات عن بضع مئات من محتويات هذه المكتبة[45].

كما أن هناك فهرسا منشورا في مجلة عالم الكتب عن مخطوطات الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون[46]، وآخر عن مخطوطات دارة الملك عبد العزيز[47].

كما نشرت معلومات عن بعض المخطوطات المحفوظة في مكتبات المدينة في أعمال مثل (المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة)[48].

---

(45) أنظر دراسة شريتح ص ص 44 — 48، ودراسة الجبوري في عالم الكتب، ص ص 696 — 697

(46) أنظر الهامش رقم 32

(47) المرسي، الصفصافي أحمد «جولة بين المخطوطات التاريخية في دارة الملك عبد العزيز» **عالم الكتب** مج 3، ع 4 (ربيع الآخر 1403 هـ / يناير — فبراير 1983 م) ص ص 679 — 691

(48) وضعه عمر رضا كحالة ونشره مجمع اللغة العربية في دمشق عام 1393 هـ.

ونشر سليمان بن وائل التويجري حلقتين عن مخطوطات القصيم وحائل بمجلة البحث العلمي في العددين الثاني والثالث.

وأعد عثمان محمود حسين فهرسا لمخطوطات مكتبة عبد الله بن العباس تولى نشره معهد المخطوطات العربية في عام 1407 هـ.

ويلاحظ على الفهارس المنشورة اختلافها في عملية الوصف الببليوجرافي وعدم اتفاقها على منهج معين بل هي تعتمد على الاجتهادات والتجارب الشخصية لكل معد[49].

خــاتــمــة :

وبعد فإن من المؤكد أن المملكة العربية السعودية تضم حاليا مجموعة طيبة من المخطوطات التي تضاعف عددها منذ التسعينات الهجرية، وأنه تتوفر في المكتبات المهتمة بالمخطوطات تجهيزات واستعدادات حديثة قد لا تكون متوفرة في أي دولة عربية أخرى، كما أن حركة نشر الفهارس فيها شهدت ازدهارا ملموسا تمثل في صدور عشرات الفهارس المطبوعة منذ عام 1391 هـ.

وهذا الاهتمام بالمخطوطات وارتفاع رصيد مكتبات المملكة منها دفع إلى التفكير في إنشاء شعبة لدراسة المخطوطات ضمن قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك في عام 1403 هـ. وقد تخرج في هذه الشعبة مجموعة من المهنيين الذين يعملون حاليا في أقسام المخطوطات بالمملكة؛ غير أن المؤسف أن هذه الشعبة الفريدة في توجهها واهتماماتها تعاني اليوم من مثبطات قد تؤدي إلى توقفها، ولا شك أن حاجة المملكة والبلاد العربية الأخرى ماسة جدا إلى مثل هذا النوع من الدراسة، خاصة وأن ليس هناك من شعبة مثيلة لها في أي دولة عربية أخرى. والحاجة إلى تنشيط هذه الشعبة تتمثل في أمور من بينها أن كثرة المخطوطات في المملكة حاليا يقابلها نقص شديد في إعداد المهنيين المتخصصين في مجال الفهرسة والترميم، وهذا ناتج عن قلة عددهم

(49) للوقوف على معلومات تفصيلية عن الفهارس الخاصة بمخطوطات المملكة ومناهجها واتجاهات الفهرسة أنظر دراسة شريتح المشار إليها سابقا ودراسة المشوخي، عابد سليمان **فهرسة المخطوطات العربية**. ـــ رسالة ماجستير بإشراف قاسم السامرائي. ـــ الرياض : قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الإجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406 هـ / 1407 هـ ص ص 100 ـــ 137.

في العالم العربي كافة، ولعل من المناسب ذكره أن تطور شعبة المخطوطات بجامعة الإمام بحيث تكون قادرة على تخريج الفنيين في مجال خدمة المعلومات الخاصة بالمخطوطات إضافة إلى تقنيين ملمين بأصول وفن ترميم وصيانة المخطوطات.

كما أن هناك حاجة ماسة إلى قيام تعاون وتنسيق بين مكتبات وأقسام المخطوطات في المملكة في مختلف المجالات، وكان أحد الباحثين قد دعا إلى ذلك في عام 1400 هـ، والحقيقة أن دعوته لاتزال قائمة إذ أن الجهات المعنية بهذا الأمر لم تستفد منها حتى اليوم.

ونورد فيما يلي مجالات التعاون التي اقترحها ذلك الباحث، والتي لابد من النظر إليها بشكل جاد والعمل على تنفيذها :

1 ـ التنسيق في مجال تصوير المخطوطات من خارج المملكة، فلو أن كل جامعة التزمت بتقديم نسخة من صور المخطوطات التي تحصل عليها للجامعات الأخرى، لكان في ذلك إثراء لمكتبات الجامعات، وتوفير للوقت والازدواجية بل والمنافسة في هذا المجال.

2 ـ التنسيق والتعاون في مجال تصوير المخطوطات في الداخل.

3 ـ تبادل المعلومات والفهارس.

4 ـ أن تزود كل جامعة الجامعة الأخرى بفهرس مفصل لكل المخطوطات الموجودة لديها، مع إعطائها فرصة لقبول طلبات التصوير نيابة عنها للباحثين وطلبة الدراسات العليا.

5 ـ التنسيق في مجال المخطوطات حتى لا يتكرر التحقيق ويضيع الجهد.

6 ـ عقد دورات وندوات مشتركة حول المخطوطات.

7 ـ التعاون في مجالات العلاقات الخارجية مع أقسام المخطوطات في الخارج وفي الندوات والمؤتمرات الخارجية[50].

ولعلنا نضيف مجالا ثامنا إليها وهو مجال الترميم والصيانة، إذ أن أغلب الجهات

---

(50) الربيع، محمد عبد الرحمان «التعاون والتنسيق بين الجامعات السعودية في ميدان المخطوطات» عالم الكتب مج 1، ع 2 (شوال 1400 هـ ـ أغسطس 1980 م) ص 167.

التي تملك مخطوطات في المملكة تعاني من قلة عدد الفنيين المتخصصين في ترميم المخطوطات، كما أن إنشاء قسم في كل جهة تملك مخطوطات يعد أمرا مكلفا لارتفاع أسعار الأجهزة والمعدات الخاصة بالترميم، لذا فإن أفضل وسيلة في اعتقادنا تسهم في التغلب على هذه الصعوبة تتمثل في الأخذ بمبدأ التعاون، إذ ليس هناك ما يمنع من دعم إحدى الوحدات الخاصة بالترميم والموجودة فعليا وقد يكون قسم الترميم في مركز الملك فيصل نظرا لأنه الأكثر تكاملا واستعدادا لأداء هذا الدور، على أن تسهم في ميزانيته كل الجهات التي تحتاج إلى خدماته مستقبلا[51].

---

(51) لمزيد من المعلومات عن قسم الترميم في مركز الملك فيصل أنظر : «مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية» عالم الكتب ج 8، ع 3 (محرم 1408 هـ — سبتمبر 1987 م) ص ص 400 — 401

خزانة القرويين ودورها الإيجابي
في حفظ التراث المخطوط

الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

محافظ خزانة القرويين — فاس

المخطوطات العربية بالغرب الإسلامي تعد من أغنى المخطوطات فائدة، ومن أوسعها نطاقا في إطار الانتساب الفكري والحضاري لدى الأمة الإسلامية، لأنها تضم ما ألف في المغرب والأندلس من جهة، وما ألف في شتى الآفاق الإسلامية من جهة أخرى، ذلك لأن المغاربة كانوا مولعين بالبحث والتنقيب عن الكتب في المشرق يحملونها إلى بلادهم كلما ذهبوا إلى حج بيت الله الحرام، وكانوا يحرصون على أن تكون صحيحة المضمون، وأن تكون مصحوبة بإجازات أو سماعات. الشيء الذي جعل كثيرا من النسخ الموجودة بالخزانات المغربية تمتاز إما بمقابلتها بأصول صحيحة، وإما بحملها لملاحظات وتعليقات تجعلها في مستوى لائق بأهل العلم والمعرفة.

وقد كانت العناية بالكتب ممزوجة بروح شمولية تعمل على أن تكون الثقافة مشاعة بين الناس، وأن تكون ميسرة للباحثين الراغبين في طلب العلم، وذلك إما عن طريق الخزانات الوقفية العامة، أو عن طريق الخزانات التابعة للمساجد والمدارس والزوايا.

وإن نظرة فيما تشتمل عليه الخزانات المغربية من كنوز علمية وأدبية لتدل على ما ذكرناه سواء في الخزانات العامة أو في الخزانات الخاصة، ولعل الباحثين الذين سيتولون الكشف عن ذلك سيبينون محتويات هذه الخزانات في شتى المجالات.

وسأقتصر في بحثي هذا على خزانة القرويين بفاس استجابة للاقتراح الذي تلقيته من منظمي هذه الندوة المباركة المتعلقة بالمخطوطات بالغرب الإسلامي.

إن خزانة القرويين مرت بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى مرحلة تأسيسها على يد أبي عنان المريني عام 750 هجرية بالجهة الشرقية من صحن مسجد القرويين.

المرحلة الثانية مرحلة نقلها إلى البناء الجديد الذي بناه أحمد المنصور السعدي أوائل القرن الحادي عشر بجوار المحراب.

المرحلة الثالثة مرحلة توسيعها وإضافة جناح كبير إليها على يد المغفور له السلطان سيدي محمد الخامس طيب الله ثراهُ وهو الجناح المستعمل الآن المشتمل على الباب الخارجي المتصل بحي الصفارين.

وفي كل هذه المراحل كانت الخزانة تستمد عناصر وجودها مما يقدم إليها من كتب من لدن الملوك والأمراء والوزراء وغيرهم من المحبسين الذين كانوا يرون أن تحبيس الكتب يسهم إسهاما كبيرا في رفع المستوى الفكري بالبلاد وفي تيسير الثقافة للراغبين فيها وفي تعبيد الطريق أمام أهل العلم والطلب.

ونحن لو حاولنا أن نحدد الأهداف من تأسيس هذه الخزانة منذ مرحلتها الأولى لوجدناها متجلية في النقش المكتوب بأعلى بابها في مركزها الأول الموجود بمستودع الجانب الشرقي من المسجد ويتضمن ما يأتي :

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده ورضي الله عن الخلفاء القائمين بالحق من بعده.

مما أمر به أحيا الله بإيالته الأنام، وتدارك بدولته الإسلام، أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين، وطب ملوك الزمان، المظفر المنصور المولى أبو عنان، بن الخلفاء الراشدين المرضيين أدام الله للمسلمين أيامه، ونشر أعلامه، إنشاء هذه الخزانة السعيدة، الجامعة للعلوم المجيدة، المشتملة على الكتب التي أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع من العلوم، الواجب لها التعظيم والتكريم. جعل ذلك نصره الله وقفا مؤبدا، لجميع المسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، حضا منه أيده الله على طلب العلم وإظهاره وارتقائه، وتسهيلا لمن أراد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة. وليس لاحد أن يخرجها من أعلى المودع

التي هي فيه. ولا يغفل المحافظة عليها والتنويه، أراد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، ضاعف الله بذلك حسناته، ورقى في الجنان درجاته، وأطال ملكه ونظم في الصالحات سلكه. وذلك في جمادى الأولى عام خمسين وسبعمائة، أوصله الله بالبركات الزكية.

فمن خلال هذه الوثيقة يتبين لنا أن الهدف من إنشاء الخزانة هو الحرص على نشر العلم وطلبه وعلى تسهيل القراءة والمطالعة، والنسخ والمقابلة لكل من أراد ذلك وهي سمات ظلت متصلة بهذه الخزانة إلى الآن.

ومما يلفت النظر أن المقابلة كانت تقع في بعض الفترات تحت إشراف علماء مختصين يتولون ذلك بأنفسهم وبمساعدتهم ليلا يقع فيما ينقله الناقلون تحريف أو تصحيف.

ومما سجله التاريخ في هذا الباب أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله قد كلف أربعة علماء بالتحقق مما ينقل من النسخة المرينية الموجودة في الخزانة من كتاب البيان والتحصيل لابن رشد الجد.

إن هؤلاء العلماء كانوا من أشهر الفقهاء في عصرهم وهم الفقيه محمد التاودي ابن سودة، والفقيه أبو حفص عمر بن عبد الله الفاسي والفقيه محمد بن عبد الصادق الدكالي والفقيه عبد القادر بن العربي بوخريص فقد كلف كل واحد منهم بالنظر في ربع من هذا الكتاب

ومن الجدير بالذكر أن نقول : إن هذه النسخة المرينية من البيان والتحصيل تعد من أروع ما كتب على رق الغزال فهي قد نسخت بخط دقيق وكتابة محققة سليمة من الأخطاء كتبها أحمد الصنهاجي لأبي الحسن المريني عام 720 هـ قبل تأسيس خزانة القرويين بثلاثين سنة، وقد صارت بعد كتابتها النسخة التي يعتمد عليها في النقل والمقابلة، بحيث نجد الإشارة إليها في كثير من النسخ المنقولة منها كنسخة تامكروت مثلا، بل إنها أصبحت معتمدة حتى من الذين حققوا هذا الكتاب أخيرا.

إن هذه النسخة تعد من التحف النادرة في خزانة القرويين فهي زيادة على قيمتها العلمية تمتاز بجمال خطها، ودقة صنعها، وهندسة مقياسها، وجودة حبرها، بحيث يجد كل من اطلع عليها متعة في صورتها، وفي إبداع شكلها، ويستوحي منها صبرا يعينه على العمل، ويدفعه إلى الجدية في نقل العلوم وتدوينها.

وإذا كان الزمن قد حافظ على هذه النسخة سليمة من الأرضة ومن التمزق، فإن هناك بعض الكتب داخل الخزانة قد محتها الرطوبة، أو مزقتها الأرضة، أو اختلطت أوراقها بسبب التداول المستمر. ولهذا كان من الضروري التفكير الجدي في العمل من أجل حفظ ما تبقى سليما، وفي ترميم ما أتلفته الأيام، وفي البحث عما تضمه بعض الملفات المختلطة التي مازالت إلى الآن في حاجة إلى كشف محتواها، وإلى ضم كل قسم منها إلى ما يناسبه.

وإني أرى أن هذا الأمر لا يتحقق إلا بمجهود متواصل، وتخطيط منسق يتولى تطبيقه رجال علم لهم قدرة على استيعاب الثقافة الإسلامية، وعلى رد ما تلاشى من الأوراق، أو تبعثر منها إلى أصوله.

وإن الإشارة إلى التخطيط لشيء ضروري في أي عمل من الأعمال، ولعل هذه الندوات العلمية قادرة على أن تسهم بنصيب كبير في وضع بعض المقترحات الكفيلة بتحقيق ما نرجوه من حفظ لتراثنا، ومن كشف عما بقي مجهولا منه.

وإني لأعتبر دائما أن العمل البيبليوغرافي يجب أن يكون موازى بعمل تعريفي علمي، وذلك أمر لا يمكن الوصول إليه إلا بتعاون كامل بين المكلفين بالخزانات، وبين الهيآت العلمية المسؤولة عن البحث العلمي، سواء في إطار الجامعات، أو في إطار المنظمات الثقافية على اختلاف اتجاهاتها، بحيث إذا لم يحصل هذا التعاون ظلت تلك المدخرات عقيمة المفعول، لا تؤدي شيئا للحضارة المعاصرة، فنحن من الذين يرون أن إحياء التراث يجب أن يوظف توظيفا إيجابيا يدفع بالمسيرة الحضارية إلى الأمام، وهذا أمر ليس بالمستحيل إذا توفرت النيات الحسنة، واتسعت المدارك، وقوي الإنسان على استنطاق التراث، واستلهم منه ما يفيد الإنسانية في حاضرها ومستقبلها.

وإذا كان من العسير أن تتوفر هذه الصفات عند كل شخص فلا أقل من أن نحرص على إخراج النصوص صحيحة سليمة من التصحيف والتحريف، وأن نضعها أمام الذين إذا تيسرت لهم قراءتها استنتجوا منها ما كنا نرجوه.

ولا يتيسر هذا الإخراج السليم إلا إذا كانت هناك هيئة منسقة تحيل المصححين على النسخ المتعددة الموجودة في العالم من أي كتاب بقصد تحقيقه أو إخراجه، فذلك يعين على تلافي النقص، وعلى إتمام البعض بالبعض، ولعل هذه الرغبة كانت من أسباب تأسيس معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية، فقد

حددت مهمته في البيان التالي المنشور بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الأول الجزء الأول مايو 1955 رمضان 1374 فقد جاء فيه :

أنشيء معهد المخطوطات بموجب قرار مجلس الجامعة العربية المؤرخ في 4 أبريل 1946، وحددت مهمته بما يلي :

1 ــ جمع فهارس المخطوطات العربية الموجودة في دور الكتب العامة والخاصة، وفهارس المخطوطات التي يمتلكها الأفراد لتوحيدها في فهرس عام.

2 ــ تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية القيمة.

3 ــ وضع هذه المصورات تحت تصرف العلماء.

أولا : بعرضها لمن يطلبها للاطلاع عليها بواسطة الآلات العارضة المكبرة، أو بإعطاء صورة مكبرة منها بأسعار مناسبة، أو بإعارة نسخة ثانية منها للعلماء الذين يطلبونها من البلدان الأخرى عن طريق المؤسسات العلمية.

4 ــ طبع صور المخطوطات القيمة التي نصها صحيح وخطها مقروء، ونشر نصوص المخطوطات ذات الأهمية الكبرى.

5 ــ تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية في سبيل نشر المخطوطات وتزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات التي يعنون بها. وإعلامهم بأسماء من يعنى بمخطوطات مماثلة بمخطوطهم أو مشابهة له.

6 ــ إصدار نشرة دورية عما طبع أو يطبع من المخطوطات العربية والإشارة إلى ماهو معد منها للطبع.

ولقد أسهم محافظ خزانة القرويين الفقيه المرحوم الأستاذ محمد العابد الفاسي بإرسال قائمة من نوادر مخطوطات الخزانة إلى مجلة معهد المخطوطات العربية ونشرت بالعدد الأول منها وعمل على وضع فهرسته القيمة التي صدر منها لحد الآن ثلاثة أجزاء وما زالت إلى الآن لم يتم طبعها.

وعمل الفاسي رحمه الله عملاً موفقاً يدل على معاناة المؤلف وصبره وتتبعه لمحتويات الخزانة، وصموده في قراءة المتلاشي من الأوراق، والمغبر من الكتب. ولو أطال الله عمره لكان ترتيبه للفهرس قد أخذ منحىً آخر يسهل على الباحث الوصول إلى مراميه. وإني قد حاولت بمساعدة الفقيه محمد التوزاني أحد الموظفين

بالخزانة أن أتمم عمل الأستاذ الفاسي رحمه الله وذلك بكتابة جذاذات للكتب التي لم يدمجها داخل كتابه وبتصوير الجذاذات التي كان قد أعدها، وأن أرتب ذلك ترتيبا موضوعيا يسهل العمل للباحث ويساعده على معرفة عدد النسخ التي تتوفر عليها الخزانة من كل كتاب. وقد أنجزت ما يتعلق بالقرآن والحديث والفقه والأصول والتصوف والسيرة ونحن مازلنا نواصل عملنا لإتمام ما بقي إن شاء الله.

ولقد لاحظت أثناء عملي هذا أن الأستاذ الفاسي رحمه الله كان يتتبع البحث تتبعا دقيقا فيتحدث عن الكتاب وعن مؤلفه : وقد يصرح أحيانا بأنه لا يعرف شيئا عن المؤلف، وقد يتشكك في نسبة الكتاب لمن ينسب إليه ويدفع القارىء للتحقق، وقد يرى أن الكتاب مجهول المؤلف ويكتفي بالتنصيص على ذلك.

وطريقته هاته تدل على نزاهته العلمية وعلى صدقه فيما يكتب وعلى عدم البت النهائي فيما لم يستطع البلوغ إليه ومع ذلك فإن ملاحظاته كانت تدفع أحيانا المهتمين بالبحث إلى مواصلة عمله، وإلى الاستجابة لبعض تساؤلاته، ولنأخذ على ذلك مثالا التفسير المسجل تحت رقم 935 تحت عنوان تفسير البلنسي وهو نفس التفسير المسجل في فهرس بيل تحت الرقم 203 فقد كتب الأستاذ الفاسي في الجذاذات المتعلقة به ما يأتي :

«هذا الكتاب ربما كان من تأليف محمد بن علي الأوسي الغرناطي المتوفى سنة 782 هجرية، ولم نتمكن من معرفة الحقيقة حيث ضاعت الورقة الأولى منه، وذُكِر لفظ البلنسي في وثيقة الوقف. والتفسير المذكور لا يتتبع صاحبه سائر ألفاظ القرآن الكريم، وتغلب عليه النزعة الصوفية وينقل عن كثير من أعيانها فرد فيه تحقيقا».

ولقد دفعتني هذه العبارة إلى محاولة التحقق من ذلك خصوصا بعد أن أذن بتصويره لأحد الباحثين على أنه للبلنسي المذكور.

«إن العملية التي استعملها في البحث اقتضت أولا أن أتمكن من ترجمة البلنسي هذا، فقد ذكره السيوطي في بغية الوعاة ونقل ترجمته عن الإحاطة؛ وقال عنه : «إنه ذاكر لكثير من المسائل، حافظ متقن، حسن الالقاء، عفيف النشأة، مكب على العلم، ماهر في العربية، وأنه صنف كتاب الاستدراك على التعريف والاعلام للسهيلي، وتفسيرا كبيرا».

ونحن نرى من هذا النص أن التفسير المنسوب للبلنسي هو تفسير كبير في

حين أن هذا الموجود بالقرويين لا يتبع صاحبه سائر الألفاظ كما جاء في وصف الفاسي رحمه الله.

ثم وجدت قرينة ثانية ترجع إلى الجانب الصوفي الذي يغلب على هذا التفسير وهو جانب لم يشر إليه أثناء ترجمة البلنسي.

وهناك قرينة ثالثة يمكن أن نسميها حجة حقيقية لا قرينة تقريبية، ترجع إلى أن بعض النقول التي توجد داخل التفسير يرجع تاريخها إلى أواخر القرن التاسع الهجري. ومن ذلك مثلا استدلاله بقولة للشيخ أحمد زروق المتوفى سنة 899 هجرية أثناء تفسيره لقول الله تعالى في سورة الإسراء (95) ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ فقد قال : «ونقل الشيخ سيدي أحمد زروق عن شيخه أبي عبد الله القوري أنه قد اختلف في حقيقة الروح في نحو السبعمائة قول».

وبهذا النص توصلنا إلى أن الكتاب ليس للبلنسي، خصوصا بعد أن استقرأنا أسلوبه وطريقة عرضه، فتبين لنا أنه كتاب اللباب في مشكلات الكتاب للفقيه أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد البرجي الشطيبي الأندلسي المعروف بالحاج، المتوفى سنة 963. وهو كتاب يظن أن مؤلفه قد أملاه فكتبه طلبته عنه بتعابير متقاربة يحصل بعض الاختلاف فيها، أو أنه كتبه مرتين حسب ما هو معروف لدى بعض المؤلفين. ولهذا فإننا نرى أن النسخة المذكورة شبيهة بالنسخة الموجودة منه بتطوان المسجلة تحت رقم 289 حسب مقابلة نهايتها بما في فهرس هذه الخزانة، وقريبة من النسختين الموجودتين منه بخزانة القرويين المسجلتين تحت رقم 52 ورقم 783.

والشطيبي المذكور وردت ترجمته في دوحة الناشر لابن عسكر، كما وردت ترجمته أيضا بتفصيل في كتاب المرحوم سيدي البشير الفاسي عن قبيلة بني زروال، حيث يوجد قبر الشطيبي رحمه الله بالمدشر المعروف بتازغدرة من هاته القبيلة.

وعلى كل حال فإن ملاحظة سيدي محمد العابد الفاسي ساعدتنا على إثارة انتباهنا للعمل من أجل تصحيح نسبة هذا الكتاب، وإعادة ربطه بمؤلفه الأصلي.

ومما أثار انتباهنا داخل هذه الفهارس، محاولة ربط بعض المؤلفات المجهولة المؤلف بأصولها، ومن ذلك مثلا ربط شذرات من كتاب نزهة القلوب المعروف بغريب القرآن تأليف أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني. فهي مسجلة تحت عدد 1479 على أنها لمؤلف مجهول ولكن ظهر لنا بمقارنتها بغيرها أنها من كتاب

السجستاني المذكور. وفي خزانة القرويين نسخة تامة من هذا الكتاب محفوظة داخل المجموع المسجل تحت رقم 940؛ وقد سماها الناسخ باسم كتاب معاني القرآن على حروف المعجم، أو ديوان نزهة القلوب. وهي عبارة عن جزء متوسط بخط مغربي في ورق متلاش ضمن المجموع المذكور من 141/ ب إلى 176/أ؛ وقد وقع الفراغ من نسخه سنة 965 على يد كاتبه سعيد بن محمد التونسي. وقد كتبه لخزانة الأمير أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الذي وردت ترجمته بدرة الحجال رقم 643. وفي كتاب الاستقصا ج 5 ص 55 — 57 وقد نقل الفقيه محمد المنوني ترجمته أيضا في بحث له عن تاريخ المصحف الشريف بالمغرب نشره بمجلة دعوة الحق الغراء عام 1981 بالعدد الرابع من السنة الثانية والعشرين وقال عنه إنه كان وزيرا لعمه عبد الله الغالب الذي استخلفه بمكناس ثم قتله في 20 جمادى الثانية عام 975 هـ وذكر عنه أنه كان شجاعا أديبا.

وإننا بالمقارنة بين هاته النسخة وبين الشذرات المذكورة الغير المعزوة لمؤلفها أمكننا أن نزيل الإبهام وأن نعزوها لمؤلفها وهي شذرات مكتوبة على رق الغزال بخط أندلسي جميل ومشكول وقد قدمنا حولها دراسة خاصة أذعنا منها حلقات على أمواج الإذاعة الوطنية عن طريق إذاعة فاس الجهوية في شهر يونيه 1987 ضمن البرنامج الذي نخصصه لمخطوطات القرويين تحت عنوان نصوص وهوامش.

ومن المعلوم أن الفهرس المذكور إنما يتعلق بالكتب المسجلة في السجل العام، أما الخروم فإنها لحد الآن لا تتوفر على فهرس يقرب للباحثين ما تشتمل عليه، وقد حاولت أن أعمل على تسجيلها وتحديد موضوعاتها، فرأيت أنها موزعة على قسمين :

القسم الأول هو القسم المعروف بالخروم الجديدة، وهو محفوظ في صناديق خاصة، وله أرقام تتعلق به إلا أننا لم نحدد بعد كل ما يتصل به من معلومات.

القسم الثاني هو المعروف بخروم القبة السعدية وقد حَرصت على التعرف عليه وتحديد موضوعاته وترقيمه حسب زمن هذا التعرف، وقد استخرجت منه نحو السبعمائة ملف، وسأعمل بعد تتميم جمعه على ضم المتقارب منه إلى بعضه، وعلى ربطه بالخروم الجديدة، وإلى فهرسة الجميع حسب الموضوعات وحسب أسماء المؤلفين إذا أمكن التعرف عليهم.

وقد استغللت بعض هذه الخروم فأوليتها دراسة خاصة وعملت على وصفها

وصفا علميا يقرب المسافة للباحثين المختصين وسأذكر على سبيل المثال أسماء بعض القطع التي وصفتها وتحدثت عنها.

فمن ذلك :

أولا — شذرات من ديوان ابن دراج القسطلي وهي موجودة بالرقم الرابع من الخروم الجديدة، وقد استفاد الدكتور محمد علي مكي من جزء منها أثناء تحقيقه لهذا الديوان، ولم يتيسر له الاطلاع عليها كاملة؛ وقد أشرت إلى ذلك في بحث نشرته بمجلة الناشر العربي العدد السادس يناير 1986 تحت عنوان ابن دراج القسطلي بعد طبع ديوانه.

ثانيا — شذرات من كتاب الصلة لصلة ابن بشكوال تأليف أبي جعفر أحمد بن الزبير المتوفى سنة ثمان وسبعمائة هجرية، وهي شذرات كانت موزعة على ملفات متعددة فجمعناها الآن في ملف واحد، وسجلناها تحت الرقم السادس من الخروم الجديدة.

وتمتاز بكونها نسخت في عهد مؤلفها وعليها بعض الإضافات بخطه وبأنها هي نفس النسخة التي وجدت منها الأوراق التي نشرها المستشرق ليفي بروفنصال، وقد أوضحنا ذلك في بحث نشرناه بمجلة المناهل العدد 33 دجنبر 1985.

ثالثا — الروض المربع في صناعة البديع تأليف أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي المتوفى سنة 721 هجرية وهو كتيب صغير على شكل مقالة يهتم بالجانب البلاغي سواء من حيث الشكل اللفظي أو من حيث العرض المعنوي وبناه على أساس أن البيان لَدُنّي، أما صناعته فهي البحث عن تحقيق الغرض من الكلام إيجازا وإطنابا وحقيقة ومجازا ومن تم كان علم البيان سابقا لصناعة البديع. ولهذا قال إن صناعة البديع ترجع إلى صناعة القول ودلالته على المعنى المقصود، ومستندها علم البيان، وهو شيء يُفيضُه الحق من عنده على الأذهان، ويشهد به العقل الصريح لا باستفادة من إنسان، إنما يحصل من المخلوقين التنبيه على العلم الذي علمه الله خلقه قال الله تعالى : ﴿خلق الانسان علمه البيان﴾ وقد هيأت دراسة حول هذه النسخة أذيعت على أمواج الإذاعة الوطنية المغربية في شهر يناير 1984 ونشرتها بدعوة الحق بالعددين 224 و 225 بتاريخ يناير وفبراير 1985، وقدمت هذه الدراسة لباحث كان يهتم بهذا الكتاب هو الأستاذ رضوان بن شقرون الذي كان يقدم دروسا حول البلاغة العربية بكلية الآداب

جامعة محمد بن عبد الله بفاس وبعد اطلاعه على نسخة القرويين جعلها مصدرا من مصادره الأساسية التي قدمها لنيل دبلوم الدراسات العليا.

رابعا ــ شرح ابن الافليلي لديوان المتنبي، وهي نسخة عتيقة نادرة الوجود إلا أنها متلاشية جدا، لكنها رغم تلاشيها يمكن الاستفادة منها وتحتوي على زيادات لا وجود لها في النسخ المتداولة من هذا الشرح، وهي مكتوبة بخط مغربي جميل، مشكولة النص والشرح كتبها لنفسه المسمى علي بن محمد بن جعفر وقد ضاع تاريخ .نسخها لاستيلاء الأرضة على موضع كتابته. وقد قدمناها للأستاذ محمد البوحمدي أحد الأساتذة بكلية الآداب بفاس جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فجعلها مصدرا من مصادر رسالته الجامعية التي قدمها لنيل دبلوم الدراسات العليا. وقد كتبنا حول هذه النسخة ومؤلفها بحثا قدمناه للأستاذ البوحمدي المذكور، وهو مسجل مع النسخة ذاتها بالخروم السعدية تحت الرقم 570 من الصندوق التاسع والتسعين وقد نشر هذا البحث بمجلة الناشر العربي العدد التاسع 1987.

خامسا ــ الجزء الأول من شرح موطإ الإمام مالك تأليف الفقيه المغربي عمر بن علي بن يوسف بن محمد بن الهادي العثماني الورياغلي من بني عمران المشهور بابن الزهراء. وهو محفوظ بالصندوق الثاني والعشرين من خروم الخزانة السعدية تحت رقم 126.

ومن المعلوم أن هذا الشرح يحتوي على واحد وخمسين مجلدا ألفه مؤلفه من أوائل سنة خمس وسبعمائة. إلى أواخر سنة عشر وسبعمائة وقد حُبِّس منه على خزانة القرويين ثمانية وأربعون مجلدا يوجد منها في السجل العام المجلد الواحد والأربعون والمجلد الخمسون، وهما مسجلان تحت العدد 178 إلا أنه يلاحظ أن هذا الجزء الأول لا يوجد منه بخط النسخة المحبسة إلا الورقة الأولى، أما الباقي فهو من نسخة أخرى. وقيمة الجزء الأول الذي عثرنا عليه تتجلى في كون المؤلف قد أبدى فيه الخطة التي اتبعها في هذا التأليف ودور المصادر التي اعتمد عليها. ومن الجدير بالذكر أن الجزء الثالث من هذا الكتاب يوجد بالخزانة الناصرية حسب ما ذكره الأستاذ محمد المنوني في بحث نشره بدعوة الحق العدد الثالث من السنة 16 تحت عنوان حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار.

سادسا ــ شذرات من كتاب طبقات النحويين واللغويين تأليف أبي بكر الزبيدي تبلغ سبعا وخمسين ورقة وهي محفوظة بالصندوق الثاني من صناديق القبة

السعدية تحت رقم 14 وتمتاز بكونها تحتوي على بعض الزيادات بالنسبة إلى النسخة المطبوعة بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم، وتتجلى هذه الزيادات في ترجمة ابن دريد وفي ترجمة أبي عبيدة.

سابعا ــ فتح اللطيف للبسط والتعريف تأليف محمد بن محمد بن أبي بكر الصغير الدلائي المتوفي سنة 1089 هـ، وهي نسخة لها قيمتها العلمية في فن التصريف. إذ يتعلق أمرها بشرح منظومة للمكودي في هذا العلم، وتمتاز هذه النسخة بكونها كتبت أثناء حياة مؤلفها، وقد قدمناها لأحد الباحثين في كلية الآداب جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس هو الأستاذ محمد غنضور ليجعلها موضوع بحثه لدبلوم الدراسات العليا، وقدمنا له معها بحثا في وصفها، ودراسة مضمونها مع مقابلتها بالنسخة المطبوعة طبعة حجرية التي لا تخلو من الأخطاء الكثيرة. وقد نشرنا هذا البحث بمجلة دعوة الحق الغراء بالعدد 267 صفر 1408 موافق شتنبر وأكتوبر 1987. ونظرا لسلامة هذه النسخة من البتر فقد أخرجناها من الخروم وسجلناها بالسجل العام تحت عدد 2024.

ثامنا ــ كتاب صوفي جليل اسمه مناقب ابن الأقوم تأليف تلميذه إبراهيم السطيفي.

وابن الأقوم هذا هو أبو عبد الله محمد بن الأقوم المعروف بالأعرج. عاش ببلاد الجريد في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع، وكان محبوبا هناك محترما وظل على حاله إلى أن توفي عام 643 هجرية، وقد ألف تلميذه السطيفي هذا في مناقبه هذا الكتاب الذي تتبع فيه ذكر كراماته. وأشار إلى بعض نظرياته الصوفية، ومدحه بأشعار كثيرة. ونقل بعض المنتقيات من شعر غيره، فكان بذلك صورة من صور التأليف في هذا العصر، ويمكن أن يكون مصدرا لبحث جامعي نظرا لما يمتاز به من ذكر فوائد متعددة في الأدب والتاريخ والتصوف والحديث والتفسير وغير ذلك من المجالات التي يمكنها أن تكون صورة من صور التأليف على الصعيد المغاربي في القرن السابع، وقد أخرجناه من الخروم وسجلناه تحت الرقم 2025 وكتبنا حوله بحثا ضافيا أذعناه على أمواج الإذاعة الوطنية في دجنبر 1987.

ولا أطيل عليكم في هذا الجانب فإن هذه الخروم مازالت في حاجة إلى عناية من أولي البحث قد يتوصلون من خلالها إلى كتب يتوهم بأنها ضاعت أو إلى أصول صحيحة تصلح للمقابلة.

وإذا لاحظنا أن بعض هذه الخروم قد أصبح منطلقا لبعض الأبحاث الجامعية فإن ذلك مرجعه إلى محاولة تطبيق نظرية أومن بها، وأرى أنها قد تكون من ضمن المهمات التي ينبغي أن يقوم بها المحافظ على الخزانة. ألا وهي العمل على خلق جسر بين الخزانة والجامعة، وعلى إمداد الباحثين بما يسهل عملهم ويقرب مراميهم.

ولقد عملت من أجل ذلك على ربط التواصل بين كثير من الباحثين، الذين تتقارب موضوعات بحوثهم، ليفيد بعضهم من بعض ولينمو البحث العلمي عن طريقهم، وذلك بملء جذاذات تعريفية داخل الخزانة تشتمل على أسمائهم، وموضوعات بحوثهم وعناوينهم، وأشعر كل باحث يهمه الأمر بالطرف الآخر عساه أن يجد فيه مبتغاه العلمي؛ وقد أسهمت هذه الجذاذات في خلق نشاط علمي بين عدد من الباحثين على اختلاف اختصاصاتهم، واختلاف دولهم وجنسياتهم، ومن الجدير بالذكر أنه يوجد ضمن هذه الجذاذات تسجيل بحث يتعلق بانقاذ تراث خزانة القرويين قام به باحثان من المعهد العالي للصحافة زارا الخزانة في شهر يوليوز من عام 1986؛ هما السيد سمير مجدوب، والسيد عمر عبد الحفيظ. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الجانب الإعلامي أصبح يسهم في دراسة التراث بمجهود سيساعد ولا شك على إنجاح الهيئات العلمية فيما تهدف إليه من حفظ للتراث وصيانة لأصوله، وتحقيق لنصوصه.

هذا وقد جرت العادة أن الذين يتحدثون عن الخزانة يذكرون بعض ما فيها من كتب نادرة، وقد أردت أن أنهج نهجهم إلا أنني سأقتصر على نماذج قليلة من مختلف الفنون والعلوم تكون ندرتها راجعة إما إلى قدمها، أو إلى جمال خطها، أو إلى سلامتها من الأخطاء، أو إلى أنها كتبت بخط المؤلف، أو لأنها تحمل بعض الهوامش بخط علماء مشهورين، أو لأنها تحمل سماعات وإجازات، أو إلى غير ذلك من المميزات، وقد أستعين في ذلك ببعض الأوصاف الموجودة عند المحافظ السابق، وقد أضيف ما تيسر لي من المعلومات المتجددة في الموضوع.

1 ــ المصحف المسجل تحت رقم 876 وهو مصحف غير تام يوجد منه سفر ضخم مكتوب في رق الغزال بخط كوفي. وبعض تراجمه مموهة بالذهب، ويشتمل على قطعتين تبتدىء الأولى بقوله تعالى : ﴿فسيدخلهم في رحمة منه وفضل...﴾ من آخر سورة النساء، وتنتهي بقوله تعالى : ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾ من آخر سورة الكهف. والقطعة الثانية

غير مرتبة الأوراق متلاشية من جراء البرودة مع تخالف في المسطرة، وقد وضع في شكل غير عادي حيث جاء عرضه أكبر من طوله ويظهر أن خطه يرجع إلى القرن الثاني الهجري، وتوجد نسخة مكتوبة بنفس الخط باسطنبول، وقد نشرت صفحة منها في نشرة منظمة المؤتمر الإسلامي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول عام 1403 ـــ 1983 وكتبَ تحتها أنها كتبت في القرن الثاني الهجري تقريبا.

والواقع أن هذه النسخة بديعة في تنسيقها وجمال رونقها وجودة خطها ورقها، وإنها لتثير إعجاب كل الذين يطلعون عليها، فهي من أعظم التحف النادرة الموجودة بالخزانة.

2 ـــ الجزء الثاني من صحيح الإمام البخاري كُتب عن أصل به تعليقات بخط أبي الحسن علي بن محمد الهاشمي اليونيني الحنبلي المتوفى عام 701 هـ.

وهو مسجل تحت عدد 91 حبسه المنصور السعدي على الخزانة عام 1008 هـ ويعد من نوادر الخزانة نظرا لارتباطه باليونيني المذكور، ذلك أن الذين يتحدثون عن رواية اليونيني يقولون إنها لم تصل إلى المغرب إلا في القرن الثاني عشر الهجري على يد أبي العباس أحمد بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر التمجروتي المتوفى عام 1129 في حين توجد هذه النسخة بالمغرب قبل هذا التاريخ بكثير.

3 ـــ الجزء السابع من صحيح الإمام البخاري وهو الأخير مسجل تحت الرقم 1873 مكتوب بخط أندلسي مشكول. تراجمه ورؤوس مسائله بالأسود المغلظ مبتور الأول، وسطه وأطرافه وبعض كراريسه ممزقة، مقابل ومصحح وهو عار عن وثيقة الوقف، نسخه علي بن غالب الكلبي من أصل قوبل بأصل أبي عبد الله بن عتاب الذي نقله بخطه من كتاب الأصيلي، وكان فراغ علي هذا منه بمدينة باغة في شهر ربيع الأول عام 536 جعلناه ضمن هذه المختارات رغم كونه متلاشيا للأسباب الآتية :

أولا لقدمه.

ثانيا لكونه يمثل مصدرا من مصادر رواية علي بن عبد الله بن إبراهيم الأصيلي المتوفى سنة 392 هـ وهو الأصل الذي يتصل بالفربري عن طريق أبي حامد الجرجاني وأبي زيد المروزي.

ثالثا لكون هذا الجزء ينتمي إلى نفس النسخة التي يوجد منها بخزانة ابن يوسف بمراكش الجزءان الرابع والخامس وقد وقع الفراغ من كتابة أحدهما بمدينة باغة في 12 شوال من عام 535 وقد أشار إلى الجزئين المذكورين الفقيه محمد المنوني في بحث له نشره بدعوة الحق العدد الأول من السنة السابعة عشرة مارس 1985.

4 ــ المسند الصحيح للإمام مسلم مسجل تحت رقم 148

نسخة أندلسية متقنة معتمدة في سفر ضخم بخط الكاتب الأديب عبد الرحمان بن عبد الله بن عفير الليلي المتوفى قبل الثمانين وخمسمائة. وقد قابل هذا المجلد وكتب عليه تعاليق وشروحا الحافظ أبو بكر بن خير صاحب الفهرسة الكبرى والمتوفى عام 575 وقد وقع الفراغ من نسخ الكتاب المذكور سنة 573 وفرغ من مقابلته وتحقيقه ابن خير عام 575.

حبسه على الخزانة الخليفة مولاي علي بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله عام 1181 هـ

وقيمة هذه النسخة ترجع لقدمها ولأنها هي المعتمدة عند كثير من النساخ في المغرب والأندلس.

5 ــ أجزاء من كتاب الموطإ للإمام مالك كتبت بالسواك بخط أندلسي جميل في رق الغزال برسم خزانة أمير المسلمين علي بن يوسف اللمتوني كتبها عام 502 يحيى بن محمد بن عباد اللخمي.

مسجل منها تحت رقم 605 مجلدان وغشاء. المجلد الأول يشتمل على خمسة أجزاء من 6 إلى 11، والثاني على أجزاء ثلاثة من 11 إلى 13 والغشاء على أوراق من نفس الشكل والخط، ناقصة وغير مرتبة ومتنوعة الأبواب ومتلاشية جدا بعكس السفرين السابقين من تحبيس السلطان أبي عنان المريني على خزانة القرويين عام 750 هجرية.

ومسجل منها تحت رقم 1988 جزء صغير مكتوب في أوله الجزء الثاني من كتاب النكاح وهو شذرات من أبواب متفرقة.

ومسجل منها تحت رقم 2005 مجلد يحتوي على أجزاء ثلاثة من 31 إلى 33.

والظاهر أن بالخروم بعض الأوراق من هذه النسخة وسنعمل على ربطها بالأصل إن شاء الله.

6 ـــ محاذي الموطإ للإمام مالك بن أنس. تأليف مؤسس دولة الموحدين أبي عبد الله محمد بن تومرت المتوفى سنة 524.

توجد منه نسختان. الأولى مسجلة تحت رقم 181 وهي سفر متوسط بخط أندلسي جيد، مكتوب على رق الغزال مع زخرفة وتذهيب (مخروم من كتاب الأشربة ومن آخر كتاب الجامع) بهامش الورقة الثانية سند عبد المومن بن علي عن طريق المهدي إلى الإمام مالك من تحبيس القائد عبد الله الطريفي في شهر رمضان عام 811 هـ. والثانية مسجلة تحت رقم 1449 وبأولها سند وسماع أبي يعقوب يوسف بسنده إلى المهدي، وذلك في ذي القعدة عام 547 هـ وهي عارية عن تاريخ النسخ واسم الناسخ كالأولى. حبسها على الخزانة التاجر أبو سالم إبراهيم بن شعاع الأنصاري المدجن.

7 ـــ مختصر أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري المتوفى سنة 242 هـ مسجل تحت الرقم 874/80.

نسخة قديمة بخط أندلسي عريق في القدم وقع الفراغ من نسخها عام 359 هـ بمدينة قرطبة على يد كاتبها حسين بن يوسف عبد الإمام الحكيم المستنصر، وخطها الأندلسي يندر وجوده في الخطوط الأندلسية المتداولة. من تحبيس الأميرة السيدة فاطمة بنت السلطان المولى الحسن الأول، عمة المغفور له محمد الخامس تغمد الله الجميع برحمته. وقد أهدت السيدة الفاضلة للخزانة مايزيد على مائتين وسبعين كتابا من أنفس الكتب وأنفعها.

8 ـــ سير أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري المتوفى سنة 186 هجرية مسجل تحت عدد 1968. يشتمل هذا الكتاب على خمسة أجزاء، الجزء الثاني منها مكتوب على رق الغزال عام 270 هجرية، وأما الأجزاء الأخرى فهي مكتوبة على الورق بخط الشيخ الراوية أبي بكر عباس بن أصبغ المتوفى سنة 386 هـ.

تلاشت مختلف الأجزاء ولم يبق مكتمل الصورة إلا الجزء الثاني الذي يعد من نفائس الخزانة ونوادرها، وقد كتبت على أول ورقة منه سماعات وفوائد، وهو يحمل في الوقت ذاته خط ابن بشكوال المشير إلى أنه كان يملكه.

وهذا الكتاب يعد مصدرا من مصادر فقه الأوزاعي رحمه الله، وقد وصل

إلينا برواية المحدث الأندلسي محمد بن وضاح المتوفى عام 287 عن أبي مروان عبد الملك بن حبيب المصيصي، الذي أخذه عن المؤلف نفسه حينما كان يقدم كتابه هذا وهو مرابط بالمصيصة تقبل الله عمله. ولقد قدمت حول هذا الكتاب بحثا نشرته بمجلة المناهل العدد (30) بتاريخ شوال 1404 موافق يوليوز 1984 وقدمت نسخة من هذا البحث للدكتور فاروق حمادة الذي كان مهتما آنذاك بتحقيقه ونشره.

9 ـــ السيرة النبوية لابن إسحاق محمد المطلبي المتوفى سنة 151 هجرية ـــ أو كتاب المبدإ والمبعث والمغازي رواية يونس بن بكير.

مجلد متوسط مسجل تحت عدد 1077 اشتمل على أجزاء أو قطع قدمت الأخيرة منها على الأولى في التفسير. وهذه الرواية في الأصل مجزأة على سبعة عشر جزءا. وقد كان للعلماء الأندلسيين بها اهتمام كبير ونقل عنها الإمام السهيلي. وما يوجد منها في الخزانة عليه سماعات تختلف سنواته حسب التواريخ التالية 456 ـــ 457 ـــ 463 ـــ 466 ـــ 468 ـــ 470 ـــ 506 ـــ.

هذا وإن رواية ابن بكير هي إحدى الروايات الثلاث لسيرة ابن إسحاق، أما الثانية فهي رواية محمد بن سلمة، وأما الثالثة فهي رواية زياد بن عبد الله وعن هذه الأخيرة نقل ابن هشام سيرته وهذبها.

ولقد اعتمد على نسخة القرويين الأستاذ محمد حميد الله في تحقيق سيرة ابن إسحاق ووضع جدولا للمقارنة بين نصها ونص سيرة ابن هشام الأستاذ محمد الفاسي ونشرت عام 1976.

وذكر المحقق هذا أن الأستاذ غليوم الإنجليزي قد لخص مخطوطة القرويين هاته وترجمها إلى الانكليزية كما ذكر أن الأستاذ إبراهيم الكتاني قد تكرم عليه بإرسال فيلمها وأنه تفضل عليه فقابل مبينته على الأصل خاصة في أماكن لم يظهر فيها النص واضحا.

10 ـــ شرح غريب السيرة لمصعب بن محمد الخشني المكنى بأبي ذر. نسخة مسجلة تحت عدد 287 مكتوبة بخط أندلسي نفيس، وهي على درجة عالية من الدقة، وعليها سماعات ومقابلة على نسخة مسموعة على المؤلف نفسه قبل سنة من وفاته.

وقد وقع الفراغ من كتابتها صبيحة يوم الأحد العاشر من شهر جمادى الأخيرة عام 727 بمدينة مالقة، وقد كتبها لنفسه أحمد بن حسن بن محمد الأنصاري.

اطلع الباحث المصري الدكتور محمد صبحي عيسى الأستاذ بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة على النسخة المصورة من مخطوطة القرويين عن طريق معهد المخطوطات العربية ليستعين بها في تحقيق هذا الكتاب، فإذا به يجد بعض أوراقها غير واضحة الشيء الذي دفعه إلى زيارة مدينة فاس في شهر دجنبر من سنة 1987 لقراءتها مباشرة، وقال بعد رؤيتها إنها وإن كانت قد أصيبت ببعض التخريمات فإنها مقروءة للعين الانسانية، وخطها جميل مسق دقيق. ونظام أسطرها متواتر، وليس بها أي خلل لأن كاتبها هو دارسها وصاحبها كتبها لنفسه لينتفع بها ومن بعده. وقال إنها في نظره أهم مخطوطة لكتاب الخشني، لكن العمل فيها يتطلب وجوده شخصيا بينها طوال وقت استعمالها، والعوض عن ذلك هو تصويرها على آلات تصوير المستندات المتقدمة تقنيا. ثم قال قبل مغادرته للخزانة : إني أنتهز هذه الفرصة لأناشد المسؤولين الغيورين على المخطوطات العربية أن يوفروا لها وسائل البحث وييسروها للباحثين في مكتبة عريقة مثل القرويين.

ومن المعلوم أن هذا الكتاب كان قد طبع في جزئين عام 1911 بعناية الدكتور بول برونل إلا أن ناشره مات قبل أن يضيف إليه ما وعد به من وضع جزء يحتوي على التعليقات والحواشي والشروح.

لذلك رأى الدكتور محمد صبحي أن الواجب العلمي يقتضي إعادة طبعه، خصوصا بعد ظهور نسختين أخريين هما نسخة القرويين هاته ونسخة بالمكتبة الظاهرية (مكتبة الأسد الآن) في دمشق.

11 ــ الإنجيل (مسجل تحت عدد 730) وهو مجلد يحتوي على قطع ثلاث تضمنت أوراقها فصولا من أواخر إنجيل لوقا ومن إنجيل مركس ومن إنجيل يوحنا وقد وصفه الأستاذ محمد العابد الفاسي في فهرسته.

وتعتبر هذه النسخة المكتوبة على رق الغزال من أقدم النسخ العربية لكتاب الإنجيل وهي على مايبدو ترجع إلى خطوط القرن الخامس الهجري، وقد قدم منها صاحب الجلالة الحسن الثاني صورة إلى البابا جان بول الثاني.

ووجود هذا الكتاب بالقرويين من أقوى الدلائل على اهتمام المسلمين بدراسة الإنجيل وتتبع ما فيه للتمييز بين ما هو موافق للقرآن وما هو مخالف له، وللاطلاع

على محتواه، لتكون هناك خبرة لدى المسلمين أثناء حوار النصرانية سواء في ميدان العقائد، أو في الميدان السياسي والدبلوماسي وغير ذلك.

12 ــ كتاب الوثائق والسجلات تأليف الفقيه محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن العطار المتوفى عام 399 هـ.

يوجد من هذا الكتاب في الخزانة سفران مسجلان تحت عدد 470. الأول منهما مكتوب بخط أندلسي، وهو متلاش في بعض أطرافه وقد كتب في آخره أنه الجزء الثالث من الوثائق المجموعة. والثاني منهما مكتوب بخط مغربي وفي آخره أنه الجزء الثاني من وثائق ابن العطار.

والذي يطلع على هذه الوثائق يجدها تحتوي على نماذج مختلفة للعقود والسجلات وسيرى أنها وضعت في شكل تعليمي يجمع بين سلامة الصيغة وبين صحة المضمون، زيادة على بعض الإضافات اللغوية والشروح المتعلقة ببعض المصطلحات. ويمكن إدراج هذه العقود ضمن الكتب المبنية على قواعد الفقه المالكي سواء في إطار العبادات أو المعاملات.

ولقد حقق هذه الوثائق المستشرق الإسباني الدكتور شالميتا وصديقه الدكتور كُورِينْطِي، ونشر بمدريد عام 1983 على يد مجمع الموثقين المجريطي التابع للمعهد الإسباني العربي للثقافة.

13 ــ النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات، وهو مجموع بالاختصار من كتاب ابن المواز وابن عبدوس وابن سحنون وابن حبيب والعُتْبِيَّة وغيرها مما عني بتأليفه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة 386 هجرية.

قطع متعددة مكتوبة على رق الغزال مسجلة تحت عدد 793.

ومحفوظة في غشاءين. الغشاء الأول يحتوي على تسع قطع.

القطعة الأولى تتصل بكتاب الطهارة، وقد قوبلت في شهر ذي الحجة عام ثمانية عشرة وخمسمائة.

القطعة الثانية من أقضية البيوع.

القطعة الثالثة في العتق.

القطعة الرابعة في الغصْب.

القطعة الخامسة في الاستحقاق قوبل فصح.

القطعة السادسة من الشفعة.

القطعة السابعة من النذور.

القطعة الثامنة من كتاب إحياء الموات.

القطعة التاسعة كذلك.

والغشاء الثاني يحتوي على سبع قطع :

القطعة الأولى في الصلاة.

القطعة الثانية في الإقرار قوبل بكتاب ابن أبي زيد في حياته في شهر ذي القعدة من عام 383.

القطعة الثالثة في النكاح.

القطعة الرابعة في الإكراه.

القطعة الخامسة من كتاب القسم من نسخة مغايرة نسخ في شعبان عام 472.

القطعة السادسة من كتاب الرهون.

القطعة السابعة الجزء الأول من المديان والتفليس.

ومجموع أوراق الغشاءين يصل إلى 462 ورقة ويعد هذا الكتاب من نوادر الخزانة التي يمكن الاعتزاز بحفظها.

14 ــ طبق الأرطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الأئمة وفقه الحطاب. تأليف السلطان سيدي محمد بن عبد الله المتوفى سنة 1204.

مسجل تحت عدد 746. مكتوب بخط شرقي وقع الفراغ من نسخه عام 1204 وبأوائله تقريظان لعالمين من علماء عصره. موضوعه يتعلق بشرح الحديث النبوي بني الإسلام على خمس.

ويمتاز بجمال الأسلوب وسعة الأفق في الشرح، مع الاعتماد على الإحالات الدقيقة. وتوجد به بعض الاختيارات المذهبية الدالة على أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان راغبا في الإصلاح والتجديد وحفظ كيان الشريعة الإسلامية.

كتبتُ حوله بحثا نشر بدعوة الحق بالعدد 227 جمادى الأولى موافق مارس 1983.

15 ــ البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المتوفى سنة 520.

مجلد ضخم مكتوب بالسواك في رق الغزال، وقع الفراغ من نسخه عام 720 بخط الفقيه أحمد بن علي الصنهاجي، وهو من تحبيس أبي الحسن علي بن أبي سعيد المريني على خزانة مدرسة عدوة الأندلس بفاس عام 724 ثم أُدْخِل إلى القرويين فيما بعد وقد اعتمد عليه المحققون لهذا الكتاب، وجعلوه أصلا للمقابلة سواء بالنسبة إلى الماضي أو بالنسبة للحاضر.

تعتبر هذه النسخة من نوادر مخطوطات الخزانة نظرا لجمال خطها ووضوحه ونظرا لما هي عليه من رونق التنسيق ومن جودة الصناعة.

وممن اعتمد عليها من العلماء المعاصرين الدكتور محمد حجي، والفقيه السيد أحمد الحبابي أثناء القيام بعملية تحقيق هذا الكتاب، وقد التقط منها الدكتور حجي صورة لعله قد مكن بعض الأساتذة الذين كلفوا بتحقيق بعض أجزائه ومن بينهم الأستاذ سعيد أعراب والأستاذ محمد العرايشي.

16 ــ المثلث لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى عام 521 هـ.

وقع الفراغ من كتابة هذه النسخة في يوم الثلاثاء الموافق لثلاثين من رجب سنة ست وثلاثين وستمائة، وقد كملت مقابلتها بكتاب نسخ من أصل البطليوسي نفسه.

وهي مسجلة تحت عدد 538 ضمن مجموع يحتوي على ثلاثة كتب. وقد اعتمد عليها الباحث العراقي الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي أثناء تحقيقه لهذا الكتاب، كما اعتمد على بعض النسخ الأخرى التي من بينها نسخة جامعة ييل المسجلة تحت رقم 568.

إن المحقق كان موفقا في تحقيقه، وقد مهد له بدراسة معمقة جيدة تدل على اعتنائه الكامل بموضوعه، وعلى خبرته بهذا الجانب اللغوي وعلى ربط ذلك بالدراسات الصوتية المعاصرة، ويسر له رسوما وجداول وفهارس تحدد جذور الكلمات المستعملة، وتبين مدى ارتباطها بأصول الأصوات. وقد تم طبع هذا الكتاب بالجمهورية العراقية ضمن سلسلة كتب التراث التي تصدرها وزارة الثقافة

والإعلام عام 1981. وقد أهدى منه نسخة لخزانة القرويين أواخر عام 1982. وقدمنا دراسة حولها وقمنا بمقارنة بين نسخة القرويين وبين النص المطبوع ونشرنا ذلك بمجلة دعوة الحق الغراء بالعدد 233 شهر دجنبر 1983.

17 ـــ كتاب الألفاظ في اللغة لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الشهير بابن السكيت المتوفى في سنة 224 هجرية.

مسجل تحت عدد 1240 في السجل الحالي، وكان يحمل قبل ذلك الرقم 80/ 365.

سفر ضخم يشتمل على جزئين مكتوب بخط أندلسي جيد على رق الغزال إلا أنه يلاحظ عليه محو في كثير من أوراق الجزء الثاني. أما الجزء الأول فسالم من ذلك.

تمتاز هذه النسخة بأنها مصححة ومقابلة على غيرها وأنها قد قرئت على الأستاذ الجليل أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي رحمه الله. كما تمتاز بأنها من رواية أبي علي البقالي وأن عليها بعض ملاحظاته المنقولة عنه.

وكان الفراغ من قراءة الجزء الثاني أول شعبان من نفس السنة وعليها بعض الهوامش المنسوبة إليه رحمه الله.

وظلت هذه النسخة متداولة بين العلماء إلى أن تملكها أمير المؤمنين زيدان بن أحمد المنصور السعدي. وهي الآن من النسخ القيمة التي تمتاز بها خزانة القرويين وتعتز بها.

18 ـــ مختصر كتاب العين للإمام النحوي اللغوي أبي بكر محمد بن حسن الزبيدي الإشبيلي المتوفى عام 379 هـ.

مسجلة تحت عدد 1238 وهي نسخة تامة أثرية قديمة كتبت بالسواك في الرق، تراجم عناوينها بالخط الكوفي المذهب، وبهوامشها تعليقات وطرر بخط كاتب الأصل، منقولة من نسخة الأستاذ أبي محمد بن السيد البطليوسي المنقولة من نسخة الحكم المستنصر بالله التي هي بخط المؤلف...

وقد اعتنى بهذه النسخة الدكتور العراقي صلاح مهدي علي الفرطوسي محقق كتاب المثلث لابن السيد، وقضى نحو سنة كاملة في قراءتها وتحقيقها ومقابلتها بغيرها أملا منه في إعادة طبع هذا الكتاب وإخراجه كاملا أعانه الله على ذلك.

ويوجد في وصفها والتحدث عنها وصفان في أولها.

الوصف الأول للمرحوم محمد بن تاويت الطنجي الذي أفصح أن للزبيدي مختصرين لكتاب العين، أحدهما كبير، والآخر صغير، وأن هذه النسخة تمثل المختصر الصغير لا الكبير.

وأما الوصف الثاني فهو للأستاذ سيدي محمد العابد الفاسي رحمه الله الذي قال : «إني على كثرة ما وقفت عليه من نسخ المختصر هذا بخطوط مغاربة وأندلسيين لم أقف على مثل هذه النسخة الفريدة في التصحيح والتحقيق وقد زادت روعة وكمالا بتلك التعاليق والطرر المرسومة في الهوامش ويغلب على الظن أن أكثرها منقول من أصل أبي محمد البطليوسي».

وعلى كل حال فإن هذه النسخة مفيدة جدا إلا أن الورقتين الأوليين منها مكتوبتان بخط مغاير لسائرها، ويمكن الاعتماد عليها في ربط هذا الكتاب بأصوله الأولى وفي التمكن من الملاحظات التي أضيفت إليه أثناء تدريسه ونقله.

19 ــ المستعيني تأليف يونس بن إسحاق بن بكلاوش الإسرائيلي.

مسجل تحت عدد 1652. هو كتاب في الطب ألفه مؤلفه للمستعين بن هود أحد ملوك الطوائف بالأندلس في سرقسطه في نهاية القرن الخامس الهجري.

لايوجد الإسم الكامل لمؤلفه على نسخة القرويين، وإنما لقب فيها باسم بغلوش الإسرائيلي فقط وكم بحثت عن ترجمة هذا المؤلف فلم أعثر عليها إلا أن أحد المستشرقين وهو السيد بيتر شورد (Pieter Sjoerd) قد أفادني ببعض الإفادات المتعلقة به فهو الذي حدد لي اسمه وزمنه وتاريخ التأليف، وذكر لي بعض المراكز التي توجد فيها نسخ من هذا الكتاب، نشير منها على سبيل المثال إلى مكتبة جامعة لايدن في هولاندا والمكتبة الوطنية في مدريد والمكتبة العامة بالرباط وبعض مكتبات إيطاليا، وقال إنه يلاحظ أن نسخة القرويين هذه ناقصة لا تشتمل على مقدمة المؤلف الطويلة والمهمة والموجودة في النسخ الأخرى، وكذلك لا تشتمل على الحواشي الكثيرة التي علقها المؤلف نفسه على كتابه، وهي موجودة في جل النسخ الأخرى التي يعرفها.

هذا وإني قد وجدت إشارة إلى هذا الكتاب في مجلة دعوة الحق العدد الثامن

من السنة الخامسة عشرة مارس 1973 وذلك أثناء بحث كتبه الدكتور عبد الهادي التازي حول نسخة الصدفي من صحيح البخاري الموجودة بليبيا، وقال إن المستشرق الهولاندي كوليوس ورد عام 1032 من بعثة هولاندية أيام السلطان زيدان فكانت له فرصة لاقتناء عدد من المخطوطات الثمينة التي كان من بينها نسخة من كتاب ابن بكلاوش هذا، وسماه في بحثه هذا يوسف لايونس.

وعلى كل حال فإن هذا الكتاب مفيد جدا وهو يسير على شكل معجم وصفه مؤلفه في أضلاع أربعة.

الضلع الأول يذكر فيه أسماء بعض النباتات أو غيرها.

الضلع الثاني يكتب فيه طباع تلك الأسماء ودرجها.

الضلع الثالث خصه لتفسيرها بمختلف اللغات.

الضلع الرابع تحدث فيه عن منافعها وخواصها ووجوه استعمالها. وهذه طريقة في التأليف منهجية ومساعدة للباحث على الوصول إلى مبتغاه.

20 ـــ الاستقصاء والابرام في علاج الجراحات والأورام. تأليف محمد بن علي بن فرج القربلياني المعروف بالشفرة المتوفى عام 761.

مسجل تحت عدد 1285 وهو كتاب طبي مفيد جدا بناه مؤلفه على ثلاث مقالات.

الأولى في الأورام.

الثانية في الجراحات وإخراج السهم والجبر.

الثالثة في الأدوية المفردة والمركبة.

قدمت حول هذا الكتاب حلقات إذاعية في شهر يونيه 1986 في برنامج نصوص وهوامش، ثم جمعتها وأرسلتها للنشر بمجلة دعوة الحق.

ومما يثير الانتباه أن الأستاذ محمد العربي الخطابي محافظ الخزانة الحسنية وعضو الأكاديمية الملكية قد كتب مقالا حول ابن فرج هذا وكتابه الاستقصاء والابرام نشره بمجلة المناهل العدد 35 ربيع الثاني 1407 موافق 1986، وذكر أنه يعد هذا الكتاب للطبع ضمن كتاب الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية معتمدا في ذلك على نسختين إحداهما محفوظة بالخزانة الحسنية ورقمها 1716 / مجموع. والثانية محفوظة بالخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط ورقمها 1363/ د.

21 ـــ ورقات في علم الفلك يظن أنها من كتاب المجسطي الذي هو أم الكتب التي ألفت في علم الفلك مكتوبة بالسواك وفي ضمنها عدة أشكال هندسية رسمت بدقة وإتقان مسجلة تحت عدد 654.

وقد ذكر الدكتور عبد الهادي التازي، في مقال له نشره بدعوة الحق، العدد 9 من السنة 18 أكتوبر 1978 حول صدى الفارابي في المغرب، إلى أن هذه الأوراق قطعة من شرح الفارابي لهذا الكتاب، وقال إن الأشكال الموجودة به لا تختلف عن الأشكال التي احتواها شرح الفارابي الذي نشرته أخيرا أكاديمية العلوم في موسكو.

22 ـــ الأرجوزة الطبية لأبي بكر بن الطفيل المتوفى عام 581 هـ.

مسجلة تحت عدد 1969 : هذه الأرجوزة من نوادر الخزانة، ولا تعرف نسخة أخرى منها في العالم حسب ما بلغ إليه علم الذين يتحدثون عنها رغم أنها كانت متداولة في المغرب والأندلس. وقد ورد ذكرها في كتاب بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب. لمؤلف مجهول أثناء الحديث عن الطبيب محمد بن مروان المعافري، فقد جاء في ترجمته أنه كثير المخالطة للطب، والاطلاع على دواوينه وكتبه، مستحضر لنصوص علمائه من المتقدمين كدياسقوريدوس وأبقراط وجالينوس ومن المتأخرين كالرازي والزهراوي وابن سينا وابن الطفيل وسواهم عارف بالعلل والشكليات، بصير بالعقاقير والأعشاب والنبات، ينص ما يسأل عنه من تلك لأول وهلة، ويفتي فيه إملاء من حفظه على البديهة من غير روية. يثني على كلام حسن بن إسحاق في البول؛ ويحفظ كثيرا من رجز ابن الطفيل وهو أزيد من ثلاثة آلاف بيت.

هذا وقد نشرت بحثا حول هذا الكتاب بالعدد 239 غشت 1984 من دعوة الحق واجتهدت في تقديم هذه المخطوطة للأطباء الذين يزورون الخزانة ليطلعوا على بعض مضامينها، وليدلوا بملاحظاتهم حولها، فإذا بهم يجمعون على أنها تعد من النفائس الثمينة سواء فيما اقتبسه المؤلف من الطب اليوناني وغيره، أو فيما توصل إليه بمعرفته وتجاربه. وقد عهدنا وجود تحليلات تتعلق بموضوع المرض السكري من خلال هذه الأرجوزة؛ ولكن الذي أثار إعجابي هو ما ذكره الدكتور جان فيليب دركون (Jean Philipp Dercune) رئيس قسم الأمراض الصدرية بمستشفى

سان أنطوان بباريس حول هذا الكتاب حينما قدم إلى فاس في شهر دجنبر عام 1987 ليلقي محاضرة حول مرض الربو، فقد اطلع على ما كتبه ابن الطفيل في هذا الموضوع بعد إلقاء محاضرته وبعد أن أعلن عن بعض ما توصل إليه الطب الحديث في تحديث أسباب الربو وأنواع علاجه، وبعد أن ذكر أنه توصل إلى ربط علاقة بين الربو والضغط فإذا به يقول لو اطلعت على هذا الكتاب قبل إلقاء المحاضرة لنسبت كثيرا مما ذكرت إلى ابن الطفيل نفسه، ثم سجل بخط يده عبارات تنم عن قيمة هذا الكتاب فقد قال : «إن هناك أشياء كثيرة تتعلق بمرض الربو تنسب للطب الحديث، ولكن بعد اطلاعي على مخطوطة ابن الطفيل وبعد أن ترجم لي الدكتور محمد الدباغ بن السيد محافظ الخزانة منها ما يتعلق بهذا المرض، تبين لي أنها من موصوفات هذا الطبيب الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني عشر الميلادي، ولذلك فإني أعتبر اللحظات التي قضيتها أمام هذه المخطوطة من أعز اللحظات التي مرت بعمري ولن أنساها مدى الحياة».

ولعلنا سنكتفي بما ذكرناه اعتمادا على ما دونه الباحثون من قبلنا، إلا أنني أسجل بكل اعتزاز أن الخزانة لاتخلو من نشاط متزايد، فهي تتوصل باستمرار من لدن المراكز العلمية باستفسارات عما تحتوي عليه من كنوز، وبتساؤلات عن الإمكانات الإدارية التي تسمح لهم بتصوير بعض المخطوطات.

وسأقدم في هذا البحث لائحة ببعض المراكز التي توصلت الخزانة ببعض مراسلاتها ابتداء من يناير 1983 حسب ماهو مسجل في سجلاتنا الداخلية.

فمن المغرب نذكر على سبيل المثال ما يأتي :

— جامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة.

— جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.

— المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالرباط.

— المدرسة العليا للأساتذة بمكناس.

— المركز التربوي الجهوي بطنجة.

— المركز الوطني للتوثيق التابع لوزارة التخطيط وتكوين الأطر والتكوين المهني بالرباط.

— معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة بالرباط قسم التشريح.

ــ المندوبية الجهوية للوسط الشمالي بفاس (وزارة التخطيط).
ــ رابطة الجامعة الإسلامية بالرباط.
ــ دار الحديث الحسنية بالرباط.
ــ الخزانة الحسنية بالرباط.
ــ قسم جرد التراث الثقافي وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب.
ــ الخزانة العامة للمكتب والوثائق الرباط.
ــ المكتبة العامة والمخطوطات تطوان.
ــ الملحق التعليمي بالمغرب للمملكة العربية السعودية بالرباط.
ــ مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء.
ــ وأما من غير المغرب فنذكر على سبيل المثال :
ــ جامعة محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين بالرياض المملكة العربية السعودية.
ــ نفس الجامعة كلية الشريعة بالرياض المملكة العربية السعودية.
ــ نفس الجامعة كلية اللغة العربية قسم البلاغة والنقد المملكة العربية السعودية.
ــ نفس الجامعة مركز البحوث المملكة العربية السعودية.
ــ جامعة الملك عبد العزيز عمادة شؤون المكتبات مكتبة الطالبات بجدة المملكة العربية السعودية.
ــ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عمادة شؤون المكتبات.
ــ جامعة الملك فيصل كلية التربية والإحصاء المملكة العربية السعودية.
ــ كلية الملك خالد العسكرية قسم العلوم الإنسانية الرياض المملكة العربية السعودية.
ــ وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بالمملكة الأردنية الهاشمية.
ــ جامعة اليرموك دائرة العلوم الإنسانية الأردن أربد.
ــ الجامعة الأردنية عمان.
ــ جامعة الموصل كلية الآداب العراق.
ــ جامعة البعث الجمهورية العربية السورية.

ـــ جامعة الفاتح قسم الدراسات الإسلامية ليبيا.
ـــ دار الكتب الوطنية قسم التبادل والهدايا بتونس.
ـــ الخزانة الأحمدية بجامع الزيتونة بتونس.
ـــ معهد المخطوطات العربية بالكويت.
ـــ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية لبنان بيروت.
ـــ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي.
ـــ مكتبة بدائرة ضريبة الدخل عمان.
ـــ الشركة المتحدة للتوزيع دمشق سورية.
ـــ وزارة المواصلات أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة.
ـــ جامعة روما.
ـــ جامعة كمبلوطنسي بمدريد.
ـــ جامعة ليدن بهولاندا.

وقد تنتهي هذه المراسلات بزيارة بعض الباحثين للخزانة والتردد عليها أياما متعددة للمقابلة والدراسة والاطلاع على الأصول الموجودة بها والتيقن من وضعها التي هي عليه.

ومن هؤلاء الذين وفدوا عليها من أجل هذه الغاية :

ـــ الدكتور محمد حجي أثناء اهتمامه بتحقيق بعض أجزاء كتاب البيان والتحصيل لابن رشد الجد.

ـــ شيخنا الفقيه السيد أحمد الحبابي أثناء مشاركته في تحقيق بعض أجزاء كتاب البيان والتحصيل أيضاً.

ـــ الدكتور فاروق حمادة أثناء تحقيقه لكتاب سير أبي إسحاق الفازاري الذي تحدثنا عنه أثناء ذكر بعض النماذج القيمة من خزانة القرويين

ـــ الدكتور عبد الله أحمد الجبوري أثناء تحقيقه لكتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول للباجي وقد عني بهذا الكتاب حينما كان موفدا من كلية الشريعة ببغداد للتدريس بكلية الآداب بمكناس.

ـــ الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي أثناء تحقيقه لكتاب مختصر كتاب

العين فقد قضى في الخزانة نحو سنة كاملة وهو يمعن النظر فيما ينقل وفيما يوازن.

ومن المعلوم أن هذا الأستاذ العراقي الذي كان قد انتدب للتدريس بكلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس كان قد سبق له أن حقق كتاب المثلث لابن السيد البطليوسي واعتمد في ذلك على نسخة القرويين المسجلة تحت عدد 538.

ـ المستشرق الإسباني الدكتور شالميتا Chalmita أثناء تحقيقه لكتاب الوثائق والسجلات لابن العطار.

ـ المستشرق الهولاندي الدكتور بيتر شولد P.S. KONINGSVELD أثناء دراسته للمخطوطات المكتوبة على رق الغزال ليستخلص منها طرق صناعة تجهيز الرق وليتمكن من دراسة أنواع الخطوط والأشكال وليقارن بين ذلك وبين المخطوطات الموجودة في العالم من هذا النوع.

ـ الدكتور محمد صبحي عيسى خريج جامعة الأزهر وأستاذ التاريخ بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة أثناء مقابلته للمخطوطة المصورة التي يصححها والمأخوذة عن طريق معهد المخطوطات العربية بالنسخة الأصلية من كتاب شرح غريب السيرة للخشني الموجودة بخزانة القرويين.

ـ الأستاذ سرين جاو وهو سينغالي يعمل أستاذا بجامعة الزيتونة بتونس، قسم الدراسات الإسلامية فقد قضى في الخزانة نحو شهرين تقريبا من أوائل دجنبر 1987 إلى أواخر يناير من سنة 1988 لمراجعة كتاب التمييز للسكوني الذي يعمل على تحقيقه، وهذا الكتاب كما هو معلوم عبارة عن حاشية في مجلدين كبيرين على تفسير الكشاف للزمخشري تتبع مؤلفها بعض النظريات الاعتزالية وعارضها بقوة.

هذا وإني لأستسمح كل الذين وفدوا على الخزانة من أجل الدراسة والتحقيق ولم أتعرض لذكرهم لأن الغرض لم يكن عندي هو ذكر الأسماء وإنما كان الغرض عندي هو ذكر اختصاصات هؤلاء الباحثين، وذكر مختلف جنسياتهم. مع الإشارة إلى أن خزانة القرويين مازالت إلى الآن تحمل مشعل الفكر وتنير الطريق أمام كل الذين يعملون على دراسة التراث وتحقيقه وإحيائه، وجعله من عناصر استمرارية الوجود الإنساني، خصوصا بعد تعاونها مع مراكز الفكر في العالم، وبعد شعورها بالعناية التي صارت توجه إليها من لدن المسؤولين عنها العازمين على تحسين الدالة على انصهار الحضارة البشرية على مدى الأزمان، وعلى استنارة الفكر الإسلامي منذ ظهوره إلى الآن والسلام.

خزانة ابن يوسف ومخطوطاتها
نظرة تاريخية

الأستاذ الصديق بلعربي

محافظ خزانة ابن يوسف ــ مراكش

يرجع تاريخ خزانة جامع علي بن يوسف بن تاشفين إلى أوائل القرن السادس فيما أسس الأمير المذكور الجامع الأعظم بعاصمة مملكته مراكش، ذلك المسجد الجامع الذي ظل يحمل اسمه عبر القرون والأجيال، ويحدثنا التاريخ بأن الأمير علي اعتنى اعتناء فائقا ببناء هذا المسجد، وشرع في العمل في بنائه في نفس الوقت الذي أدار عاصمته بالأسوار، وأنه حشر لتصويب قبلته أربعين فقيها من فقهاء الأندلس وأنه انقطع إليه من الأندلس من كل علم فحوله، واجتمع له من العصور فلا عجب إذا أن يصبح هذا المسجد الجامع مركزا من مراكز العلم تشد إليه الرحال، وتعج رحابه بالعلماء وشيوخ العلم، ويتنافس العلماء على الإمامة والخطابة والتدريس به، قرب أمير اشتهر بالعلم والتقوى والورع وتشجيع العلم والعلماء.

وفي مقصورة من مقاصير الجامع، كما هو الشأن في سائر المساجد، صنعت النواة الأولى لخزانة الكتب، فارتبطت منذ ذلك الحين حياة الكتب بحياة المسجد نفسه، ولحقها ما لحق المسجد من تطور وصعود وانحطاط.

وليس لدينا من المصادر ما يحدثنا عن هذه الخزانة ومحتوياتها، ولكن القرائن كلها تدلنا على أن دورها في هذا العصر وما بعده، لا يقل شأنا عما مرت به الخزائن المسجدية من أدوار في تاريخ نشر الثقافة والمعرفة في جميع البلاد الإسلامية.

ولقد كانت حركة جمع الكتب واستنساخها للخزائن الملوكية، والمسجدية قد

ابتدأت في عصر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عقب عودته من الأندلس، ثم استمرت في عهد خليفته الأمير أبي الحسن.

وتحتفظ خزانة القرويين حتى الآن بكتاب يرجع إلى هذا التاريخ وهو «بقية من نسخة من الموطأ في عدة أجزاء في رق الغزال ثبت في جزئها الحادي عشر بخط ناسخه ما صورته» مما كتبه لخزانة أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف أدام الله تأييده ونصره يحيى بن محمد بن عباد اللخمي، وبآخره : «وكان الفراغ منه بحضرة مراكش حرسها الله غرة شعبان من سنة إثنتين وخمسمائة» ثم جزء آخر كتب سنة 503 هـ وبجانب هاتين الخزانتين : خزانة جامع ابن يوسف وخزانة أمير المسلمين علي بن يوسف، تنافس الأمراء اللمتونيون في جمع الكتب واستنساخها، فالأمير أبو عمر ميمون بن ياسين اللمتوني يطلب من القاضي مالك بن وهيب أن ينسخ له «صحيح مسلم» فنسخه القاضي بخطه ووهبه للأمير سنة 493 هـ ونرى الفتح بن خاقان يتصل بالأمير أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن تاشفين ويكتب له كتابه «قلائد العقيان»، ونرى أبا مروان عبد الملك بن زهر يتصل بهذا الأمير ويؤلف لخزانته كتابه «الإقتصاد في صلاح الإفساد».

وتدلنا هذه النصوص على أن حركة جمع الكتب واستنساخها وإنشاء الخزائن عرفت في مراكش في عصر مبكر، وأن الحركة الفكرية والثقافية التي ازدهرت في مراكش في عصر الموحدين، كانت ثمرة لهذه النواة الطيبة التي غرسها المرابطون.

ومما لاشك فيه أن خزائن الكتب التي ظهرت في عصر أبي الحسن وخلفائه بمراكش أو بالأندلس كانت من مميزات عصر المرابطين إذ في هذا العصر توحدت الأندلس والمغرب، وازدهرت الثقافة الإسلامية بالعدوتين، ونزع عدد من علماء الأندلس وكتابها وفقهائها إلى مراكش حاضرة الدولة ومقر السلطان لينعموا بالنفوذ والجاه في كنف الخلفاء والأمراء، ويقول المراكشي في المعجب :

«انقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى اشبهت حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له بولايته من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة مالم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار».

وبوجود هذا الحشد الغفير من العلماء والأدباء والفقهاء تكاثر عدد المكتبات الخاصة أيضا، وانقطع إليها عدد من النساخ والوراقين، يدل على ذلك ماورد من أن الأمير أبا الحسن أمر بعد وفاة ابن زهر أن تجمع مصنفاته فجمعت بمراكش والعدوة الأندلسية ونسخت.

في عصر الموحدين :

أما في عصر الموحدين فقد أصبح لهذا المسجد الجامع وخزانته شأن آخر بمجرد سقوط المرابطين وانتصار الموحدين، أمر المهدي بن تومرت أتباعه بعدم دخول مراكش إلا بعد «تطهيرها»، ومعنى ذلك القضاء على معالم المرابطين «المجسمين» ونفذت وصية المهدي بحذافرها، فأقفلت المساجد أولا ثم «هدم عبد المومن المسجد الذي كان بأسفل المدينة والذي بناه علي بن يوسف» فأصبح المسجد وخزانته في خبر كان وانتقلت بذلك مراكز التدريس إلى المساجد الجديدة التي بناها الموحدون في حيهم الجديد بالقصبة.

ولئن أصبح جامع ابن يوسف في هذا العصر نسيا منسيا فإن مراكش قد عاشت في ظل الدولة الجديدة عصرها الذهبي، فقد أصبحت عاصمة الشمال الإفريقي والأندلس والصحراء، وتقاطر إليها فحول العلماء من كل مكان، وأنشئت بها الخزائن الكبرى التي تنافس في إقامتها الملوك والأمراء والأفراد حتى أصبحت مراكش تجمع علم قرطبة والقيروان، وحتى شبهها المؤرخون ببغداد في عهد بني العباس.

وتضخمت المكتبة المغربية لهذا العهد، وامتلأت الخزائن بالدفاتر والذخائر، وصاحب ذلك قيام صناعات الوراقة والخطاطة، فاشتهر بمراكش عدد من الخطاطين والنساخين والوراقين، فكانت بمدينة مراكش وحدها من دكاكين الكتبيين مائتا دكان لبيع الكتب المخطوطة كانت بجوار جامع الكتبيين متصلة بأسفل منارته العالية.

وتنافس الخلفاء الموحدون في جمع الكتب واستنساخها كما اقترحوا على العلماء وضع التآليف المختلفة، واهتموا بخطة المحافظة على الكتب فكانوا يعتبرونها من الخطط الجميلة لا يعينون لها الاعلية أهل العلم وأكابرهم.

وبقيت الخزانات الموحدية مستمرة في تقدمها وتطورها من عهد عبد المومن ويوسف ويعقوب والمأمون إلى عمر أبي حفص عمر المرتضى آخر ملوكهم، وكان لهذا الأخير عناية كبرى بالعلم والعلماء، وجمع من الكتب العدد الكثير، وألفت باسمه عدة كتب باقتراحه وأمره، كما كانت له عناية بنسخ الكتب بخط يده في مقدمتها المصحف الكريم الذي تحدث عنه المؤرخون. ويشاء الله أن يقترن سقوط الدولة الموحدية بتجديد جامع علي بن يوسف وإعادة بنائه من جديد. وكأن

الخليفة عمر المرتضى أراد أن يكفر عما اقترفه جده عبد المومن من إهماله لبيت من بيوت الله، فجدد هذا المسجد العتيق، وأعاد إليه شبابه. ولم تكد هذه الدولة تلفظ نفسها الأخير حتى استأنف هذا الجامع مع خزانته خزانة سيرها في بعث الثقافة الإسلامية من جديد.

في العصر المريني :

وبقيام الدولة المرينية انتقلت عاصمة المملكة من مراكش إلى فاس، وأخذ دور مراكش العلمي يتضاءل نسبيا أمام جامع القرويين الذي أولاه المرينيون لأسباب سياسية اهتمامهم الكامل، وأنشأوا به خزانتهم الكبرى التي اشتهر ذكرها في الآفاق.

ومما لاشك فيه أن الحروب الطاحنة التي دارت رحاها بين الدولتين، وما أحاط بذلك من فتن، كان من نتاجه إسدال ستار النسيان على البقية الباقية من خزائن مراكش ومكتباتها، فلم تعد المصادر التاريخية تتحدث عنها بما يشفي الغليل.

بيد أن حركة بناء المدارس في هذا العصر بكل من سبتة وفاس وسلا وغيرها من المدن كان لها الأثر فيما أنشيء من خزائن جديدة في مختلف الجهات، وفي مقدمة هذه المدارس مدرسة مراكش التي بناها أبو الحسن المريني بقصبة مراكش، وهي التي قال عنها ابن بطوطة «المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع وإتقان الصنع» والتي قال عنها ابن مرزوق : «مدرسة سبتة غاية واعجب منها مدرسة مراكش».

ويبدو أن هذه المدارس الجديدة كانت تضم خزائن للكتب كما هو الشأن في المساجد الأخرى، ويدل على ذلك وجود تحبيس مريني على خزانة مدرسة قصبة مراكش هذا نصه :

«تحبيس أبي عنان المريني على الخزانة المباركة الكائنة بالمدرسة التي بجوف جامع المنصور بمراكش، صح ذلك وكتبه بخط يده عبد الله ووليه فارس أمير المؤمنين بن علي بن عثمان ابن أمير المؤمنين».

ولا شك أن هذه الخزائن المثبتة في المساجد والجوامع والمدارس أسهمت بنصيب كبير في إنعاش الحركة العلمية بمراكش خصوصا إذا علمنا أن علماء هذه المدينة قد اشتهروا في هذا العصر بدراساتهم القيمة وإنتاجهم الخصيب.

في عصر السعديين :

ويدور الزمان دورته فإذا بمراكش تصبح من جديد عاصمة للمملكة في عهد السعديين، وإذا عليك هذه الدولة التي قامت على فكرة دينية محضة يتنافسون في بناء المساجد والمدارس، ويشجعون العلم والعلماء، ويحيون ما اندرس من علوم الدين. وكان الأمير الغالب بالله من أبرز أمراء هذه الدولة الفتية فكان شغوفا بالبناء والتعمير، وأسس بوسط المدينة الجامع الأعظم، وهو جامع المواسين أو جامع الأشراف كما يسمى في عهده، وبنى المارستان للمرضى، وجدد أو بنى المدرسة الموجودة قرب جامع ابن يوسف. وتنافس الأمراء في تزويد المساجد والزوايا والمزارات بنفائس الكتب، وشجعوا العلماء على تنظيم حلقات الدروس بها. فاستعاد جامع ابن يوسف بذلك ما كان له من اعتبار.

ويبدو أن خزانة ابن يوسف شملها هذا العطف والتشجيع، فاتسعت دائرة عملها، وتضخم عدد الكتب بها، واستعادت نشاطها في الميدان الذي عرفته من قبل، ونظرة سريعة على التحبيسات المكتوبة على بعض مخطوطاتها تدلنا على مقدار ذلك الاهتمام الذي حظيت به عند الأشراف السعديين.

ولا نريد أن نتطرق إلى ذكر الخزائن الكبرى التي عرفتها مراكش في هذا العصر، كالخزانة المنصورية والخزانة الزيدانية، والخزائن الخاصة للأفراد من علماء ووزراء وقواد، فقد تكفلت كتب التراجم بالإشارة إليها، ولكننا نريد الإشارة إلى أن أمراء السعديين اهتموا بخزائن الكتب اهتماما بالغا، وقد كانت خزانة كتب جامع الأشراف في مقدمة الخزائن الكبرى التي يغرمها العلماء للمطالعة والنقل من أصولها المعتمدة، ويكفي أن نذكر أن العلامة أحمد بابا السوداني اعتكف بها مدة طويلة، وطالع كثيرا من نفائسها، واستفاد منها استفادة كبرى. تليها خزانة الضريح العباسي التي بناها الأمير أبو فارس وحبس عليها كتبا كثيرة.

ونشير في الأخير إلى أن خزانة جامع الكتبيين ضلت قائمة الذات في هذا العصر، حيث نجد العلامة محمد بن إبراهيم التادلي يقوم بالإمامة والخطبة والمحافظة على الخزانة.

في العصر العلوي :

واستمر كل من الجامع وخزانته في أداء مهمتهما طيلة عصر السعديين وأوائل

عصر العلويين، فهذا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الأندلسي يقول في كتابه «إرشاد السائل»، «وقد صلينا فيه ـــ أي في جامع علي بن يوسف ـــ عام 1140 هـ، فاختبرته فعاينت في محرابه انحرافا عن السمت، وقد ذكر المغيلي أن قبلته حولت بعد ذلك عن البناء الذي بناه علي بن يوسف والله أعلم» وقال عنه السيد سعيد بن عبد المنعم : «عجبت لمن يقول مراكش لغير جامع ابن يوسف» وهذا شيخ آخر يقول : «لولا جامع علي بن يوسف ما ذكر مراكش» وكان أبو عمرو القسطلي يقول لمن ذكر له جامع القرويين : «أن جامع علي بن يوسف يكاد السر ينبع من حيطانها».

وكان الشيخ محمد الصغير الأفراني يتولى الإمامة والخطبة والتدريس بهذا الجامع، كما كان في مقدمة السعديين الذين يستفيدون من خزانته الكبرى حيث ظل يتردد عليها إلى أن وافته المنية وذلك فيما بين سنة 1154 وهي السنة التي استعار الكتب من الخزانة لآخر مرة، وبين سنة 1157 وهي السنة التي رجعت فيها الكتب المعارة بعد وفاته.

ويتجلى من هذه النصوص أن الجامع وخزانته كان محور الحركة العلمية والثقافية بمراكش خلال هذا العصر الذي أنجب طائفة كبرى من أعلام مراكش وتزخر بتراجمهم كتب الطبقات.

والواقع أن هذه الخزانة قد انبعثت في شكل جديد في أوائل العصر العلوي، وتميز انبعاثها بطابع آخر، وهو وضع فهرس لها يمدنا بمعلومات طريفة عن حالتها في عهد المولى إسماعيل.

حوالة خزانة جامع ابن يوسف :

نشر الأستاذ دوفيردان بحثا عن هذه الحوالة في مجلة هسبريس سنة 1944 ارتأينا إيراده بنصه لفائدته، وقد نشر هذا البحث معربا في جريدة السعادة بتاريخ 11 أكتوبر 1945 : «افتتح هذا الكناش في 24 شعبان سنة 1111 هـ الموافق لرابع فبراير سنة 1700. وقد عثر عليه في سنة 1938 أثناء إعادة تنظيم الخزانة اليوسفية، وحرره عدلان شرعيان أثبتا فيه أن كتب تلك الخزانة أصبحت ملكا للأحباس».

«ويرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى عهد السلطان المقدس مولاي إسماعيل (1672

ـ 1729) وهي مع ما تشير إليه من جهود بذلت في ذلك العهد لإحصاء الأملاك الحبسية تعطينا معلومات قيمة عن وفرة الكتب النفيسة في الخزانة المشار إليها وعن نظام إعارتها الذي كان يتمشى عليه المحافظون آنذاك، كما تعطينا بعض المعلومات عن تاريخ مدينة مراكش وبالخصوص عن الأفراني صاحب التأليف الشهير المعروف بنزهة الحادي.

«ولم يدخل الكناش المشار إليه حتى الآن في قائمة الخزانة المتحدث عنها إذ لايزال في يد المحافظ، وهو سفر بالجلد يتألف من 92 صفحة من الكاغد، مرقومة من واحد إلى 92. أما حالته فإنها سيئة إذ أن الأرضة أخذت منه كل مأخذ.

«وقد كتب على السفر العبارة الآتية : «حوالة خزانة جامع ابن يوسف» وكتب على الصفحة الأولى مايلي : «هذا الكناش استوعبنا ما فيه من ما على الناس من الكتب» وهذه الكتابة لا تخلو من أغلاط دليل على اللذين كلفا بتحرير لائحة الكتب.

«وتبتدىء اللائحة المشار إليها من ص 8 من السجل، وتنتهي في صفحة 25 بمحضر يثبت ما اشتملت عليه، وإلى جانب عناوين الكتب المدونة فيها وعددها 359 توجد ثمانية أخرى أضيفت على إثر تحبيس بعض الكتب من جانب مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل، وهو الذي بويع ست مرات وخلع مثلها، وعليه فيكون تاريخ هذا التحبيس قد تم مابين سنة 1729 وسنة 1757 م.

«وفي سنة 1155 هـ دون أحد موظفي الخزانة في صفحة 27 من اللائحة بضع مؤلفات حصل عليها من إرث ولم تدون فيها كما قال.

«وقد جاء على هامش صفحة 11 ذكر لبعض مؤلفات أهداها إلى الخزانة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل، ويرجع تاريخها إلى سنة 1174 هـ.

«وفي سنة 1214 هـ أهدى أحد المحسنين الكرماء إلى الخزانة مجموعة مشتملة على 44 مجلدا وقد دونت في صفحة 57، ومن ذلك التاريخ لانرى في اللائحة أية معلومات عن الكتب المهداة، فهل يستدل من هذا أن الهدايا قد انقطعت، أم أنه وقع إهمال تسجيلها بالمرة ؟ هذا ما لاندرك كنهه.

«ثم إن تلك اللائحة لم تكن منذ اليوم الذي حررت فيه تامة مستوفاة كما تدل على ذلك ملاحظة المحافظ صفحة 27 وكما يثبته البحث عن إعادة المؤلفات»

وبالرغم مما حدث في اللائحة من شطب فإن أربعين عنوانا من عناوين المؤلفات مثبتة في الكتب المستعارة في حين أنها غير مدونة في لائحة الكتب كأمثال العرب للضبي والمسائل لابن رشد ونفح الطيب للمقري.

«وعلى كل فبالاستناد إلى الوثيقة المتحدث عنها لم يكن في جامع ابن يوسف في بداية القرن الثامن عشر إلا 500 مجلد تقريبا.

«وقد اتضح أن ترتيب هذه الكتب صعب وذلك لجهل المحررين، ولكون عناوينها وأسماء مؤلفيها غير كاملة، ولسوء حالة المخطوط نفسه، ورغم هذا كله فقد توصل الفرز الدقيق إلى ترتيب تلك الكتب على الأقسام الآتية :

القرآن الكريم وعلوم القرآن والأحاديث	200 مصنف
التوحيد وعلوم الكلام والتصوف	57
اللغة والنحو والبلاغة والبيان	60
التاريخ والتراجم	7
الفلسفة والمنطق	3
الرياضيات	10
الطب	4
الأدب	6
المؤلفات التركية	1

«وهذا الإحصاء وإن كان غير واف بالمرام يعد نموذجا حسنا لخزانة جامع مالكي كجامع ابن يوسف، تحل فيها العلوم القرآنية والشرعية أحسن مكان، كما توجد إلى جانبها علوم التوحيد واللغة وكل ذلك يمثله كما نرى في اللائحة كتب تعتبر من أحسن ما ألف وقتداك.

«ولنشر هنا إلى أن التآليف الخاصة بالجغرافية والرحلات والعلوم الطبيعية لا أثر لها بهذه الخزانة، كما لا يوجد بها أي كتاب من كتب أعظم مؤلف أنجبته إفريقيا الشمالية ألا وهو ابن خلدون.

«ومما هو جدير بالملاحظة كذلك وجود ديوان شعري واحد بهذه الخزانة هو ديوان ابن القارض الصوفي الشهير، ونسخة من مقامات الحريري.

ولنا ملاحظة أخيرا على هذه اللائحة وهي تشير أن الخزانة المذكورة قد نهبت

كثيرا بحيث لم يبق سوى سبعة أجزاء من تفسير ابن عطية وعددها عشرة، والجزء العاشر من استذكار ابن عبد البر.

«وقد ضاع مع الأسف معظم الخمسمائة مجلد، ويكفي أن نسوق مثلين إثنين نستدل بهما على ضياع الكتب : فإن المرتضى أبا حفص عمر بن إبراهيم أحد أواخر الأمراء الموحدين، نسخ مصحفا سلطانيا في عشر مجلدات كما أشير إلى ذلك في رأس لائحة 1700، وقد استعار هذه المجلدات بأجمعها المحتسب سيدي العربي الناصري وذلك سنة 1736 ولكن حوالي سنة 1933 بقي من هذا المصحف أربع مجلدات ولم يبق منها اليوم بالخزانة تحت رقم :

«وكذا قل عن مصحف آخر في 30 مجلدا ولم يبق اليوم منه سوى 8 مجلدات، ويظهر لأول وهلة أن الكناش المذكور أعلاه لم يصبح كتابا للإعارات إلا بعد عشرين سنة من تحرير لائحة الكتب.

«وكانت طريقة الإعارات تشتمل على عمليتين إثنتين : التسليم والإرجاع وكل واحدة من العمليتين كانت تتطلب وجود عدلين مكلفين برعايتها، ثم إن رسوم التسليم كانت تعين إسم المستعير، وأحيانا محل إقامته، وقائمة التكاليف المستعارة، وتاريخ التسليم، غير أن هذا النظام كان معقدا وأصبح مبسطا بإلغاء العملية الثانية إذ كان يكفي أن يمحى من القائمة إسم الكتاب المعاد بجرة قلم، أو بكتابة لفظ «أعيد» في حاشية الرسم وكثيرا ما كان لا يوجد للعملية الأولى حتى أننا نجد أسماء كتب أعيدت ولم يشر إلى خروجها كما أن عدلا واحداً كان يكفي للقيام بهذه المهمة، على أن دراسة عمليات الإعارة التي تبتدىء من صفحة 29 وتنتهي بالصفحة 61 ومن سنة 1131 هـ إلى سنة 1228 هـ تدل على ارتباك وفوضى فإن نظام العمليات الآنفة الذكر لم تتبع ترتيب الصفحات كما أن بعض الكتب أرجعت إلى الخزانة اليوسفية مع أنها قد استعيرت من خزائن أخرى بمراكش وكثيرا ما نرى إسم قارىء موقع على كتاب ابتيع من سوق الكتب وكان بائعه فلاحا أو سواه.

«ومن جهة أخرى نجد كثيرا من المستعيرين يستخدمون وسطاء لاستعارة الكتب، فهذا يبعث بأخيه، وثان بتلميذه وثالث بخادمه، وأحيانا يكون ذلك بأمر من القاضي. وغالبا ما نجد المؤلفات متخلفة في تركة وتسلم إلى العدول، وأخيرا نلاحظ أن بعض الكتب خرج من الخزانة للتجليد أو الإصلاح ولم يعد.

«وفي نحو مائة عام نجد 148 كتابا قد خرجت من الخزانة بينما لم يعد إليها منها سوى 24 فقط، أضف إلى ذلك أن كل عملية إعارة مدونة تشتمل في الغالب على كتب عدة تتجاوز أحيانا إثنى عشر كتابا، ولكننا بالرغم من ذلك لا نستطيع القول بأن هذه الخزانة قد أحرزت على أكبر نجاح ويظهر أن أعظم سنيها نجاحا هي سنة 1149 هـ حيث لم تتجاوز الإعارات 24، وكان ذلك خلال عهد مولاي عبد الله الذي كثرت فيه الفتن والقلاقل.

«هذا ونجد من بين المستعيرين في الحقبة المتراوحة مابين سنة 1719 م وسنة 1813 م عددا من القضاة والفقهاء والأئمة والمنجمين والوعاظ والنظار والعدول وقيمي المكاتب، ومؤذنا ومحتسبا وعددا قليلا من الطلبة بطبيعة الحال بل نجد أيضا إسم باشا ونعني به الباشا رحمون بن الباشا سعيد بن الخياط.

«ولم يستعر الكتاب التركي الوحيد الموجود بالخزانة سوى مولاي علي بن السلطان سيدي محمد وذلك سنة 1177 هـ، ويوجد من بين المستعيرين كذلك شخصيات شهيرة كالمؤرخ محمد الصغير الأفراني، وقاضي الجماعة محمد بن أحمد السكتاني، والقاضي محمد بن علي المنبهي وغيرهم.

«أما الكتب التي كان يستعيرها الأفراني فكانت من خيرة المصنفات وأرقاها إذ كانت تشتمل على المعاجم وكتب التاريخ والأدب والرياضيات والتنجيم، وخصوصا كتب الحديث والتفسير والتصوف والتوحيد والفقه والنحو، وقد استعار أيضا سنة 1149 هـ مصحفا قرآنيا ذا قطع كبير يعرف بمصحف مولاي عبد القادر.

«وبالكناش إشهاد بأمر القاضي إذ ذاك وهو العلامة أحمد بن محمد السكتاني وبتأخره إمضاء خمسة من العدول، وبأول المصحف الكريم وبتأخره سفر فيه المكودي وتاريخ الشهادة 24 شعبان 1111 هـ، وآخر إعارة سجلت فيه كانت بتاريخ 11 ذي الحجة سنة 1226 هـ».

وإنما أوردت هذا النص بتمامه لما يحتوي عليه من وصف مفصل لهذه الوثيقة التي ضاعت من جملة ما ضاع من هذه الخزانة من نفائس.

ويشاء الله إلا أن تصاب هذه الخزانة بهزة من تلك الهزات التي عرفتها في تاريخها، فقد تداعى المسجد بسبب الإهمال، وخرت بعض سقوفه، وتهدمت

جدرانه بفعل القدم، فأمر المولى سليمان بإعادة بنائه من جديد. ومما لاشك فيه أن عمليات الهدم ثم البناء أرغمت المكلفين على نقل الكتب إلى أماكن متفرقة ريثما يتم البناء فوزعت الكتب من جديد على المساجد والمدارس والأضرحة، وحطم المسجد اليوسفي العتيق عن آخره وبني في مكانه المسجد الحالي بعد أن قصت أطرافه وتقلصت مساحته إلى نحو ثلث ما كان عليه، وهدمت منارته الكبرى التي كانت تشبه منارة مسجد قرطبة.

وبعد الانتهاء من بناء المسجد أعيدت بعض الكتب إلى مقصورة من مقاصيره، إلا أن هذه المقصورة الجديدة كانت أصغر من سابقتها وامتلأت بما نقل إليها من الكتب التي كانت توزعها الخزائن الأخرى، ومن ثم اتجه التفكير إلى توسيع هذه المقصورة، وتجهيزها بالرفوف حتى تستوعب ما يرد عليها من كتب محبسة جديدة وما تتلقاه من هبات المحسنين.

وكان المولى الحسن الأكبر هو الذي أمر ببناء مقصورة كبرى للكتب، فبنيت وكانت مساحتها 13 × 7 أمتار وجهزت بستة من الخزائن الخشبية لوضع الكتب، كما كانت تضم من بين محتوياتها صندوقا من عهد السعديين وضعت فيه المصاحف.

وكان من حسنات هذا الملك الهمام أن أمر بجمع ما تفرق من الكتب في خزائن مسجد المواسين، ومسجد الكتبية، والضريح العباسي لتوضع كلها في الخزانة الجديدة حتى لا تمتد إليها يد العبث والضياع، إلا أن هذه الفكرة لم يقدر لها التنفيذ وبقي الأمر على ما كان عليه. ولعل المكلفين بهذه المهمة قد شرعوا في تحقيقها حيث نقلت طائفة من المخطوطات إلى بيت منزو في المدرسة المرينية المجاورة في انتظار إحصائها وتسجيلها، ولكن حدث ما حدث فتوقف العمل وتنوسي البيت بما فيه فظلت مقبورة في ذلك الكهف المظلم نصف قرن من الزمان إلى أن وقع اكتشافها صدفة سنة 1940.

الفهرس الحفيظي :

وعندما كان المولى عبد الحفيظ خليفة لأخيه السلطان المولى عبد العزيز اهتم بالخزانة اهتماما بالغا، فكان يزورها من حين لآخر، ويطلع على ما بها من ذخائر، وأدرك بثاقب فكره ـــ وهو العالم بأسرار المخطوطات ـــ أن هذه الخزانة قد توجد من بين محتوياتها نوادر لم تعرف من قبل، ولذلك أصدر أمره بوضع فهرس لها وعهد بهذه المهمة إلى أحد العلماء المشهورين بسعة الاطلاع.

وقام هذا العالم بمهمته أحسن قيام فوضع فهرسا افتتحه بخطبة مسجوعة تتضمن التورية بأسماء الكتب المشهورة، ثم وجه في آخرها عبارات المدح والثناء إلى المولى عبد الحفيظ صاحب الفكرة، وأرخ عمله هذا بحساب الجمل وذلك سنة 1329 هـ وبعد هذه الخطبة مهد للفهرس بكلمة عن المنهاج الذي اتبعه فذكر بأنه سطر الكماشة على خمسة أضلاع.

الضلع الأول لإسم المؤلف وإسم الكتاب وتاريخ وفاة المؤلف، والثاني للنسخ الموجودة من قلم أو طبع، والثالث لعدد الأجزاء، والرابع لصفتها من صحيح أو متلاش، والخامس لمرتبتها الخصوصية المرموز لها بحروف ن.خ والعمومية ن.ع.

ثم يرمز للمراجع التي استعان بها لمعرفة الكتب فبينها كما يلي :

ف ـــ فهرس الكتبخانة المصرية.

ك ـــ كشف الظنون.

د ـــ الديباج.

ط ـــ طبقات الشافعية

خد ـــ ابن خلدون

خل ـــ ابن خلكان

ز ـــ ابن زاكور

ثم قسم الكناش إلى 18 بابا في كل باب عدد ما به من كتب هكذا :

المصاحف 11 ـــ القراءات 9 ـــ التعبير 35 الحديث 57 ـــ الصلاة على النبي 38 ـــ التوحيد 21 ـــ التصوف 23 ـــ الوعظ 21 ـــ الأصول 11 ـــ الفقه 75 ـــ التاريخ 44 ـــ اللغة 9 ـــ المنطق 19 ـــ الطب 8 ـــ النحو والصرف 36 ـــ الأدب 28 ـــ البلاغة 22 ـــ متنوعات 3، المجموع 470.

ويبدو أن المولى عبد الحفيظ بعد اطلاعه على هذا الفهرس، قرر أن ينقل بعض المخطوطات إلى القصر الملكي بمراكش للتفرغ لمطالعتها. وفعلا زار الخزانة وانتقى بنفسه المخطوطات التي لفتت نظره، ووجه إلى الخزانة كلية كبرى من الكتب المطبوعة أمر بتحبيسها على الخزانة ووضع طابعه عليها.

في العصر الحاضر :

تميز تاريخ الخزانة خلال النصف الأول من القرن الحاضر بمراحل ثلاث :

1 ـ مرحلة التنظيم :

وقد ابتدأت هذه المرحلة منذ وضع الفهرس الحفيظي كما سبق، ثم استؤنف العمل في تنظيم الخزانة في عهد السلطان المولى يوسف خلال الحرب العالمية الأولى وذلك عندما صدر الأمر سنة 1917 بالشروع في تسجيل الكتب الموجودة بخزانة ابن يوسف وبغيرها من خزائن المساجد والمزارات.

ولما كانت الخزانة بداخل المقصورة الواقعة بداخل المسجد كان على الراغب في المطالعة أن يدخل أولا إلى المسجد للحصول على رغبته، وتسهيلا للدخول إليها صدر الأمر بفتح باب للمقصورة على الشارع حتى يتمكن الزوار بسهولة من الدخول إليها والاطلاع على مابها، وتم ذلك سنة 1920 فأصبح للخزانة بابان.

2 ـ مرحلة التنظيف :

ابتدأت هذه المرحلة سنة 1932 عندما صدر الأمر بنقل المخطوطات التي فتكت بها الأرضة وعبثت بها الرطوبة إلى الخزانة العامة بالرباط بقصد تنظيفها وتبخيرها وإصلاح أوراقها.

3 ـ مرحلة الإحصاء :

وفي سنة 1937 تألفت لجنة جديدة لإحصاء المخطوطات بعد أن تم نقل 300 مخطوط من جامع المواسين، واشتغلت هذه اللجنة فترة طويلة بمساعدة العدول والقيمين، فتم تسجيل نحو 3000 كتاب ما بين مخطوط ومطبوع في سجل واحد. ووضع للكل رقم متسلسل من 1 إلى 3000.

ونظرا لضيق المقصورة، وقلة المرافق الضرورية بها، وانعدام الرفوف الكافية بها، اقترحت اللجنة توسيع بناية الخزانة وإصلاحها وتجهيزها بما تحتاج إليه من مكاتب ومرافق، وكاد الأمر يتم لولا أن الحرب العالمية الثانية كانت على الأبواب.

4 ـ مرحلة البناء :

وبعد الحرب في سنة 1949 استأنفت اللجنة عملها في ترقيم الكتب وفهرستها وإعادة ترتيبها، وأثناء ذلك أثيرت مسألة توسيع الخزانة من جديد، وبعد دراسات واجتماعات وأخذ ورد شرع في العمل ووضع تصميم لتحطيم القيسارية والدكاكين التي كانت تحف بالمساجد، وأخيرا بنيت الخزانة الجديدة بركن من أركان المسجد يتصل مباشرة بالمقصورة القديمة التي أصبحت هي نفسها جزءا من الجديدة.

وهكذا تم بناء الخزانة سنة 1953 وجهزت بالمقاعد والمكاتب وأدوات العمل ونقلت إليها كمية كبرى من المطبوعات، وأصبحت الخزانة العامة بالرباط تزودها بكل ما تحتاجه من الكتب والأدوات الضرورية.

ومع كل ذلك فإن قضية المخطوطات لم تتقدم خطوة إلى الأمام، فقد وضعت المخطوطات في الرفوف على حدة، ونظفت عدة مرات، وسجلت كلها في لوائح حسب الترقيم الذي وضع لها سابقا وانتهى الأمر.

المركز الجديد :

وفي سنة 1960 صدر الأمر بنقل خزانة ابن يوسف إلى المقر الجديد بقصر الجلاوي، فتم هذا الانتقال في أحسن الظروف، وساهم المشرفون على الخزانة العامة بالرباط مساهمة فعالة في تجديد الخزانة وتجهيزها وتأثيثها، وشرفها جلالة الملك المرحوم محمد الخامس بزيارتها والوقوف على مرافقها وتصحيح مخطوطاتها.

وتحتوي الخزانة حاليا على أربعة أقسام :

1 ـ قسم المطبوعات العربية وعددها إلى يناير 1988 يبلغ 700 17 بما في ذلك الأجزاء والنسخ والسلسلات. أما عدد العناوين فهو 767 12.

2 ـ قسم المؤلفات الفرنسية : 417 عنوان

3 ـ أما المجلات العربية فعددها 441 عنوان. وبالفرنسية 123 عنوان.

4 ـ الملفات الدراسية 383.

المخطوطات المفهرسة

أدرك المشرفون على الخزانة، وبالأخص في عهد الاستقلال، أن الحاجة أصبحت ماسة لوضع فهرس دقيق للتعريف بالمخطوطات حسب الطرق الحديثة المتبعة في وضع الفهارس، وشرع القيمون في هذا العمل خلال السنوات الأخيرة، فتم الآن وضع فهرس جديد بلغت جذاذاته اليوم نحو الألفين، وتحتوي كل جذاذة على المعلومات الوافية للتعريف بكل مخطوط على الصورة التالية :

رقم المخطوط، عنوانه، مؤلفه، أوله، فرغ من التأليف، الناسخ، تاريخ النسخ، مكان النسخ، تمليك، تحبيس، مكان التحبيس، نوع الخط، مسطرته، مقياسه، ملاحظات مختلفة. ووجهت عناية كبرى إلى الصفحات الأولى أو الأخيرة من

كل مخطوط لتسجيل ما تحمله من تحبيسات أو تملكات أو إجازات أو سماعات أو تقاريظ، وتوقيعات وخطوط وأسماء الموقعين على الوثائق المختلفة، من قضاة وعدول وقيمين، وطوابع رسمية وغير ذلك، حتى يتم الانتفاع به على أكمل الوجوه.

ومجموع هذه المخطوطات تتناول العلوم الإسلامية من تفسير للقرآن الكريم وإعرابه وقراءاته وغريبه وناسخه ومنسوخه وتجويده ورسمه، وحديث ومصطلحه، وفقه وأصول وعقائد وحساب وفرائض وشروح وحواش للأمهات المعروفة، ولغة ونحو وعروض وبلاغة، وحساب وتوقيت وطب وأوقاف، ودواوين شعرية وقصائد ملحونة. أما الكتب التاريخية وما إليها فقليلة جدا، والموجود منها مطبوع معروف.

ومن هذه المخطوطات ما يقع في سفر واحد، ومنها ما يقع في عدة أسفار، وجلها مكتوب بالخط المغربي والأندلسي، وما كتب منها بخط مشرقي قليل نسبيا، ومن بينها ما كتب بخط المؤلف نفسه أو نقلا عنه، وعدد منها مكتوب بالخط المغربي أو الأندلسي الرفيع البالغ النهاية في الجمال والإتقان، ومنها المزخرفة بماء الذهب.

وأقدم مخطوط بها كتب في متم القرن الخامس، ثم تليه مخطوطات سائر القرون من السادس إلى الرابع عشر، وآخر مخطوط دخل الخزانة يحمل تاريخ 1336 هـ.

أما المخطوطات المكتوبة على الرق فعددها ثلاثة في مقدمتها أجزاء مختلفة من مصاحف كوفية، وبها كتاب واحد كتب بخط مشرقي على الورق الحريري المختلف الألوان تتخلل صفحاته زخارف نفاتية بماء الذهب.

وحالتها المادية تختلف اختلافا شديدا فمنها ما بقي سليما لم تعبث به الأرضة، لم تفتك به الرطوبة، ومنها ما تلاشت أوراقه أو تمزقت أو التصقت ببعضها بفعل الرطوبة، ومنها ما امحت كتابته أولا تقرأ إلا بصعوبة بالغة، وكثيرا من المخطوطات فقدت صفحاتها الأولى أوالأخيرة نتيجة لوضع الكتب بعضها فوق بعض.

المجاميع :

يبلغ عدد المجاميع 120 مجموعا ويحتوي كل مجموع على عدة رسائل تتراوح بين ثلاثة إلى عشرين رسالة فأكثر، ويحتوي بعضها على رسائل قيمة.

المـلـفـات :

وهناك ملفات كثيرة جدا وضعت بداخلها كراريس من مختلف المخطوطات التي لم يقع العثور بعد على أصولها، يضاف إليها ملفان يحتويان على أكثر من 150 ورقة من الأوراق الأولى أو الأخيرة لمؤلفات ضائعة.

ويباشر الآن العمل لترتيب وتعريف نحو 300 مخطوط من التآليف المبتورة التي لا أول لها ولا آخر.

ضـيـاع المخطـوطـات وانتقـالهـا :

وأخيرا نشير إلى أن الخزانة قد منيت بضياع كثير من مخطوطاتها بسبب توالي الدول، وكثرة الفتن، وانتقالات مركزها مرات متوالية. وإلى عهد قريب ضاعت منها مخطوطات نفيسة بسبب قلة أمانة بعض المستعيرين وما أصاب البعض الآخر من تلف نتيجة للإهمال والنسيان، ونذكر على سبيل المثال ضياع عدة أجزاء من مصحف المرتضى، وبعض أجزاء من الذيل والتكملة لابن عبد الملك والتفهيم في صناعة التنجيم للبيروني الذي استعاره سنة 1321 هـ السيد محمد بن أحمد العلمي، والموطأ بخط مالك بن وهيب، وكنانيش الخزانة في عهدي مولاي إسماعيل ومولاي عبد الحفيظ وغير ذلك.

وكذلك الأمر فيما يتعلق بانتقال بعض المخطوطات إليها من الأماكن التي حبست عليها أو بنقل مخطوطاتها إلى مكان آخر، وكمثال على ذلك نذكر أن بعض المخطوطات دفعت إلى الخزانة بمراكش بينما هي محبسة على أماكن أخرى (أنظر الملف) ومن هذا القبيل انتقال مخطوط تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام لابن مرزوق، فهو من تحبيس أحمد المنصور الذهبي على خزانة جامع بن يوسف سنة 1004 هـ ولكنه يوجد اليوم بخزانة القرويين تحت عدد فـ 38 (قائمة نوادر المخطوطات بالقرويين ص ــ 40) وكذلك الأمر فيما يتعلق بكتب حبست على الجامع الأعظم بمدينة فاس وعلى القرويين توجد الآن بخزانة بن يوسف.

الـخـزائـن الأصـلـيـة :

ونعني بها تلك الخزائن التي كانت تحتفظ ببعض مخطوطات انتقلت منها بواسطة التحبيس أو غيره إلى خزانة ابن يوسف، ونجد من بين هذه الخزائن :

ـــ خزانة زيدان بن المنصور السعدي (1 ـــ 2)

ـــ الخزانة الإسماعيلية أو الدار العلية بمكناس، وهي الخزانة التي وزع كتبها السلطان محمد ابن عبد الله على مساجد المغرب وعددها 12000 كتاب (400)

ـــ خزانة المولى المستضيء بن إسماعيل بسجلماسة (155.247.142.2)

ـــ الخزانة الهاشمية السعدية (51)

ـــ الخزانة السعيدة الظاهرية (393) السلطانية

ـــ الخزانة الناصرية (1 ـــ 8)

ـــ خزانة أبي عبد الله

ـــ خزانة الحسن بن داوود الرسموكي

ـــ خزانة بني المواسي بفاس (231)

ـــ خزانة الوزير موسى بن أحمد (235)

ـــ خزانة الحاجب أبي العباس القبائلي

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن بعض المخطوطات انتسخت من أصل مستنسخ، أو مؤلف برسم بعض الخزائن الملوكية وعدد هذه المخطوطات خمسة :

ـــ مشارق الأنوار للصغاني ـــ ألفه للمستنصر العباسي (249)

ـــ السر المصون للغزالي ـــ مما وجد بخزانة أمير المؤمنين وناصر الدين عبد المومن بن علي (180)

ـــ نفس الصباح ـــ لأبي جعفر ـــ ألف لأبي يعقوب الموحدي (225)

ـــ نص ما في كتب ملاحيم ـــ لعبد الحق الإسلامي ألف للسلطان أبي سعيد المريني (185)

ـــ شرح جمل الخونجي ـــ للشريف التلمساني ـــ ألف بأمر من أبي فارس المريني (247)

وضعية المخطوطات العربية بتونس

الأستاذ محمد أبو الأجفان

أستاذ بالكلية الزيتونية — تونس

لمحة عن تاريخ المكتبات بتونس :

يحسن بنا أن نمهد للكلام عن الوضعية الحالية للمخطوطات بالجمهورية التونسية، بعرض لمحة تاريخية موجزة عن المكتبات بتونس، خاصة وأن بعض المخطوطات الموجودة اليوم ببعض المكتبات موروث عن مكتبات قديمة، وبعضها موغل في القدم.

إن كثيرا من المصادر التاريخية تشير إلى عناية بعض الملوك والسلاطين وكثير من العلماء بجمع الكتب، وتؤكد بعض الوثائق الاهتمام بتحبيسها على مكتبات المراكز العلمية.

ومن هؤلاء الملوك نذكر إبراهيم الثاني الأغلبي (261 — 289) مؤسس مدينة رقادة فقد استوفد من المشرق علماء في مختلف الفنون وجلب منه كتبا علمية نادرة زود بها المكتبة التي كان يدعو علماء القيروان المبرزين لضبط مخطوطاتها وتصحيحها.

وتواصلت العناية بالعلم وبهذه المكتبة بعد إبراهيم الثاني في عهد ابنه عبد الله، (289 — 290)، ثم في عهد ابنه زيادة الله الثالث (290 — 296) خاتمة أمراء بني الأغلب[1].

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب، العناية بالكتب وجمعها في إفريقية التونسية. مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد الأول / 1 / 72 — 73. ماي 1955. رمضان 1375.

وفي العهد الفاطمي اشتهر بالعناية بجمع الكتب إسماعيل المنصور (334 ـــ 341) ثالث ملوك الفاطميين؛ وقد ربى ابنه الذي خلفه المعز لدين الله (341 ـــ 362) على الاعتناء بالعلم والكتب والتأليف، فأقبل على العلم وبذل المال الوفير في سبيل جمع المؤلفات مما شجع بعض المؤلفين على أن يفدوا إليه بمصنفاتهم من البلاد القاصية مثل محمد بن عمر اليماني الذي قدَّم إلى المعز تأليفه البديع المضاهي لكليلة ودمنه فجازاه عنه أوفر جزاء[2].

وممن كانت له عناية بالكتب في السلطنة الحفصية أبو زكرياء الأُكبر يحيى (626 ـــ 647) ابن مؤسس هذه السلطنة عبد الواحد، وقد ضمت خزانته ستة وثلاثين ألف مجلد، وبعده أسند ابنه المنتصر (647 ـــ 675) نظارتها إلى الحسن بن موسى الهواري. ولما آلت إلى زكرياء بن أحمد اللحياني الحفصي سنة 716، فرط فيها بالبيع وفرَّ إلى طرابلس خوفا من ثورة أبي بكر بن أبي زكرياء[3].

وفي أواخر هذا القرن (الثامن) عرفت مدينة تونس أول مكتبة عامة أنشأها الأمير أبو فارس عبد العزيز الحفصي[4] (796 ـــ 837) سنة 797. وأودعها (أمهات العلوم والدواوين لينتفع بها طلبة العلم وبنى لها بيتا بمجنبة الهلال (رواق لرصد مطالع الأهلة بجامع الزيتونة) مشترطا عدم إخراج الكتب منه، وجعل لها قيمين لنفضها ومناولتها للطلبة ووقت للمطالعة فيها من أذان الظهير إلى العصر كل يوم.

(ثم إن عثمان بن محمد بن أبي فارس (839 ـــ 893) أحدث خزانة مشتملة على أهم الكتب بالمقصورة الشرقية من جامع الزيتونة المعروفة بمقصورة سيدي محرز بن خلف، وجعل لها قيمين ووقف عليها وقفا كافيا، ثم تلاه حفيد ابنه الأمير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بن عثمان (899 ـــ 932)، فأسس المكتبة المعروفة بالعبدلية في الرواق الشرقي من رحاب الجامع... وأقام لها قيمين، ووقت للمطالعة بها من أذان الظهر إلى ما بعد العصر وجعل نظرها لإمام الجامع الأعظم، وهو يومئذ أبو البركات بن عصفور)[5].

---

(2) المرجع السالف : 78 ـــ 79

(3) برنامج المكتبة العبْدلية : 1 / ح المطبعة الرسمية العربية تونس 1926.

(4) محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس : 298 ط دار الغرب الإسلامي بيروت 1986.

(5) برنامج المكتبة العبدلية : 1 / خ د

وعنه ينقل المعموري في : جامع الزيتونة : 53 ط الدار العربية للكتاب : تونس 1980.

ويلاحظ أنه في هذا العهد الحفصي أنشئت بعض المكتبات ببعض مدارس العلم التي كانت منتشرة بالحضرة الحفصية.

وقد شهد العهد الحسيني (1705 م ـــ 1957 م) عناية بعض أمرائه بالكتب وتوفيرها لطالبي العلم، فمؤسس الدولة حسين بن علي تركي بنى المدارس ونسخ الكتب وأنشأ لها خزانة وقفها على المحكمة الشرعية بالعاصمة(6)، ثم تواصلت هذه العناية على يد حفيده للأخ الأمير العالم الباشا علي بن محمد (1740 ـــ 1756)، فأرسل المفتي الشيخ حسين البارودي إلى الأستانة لاقتناء المخطوطات وزوّد بها مكتبته التي اتخذ لها من مسجد الباشا بِبَارِدُو مقراً.

وعند انتصاب محمود باي (1814 م ـــ 1824 م) على العرش الحسيني كان مجموع مخطوطات هذه المكتبة 2726 مجلدا، كانت مرجعا لشيوخ المجلس الشرعي(7).

والملاحظ أن بعض الأمراء كان يعتني بتزويد مكتبات المدارس العلمية بالمخطوطات.

هذا، ويعد الأمير المشير أحمد باي الأول (1253 هـ ـــ 1271 هـ) صاحب الفضل الأوفر في إثراء مخطوطات جامع الزيتونة، فقد نقل إليها رصيد مسجد الباشا وأضاف إليها كتب الوزير حسين خوجة التي باعها عليه دائنوه، كما أضاف إليها ما أمكنه اقتناؤه، وأهمه مجموعة مكتبة الشيخ إبراهيم الرياحي بعد وفاته سنة 1266 هـ = 1849 م ومن هذه المجموعة نفائس مغربية ومشرقية مما اختاره الشيخ في رحلته إلى فاس سنة 1218 هـ = 1803 م وإلى الأستانة سنة 1254 = 1838.

وقد جعل المشير المذكور نظر هذه المكتبة الأحمدية لشيخي الإسلام بإعانة القاضيين الحنفي والمالكي(8).

(6) تحدث الشيخ محمد سعادة في كتابه : قرةالعين بنشر فضائل الملك حسين عن مآثر هذا الملك في خدمة العلم والعناية بالكتب ـــ اللوحة 75 وما بعدها من هذا الكتاب المخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 7129.

(7) بلخوجة، المجلة الزيتونية : المجلد الأول / 74 ـــ 75 سنة 1936. وعنه ينقل فيليب دي طرازي في : خزائن الكتب العربية في الخافقين : 1 / 355 ـــ 356.

(8) ابن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان : 4 / 49 ـــ 50 وعنه ينقل بلخوجة في المجلة الزيتونية المجلد الأول الجزء 2 ـــ أكتوبر 1936

وقد عرفت هذه المكتبة الأحمدية مزيد إثراء وتوسع في عهد الأمير محمد الصادق باشا باي ابن عم المشير أحمد، فقد رفع عدد مخطوطاتها إلى 6975 مجلدا بإلحاق كتب الوزير مصطفى خزندار الذي استغرقت ذمته للدولة سنة 1290 هـ = 1873 م فتنازل لها صلحا عن خزانته التي احتوت على 1798 مجلدا وكان من جملة ما تضمه كتب الوزير المؤرخ الشهير أحمد بن أبي الضياف[9] المتوفى سنة 1291 هـ.

أما المكتبة العبدلية التي كنا أشرنا إلى تأسيسها بجامع الزيتونة في عهد أبي عبد الله بن الحسن، فإنها كانت مستهدفة إلى تبديد مخطوطاتها النفيسة عندما أصيبت تونس بنكبة الاستعمار الإسباني الصليبي الحاقد، فقد حدثنا الوزير السراج أنه في عهد آخر ملوك الحفصيين محمد بن الحسن (أهين المسجد الأعظم ونُهبت خزائن الكتب التي كانت به، وداستها الكفرة بالأرجل، وألقيت تصانيف الدين بالأزقة تدوسها حوافر الخيل والرجال، حتى قيل : إن أروقة الطيبيين كانت كلها مجلدات ملقاة تحت الأرجل وضربت النواقيس وربطوا الخيل بالجامع الأعظم...)[10].

ولم تعرف هذه المكتبة العبدلية تجديد شامخ عزها إلا في عهد الأمير محمد الصادق باي (1276 هـ ـــ 1299 هـ) حيث سعى لديه وزيره المصلح خير الدين لإحيائها، إذ جمع إليها ما أبقته أيدي الاضمحلال بمكاتب المدارس ومساجد المملكة حفظا لها من زيادة عبث المتصرفين فيها بدون مراقبة، وأمدها الوزير (المذكور) بكتب مكتبته الخاصة المشتملة على كثير من كتب العائلة البيرمية وخطوطهم، وتلك ألف مجلد في أسفار جميلة مكتوبة أسماؤها عليها بالذهب، واستصدر في تنظيم المكتبة الأمر المؤرخ في 12 ربيع الآخر سنة 1292 هـ، الذي سماها من يومئذ بالمكتبة الصادقية، وتبعه على ذلك بعض أهل الخير، ثم وقف عليها الأمير علي باشا الثالث (1299 هـ ـــ 1320 هـ) نحوا من ثلاثمائة مجلد سنة 1300 هـ، ثم ابنه الأمير محمد الهادي باشا (1320 هـ ـــ 1324 هـ) سنة

---

(9) برنامج المكتبة العبدلية : أ/ ز.

(10) الحلل السندسية : 1 / 1104 ـــ 1105

وانظر ابن أبي دينار، المؤنس : 175

1320، ثمانمائة وإثنين وعشرين مجلدا) وبذلك بلغ مجموع كتبها 4727 مجلدا[11].

هذه لمحة عن العناية السلطانية بالمخطوطات في تونس عبر تاريخها، وهي العناية التي أتاحت لنا اليوم موروثا هاما من الكتب في شتى الفنون.

أما عناية أهل العلم بجمع الكتب وبتحبيسها تيسيراً للاستفادة منها، فالحديث عنها أوسع من أن يسمح به هذا المقام، وقد تضمنت كثير من تراجم أعلامنا تنويها بشغفهم باقتناء الكتب والحرص عليها.[12]

ونكتفي بالإشارة إلى بعض المحبسين للكتب عبر تاريخ تونس.

يتحدث الرحالة (المغربي) أبو عبد الله محمد العبدري الحيحي عن زيارته لجامع عقبة في رحلته التي بدأت سنة 688 هـ، فيقول : (دخلنا بيت الكتب فأخرجت لنا مصاحف كثيرة بخط مشرقي، ومنها ماكتب كله بالذهب، وفيها كتب محبسة قديمة التاريخ من عهد سحنون وقبله، ومنها موطأ ابن القاسم وغيره)[13]

وقد عرفتنا فهرسة الشيخ محمد طراد القيرواني للمكتبة العتيقة بالقيروان[14] بأوقاف الكتب على مكتبة جامع عقبة بن نافع عبر القرون، ومن ذلك تحبيس الإمام أبي القاسم السيوري في السنة التي توفي فيها 462 هـ.

وتحبيس الإمام قاسم بن عيسى بن ناجي المتوفى سنة 835، وقد أشهد العدول

---

(11) برنامج المكتبة العبدلية : 1 / ز ـــ س

(12) تحدث المؤرخ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب عن اهتمام بعض العلماء باقتناء الكتب في بحثه المنشور بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الأول، الجزء الأول، ماي 1955 ـــ وعنوانه (العناية بالكتب وجمعها في إفريقية التونسية من القرن الثالث إلى الخامس هـ).

(13) رحلة العبدري : 65 ـــ تحقيق محمد الفاسي ط. الرباط 1968. وقد وصف الباحث المؤرخ محمد البهلي النيال المصاحف والكتب المحبسة على مكتبة عقبة في كتابه (المكتبة الأثرية بالقيروان) تونس 1963

(14) أعد الشيخ طراد هذه الفهرسة من سنة 1930 إلى سنة 1937 ولم تشمل كما في المكتبة من الأوراق والوثائق، كما ذكر النيال في مقاله (المكتبة العتيقة) المنشور بمجلة الندوة، السنة الأولى العدد 2 فيفري سنة 1953.
وتحتفظ دار الكتب بمصر بصورة على الميكروفيلم من هذه الفهرسة برقم 4391. وقد أمدنا الأستاذ المنجي ابن الشيخ محمد طراد بصورة منها مشكورا.

على تحبيسه بتاريخ 7 رجب سنة 828، وكان ضمن الكتب المحبسة مؤلفاته : الشرح الكبير على المدونة (11 سفرا) والشرح الصغير عليها (سفران)، وشرحه على تفريع ابن الجلاب (سفران)، وشرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني[15]. كما حبس الإمام ابنُ ناجي أموالا على من يقوم بنسخ مؤلفاته ومقابلتها وتسفيرها لتودع بخزانة جامع الزيتونة بتونس[16].

وقد تواصلت حركة تحبيس الكتب من أهل الخير والإحسان على خزائن المدارس والزوايا والجوامع عبر العصور، كما تشهد به نصوص الوقف التي تضمنتها هذه الكتب، وكما سجله مؤرخو الحركة العلمية مثل المؤرخ محمد بلخوجة الذي استعرض في تأريخه لخزائن الكتب بجامع الزيتونة أسماء ثلة من المزودين لها بأنفس المخطوطات، ومنهم القائد إبراهيم بن عباس الرزقي، والشيخ المختار بن عمر قبادو الشريف.[17]

المخطوطات في عهد الاستقلال

عندما أحرزت البلاد التونسية على استقلالها سنة 1956 كانت المخطوطات موزعة بين جامع الزيتونة وبعض المساجد والزوايا والمتاحف والبيوت الخاصة والمكتبات العامة والخاصة.

وفي سنة 1961 وقع نقل مخطوطات المكتبة العبدلية من جامع الزيتونة إلى دار المعلمين العليا بتونس التابعة للجامعة التونسية، وكانت النية إذ ذاك تتجه إلى تكوين قسم للمخطوطات بمكتبة الجامعة تكون العبدلية نواته وقد انضمت إلى هذا القسم سنة 1963 مخطوطات مكتبة الشيخ محمد رضوان[18] الذي تفضل بإهدائها.

وقد كان لوزارة الشؤون الثقافية عناية بهذه الثروة العلمية والتراثية وقامت

(15) فهرست المكتبة العتيقة بجامع عقبة للشيخ طراد الورقة 46,44
(16) المرجع نفسه، الورقة 38
(17) صفحات من تاريخ تونس 304 ـــ 305
(18) الشيخ محمد رضوان كان مفتيا حنفيا، ومكتبته ورثها عن أبيه الذي كان أيضا مفتيا، ثم أثراها بكتب أخرى، وفيها مخطوطات نفيسة يرجع بعضها إلى قرون، كما أفادني الأستاذ الطيب بسيس.

بعض البوادر لحفظ هذه المخطوطات وتيسير الاستفادة منها، ومن ذلك أنها استصدرت سنة 1967 أمراً جمهوريا بتجميع المخطوطات الموزعة بين المساجد والزوايا والمتاحف وبمقتضاه جُمع عدد وافر منها، ولا نعتقد أنه استوعبها كلها[19].

وفي سنة 1968 صدر قرار رئاسي آخر يقتضي إلحاق كل المخطوطات التابعة للمكتبات العامة بدار الكتب الوطنية التي سنخصها بفقرة من هذا التقرير.

وفي هذا العهد بادر بعض المثقفين إلى الانكباب على تحقيق بعض المخطوطات التي أصدرتها وزارة الثقافة والمعهد القومي للآثار والدار التونسية للنشر، والشركة التونسية للتوزيع، والدار العربية للكتاب وبعض الناشرين الخواص[20].

وفي نطاق التشجيع على التحقيق عين الأمر الجمهوري عدد 749 لسنة 1979 المتعلق بتشجيع الدولة للإنتاج الأدبي والعلمي في فصله الأول (الفقرة هـ) عين جائزتين سنويتين لأفضل كتابين تونسيين في مجال تحقيق التراث المتعلق بتونس وبلاد المغرب العربي.

المخطوطات بدار الكتب الوطنية

تأسست بتونس بعد انتصاب الحماية مكتبة كانت تعرف بالمكتبة الشعبية التونسية وذلك في الثامن من مارس سنة 1885، اهتمت في بداية الأمر بالوثائق والمطبوعات المتعلقة بالتاريخ والآثار والجغرافيا، وأخذت تتوسع شيئا فشيئا لتلبية حاجة المثقفين من معمرين وإداريين وضباط وغيرهم من شخصيات الحماية، وهي

---

(19) يدل على ذلك أني شاهدت في غرفة من غرف مدرسة زاوية الشيخ أحمد التليلي بفريانة عند زيارتها التي نظمها مسؤولوا اللجنة الثقافية الجهوية بولاية القصرين بمناسبة ملتقى علي بن غذاهم في 23 مارس 1985 شاهدت ركاما من المخطوطات بعضها على رفوف قديمة وبعضها على الأرض، تصفحت بعضها، فوقعت يدي صدفة على قواعد المقري، وقواعد الونشريسي والمحرر الوجيز لابن عطية.
وأعلمنا أهالي المنطقة أن أحفاد شيخ الزاوية يعتبرون هذه المخطوطات تراثهم الخاص ويعتزون به ولا يفرطون فيه.

(20) تحدث الأستاذ أبو القاسم كرو عما حقق من هذه المخطوطات في بحثه المقدم إلى مؤتمر أدباء وكتاب المغرب العربي المنعقد بطرابلس في مارس سنة 1969 منشور بمجلة الفكر التونسية السنة 14 عدد 8 سنة 1969 بعنوان : حول التراث العربي بتونس في مائة عام.

التي أصبحت تسمى منذ فجر الاستقلال بالمكتبة الوطنية، وقد تولى إدارتها بعد آخر حفاظها الفرنسيين المؤرخ المرحوم عثمان الكعاك من سنة 1956 إلى سنة 1965.

ومقرها الحالي بسوق العطارين قرب جامع الزيتونة المعمور، كان في الأصل ثكنة للجيش الانكشاري انتهى بناؤها سنة 1813 في عهد الأمير حمودة باشا، ثم استعملت سجنا في عهد الحماية من سنة 1895 إلى سنة 1906، ومنذ سنة 1910 أصبحت مقرا لهذه المكتبة.

وعندما سلمت المكتبة إلى الحكومة التونسية المستقلة كانت تضم أربعين ومائتي ألف كتاب، تمثل الكتب العربية منها نسبة السدس فقط. ولا عجب في ذلك فهي مكتبة استعمارية ذات صبغة خاصة معروفة، ولم يكن لحفاظها اهتمام بالمخطوطات العربية، وقد دلت على ذلك إحصائية سنة 1921، التي أثبتت أن هذه المخطوطات لم تتجاوز الواحد والعشرين.[21] أما في بداية عهد الاستقلال فرصيدها من المخطوطات حوالي أربعة آلاف.

وهذا هو المعروف اليوم برصيد الوطنية وقد أثرى بالاقتناء، وإلى جانبه مجموعات المخطوطات التي آلت إلى دار الكتب الوطنية في أعقاب الأمر الرئاسي الصادر سنة 1968، وهو الذي أشرنا إليه فيما سبق.

وأهم هذه المجموعات هي التي كانت متأتية من المكتبات التالية : العبدلية الأحمدية ـــ الخلدونية ـــ المكتبة العتيقة بالقيروان[22] متحف الجلولي بصفاقس[23] ـــ الكاف.

---

(21) هذه المعلومات عن المكتبة الوطنية مستقاة من تقرير ابن عزونة رئيس قسم ملحق بالإدارة العامة بدار الكتب ـــ وهو مرقون بالفرنسية في دار الكتب.

(22) سيأتي أن هذه المكتبة عادت إلى القيروان وأودعت بمركز دراسة الحضارة الإسلامية برقادة.

(23) كان المتحف يضم مخطوطات واردة من مكتبات أسر صفاقسية لعل أهمها مكتبة الشيخ أبي الحسن علي النوري الصفاقسي، وهو فقيه مقرىء فلكي ولد بصفاقس سنة 1053 هـ ونشأ بها وأخذ العلم بها ثم رحل إلى مصر فأخذ عن علماء الأزهر ورجع سنة 1078 فاتخذ من داره مدرسة لتعليم الطلبة وإسكان الغرباء منهم. وله مؤلفات في القراءات والفقه والتوحيد والفلك واكتشاف لدواء الكلب سبق به باستور. توفي سنة 1118. وكان جماعا للكتب، قال عنه معاصره المؤرخ الوزير السراج : (ما أعلم أحدا اليوم جمع ما جمع هو =

ويضاف إلى ذلك المجموعات التي تم الحصول عليها بالشراء مثل مكتبة الشيخ القلعي[24]، ومكتبة محمد بلخوجة[25].

كما يضاف ما آل إلى دار الكتب بالتبرع، وأهمه مكتبة المؤرخ الباحث الشهير حسن حسني عبد الوهاب[26].

وبذلك أصبحت مخطوطات دار الكتب تقدر بخمسة وعشرين ألفا.

ويتوفر في المكتبة مخبر للترميم ينشط فيه أعوان مختصون يعقمون ويرممون ويجلدون. والخزائن مكيفة بدرجة حرارة بين 20 و 22 طوال السنة لمقاومة الرطوبة.

وتستجيب دار الكتب لطلبات تصوير المخطوطات على الأشرطة، فإذا كان الطالب تونسيا يشترط أن يكون حاصلا على الإجازة أو ما يساويها. وإذا كان غير تونسي يشترط أن يكون باحثا ويستظهر بما يثبت انتسابه إلى مؤسسة جامعية أو ثقافية. كما تلبي الدار طلبات المؤسسات الثقافية والعلمية في التصوير.

فهارس مخطوطات دار الكتب

ليس هناك فهرس عام شامل لكل مجموعات المخطوطات التي تتوفر عليها الدار، ومنذ سنوات اتخذت خطة لإصدار فهرس عام يمسح كل الرصيد من مخطوطات الدار، مع الإيجاز في وصف المخطوط، على أن يكون الفهرس في أجزاء يضم كل

= بحيث أطلق يد شركائه في بر المشرق مهما رأوا كتابا بلغت الكراسة منه أربعة نواصر يأخذونه، ولو كان مكررا، فيسمك الطيب من المكررين).
الحلل السندسية 3 / 125 ط. دار الغرب الإسلامي بيروت).

(24) الشيخ محمد القلعي فقيه مدرس تولى رئاسة محكمة التعقيب بتونس وكان مولعا باقتناء المخطوطات.

(25) الجنرال محمد بلخوجة مؤرخ بحاثة كان مستشارا للحكومة التونسية في عهد الحماية وخزانة كتبه هامة اشتملت على كشاف كثير من علماء تونس.
(خزائن الكتب العربية في الخافقين : 1 / 356).

(26) عبد الوهاب لقبه العائلي نسبة إلى جده عبد الوهاب بن يوسف الصمادحي التجيبي ولد سنة 1884 بتونس وتعلم بها وبالمهدية وتخرج من مدرسة العلوم السياسية بباريس درس بمعاهد عليا بتونس وتولى وظائف سامية بها وشارك في عدة مؤتمرات علمية وله مؤلفات في التاريخ وحقق كتبا وأنجز بحوثا بالعربية والفرنسية. توفي بتونس سنة 1968.

منها ألف مخطوط بذكر أرقامها الحالية مع كشافات مرتبة هجائيا للعناوين وللمؤلفين وللناسخين وللموضوع ولتاريخ النسخ.

وإلى حد الآن صدرت من هذا الفهرس ثمانية أجزاء.

ولما كانت الخطة في هذا العمل لا تقتضي ذكر ما في المجموع الذي يضم أكثر من ثلاثة كتب، فقد واكبه فهرس للمجاميع يصف كل ما فيها من المخطوطات لكن لم يصدر منها إلا جزء واحد سنة 1979.

وهذه الأجزاء السبعة مع جزء المجاميع مطبوعة بالآلة الراقنة ومسحوبة بالاستنسيل.

واليوم تتجه نية المدير الجديد لدار الكتب الأستاذ إبراهيم شبوح إلى العناية بفهرسة كل مجموعة من المجموعات المتوفرة بالدار للاحتفاظ بالشخصية الثقافية للمجموعات الكبرى تخليداً لذكرها وتمييزاً لها عن غيرها.

وأفادني السيد رئيس قسم المخطوطات أن للدار سجلات قديمة متوفرة للقراء بها أسماء الكتب التي آلت إلى الدار، يضم كل سجل مجموعة المكتبة الأصلية.

وهذا بالإضافة إلى الجذاذات التي تفهرس — دون وصف دقيق كامل — للأرصدة التالية :

العبدلية — الوطنية — الأحمدية — حسن حسني عبد الوهاب — صفاقس — وكل فهرس منها مرتب بالعناوين وبالمؤلفين أيضا.

وإلى جانب ذلك يوجد فهرس قديم بخط اليد للأحمدية، رتبت فيه المخطوطات حسب الموضوعات مع تفصيل عناوين مخطوطات المجاميع، وهو يقع في سفرين، وفيه بعض مخطوطات باللغة الفارسية وأخرى باللغة التركية؛ والموضوعات فيه هي التالية : القرآن، التفسير، القراءات، الحديث، التوحيد، الفقه الحنفي، الفقه المالكي، التصوف، أسماء الله الحسنى، فن الوعظ، فن السلوك، المعارف والأذواق، الطبقات، الخلاف، المديح.

كما يوجد فهرس خاص بمكتبة القلعي، يقع في أربع عشرة صفحة مرقونة مجدولة، تشمل عنوان الكتاب ومؤلفه ورقمه وتاريخ نسخه، مع ملاحظات بالنسبة لبعض المخطوطات؛ وكتب هذه المكتبة في فنون مختلفة غير مرتبة.

وبها بعض المجاميع يعدد الفهرس كتبها ويجعل للمجموع الواحد رقما واحدا.

وهناك ثلاثة فهارس مفصلة في أسفار مطبوعة، أحدها لمجموعة من العبدلية، وثانيها لجزء من الأحمدية، وثالثها لكل مخطوطات رصيد حسن حسني عبد الوهاب، ويجدر بنا أن نصف هذه الفهارس.

أ : برنامج العبدلية[27] أعدته لجنة من العلماء تكونت بمقتضى مكتوب وزيري أصدره الوزير الأكبر محمد العزيز بوعتور بتاريخ 24 محرم سنة 1323 هـ 30 مارس سنة 1905 م في عهد الأمير محمد الهادي باشا الذي وقف على هذه المكتبة 822 مجلدا مقتفيا أثر أبيه الأمير علي باشا الثالث الذي وقف عليها نحوا من 330 مجلدا.

وكانت اللجنة برئاسة القاضي الحنفي الشيخ محمود بن محمود[28] وعضوية الشيوخ : محمد النخلي المدرس المالكي، محمد بن الخوجة المدرس الحنفي، محمد الطاهر بن عاشور المدرس المالكي، محمد الصادق المحرزي المدرس الحنفي، محمد الخضر بن الحسين المدرس المالكي، محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة، محمد الحشائشي متفقد خزائن الكتب بجامع الزيتونة، محمد الصادق بن ضيف المتطوع بجامع الزيتونة.

ويقع هذا البرنامج في أربعة أسفار، وزعت فيه الكتب على موضوعاتها الكبرى وجعلت لها سلسلة عددية عمومية وأخرى خصوصية لكل فن مع وصف لكل كتاب وترجمة موجزة لمؤلفه.

وتتصدر كل مجموعة من الكتب بيانات عن الفن الذي تنتمي إليه، كما تضمن البرنامج فهارس : التآليف والمؤلفين والناسخين، والواقفين، وذلك بالإضافة إلى المقدمة المتضمنة لمعلومات عن أطوار العناية بالكتب في البلاد الإسلامية وفي البلاد التونسية خاصة عبر التاريخ.

والملاحظ أن الأرقام التي يتضمنها هذا البرنامج تغيرت وحملت الكتب أرقاما أخرى، والقائمون بمناولة الكتب لهم طريقة في تحويل الأرقام القديمة إلى ما يطابقها من الجديدة.

---

(27) تحدث عنه الأستاذ إبراهيم شبوح في موضوعه : فهرس الفهارس المصورة بمعهد المخطوطات العربية المنشورة بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد 4 / الجزء 1 / 143

(28) برنامج المكتبة العبدلية 1 / س

وقد نشر هذا البرنامج بالمطبعة الرسمية العربية بتونس سنة 1326 هـ ـــ 1328

ب : فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية[29] أعدّه الأستاذ عبد الحفيظ منصور، وقد اقتصر هذا الجزء على المخطوطات التي تنتمي إلى المواد التالية : الأدب ـــ اللغة ـــ البيان ـــ العروض ـــ النحو ـــ الصرف ـــ التاريخ ـــ التراجم المناقب[30]

وفي المقدمة يتحدث واضع الفهرس عن تاريخ هذه المكتبة ثم يذكر خطته في العمل فيقول :

(سلكت في عملي هذا سبيل الإيجاز والإختصار، معتمداً أهم ما تقتضيه أصول الفهرسة من ذكر العناصر الأساسية للمخطوط، وحرصت على بيان الملاحظات التالية :

ـــ إسم المخطوط كاملا.

ـــ إسم المؤلف، وذكر نسبته، وسنة وفاته بالتاريخين، أو تحديد القرن الذي عاش فيه، مع ذكر مرجع للمخطوط خاصة.

ـــ بداية المخطوط ونهايته إن كان أجزاء.

ـــ إسم الناسخ.

ـــ مكان النسخ، وتاريخه، ونوع الخط، وتحديد أجزاء المخطوط، أو رسائله إن كان مجموعا.

ـــ مقاس المخطوط بحساب السنتمتر، وبيان عدد أوراقه، وعدد سطور كل صفحة منه.

ـــ ذكر السماعات والإجازات المذكورة به، أو الملاحظات الهامة عنه.

ـــ بيان رقمه المسجل به في الخزانة[31].

وناشر هذا الفهرس دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت.

---

(29) تحدث عنه الأستاذ شبوح في موضوعه سالف الذكر 4 / 138

(30) أخبرني الأستاذ عبد الحفيظ منصور أنه أنهى فهرسة بقية مواد المكتبة الأحمدية وأن عمله جاهز للطبع في أربعة أجزاء.

(31) فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس 7 ـــ 8

ج : فهرس رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب[32] أعده الأستاذ عبد الحفيظ منصور. وهو يغطي كل مخطوطات هذه المكتبة التي تبلغ **1297** عنوانا في مختلف فنون الثقافة الإسلامية وقد وزع واضع الفهرس هذه العناوين على أربعين موضوعا وسلك في عمله منهجا أوضحه في المقدمة بقوله :

« ـــ ذكر عنوان المخطوط كاملا مستمدا ذلك من المخطوط نفسه.

ـــ ذكر إسم المؤلف كاملا وإثبات نسبه إن أمكن، وذكر وفاته بالتاريخين.

ـــ ذكر مرجع لترجمة المؤلف، واعتمدت تاريخ الأدب العربي وملحقاته لبروكلمان للخدمة التي قدمها للباحثين، حيث يذكر ترجمة للمؤلف ضافية ومؤلفاته وأماكن وجودها.

ـــ ذكر بداية المخطوط بتسجيل فقرات منه تعرف بطريقة مؤلفه والغاية من تأليفه.

ـــ ذكر نهاية المخطوط ويتأكد هذا خاصة في المخطوطات ذات الأجزاء المتعددة لتكون للباحث معلومات عن كل جزء.

ـــ ذكر رقم الآية والسورة، والفصل والكتاب (الحديث والفقه والبلاغة...).

ـــ ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه إن وجدا.

ـــ ذكر نوع الخط.

ـــ ذكر مقاس المخطوط طولا وعرضا بحساب السنتمتر.

ـــ ذكر عدد أوراق المخطوط.

ـــ ذكر معدل سطور كل صفحة منه.

ـــ تسجيل الفوائد المختلفة التي قد تثبت بأوله أو بآخره أو أثناء صفحاته (تملكات، سماعات، إجازات...).

ـــ وبالنسبة للمجاميع التزمت ذكر رقم الورقة التي يبدأ بها العنوان ونهايته. وذلك ليكون الباحث على معرفة تامة مفصلة بمحتوى المجموع وترتيب كل رسالة فيه.

(32) قبل هذا الفهرس المفصل نشر الأستاذ محمد العروسي المطوي فهرسا لهذه المكتبة في حوليات الجامعة التونسية.

ـــ والتزمت عملا آخر رأيت فيه فوائد كثيرة لا يستغني عنها الباحث وهي تفصيل محتوى الكنانيش تفصيلاً كاملا وذلك بذكر إسم صاحب الكنش وترجمته، وذكر الأغراض التي سجلت به غرضا غرضا، مع التزام ذكر عدد الأبيات وطوالعها إن كانت شعرا.

وقد رتبت هذه العناصر حسب المواضيع واعتمدت الترتيب الهجائي لعناوين كل موضوع منها، واتبعتها بكشافات للعناوين والمؤلفين والنساخ.[33] وقد نشر المعهد القومي للآثار بتونس هذا الفهرس سنة 1975.

مخطوطات مركز دراسة الحضارة الإسلامية :

يقع مركز دراسة الحضارة الإسلامية بقصر رقادة في مدينة القيروان، وقد نقلت إليه المخطوطات[34] التي كانت بالمكتبة القيروانية العتيقة[35] ثم آلت إلى دار الكتب. نقلت إلى هذا المركز في ديسمبر 1983، بعد أن صدر قرار رئاسي في 1982/9/11 يقتضي ذلك.

ومجموعة هذه المكتبة تتكون مما عثر عليه بمقصورة جامع عقبة القبلية من مصاحف ترجع إلى القرون : الثاني والثالث والرابع والخامس، وكلها على الرق، وتمثل تطور المصحف فنيا في العهود القديمة، كما تتكون من كتب فقهية تعتبر دواوين المالكية الأولى مثل المدونة والواضحة وجامع ابن وهب... ومن عدد من الوثائق والعقود المتعلقة بالقيروان وأهلها، ترجع إلى القرنين الخامس والسادس ويقوم فريق من الباحثين باستجلاء محتوياتها وتوثيقها وإجراء دراسات لمواد المخطوطات وأخبارها، ويعمل على صيانة الرقوق الثمينة، وذلك في مخبر عصري

---

(33) رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب : ذ ـــ ر

(34) يفيد تقرير مرقون بدار الكتب أعده السيد ابن عزونة قسم ملحق بالإدارة العامة بالفرنسية أن هذه المخطوطات يبلغ عددها 2400

(35) أقدم فهرس معروف لهذه المكتبة التي احتفظ بمخطوطاتها النادرة جامع عقبة بن نافع بالقيروان هو سجل يرجع إلى القرن السابع هـ سجلت فيه الكتب التي كانت موجودة بالجامع سنة 693 بعد معارضتها بسجل قديم.
وقد قام الأستاذ إبراهيم شبوح بدراسة هذه السجل ووصفه وصفا دقيقا وقدم نصه بتعاليق هامة بعنوان : سجل قديم لمكتبة جامع القيروان ـــ مجلة معهد المخطوطات العربية ـــ المجلد الثاني / الجزء الثاني / 339 ـــ 372 ـــ ربيع الثاني 1376 نوفمبر 1956.

تابع لهذا المركز وُفق لتوفيره مدير المركز بالتعاون مع إحدى الجامعات الألمانية.

وفي هذا المركز توجد مجموعة أخرى من المخطوطات هي التي جمعت في أوائل هذا القرن الميلادي وأودعت بخزائن صدر بها جامع عقبة، وهي متفاوتة الأهمية وأغلبها من مكتبات بيوت علمية مثل مكتبة الشيخ الجودي[36] ومكتبة آل عظوم[37]؛ وتتكون هذه المجموعة من زهاء خمسة آلاف مخطوط يتصل أغلبها بالفقه المالكي؛ وقد قامت لجنة من الأساتذة بفهرسة أغلب مخطوطات هذا المركز.

مخطوطات مكتبة جامعة الزيتونة :

تتوفر بمكتبة جامعة الزيتونة مجموعة من المخطوطات أغلبها أصول وباقيها مصورات على الورق. تبلغ هذه المجموعة 235 مخطوطا في فنون مختلفة وهي ذات أهمية متفاوتة، وقد ضبطت في قائمة تشمل باقتضاب العنوان والمؤلف والناسخ وتاريخ النسخ مع رقم المخطوط بالمكتبة، وهذه القائمة متوفرة لرواد المكتبة. والمصورات تحمل أرقاما من 142 إلى 233 وقد أهداها في رمضان 1403 الطالب العراقي نجم عبد الرحمان خلف الذي تخرج بالدكتوراه سنة 1986، كان قد انتقاها من مكتبات مصر.

وتمثل هذه المصورات خُمُسي مجموعة مخطوطات مكتبة جامعة الزيتونة.

المكتبات الخاصة

تمتلك كثير من الأسر العلمية بالعاصمة وسائر المدن التونسية مكتبات تضم مخطوطات متفاوتة الأهمية، ولئن حافظ بعضها على هذه المخطوطات باعتزاز وافتخار، فإن أغلبها فرط فيها بطرق مختلفة أسوأها طرق من جهل قيمة ماورث، ولم يقدر أهمية التراث الذي وصل إلى يده، ومنهم من كان يلجأ إلى البيع[38]

---

(36) الشيخ محمد الجودي كان مفتيا بالقيروان، كان له اعتناء باقتناء نفائس المخطوطات ونسخها. ذكرت مكتبته ضمن مكتبات القيروان في كتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين : 361/1)

(37) أسرة عظوم علمية، لأعلامها مؤلفات فقهية وبمكتبتها مخطوطات هامة وصفها بدقة المستعربان : هو داس وباسة في فهرس نشراه سنة 1884 في 18 ص بالجزء الثاني من Bulletin de corresp Africaine (خزائن الكتب العربية في الخافقين : 361/1)

(38) من المكتبات المباعة في الأسواق مكتبات عائلات : زروق والأصرم وبوراس.

في الأسواق أو إلى الخواص أو إلى دار الكتب. وكانت المدرسة الباشية قرب جامع الزيتونة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري سوقا نافقة للكتب ثم صارت تباع في السوق المجاورة لها بالمزايدة وبالبيع زودت مكتبات خاصة بالمخطوطات وتسربت بعض المخطوطات إلى خارج البلاد. أما ما اشترته دار الكتب الوطنية[39] فقد سلم من الضياع والتسرب وانضم إلى الرصيد العربي.

والواقع أنه يعسر الحديث عن المكتبات الخاصة بتونس في وضعها الحالي، فهي ليست مفتوحة أمام العموم للاستفادة منها، باستثناء مكتبة ابن عاشور التي تستقبل الباحثين حسب نظام سنبينه فيما يلي، ومكتبة الشيخ محمد الشاذلي النيفر التي تجري حاليا تهيئتها لتصبح في متناول القارئين، وهناك بعض المالكين لمجموعة من المخطوطات تسمح نفوسهم الطيبة بالاطلاع عليها، مثل الأستاذ أبي القاسم محمد كرو الباحث المؤرخ الذي أطلعني على قائمة مخطوطات مكتبته، فإذا هي تضم قرابة المائة في فنون مختلفة، وقد اتخذ لها مقرا بشارع دي قول في قلب العاصمة، ومثل الشيخ الطيب بسيس القاضي الذي أفادني أن له مخطوطات في الفقه، وعلوم العربية، والعلوم الصحيحة، والرياضيات والفلك، وهي بمنزله الكائن بضاحية مونفلوري.

ونعود إلى المكتبة العاشورية لنذكر أن أصلها للوزير الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بوعتور المولود سنة 1824 تخرج على أعلام جامع الزيتونة في عصره، ولازم المشير أحمد باشا، وتولى مناصب سامية في الدولة وخططا وزارية، وأسهم مع خير الدين في حركته الإصلاحية، وكان يتمتع بعلم واسع وأخلاق سامية. وتوفي سنة 1907 بقصر سكناه بالمرسى[40]، وهو القصر الذي نشأ فيه حفيده العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

وتأوي اليوم غرفة كبيرة من هذا القصر المكتبة العاشورية التي نمى ثروتها من المخطوطات الشيخ محمد الطاهر وابنه العالم الشيخ محمد الفاضل.

---

(39) من المكتبات التي آشترتها زيادة على ما أسلفنا ذكره مكتبة شيخنا أحمد الجريدي الذي كان جماعا للكتب باذلا في سبيل استنساخها.

(40) ترجم للشيخ بوعتور ترجمة ضافية المؤرخ محمد بن الخوجة في كتابه : (صفحات من تاريخ تونس : 419 — 453).

وقد نص النظام الداخلي لهذه المكتبة على فتحها أمام الباحثين الحاصلين على استرخاص من دار الكتب وآل ابن عاشور يومي الثلاثاء والخميس من كل أسبوع.

ويوجد بها فهرس على الجذاذات مرتب على المواضيع وعلى العناوين وعلى المؤلفين، وله نظير بدار الكتب الوطنية.

ونظام الإعارة للكتب داخلي فحسب.

ويخول التصوير لصاحب الرخصة في ارتياد المكتبة على الميكروفيلم حسب التراتيب التي يجرى بها التصوير بدار الكتب ولايتم التصوير إلا مرة كل شهر، ويمنع تصوير المخطوط الذي سبق تصويره للتحقيق، ويلتزم من ينشر مخطوطا من هذه المكتبة بتقديم أربع نسخ إلى دار الكتب الوطنية وإلى أصحاب المكتبة.

وأما مكتبة شيخنا محمد الشاذلي النيفر، فهي من أهم المكتبات الخاصة اليوم بتونس، وهي تجمع بين مكتبة والده القاضي محمد الصادق النيفر[41] وما جمعه فضيلته من الكتب ويبلغ المجموع 18000 عنوانا منها 1600 مخطوطا، وتجرى الآن فهرسة كل المحتويات لتستقر بالمقر الجديد الذي بناه الشيخ محمد الشاذلي بجوار مسكنه الكائن بنهج القرجاني في العاصمة.

وقريبا تفتح هذه المكتبة أبوابها لاستقبال الباحثين حاملة إسم (المكتبة الإسلامية، مكتبة الشيخ الإمام محمد الصادق النيفر)

ومخطوطات هذه المكتبة النيفرية أغلبها لم يطبع، ومنها نفائس قديمة يحمل بعضها الإجازات والسماعات.

وقد أمدني الشيخ محمد الشاذلي بوصف لعينة من مخطوطاته أوردها فيما يلي كما كتبها فضيلته :

1) أجزاء من تاريخ الخطيب البغدادي (463) بخط عبد الوهاب بن المبارك ابن أحمد الأنماطي (538) وهذه الأجزاء تجمع طباقات عدة منها مجالس طباقات حضرها الشيخ عبد القادر بن موسى الحسني أبي محمد الجيلاني (561).

---

(41) كان الشيخ الصادق النيفر من أشهر أصحاب المكتبات الخاصة بتونس وتعد مكتبته فريدة من نوعها كما جاء في (خزائن الكتب العربية في الخافقين 356/1).

2) شرح محمد بن عبد السلام الهواري المنستيري (749)، وهو الذي قال فيه النباهي : «ومن القضاة بحضرة تونس، وصدور علمائها في زمانه الشيخ الفقيه المدرس...» وقال في حق شرحه هذا : «وصنف كتبا منها شرحه لمختصر ابن الحاجب المتداول لهذا العهد بأيدي الناس» ومنه ثلاثة أجزاء : الثاني والثالث والرابع حقيقة.

3) مسودة الشيخ أحمد باب التنبكتي (1032) وقد وهب هذه المسودة إلى الشيخ أحمد بن محمد المقري (1041) وعليها خطه وفي الصفحة وجها إجازة الشيخ أحمد بابا إلى الشيخ أحمد المقري بخط المجيز.

4) اختصار شرح الأبي على مسلم للشيخ عيسى بن أحمد الهَندسي البجائيُّ عالمها ومفتيها، وقد اعتمد كثيرا تحريرات الأبي، وكان البجائيُّ خطيبا بجامع بجاية سنة (890).

هذا ولا كاد يعرف شيء عن المكتبات الخاصة التي توجد خارج العاصمة باستثناء المكتبة اللزامية في بنزرت شمال الجمهورية التونسية، وصاحبها عبد الرحمان اللزام الشريف، كان من أعيان بنزرت، ولكن لا تتجاوز مخطوطات هذه المكتبة العشرين كما يدل على ذلك فهرسها المطبوع بتقديم الشيخ معاوية التميمي سنة 1350 هـ.

الخزانة العلمية الصبيحية بسلا

د. محمد حجي

أستاذ بكلية الآداب ــ الرباط

الخزانة العلمية الصبيحية خزانة وقفية مفتوحة لعموم الباحثين، تضم ثلاثة أقسام : مخطوطات، ومطبوعات، ودوريات، باللغة العربية وباللغات الأجنبية. وقد وقف كتب هذه الخزانة منذ نحو 20 سنة باشا سلا العلامة المرحوم الحاج محمد الصبيحي، وأسند مهمة المحافظة عليها إلى ولده الأستاذ عبد الله الصبيحي الذي شيد للخزانة بناية فخمة في أحسن موقع بالمدينة ووقفها أيضا، وتفرغ لتنظيمها وتنمية مذخراتها حتى تضاعف عدد الكتب فيها مرات وما زالت تنمو باستمرار.

تحتوي هذه الخزانة على بضعة آلاف من المخطوطات العربية، فُهرس منها لحد الآن 1337 مخطوط في جزء أول نشره سنة 1985 معهد المخطوطات العربية بالكويت التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والجزء الثاني قيد الإعداد، وهو الذي سأتحدث لكم عنه، بعد إعطاء نظرة عامة عن مشمولات الخزانة.

مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية متنوعة شاملة لكل العلوم التي عرفها المسلمون، من شرعية، ولغوية، وعقلية، ودخيلة. ويغلب عليها الطابع العلمي، والرياضي ــ الفلكي بصفة خاصة، لأن الواقف الحاج محمد الصبيحي كان من أمهر الرياضيين الفلكيين، كما كان كذلك عدد من جدوده الذين تحتفظ الخزانة ببعض مؤلفاتهم ومنتسخاتهم في هذا الميدان. وتمتاز هذه الخزانة أيضا باحتوائها على مجموعات كاملة من مؤلفات طائفة من علماء سلا والرباط وفاس وأدبائها بخطوط مؤلفيها.

وهناك ظاهرتان تجدر الإشارة إليهما :

1 ــ يوجد في الخزانة الصبيحية عدد غير قليل من المخطوطات الغير المرتبة أو في شكل خروم، يبذل المحافظ جهده في تنظيمها وإصلاحها.

2 ــ تضاف إلى مذخرات الخزانة الصبيحية باستمرار مخطوطات أصلية أو مصورة على الورق من مختلف الخزانات الخاصة بالعدوتين سلا والرباط، وأهمها خزانة المؤرخ السلوي الشهير أحمد بن خالد الناصري مؤلف **الاستقصا**.

وقد صُنفت المخطوطات المفهرسة أو التي هي في طريق الفهرسة في عشرة أصناف :

1 ــ القرآن وعلومه، بما في ذلك المصاحف، وكتب التجويد والتفسير والرسم والضبط.

2 ــ الحديث وعلومه والسيرة النبوية.

3 ــ التوحيد والمنطق، والفقه وأصوله، والفرائض والوثائق.

4 ــ التصوف بإدخال الأحزاب والأوراد والأذكار والأدعية، والمواعظ والخطب والأمداح النبوية.

5 ــ اللغة وقواعدها والأدب.

6 ــ التاريخ بإضافة كتب التراجم، والمناقب والأنساب، والفهارس، والرحلات....

7 ــ الحساب، والفلك، والاسطرلاب، والربع المجيب، والتنجيم...(ونشير إلى أنه توجد بالخزانة مجموعة من الآلات الفلكية القديمة والحديثة)

8 ــ الطب، مع الأعشاب، والأزهار، والحيوان، والطيور، والموسيقى.

9 ــ الكيميا وما إليها من سر الحرف والخط، والرمل، والأوقاف...

10 ــ متنوعات، مثل التعليم، والسياسة، والتقاييد، والكنانيش...

وهذه نماذج من نفائس المخطوطات الأصلية أو المصورة على الورق التي هي في طريق الفهرسة :

صحيح البخاري عشاري التجزئة، بخط أندلسي جميل مشكول. من النفائس

كتاب الفتيا في الفقه على مذهب مالك، والرواة من أصحابه، تأليف محمد بن حارث بن أسد بن حارث الخشني القيرواني الأندلسي المتوفى عام 336 ضبط فيه الإصطلاحات والإشارات المفهمة في 64 بابا من أبواب الفقه، عبادات

ومعاملات، مبتدئا بباب الوضوء، ومنتهيا بباب أحكام الذمي. وهي من النوادر.

إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، لأحمد الونشريسي مؤلف المعيار، نسخة عتيقة عليها تعليقات وطرر مفيدة، وبآخرها تقاريظ.

الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، للسان الدين بن الخطيب، وهي بخط أندلسي جميل مشكول بالشكل التام.

زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي، نسخة ملوكية مذهبة مجدولة مشكولة جزئيا إلا أنها ناقصة تنتهي أثناء حرف الدال.

تبصرة الغافل، وتذكرة العاقل، لمحمد بن الطيب المريني، في التصوف ومكارم الأخلاق.

المقرَّب في وصف المجيَّب، لأحمد بن أبي حميدة المطرفي المراكشي، وهو من كبار الرياضيين الفلكيين في العهد السعدي. وله في الخزانة أيضا :

بغية ذوي الرغبات في شرح عويص رسالة المارديني في الربع المجيب من الميقات.

ديوان أدبي سعدي، يشتمل على قصائد ومقطعات مختلفة لشعراء القرن الحادي عشر الهجري / 17 م.

مجموع أسئلة وأجوبة مواضيع مختلفة، يبتدىء بسؤال لأحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي المراكشي موجه للحسن اليوسي في مسائل الإلهيات، والمنطق والبلاغة.. مع تعقيبات لأحمد بن يعقوب الولالي تلميذ اليوسي ومؤلف **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخبار**.

الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، لعبد الرحمان التمنارتي. من مصورات الخزانة الناصرية، نسخة جيدة تعزز المخطوطات الأصيلة والمصورة المعروفة لهذا الكتاب النفيس في خ.ع. و خ.ح.

الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، لمحمد بن عيشون الشراط، ومعه ذيله المسمى : التنبيه على من لم يقع به من الفضلاء تنويه.

الدرر المرصعة في أخبار صلحاء درعة، لمحمد المكي بن موسى الناصري.

المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا، لمحمد بن عبد السلام الناصري في جزأين. وتمتاز هذه المخطوطة بأنها كتبت في حياة المؤلف عام 1230

(ت 1239). وقد اختصر كتاب المزايا أحمد بن خالد الناصري صاحب الاستقصا في جزء لطيف.

الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان بن هشام، أو ديوان العبر في أخبار أهل القرن الثالث عشر / لأبي العلاء إدريس... من كُتّاب الوزير الأديب محمد بن إدريس العمراوي. تنقصه ورقة من الأول، وآخره غير تام، وقد ذكر المرحوم عبد السلام بن سودة أن به بترا من أصل مؤلفه الموجود بخطه في خزانة خاصة بفاس.

التنبيه المُعرب، عما عليه الآن حال المغرب، للحسن بن الطيب بوعشرين، خط مغربي جميل تحدث فيه عن الحسن الأول، وابنه عبد العزيز والثائر بوحمارة...

كشف العرين، عن ليوث بني مرين، لأحمد الناصري مؤلف الاستقصا بخطه. والملاحظ أنه يُدخل بني وطاس في دولة بني مرين، وينتهي مع ظهور السعديين.

غاية الأمنية في ذكر الأنساب الصقيلية، لعبد الواحد بن محمد الفاسي، ولعلها بخط المؤلف.

رسائل الشيخ أبي بكر محمد بناني الفاسي ثم الرباطي، وهي في التصوف والعقائد والسلوك. مجلد ضخم بخط أحد مريدي المؤلف من المرينيين السلويين.

رحلة إدريس الجعيدي السلوي، إلى أوربا أيام الحسن الأول، بخطه الجميل، وقد ذكرها الناصري في آخر **الاستقصا**.

وبالجملة فإن مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية التي لم تفهرس بعد تشمل مجموعة من الكتب الفقهية الأندلسية والمغربية لابن رشد الجد، والتسولي والرهوني وغيرهم، وأخرى في الفلك والتوقيت، واللغة والأدب وغيرها، مع عدد من المجاميع والرسائل، وكتب مشرقية في مواضيع متنوعة أحدها بخط مشرقي في غاية الحسن والرونق من القرن العاشر. إضافة إلى ما عثر عليه أخيراً من مؤلفات السلويين كأحمد بن عاشر الحافي، وعلي زنيبر، وأبي بكر بوشنتوف، وأحمد الصبيحي.

المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس الأمريكي وفي بعض دور الكتب الأمريكية

د. جورج ن. عطية

رئيس قسم المخطوطات والمطبوعات الشرقية
بمكتبة الكونجرس الأمريكي — واشنطن

مدخل :

ستكون كلمتي عرضا سريعا لمحتويات مكتبة الكونجرس من المخطوطات العربية، فأبين حجمها ووضعها من حيث مصادرها، ومن حيث الخدمات التي تقدمها المكتبة إلى الباحثين وإلى القراء عامة، ومن ثم سألقي نظرة سريعة على المشاريع المتعلقة بهذه المخطوطات، وأرفق هذا بملاحظات عامة عن وضع المخطوطات العربية في كبرى المكتبات الأمريكية.

ويجدر القول هنا أن البلاد الأمريكية دخلت ميدان المخطوطات العربية متأخرة، فقد كانت أوروبا سباقة في هذا الميدان، إذ نجد في مكتباتها المجاميع الغنية بنفائس المخطوطات التي اقتنتها منذ أجيال عديدة بوسائل مختلفة. وقد عاصر دخول أمريكا ميدان المخطوطات تنبه الدول العربية للاحتفاظ بتراثها مما جعل استجماعها أمرا صعبا. ولكن على الرغم من ذلك فقد تمكنت المكتبات الأمريكية من الحصول على العديد منها، ويمكننا القول بالتأكيد على أن المخطوطات المكتوبة بالخطوط العربية يزيد عددها على عشرين ألف مخطوطة منتشرة بين المكتبات الجامعية والعامة وفي المتاحف وعند عدد من الأفراد الأثرياء، أو الباحثين المهتمين بشؤون الشرق الأوسط. وقد ذكر السيد توماس مارتن في كتابه «مجاميع المخطوطات الإسلامية في أمريكا الشمالية» مائة وتسعة من المؤسسات العلمية التي تحتوي على مخطوطات

إسلامية، عربية، فارسية وتركية أكثريتها الساحقة عربية، كما وأنه يوجد عدد كبير من المخطوطات المصورة على الميكروفيلم.

وقد قامت جامعة نوتردام في ولاية انديانا بتصوير المخطوطات الإسلامية الموجودة في مكتبة الأمبروسيانا في ميلانو، وصورت جامعة نيويورك في مدينة بنقهامبتن مخطوطات الفاتيكان، كما قامت جامعة سانت جورج في كولجفيل في ولاية مينيوتا بتصوير بعض مخطوطات النمسا وإسبانيا ومالطا، وكانت مكتبة الكونجرس قد صورت في أوائل الخمسينات مجموعة من المخطوطات العربية واليونانية الموجودة في دير القديسة كاترينا في سيناء، وتحاول جامعة سولت ليك الحصول على نسخ من المخطوطات التي صورتها الجامعة العربية في مختلف أنحاء العالم وقد حصلت بالفعل على بعض منها.

مخطوطات مكتبة الكونجرس :

يحتوي قسم الشرق الأدنى في مكتبة الكونجرس على حوالي ألفين من المخطوطات الإسلامية في اللغات العربية والفارسية والتركية وعلى عدد قليل من المخطوطات غير الإسلامية في اللغة الأرمينية، ويبلغ عدد المخطوطات العربية حوالي ألف وسبعمائة مخطوطة في مختلف المواضيع، وقد عاين مؤخرا هذه المجموعة الدكتور عبد الفتاح الحلو، الأستاذ السابق في قسم المكتبات والمعلومات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ووضع عنها تقريرا نشرته مجلة «عالم الكتب» في عددها الصادر في شهر يناير سنة 1985.

تنقسم مجموعة المخطوطات حسب مصادرها إلى ثلاث مجموعات : هناك المجموعة التي وضع لها فهرسا الدكتور صلاح الدين المنجد حين زار مكتبة الكونجرس سنة 1961 ونشره سنة 1966 بعنوان «فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس بواشنطن». وأكثر ما في هذه المجموعة التي يبلغ عددها حوالي مائة مخطوطة اشترته المكتبة في الثلاثينيات من مكتبي أرمني الأصل يدعى كيفورك مينوسيان، كما اشترت منه عددا من الصحائف تتمثل فيها الخطوط العربية المختلفة من كوفية ونسخية ونستعليقية ومغربية، وبعض أجزاء من القرآن بالخط القيرواني وعددا من جلود الكتب يبلغ السبعين وأكثرها له صفة الندرة.

ومن المخطوطات القيمة في هذه المجموعة بعض مؤلفات نجيب الدين محمد بن

علي بن عمر السمرقندي (ت. 619 هـ) منها «الأدوية المعروفة المستعملة» و«الرسالة التي يدل بعضها مكان بعض من المعجونات والأقراص والأدوية المفردة»، وهناك مؤلفات محمد بن علي الحنفي الهاشمي «الأسس في العمل بالسيف والترس» و«الكفاية في علم الرماية» وهي بخط المؤلف نفسه ويعود تاريخها إلى سنة 999هـ.

ومن المؤلفات القيمة أيضا في هذه المجموعة كتاب «كنز الدقائق على مذاهب الإمام أبي حنيفة» لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، وهي نسخة نفيسة كتبت لخزانة السلطان الملك الظاهر أبي سعيد.

والمجموعة الثانية هي مجموعة الشيخ محمود الإمام المنصوري من هيئة كبار العلماء بالأزهر، وقد اشترت مكتبة الكونجرس مجموعة كتبه المخطوطة والمطبوعة سنة 1945 عندما قررت المكتبة إنشاء قسم خاص للشرق الأدنى. وتشتمل المجموعة على ألف وأربعمائة مخطوطة، تكثر فيها الكتب السائرة من حواشي وتقريرات، ولكنها تشتمل على عدد لابأس به من الكتب في الأصول والنوادر الخطية، ويتضح فيها حرص صاحبها على استكمال مراجعه من الفنون المختلفة، واستنساخ المؤلفات التي ظهرت لعلماء عصره والسابقين عليه مما لم يطبع، كما تضم موروثا عظيما من الكتب التي انتقلت إليه من آبائه.

ومن أهم ما تحتوي عليه هذه المجموعة في التفسير وعلوم القرآن «حاشية التفتزاني على الكشاف» منسوخة سنة 827هـ، و«حاشية السيد الشريف الجرجاني على الكشاف» وبحواشيها تقييدات على المواضيع المشكلة من الكشاف لابن شيخ علي الجيلاني منسوخة سنة 1068هـ. ومجدولة بالذهب. وأما في الحديث وعلومه فتحتوي المجموعة على عدد لابأس به نذكر منه «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» منسوخة سنة 1070هـ، و«الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» منسوخة سنة 1019هـ. وهي في مؤلفات جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. وهناك عدد من مؤلفات عبد الغني النابلسي منها «كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين»، و«المطالب الوفية في شرح الفرائد السنية في علم التوحيد» منسوخة في القرن الثاني عشر الهجري. ومن أهم ما تحتويه المجموعة في التوحيد وعلم الكلام نجد «رسالة في تلخيص السنوسية» لمحمد بن محمد بن إبراهيم الغمري الشافعي منسوخة بخط المؤلف سنة 1206هـ، و«تحفة المريد على جوهرة التوحيد» لإبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي منسوخة سنة 1257هـ. أثناء حياة المؤلف

المتوفى سنة 1277هـ، و«بديع المعاني في شرح عقيدة الشيباني» لنجم الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الشافعي بقلم نسخي جميل مشكول غير مؤرخ، و«رسالة في مسألة العقل والروح»، نسخة نفيسة قرئت على مصنفها شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية قرأها مسطرها محمد بن عبد الله بن أحمد، سبط بن رشيق المالكي، و«الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية» لأبي صلاح حسن بن عبد المحسن، المشهور بأبي غربه بقلم نسخي جميل من القرن الثاني عشر. وتحتوي المجموعة على العديد من كتب الفقه، منها «العقد الفريد في أحكام التقليد» للسيد علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي الحسني الشافعي منسوخة سنة 1008هـ. بقلم معتاد، و«وقاية الرواية في مسائل الهداية» لبرهان الشريعة محمود بن أحمد بن عبيد الله المحبوبي منسوخة سنة 859هـ، و«قلائد الفرائد وموائد الفرائد في غرائب فقه الإمام أبي حنيفة النعمان»، لعبد الغني النابلسي وهي بقلم نسخي من القرن الثاني عشر، و«من لا يحضره الفقيه» لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي منسوخة سنة 1110 هـ. وهناك عدد من المخطوطات في المنطق واللغة والبلاغة والأدب والتاريخ والطب.

المجموعة الثالثة معروفة بمجموعة جيكوب بيكر، وقد أهديت إلى مكتبة الكونجرس حديثا أي سنة 1983م، وهي تضم عددا من المخطوطات الفارسية والتركية وفيها مخطوطة «تفسير القرآن» لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي منسوخة سنة 692هـ، و«في معرفة أنواع الحديث» وهي مقدمة ابن صلاح وهي نسخة نفيسة متقنة من سنة 755هـ، و«لسان الحكام في معرفة الأحكام» لابن الشحنة الحلبي منسوخة سنة 991هـ.

وتكون المجموعات الثلاث مكتبة خطية لابأس بها، ولكن لسوء الحظ فإنها تحتاج إلى فهرسة كاملة، كما تحتاج إلى صيانة أكثر وأحسن، وهذا ما تسعى إليه مكتبة الكونجرس، وقد تعاقدت مؤخرا مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، على أن يقوم المركز بفهرسة هذه المخطوطات وتصويرها على الميكروفيلم مقابل نسخة ميكروفيلمية عن كل مخطوطة.

المخطوطات في دور الكتب الأمريكية :

إن مجموعة المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس ليست أكبر مجموعة في مكتبات الديار الأمريكية، فهناك عدد من المكتبات الجامعية حيث توجد دراسات

شرق أوسطية تحتوي على مجموعات ممتازة منها جامعة بدنستون التي تملك أعظم مجموعة من المخطوطات الإسلامية في الولايات المتحدة تزيد على العشرة آلاف مخطوطة، ويعود الفضل في اقتناء هذه المجموعة إلى الدكتور فيليب حتي، اللبناني الأصل، والذي كان أول من شق الطريق إلى إدخال الدراسات العربية في البرامج الأكاديمية للجامعات الأمريكية كأحد حقول الاختصاص. وقد نشرت جامعة برنستون حتى الآن ثلاثة فهارس لتلك المخطوطات، صدر الأول سنة 1931 بمساهمة الدكاترة فيليب حتي ونبيه أمين فارس وبطرس عبد الملك، وقام على إعداد الفهرس الثاني الأستاذ رودولف ماخ ونشرته مطبعة برنستون سنة 1977 وهو مقسم حسب المواضيع إلى اثنين وسبعين قسما في كل حقول المعرفة، وقام بنشر الفهرس الثالث الدكتور أريك أورمسبي سنة 1987 م، ويحتوي هذا الفهرس الأخير على قائمة من المخطوطات الشيعية، أكثرها في أصول الفقه والحديث، وعلى عدد من المخطوطات المغربية، وعدد آخر من المخطوطات الطبية أهمها «شرح تشريح القانون» لابن النفيس، وبين مخطوطات برنستون النفيسة «شرح الاصطرلاب» للطوسي ومجموعة تشتمل على 113 رسالة في العلوم الرياضية والزيج والمواقيت وأحكام النجوم والهيئة والهندسة وصناعة الساعات الظلية، ومنها «كتاب النيازك» لأرسطوطاليس نقله إلى العربية حنين بن إسحق.

وتشتمل مكتبة البحث العلمي في جامعة كالفورنيا بمدينة لوس أنجليس على الكثير من المخطوطات الإسلامية خصوصا في اللغة التركية، وتضم مجموعاتها العربية مخطوطات طبية نادرة، وقد فهرس الدكتور ألبرت إسكندر المخطوطات الطبية والعلمية ونشرت الفهرس دار بريل في مدينة ليدن الهولندية سنة 1984 كما أن الدكتور أحمد عبد المجيد الهريدي، مدرس العلوم اللغوية في جامعة المينا بمصر أعد قائمة لبعض المخطوطات العربية. وتمتاز مجموعة كالفورنيا الطبية بما تحتويه من مؤلفات ابن النفيس وابن سينا وخصوصا مخطوطات ابن النفيس.

وتحتوي مكتبة جامعة هارفارد على حوالي 800 مخطوطة في اللغة العربية، أكثرها يخص متحف الدراسات السامية، ولكنها موضوعة تحت رعاية مكتبة هوتون والإثنتان تابعتان للجامعة نفسها. ولهذه المجموعة قائمة غير مطبوعة تشتمل على مخطوطات قيمة منها «كتاب الناسخ والمنسوخ» لمحمد بن عبد الله الأسفرائيني، و«خلاصة التحقيق» نسخة ملوكية كانت في خزانة شاه جهان بالهند، و«كامل

الصناعة الطبية» للمجوسي، و«شرح كتاب تلخيص المفتاح» للتفتازاني وعدد آخر من المخطوطات الطبية لابن البيطار وابن النفيس وابن سينا.

ومكتبة مدينة نيويورك العامة هي من أهم المكتبات في الولايات المتحدة وتحتوي على أكثر من 600 مخطوطة في قسمها الشرقي منها مخطوطة مصورة جميلة ونادرة «لعجائب المخلوقات» للقزويني، و«حياة الحيوان الصغرى» للدميري، و«قلائد العقيان» للفتح بن حاقان تعود إلى القرن العاشر الهجري، وتقوم الآن بربارة شمتز بتهيئة قائمة لكل المخطوطات الشرق أوسطية الموجودة في المكتبة.

ولا يسعنا في هذه العجالة إلا أن نذكر مجموعات جامعة يايل، ومدرسة هارتفورد اللاهوتية، وجامعة ميتشغن، وفي كل منها عدد كبير من المخطوطات الجميلة والمهمة.

وفي الختام يمكننا القول إن المجموعات الأمريكية تكون أكثرها خلال هذا القرن عن طريق الشراء والإهداء، وأن معظمها لايزال بدون فهرسة ولكنها محفوظة حفظا جيدا

وتقدم المكتبات الأمريكية على العموم خدمات عديدة إن كان في الصيانة أو في الحفظ أو في توفير المعلومات المتوفرة عن المخطوطات أو استنساخها للباحثين المحتاجين إليها. كما أنها لا تتوانى في مساعدة الباحثين عموما في كل الحقول المتعلقة بالمخطوطات.

وضعية المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس وفهرستها ــ المكتبات الأخرى المخطوطات المغربية والإفريقية

الأستاذة ايفيت سوفان

قسم المخطوطات الشرقية بالمكتبة الوطنية
الفرنسية ــ باريس

علينا أن نفتح صحيفة تاريخية لنعرض عليكم رصيد المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس.

يحتوي هذا الرصيد على مائتين وسبعة آلاف مخطوطة. حصلنا عليها منذ خمسة قرون مضت، وهي متنوعة المواضيع، فنجد العلوم الدينية، والعلوم الإنسانية، والعلوم المحضة، مثل التأريخ والأدب والرياضيات وكذلك الوثائق.

ومن بينها نسخ قديمة وحديثة، وأمام هذا الاختيار أكتفي أن أميز النصوص التي اقتنيناها آخرا.

وفي أول الأمر أذكر تأريخ الرصيد باختصار وإيجاز، وسأذكر الفهارس المختلفة حتى يومنا هذا، ولماذا نراجع الرصيد بقواعد جديدة ؟.

* * *

يرجع تاريخ الاهتمام بالمخطوطات العربية إلى عصر النهضة حيث نشأت مع رواد التيار الإنساني الدراسات العربية الكلاسيكية، وكان الهدف منها تحقيق النصوص القديمة وإطلاع أوروبا على العلوم الشرقية.

كانت لفرنسا علاقات ديبلوماسية مع المغرب الأقصى، كان قنصل يقيم بفاس سنة ألف وخمسمائة وثمان وسبعين.

أقام هوبرت (Hubert) بمراكش وكان أستاذا بالمعهد الفرنسي (College de France) ودرّس فيه ترجمة ابن سينا.

وكانت آنذاك لفرنسا علاقات بالشرق الأوسط بواسطة البعثات الثقافية التي عملت على توطيد العادات الإنسانية.

وبعد مدة، كولبار (Colbert) وزير لويس الرابع عشر أعطى توجيهات لشراء المخطوطات فيما يتعلق بالدين والتاريخ والجغرافيا والطب وغيرها.

وحينئذ اكتشف جلان (Galland) وهو المترجم المشهور «لألف ليلة وليلة» بقسطنطينة «كشف الظنون» لحاجي خليفة وترجمه إلى اللغة الفرنسية، وهذا الكتاب صار مرجعا هاما لتوجيه اكتشافات المخطوطات.

بعد هذه الترجمة المهمة والعظيمة، حرر هذا العالم تمهيدا لـ «المكتبة الشرقية» لديربيلو (D'herbelot) مدرس في المعهد الفرنسي، وهذا الكتاب مجموعة للتآليف المشهورة على الشرق في القرن السابع عشر الميلادي.

وفي مقدمة هذا الكتاب عجب جالان (Galland) للمؤرخين الشرقيين الذين شهروا الملوك والأعلام المعروفين، وأشاد بالجغرافيين العرب ونوه باهتمامهم ودور المنجمين في هذا العلم. ومن بين مخطوطات هذا العهد نجد مختصرا لكتاب «نزهة المشتاق» للشريف الإدريسي وهو نص روما ونجد كتاب أبي الفدا «تقويم البلدان» وكان هذا الأمير مشهورا في ذلك القرن وأيضا مسودته «مختصر في أخبار البشر» وبجانب آخر عندنا نص ريطوريقا وقاطيغورياس لأرسطوطاليس مع حواشي حسن بن سوار تلميذ ابن عدي وقوبلت هذه المخطوطة وصححت عام ثمانية عشر وأربعمائة هـ. (1027 م).

كانت مكتبة الملك تحتوي في بداية القرن الثامن عشر، ألف وسبعمائة مخطوطة وبعد ذلك أممت مكتبات كبار الأديرة أيام الثورة الفرنسية وأضيفت مخطوطاتها بالمكتبة الوطنية وبعد ذلك وقع فراغ في الدراسات العربية حتى ازدهارها مع العالم سيلفاستر دي ساسي (Sylvestre De Sacy) الذي جدد المدرسة للغات الشرقية وأسس الجمعية الآسيوية عام اثنين وعشرين وثمانمائة وألف وهو راسل العلماء في كل العالم، وشجع نسخ المخطوطات في فرنسا وبقية البلدان لجمع النصوص المهمة.

لا أتحدث عن المخطوطات التي تم اقتناؤها في ذلك العهد لقد نشرت أغلبها سأذكر مثلا «الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية» و«مؤنس في أخبار إفريقيا وتونس» هذا يخص التأريخ ولنا نصوص أخرى «كإزالة العبوس في قصيدة ابن عروس» للخلوتي أو «مختصر جغرافيا» علي بن سعيد المغربي.

* * *

في ما يخص المقتنيات الأخيرة فقد تم شراؤها من مختلف المكتبات التجارية، وكذلك الحصول عليها من الهبات والهدايا من شخصيت مختلفة. وهذا ما يفسر التسلسل المستمر لجمع الرصيد، وتنوع مواضيعه.

ولذلك فإن المجموعات التي أهديت إلى قسم المخطوطات الشرقية تزيد في تنمية الرصيد زيادة ملحوظة وفريدة بوحدة الوثائق وتستحق عرضا خاصا. ومثل ذلك مجموعة ج. كولان ((Georges S. Colin : 1977/1893)، ومخزون (Dépot) مخطوطات الجمعية الآسيوية.

في عام ألف وتسعمائة وثمانين، أهديت مكتبة ج. كولان (G.S. Colin) الخاصة للمكتبة الوطنية. والمعروف عنه أنه اشتغل بمدرسة اللغات الشرقية الحية، كما ساهم في أعمال معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

وقد أدرجت جميع دفاتيره التي تبلغ الثلاثمائة في رصيد أوراق المستشرقين (Papiers D'orientalistes). وتتعلق تلك الأوراق بمختلف محاور اهتمامه، كلغة غناء أهل غرناطة، والأغاني المغربية، وأغان لإنامة الأطفال؛ ولغات أخرى كالمالطية والصقلية والمغربية الدارجة.

كما قام الأستاذ كولان بنشر ديوان ابن قزمان، وبعض الحكايات والقصص، وروايات منقولة خصوصا عن مراكش.

واهتم بدراسة أعلام الشعر الأندلسي، في الزجل والموشحات، وممثليه في المغرب. وسجل عددا كبيراً من الملاحظات حول ابن سهل، وابن عروس، وابن العاصم، والششتري؛ وأخرى في الجغرافية، كجغرافية الزهري وابن سعيد المغربي.

وقام جورج كولان (Georges S. Colin) بإعداد قاموس مغربي. والمكتبة الوطنية بباريس تحتفظ بمدوناته، ورسائل بعض المرشدين له؛ أما البطاقات التي تتصل بها فتم تسجيلها في رصيد المخطوطات العربية، وتكمل الدفاتير.

كما أنه أفرز أصولاً لتهييء معاجم خاصة بلغة الغناء بغرناطة، أو بلغة ابن قزمان.

سجل بطاقات في أسماء أماكن إسبانيا وغرناطة وأحصى إرشادات لوضع مجموعة بطاقات في التاريخ والجغرافيا وجمع قائمات المؤلفين.

وبجانب مجموعة مخطوطاته سجلت في رصيد المخطوطات العربية (رقم 7003 — 7048 — 7069 — 7074 — 7077 — 7084) دواوين وأبيات الشعر التي كانت قاعدة ملاحظاته في الدفاتر، بحيث نجد ترجمات مختلفة لكناش الحائك، ودواوين أزجال وموشحات.

نجد أيضا نبذة تأريخية عن شمال افريقيا، واتصالاتها مع أوروبا، كرحلة ابن قاسم الحجري التي تصف رحلته إلى فرنسا وهولاندا أيام مولاي زيدان، إضافة إلى طبقات أولياء زوايا موريتانيا والسينغال.

وفي عام ألف وتسعمائة وإحدى وثمانين وضعت مخطوطات الجمعية الآسيوية في المكتبة الوطنية (7086 — 7167) وأغلبها يتصل باهتمام مؤسسها الذي ذكرناه وهو سيلفاستر دي ساسي الذي أراد أن يجمع مراجع في النحو لأعضاء الجمعية والكتب التأريخية الغير مدروسة حتى هذا الآن كتكملة ابن الأبار، والحلة السيراء لابن الأبار، وبعضها نسخت على نسخ الايسكوريال، كالصلة لابن بشكوال، والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار وروضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة مما يفسر لنا نشاط علماء هذا العهد.

كما قامت الجمعية الآسيوية بجمع مخطوطات (الدكتور ريشير رقم 7131 — 7161 Docteur RICHER) الذي عاش في النيجر، وقام بدراسة لغة التوارق في خلال كتابه عن الأوليميدان (OULIMIDEN)، مستعملا في ذلك مجموعة من المخطوطات والنصوص الكلاسيكية، والوثائق التي تخص جماعة الكنتي البكائية ضمن الطريقة القادرية. وجعلت الجمعية تلك الوثائق في خدمة الباحثين لتكميل معلوماتهم عن إفريقيا الغربية، إلى جانب مجلدات خزانة الحاج عمر تل مؤسس امبراطورية توكولار (TOUCOULEUR).

ويمكن الاستفادة من تلك المجموعات فيما له صلة بالعلاقات بين المسلمين والتوارق، ضمن حدود مالي والنيجر. وكذلك ماله اتصال بالحياة اليومية والدينية، وماله ارتباط مع معتقدات أهل الكتاب لسكان المنطقة.

إن بعض نصوص هذه المجموعات هي من تأليف ممثلي الكنتي، وخصوصا محمد بن المختار بن حبيب الله، أو أولاد الشيخ سيدي المختار الكبير.

بجانب هذه المجموعات نجد نسخا في العلم الذي اشتهر به العرب باكرا، مثلا الزيج للبتاني مؤرخ من القرن الخامس الهجري، والقانون للمسعودي مؤرخ من القرن السادس الهجري، وعندنا مجموع مؤلفات جابر بن حيان الذي يرجع تأريخه إلى القرن السابع الهجري.

لقد حصلنا أخيرا على نسب تاريخ الشرفاء بمدينة فاس، وخصوصا الأدارسة والحسينية وهو يجمع «الدر السني في بعض من فاس من أهل النسب الحسني» لعبد السلام القادري، والكلام عل الحوطية، و «مطلع الإشراق في نسب الشرفاء الواردين من العراق» و«تقاريظ على مطلع الإشراق»، و«الجواب في النسب الحسني» لأحمد بن عبد القادر الحسني. وهذه النبذ تستحق المقارنة مع ما طبع بفاس. وهذه النسخة مؤرخة 1146هـ/1734 م.

وقد أتممنا فهرسا عاما للمقتنيات الأخيرة (Arabes N° 6836-7214- Paris 1987 Index des manuscrits).

الآن نرجع إلى تأريخ الرصيد لنصف الفهارس المختلفة حسب تاريخها.

كما ذكرناه سابقا فقد تم طبع أول فهرس Catalogue لمخطوطات المكتبة الملكية عام ألف وسبعمائة وتسعة وثلاثين، بلغ مجموع هذه المخطوطات إلى 1660 (ألف وستمائة وستين نسخة) وقد وصفوها باللغة اللاتينية باختصار.

وفي آخر القرن التاسع حرر البارون دي سلان Baron De Slane فهرسة جديدة، وبذل جهدا علميا لأنه أعطى تفاصيل حول المؤلفين، والنشر، وأضاف إرشادات على النسخ كمقياس الورق، وعدد الأوراق. وكانت المجموعة تبلغ 4665 مخطوطة ثم في عام 1925 أتم إدقار بلوشي الفهرسة (Edgard Blochet) وكانت تجمع 6753 مخطوطة.

وقد شعرنا بالضرورة أن نحرر فهرسة أخرى بقواعد جديدة وبدأنا بالمخطوطات المسيحية مع الأستاذ تروب (Pr Gerard Troupeau)، وراجعنا مع الأستاذ جورج فاجدا (P.Georges Vajda) المخطوطات الإسلامية حتى الرقم 1464 نقسم البطاقة على قسمين، القسم الأول على النص الأساسي، ونصف البداية. والقسم الثاني

على النسخة. وهي تقسم أيضا على اثنين، الأولى على تاريخ النسخة والخط، ومن ملكها وقرأها، وتاريخ إضافتها إلى مجموع الرصيد منذ عهد الملوك، وتدوين الأرقام القديمة حتى الآن. والثانية المقاييس، وعدد الأوراق والسطور ومقياسها ووصف التجليد.

وختاما قد عرضت عليكم باختصار وإيجاز النصوص الفريدة من نوعها قصد إيجاد طرق تتمم عملنا.

وضعية مخطوطات
خزانة الجامع الكبير بمكناس

الأستاذ محمد العرائشي

محافظ خزانة الجامع الكبير سابقا

المحور الأول : التعريف بالخزانة

من المعلوم أن موقع البلد الذي توجد به خزانة الجامع الكبير هو مدينة مكناس، العاصمة الإدارية والسياسية للدولة المغربية، في عهد السلطان المولى إسماعيل المتوفى بها في 28 رجب عام 1139هـ/ 1727م.

وموقع المدينة على الخريطة المغربية، هو المنطقة الجنوبية الوسطى حسب الاصطلاح الإداري الجديد، يحدها شمالا إقليما سيدي قاسم والقنيطرة، وجنوبا إقليما يفرن وخنيفرة، وشرقا إقليما فاس وبولمان، وغربا إقليم الخميسات، وتبعد عن العاصمة الإدارية : الرباط بـ 140 كلم.

أما الخزانة فتقع داخل المدينة القديمة، بحي يرجع تاريخه إلى عهد الدولتين الموحدية والمرينية، يسمى الآن شارع العدول، حذو أحد أبواب الجامع الكبير الغربية، المعروف قديما بباب الكتب، نقلت إليه الخزانة من مركزها القديم، الواقع في أعلا ساباط الأسبوع، الواقع مدخله في الصف الأول من الجامع الكبير، أوائل الخمسينات، في عهد المغفور له جلالة محمد الخامس، حيث أصبحت مكتبة عامة تضم بالإضافة إلى قسم المخطوطات قسما هاما للمطبوعات، ونظرا لكونها الآن تحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية فإنها تزودها بكل ما جد في عالم المطبوعات، طبقا للتعاليم السامية لجلالة الحسن الثاني نصره الله، إلا أن متطلباتها أصبحت الآن تفوق حجمها الضيق، نظرا للإقبال الواقع عليها من طرف الطلبة والأساتذة الباحثين من داخل المغرب وخارجه.

المحور الثاني : مخطوطات الخزانة

أ) يبلغ عدد المؤلفات الخطية الموجودة بالخزانة خمسمائة وأحد عشر مخطوطاً (511).

ب) طريقة دخولها للخزانة، دخلت الكتب إلى الخزانة في فترات متفاوتة بطريقة التحبيس، من طرف ملوك وخواص، أو شراء من وفر غلة الحبس.

المحور الثالث : عناية بعض الملوك بها

لقد وجهت العناية إلى هذه الخزانة التي أسست في العهد المريني، من طرف ملوك سعديين وعلويين حيث أوقفوا عليها عدة كتب.

فمن ملوك الدولة السعدية : أبو العباس أحمد المنصور وأبناؤه زيدان وأبو فارس، ومن ملوك الدولة العلوية : مولاي رشيد ومولاي علي يعرف بالأعرج ومولاي المستضيء وسيدي محمد بن عبد الله ومولاي عبد الرحمن ومحمد الخامس وجلالة الحسن الثاني.

المحور الرابع : التعريف بنوادر مخطوطات الخزانة حسب تصنيفها.

أولا : المصاحيف

1) جزء من مصحف شريف مبتور الوسط يبتدىء من قوله تعالى : «واعلموا أنما غنمتم من شيء» الآية 41 من سورة الأنفال إلى قوله : «إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء» الآية 92 من سورة التوبة مكتوب في رق الغزال بخط مغربي جميل مشكول رقمه بالخزانة : 244.

2) جزء آخر من مصحف شريف يبتدىء من قوله تعالى : «ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون» الآية 102 من سورة البقرة إلى قوله : «وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين» الآية 37 من سورة الأعراف مكتوب بخط أندلسي مشكول بالحمرة. رقمه : 245.

3) جزء من مصحف شريف يبتدىء من أول سورة من القرآن إلى قوله تعالى : «واذكروا الله في أيام معدودات» الآية 203 من نفس السورة كتب بخط مغربي جميل مشكول بالأحمر والأخضر. من تحبيس المرابط «أبي العباس بن عبد

الهادي بن محمد الشرقي» على روضة سيدي أحمد بن خضرا بمكناس أواخر شعبان عام 1155هـ / 1742م، رقمه : 247.

4) جزء من مصحف شريف يبتدىء من سورة : ص إلى آخر سورة الجاثية : «وله الكبرياء في السماوات والأرض» الآية 37 مخروم الأطراف خطه مغربي وسط مشكول بالأحمر والأزرق مع كتابة السور بماء الذهب. حبس من طرف القائد سيدي الخياط الدكالي الهلالي أحد وصفاء السلطان المولى إسماعيل على الجامع الأعظم الذي بناه السلطان المذكور برياض العنبر بتاريخ 16 جمادى الثانية عام 1105هـ/ 1694م رقمه : 243.

5) جزء من مصحف شريف، يبتدىء من قوله تعالى : «الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة» الآية 87 من سورة النساء إلى قوله : «ولكن كثيرا منهم فاسقون» الآية 81 من سورة المائدة. كتب بخط مغربي وسط مشكول بالحمرة. من تحبيس الحاج العباس بن المهدي الشرقي على روضة سيدي أحمد بن خضرا بتاريخ أواخر شعبان عام 1155هـ/ 1742م رقمه : 247.

ثانيا : التفسير

1) الجزء الخامس من تفسير «الكشف والبيان» لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفى سنة 427هـ/1036م يبتدىء من قوله تعالى : «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب» الآية 4 من سورة الإسراء إلى قوله تعالى : «ولقد آتينا موسى الكتاب» الآية 35 من سورة الفرقان مكتوب بخط مغربي جميل مع كتابة الآيات بالحمرة اشتري من وفرة غلة. حُبس مسجد سيدي اليابوري بمكناس بتاريخ 1121 هـ/1710 م. وحبس عليه بإشهاد عبد الوهاب بن الحاج محمد العرائشي. ورقمه بالخزانة 20.

2) جزآن من التفسير أعلاه يقعان في مجلد ضخم يبتدىء الأول بالآية 13 : «ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا» من سورة يونس وينتهي بأول سورة الإسراء، ويبتدىء الثاني بالآية 101 «ولقد آتينا موسى تسع آيات» من سورة الإسراء، وينتهي بالآية 15 «ثم إنكم بعد ذلك لميتون» من سورة المومنون، مكتوب بخط مغربي وسط من تحبيس السيد الحسن بن مالك العلمي على مسجد الصاباط بمكناس بتاريخ 18 رمضان 1266هـ/1850م رقمه 21.

3) أجزاء ستة منه مكتوبة بخط مغربي متنوع محبسة على مسجد الصاباط بمكناس بتاريخ 1157هـ/1745م رقمها 174.

4) مجلدان منه كتبا بخط مغربي متنوع، وفي آخر الجزء الثاني كتب : «وكان الفراغ منه ضحوة يوم الجمعة 14 ذي القعدة عام 1006هـ/1598م على يد محمد عبد القادر بن دادوش الأوسي حبسه على مسجد صاباط ابن زغبوش بحومة البراذعيين بمكناس عام 1089هـ/1679م» وصاباط ابن زغبوش هي الصابة المذكورة أعلاه رقمها 298.

5) جزء تام من تفسير «الكشاف من حقائق غوامض التنزيل» للزمخشري محمد ابن عمر المتوفى سنة 538هـ/1144م يبتدىء بتفسير سورة الفاتحة، وينتهي بتفسير آخر آية من سورة الأنعام. كتب بخط أندلسي حبسه السلطان مولاي علي بن إسماعيل[1] بتاريخ ثالث ذي القعدة عام 1147هـ/1735م. مختوم بالطابع الملكي[2] رقمه 145.

6) جزء آخر منه يبتدىء من سورة السجدة إلى الختم كتب بخط أندلسي. من تحبيس السلطان مولاي علي بن إسماعيل على الخزانة أواسط ذي القعدة عام 1147هـ/1735م مختوم بالطابع الملكي رقمه 253.

7) جزء آخر تام يبتدىء بتفسير فاتحة الكتاب، وينتهي بتفسير آخر آية من سورة الكهف، كتب بخط أندلسي. ناسخه محمد بن حسن بن محمد الرعيني، فرغ من كتابه في العشر الوسط من محرم عام 606هـ/1209م رقمه 182.

8) جزء من تفسير «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911هـ/1505م مبتور الأول، أوله يشرح الآية 5 من الزخرف «أفنضرب عنكم الذكر صفحا» وآخره بتفسير آخر... آية من سورة الناس، مبتور الأول كتب بخط مشرقي، ناسخه صفي الدين بن الشيخ

---

(1) يعرف بمولاي علي الأعرج، بويع عام 1147هـ/1735م وعزل عام 1149هـ/1737م ومات فجر 1170هـ.

(2) صورة الطابع الملكي بيضوية الشكل ونص ما بداخله «أمير المومنين أبو الحسن علي الشريف ابن أمير المومنين إسماعيل الشريف الله وليه ومولاه» وبدائرته «لا إلاه إلا الله وحده صدق الله وعده ونصر عبده لا إلاه إلا الله الأمر كله لله» ج 5 اتحاف ص 447.

شهاب الدين أحمد العدولي الشافعي بتاريخ 15 ربيع الأول سنة 977هـ/1570 م من تحبيس السلطان مولاي المستضيء بن إسماعيل[3] رقمه 114.

9) جزآن من التفسير المذكور أعلاه، تامان يبتدىء الأول بتفسير سورة الفاتحة، وينتهي بتفسير سورة ــ ص ــ ويبتدىء الثاني بتفسير تتمة سورة ــ ص ــ إلى الختم. وفي آخره فرغ مؤلفه من تبييضه يوم عيد الفطر سنة 898هـ/1493م ناسخه محمد بن محمود الفلالي. حبسه السلطان المولى المستضيء بن إسماعيل على الخزانة بتاريخ 9 رجب عام 1155هـ/1743م وخطه مغربي وسط رقمه 116.

10) جزآن من تفسير «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري المالكي الأشعري المتوفى بمدينة الجزائر سنة 875هـ/1471م يقعان في مجلدين، يبتدىء الأول منهما بالفاتحة، وينتهي بتفسير آخر آية من الإسراء «ولم يكن له ولي من الذل» ويبتدىء الثاني بتفسير الآية 45 «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا» من سورة الكهف إلى الختم. ويليه معجم مختصر في شرح ما وقع في كتاب الجواهر من الألفاظ العربية كتب بخط مغربي وسط. نسخ الجزء الأول منه عياد بن محمد بن عبد الرزاق الناصري التجمْدري الدرعي بتاريخ أواسط ذي القعدة عام 920هـ/1515م. والثاني فرغ من نسخه في ذي القعدة عام 866هـ/1462م وكتب في آخره ما نصه : صحت المقابلة بقدر الاستطاعة من أصل ما ألفه على يد العبد المعترف بذنبه محمد بن عبد الرحمن بن مخلوف. ذكره في معجم المطبوعات رقم 661 وذكر أيضا أنه فرغ من تأليفه سنة 833هـ/1430م وذكره أيضا الدكتور عبد الله محمود شحاتة في كتابه تاريخ القرآن والتفسير ص 167 وقال : وقد طبع هذا التفسير بالجزائر في أربعة أجزاء ومثله في الربع الرابع من كتاب الفكر الأساسي لمحمد الحجوي الثعالبي. وفي الجزء الثاني من تاريخ الجزائر العام ترجمة للثعالبي من ص 262 إلى ص 264 حبسها السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ 17 جمادى الثانية عام 1175هـ/1762م رقمه : 70.

---

(3) بويع المستضيء بعد خلع أخيه محمد ولد عربية في ربيع I سنة 1151هـ/1737م وانصرف عن الملك سنة 1164هـ/1751م وتوفي سنة 1173هـ/1760م، ج 4، اتحاف ص 333 وج 8 من الاعلام للزركلي، ص 106 وج 4 استقصا ص 69.

11) السفر الثالث من أسفار ستة من «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لأبي محمد عبد الحق بن غالب المحاربي الأندلسي الغرناطي الشهير بابن عطية المتوفى سنة 541هـ أو 542هـ/1148م. يبتدىء بتفسير سورة المائدة وينتهي عند الآية 111 «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب» من سورة يوسف. خطه مغربي جميل من تحبيس السلطان أحمد المنصور السعدي[4] وبأوله تصحيح وثيقة للتحبيس بخط يد المحبس بتاريخ ذي القعدة عام 1008هـ/1600م رقمه 120.

12) جزء واحد من تفسير «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمؤلفه أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المولود بالقيروان عام 335هـ/966م والمتوفى بقرطبة في محرم سنة 437هـ/1045م. يبتدىء بتفسير الآية 2 «وآتو اليتامى أموالهم» من سورة النساء، وينتهي بالآية 204 «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له» من الأعراف خطه مغربي وسط. ويعد من نوادر المخطوطات. وقد ذكر المترجمون للمؤلف أن تفسيره يشتمل على 70 جزءا.

وقد تم إصلاحه أخيرا بوزارة إحياء التراث بإيطاليا بواسطة وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب[5].

13) جزء من تفسير «غريب القرآن على حروف المعجم» تأليف أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة 330هـ/942م وقيل ابن عزير نسبة لبني عزرة. وقد طبع على شكل قاموس بتصحيح نور الدين النعساني ج. 3 من فهرس مخطوطات خزانة القرويين ص 48 محيلا على معجم المطبوعات مكتوب بالسواد بخط أندلسي مبتور الأخير مخروم الأطراف. يبتدىء من حرف الهمزة وينتهي إلى حرف لام الألف. مما رواه عنه أبو عمرو عثمان بن أحمد الرزاز رواية أبي القاسم عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر السفطي ذكره في معجم المطبوعات رقم 1008. من تحبيس أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ 16 جمادى الثانية عام 1175هـ/1762م رقمه 384.

---

(4) هو أبو العباس أحمد المنصور المعروف بالذهبي بويع سنة 986هـ/1578م وتوفي بفاس بالوباء الذي عم المغرب في ربيع الأول عام 1012هـ/1603م.

(5) انظر التعريف بأبي طالب ج 3 من أنباء الرواة للوزير القفطي علي بن يوسف وبغية الوعاة للسيوطي وبـ ج 8 من أعلام الزركلي.

14) جزء من تفسير لم يعرف مؤلفه للبتر الواقع بأوله وآخره، وهو تفسير بالإشارة على طريقة أهل التصوف، يبتدىء بالآية 85 من الإسراء «ويسألونك عن الروح» وينتهي بالآية 41 من سورة هود «وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها» كتب بخط مغربي وسط، رقمه : 420.

ثالثا : الحديث

1) الجزء الثالث من كتاب «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني الشافعي المصري المتوفى سنة 923هـ/ 1517م، أوله كتاب البيوع وآخره باب الطعام عند القدوم من السفر، فرغ منه مؤلفه في يوم السبت 27 ربيع الثاني عام 916هـ/1511م. كتب بخط شرقي مع كتابة تراجمه بالحمرة. ناسخه أحمد بن ناصر السلموني المالكي في 26 جمادى الأولى... من تحبيس السلطان المولى علي بن إسماعيل على خزانة الجامع الكبير بتاريخ أواسط ذي القعدة عام 1147هـ/ 1735 م، رقمه : 8.

2) الجزآن الثاني والثالث من «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» أولهما باب الجنائز إلى باب ما ذكر عن بني إسرائيل. كتب بخط مغربي جميل مع كتابة الأحاديث بالحمرة حبسا على مسجد جامع النجارين بمكناس بتاريخ أوائل رمضان عام 1159هـ/1747م.

3) جزء آخر يبتدىء بحديث : كان النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة وينتهي بباب حكم ميراث الأسير، كتب بخط مغربي وسط. حبسه السلطان سيدي محمد بن عبد الله[6] على خزانة الجامع الأعظم على يد الناظر عبد الواحد المسطاسي بتاريخ 17 جمادى الثانية عام 1175هـ/1762م رقمه : 9 مكرر.

4) الجزء الخامس من نسخة أخرى منه، خطه شرقي مع كتابة الأحاديث بالحمرة، ناسخه أحمد بن أحمد بن حسن البردي الحسن بتاريخ 11 شعبان عام 974هـ/1567م. قال مؤلفه : «وقد فرغت منه يوم 7 صفر عام 911 هـ/ 1505 م..» وبظهر الورقة الأولى منه خط زيدان بن أحمد المنصور السعدي[7]

(6) ولد سنة 1134هـ/1721م وبويع سنة 1171هـ/1757م وتوفي سنة 1204هـ/1790م.

(7) بويع زيدان في 16 ربيع الأول سنة 1012هـ/1603م وتوفي في فاتح سنة 1037هـ/1627م.

بتملكه. حبسه السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ 16 جمادى الثانية عام 1175هـ/1762م رقمه :75.

5) أجزاء خمسة من فتح الباري في شرح صحيح البخاري تأليف شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الكتاني العسقلاني المصري المعروف بابن حجر المتوفى سنة 852هـ/1449م.

الأول والثاني والثالث والتاسع والثاني عشر، فرغ من نسخ الأول في 23 ربيع الثاني سنة 985هـ/1577م. والثاني يوم السبت 14 ذي القعدة 985هـ/1578م. والثالث يوم الخميس 19 محرم 989هـ/1581م. والتاسع في 4 ربيع الأول 992هـ/1584م، وكلها من تحبيس أبي فارس بن أحمد المنصور السعدي[8] بتاريخ ربيع النبوي عام 1015هـ/1606م، رقمها :57.

6) أجزاء أربعة من نسخة أخرى. الأول مبتور الأول والوسط والأخير. كتب بخط شرقي وكانت في الأصل محبسة على مسجد قصبة الرباط من طرف المجاهد المرابط الكاهية عبد الله الأندلسي الشهير بالقصري أحد أكابر العسكر الأندلسي القاطنين بالرباط اشتراها بثغر الاسكندرية سنة 1039هـ/1630 م، ووجهها إلى محل التحبيس. وهي في الأصل تسعة أجزاء كما تشير إلى ذلك وثيقة التحبيس، ثم حبسها السلطان المولى علي بن إسماعيل على خزانة الجامع الكبير بتاريخ أوسط ذي القعدة عام 1147هـ/1735م، رقمها 58.

7) الجزء السادس من الشرح المذكور بخط مشرقي وبمحول الورقة الأولى منه : من كتب عبد الله زيدان أمير المومنين بن أحمد المنصور أمير المومنين الحسن خار الله له. رقمه :60.

8) أجزاء ستة من نسخة أخرى منه خطها مغربي وسط، ناسخها عبد الله محمد العربي بن أحمد بن مسعود السرايري بتاريخ أوائل رجب سنة 1082هـ/1672م و1085هـ/1675م. وكتب على الجزء الرابع تحبيس المولى علي بن إسماعيل على الخزانة بتاريخ أواسط ذي القعدة عام 1147هـ/1735م، رقمها 72.

9) الجزء الثالث والعشرون من تجزئة 26 جزءا من الجامع الصحيح المسند

---

(8) توفي سنة 1018هـ/1609م.

من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة 256هـ/ 870م يبتدىء من كتاب الاستيذان إلى كتاب الحوض خطه مغربي وسط، من تحبيس السلطان المولى عبد الرحمن[9] على الخزانة بتاريخ 5 شعبان عام 1257هـ/1859م بواسطة الناظر الفقيه الطاهر بن عثمان، رقمه : 232.

10) 21 جزءا من تجزئة 26 جزءا من متن صحيح البخاري ينقصها الأجزاء 1 ـــ 2 ـــ 14 ـــ 23 ـــ 26 مكتوبة بخط أندلسي ببعض أجزائها خروم. من تحبيس السلطان مولاي عبد الرحمن على الخزانة بتاريخ 4 شعبان عام 1247هـ/ 1832م وقد أثبت في جميع الأجزاء المذكورة حيازة الناظر لها السيد الطاهر بن عثمان، رقمها :240.

11) الجزء الخامس من نسخة أخرى من تجزئة ثمانية أجزاء يبتدىء من باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة إلى باب سورة الكهف كتب بخط مغربي جميل مشكول مع كتابة تراجمه بماء الذهب ناسخه العلامة الحافظ الشيخ عبد القادر الفاسي المولود سنة 1007هـ/1599م والمتوفى سنة 1091هـ/1681م فرغ من نسخه أول ربيع النبوي سنة 1053هـ/1644م وهذه النسخة منقولة من أصل صحيح منقول من خط الحافظ الضابط أبي عمران موسى بن سعادة تلميذ أبي علي الصدفي، رقمه : 449.

12) جزء من نسخة أخرى كتبت بخط مغربي جميل مع كتابة تراجمها بالأحمر والأزرق مبتورة الأخير، محبسة على المسجد الأعظم بمكناس عام 1295هـ/1878م، لتقرأ صباحا بعد الفراغ من قراءة الحزب بالكرسي أمام المحراب هناك، رقمه : 454.

13) الجزء الأول من «مناهج المحدثين وسبيل طالبيه المحققين في شرح مسلم» تأليف أبي زكرياء يحيى بن شرف الحوراني النووي الشافعي المتوفى سنة 676هـ/1278م، كتب بخط مشرقي على يد ناسخه علي بن علي الكرخي بتاريخ يوم السبت 4 جمادى الأولى عام 998هـ/1590م، من تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله على طلبة مكناس، رقمه : 157.

(9) بويع المولى عبد الرحمن بن هشام في 15 ربيع الأول عام 1238هـ/1822م وتوفي في 29 محرم فاتح 1276هـ/1859م.

14) الجزء الأول منه أيضا بداخله بعض أوراق بيضاء لا كتابة فيها، كتب بخط مشرقي وفرغ منه عند الزوال من يوم السبت عشرة من شهر جمادى الأولى عام 697هـ/1297م وبها مثل الورقة الأولى حبس على المسجد الجامع سيدي أبي العباس من طرف أبي فارس بتاريخ شوال عام عشرة وألف هجرية/1601م، وبها مثل الورقة المقابلة أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله حبسه على خزانة الجامع الكبير بتاريخ 20 جمادى الثانية عام 1175هـ/1761م، رقمه : 224. انظر معجم المطبوعات رقم 1879.

15) «مصابيح السنة» تأليف أبي محمد الحسيني بن مسهود المعروف بالفراء البغوي المتوفى سنة 516هـ/1123م، خطه مشرقي يقول ناسخه في آخره : وكان الفراغ من نسخ هذا الجزء المبارك في 17 رمضان عام 1078هـ/1687م من تحبيس أحد الملوك العلويين على طلبة مكناس بتاريخ 19 رجب عام 1175هـ/1762م، رقمه : 146 ذكره في معجم المطبوعات رقم 573 والمراد بأحد الملوك هو ابن محمد بن عبد الله.

16) «الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير»، تأليف شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي الشافعي المتوفى سنة 929هـ/1523م[10]، الموجود منه الجزآن الأول والثاني، كتب بخط مغربي وسط، ناسخ الجزء الأول سعيد بن علي الأندلسي السلوي، نسخه لقاضي عدوة سلا ونواحيها أحمد بن ناجي في الثاني من شهر الله محرم فاتح سنة 1098هـ/1686م، والجزء الثاني من تحبيس السلطان أبي فارس بن أحمد المنصور على رباط أبي العباس السبتي آخر جمادى الأولى عام 1005هـ/1596م، رقمه : 52.

17) «تدريب الراوي في شرح تقريب النووي» تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911هـ/1505م في مجلد واحد كتب بخط مشرقي مجدول بالحمرة، فرغ مؤلفه من تأليفه يوم الخميس، جمادى الأولى عام 899هـ/1493م، ناسخه عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بعبد المحسن المحلي بتاريخ 19 رمضان 948هـ/1541م من تحبيس السلطان سيدي محمد

(10) ورد في ج 3 من فهرس خزانة القرويين ص 116 أن وفاة العلقمي كانت سنة 969هـ/ 1562م، وقد غلط في الكشف حين جعلها سنة 929.

بن عبد الله على الخزانة بتاريخ 17 رجب عام 1175هـ/1762م، ذكره في معجم المطبوعات رقم 1077، رقمه : 90.

18) كتاب «النكث في شرح البخاري». كتب على أول ورقة منه : «أنه لتقي الدين : علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة 756هـ/1356م.» وجاء آخره : «انتهى ما بذلت القول بإتمامه من شرح كتاب البخاري رحمه الله الذي ابتدأ به ولدي أبو عبد الله فعاجله الموت قبل إتمامه». يقع في مجلد كتب بخط شرقي بتاريخ يوم الأحد 25 شعبان عام 856هـ/1453م.

وجاء في آخره بخط يد العلامة محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الإدريسي : «أنه طالع الكتاب، ونقل منه ما دعت الحاجة لنقله وذلك في 11 شوال 1311هـ/1894م». ومحمد الفضيل هذا هو صاحب التعليق على صحيح البخاري[11] المترجم في ج 2 من فهرس الفهارس ص 286 للكتاني وج 5 من الإتحاف ص 518 لابن زيدان، وكتاب النكت هذا من أهم الكتب التي يحتضنها قسم المخطوطات بالخزانة، رقمه : 154.

ملاحظة : لا ذكر لهذا الشرح في الترجمة المطولة التي عقدها السبكي لابنه تقي الدين في الطبقات.

19) الجزء الأول من «مطالع الأنوار على صحيح الآثار وفتح ما استغلق في كتاب الموطأ وكتاب مسلم والبخاري» وهو مختصر من كتاب «مشارق الأنوار للقاضي عياض» تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني الحميري المشهور بابن قرقول المتوفى سنة 569هـ/1174م[12] يقف هذا الجزء على حرف اللام مع الهمزة، كتب بخط مشرقي على يد ناسخه أحمد بن..... في 11 رجب سنة 629هـ/1232م، حبسه السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ 15 جمادى الثانية عام 1175هـ/1762م، رقمه : 165.

وهو أيضا من نوادر المخطوطات بالخزانة.

---

(11) المسمى بـ «الفجر الساطع على الصحيح الجامع» توفي مؤلفه في 10 شعبان عام 1318هـ/1900م.

(12) في ج 3 من فهرست مخطوطات خزانة القرويين ص 129 أن وفاة ابن قرقول كانت في 6 شعبان سنة 566هـ/1171م.

انظر عنه الجزء 3 من «ندوة الإمام مالك «دورة القاضي عياض» من ص 213 إلى ص 246 فقد كتبت عنه الدكتورة عائشة حسن مقالا ضافيا.

20) كتاب «المسند في الحديث» مؤلفه أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد كا ب. ص 49 من الكتاب يوجد منه بالخزانة مجلد مبتور الأول والأخير كتب بخط مشرقي مع كتابة تراجمه بالحمرة، رقمه : 201.

ملاحظة : انظر ترجمة المؤلف بالمجلد الثاني من «هدية العارفين ص 517».

21) «تقييد المهمل» تأليف الجياني الأندلسي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني أبي علي المولود في محرم سنة 427هـ/1035 م، والمتوفى في 12 شعبان سنة 498هـ/1105م، يوجد منه جزء واحد مبتور الأخير، كتب بخط مغربي وسط. وبطرة أول ورقة منه : «تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله على خزانة الجامع الكبير بمكناس». وفي وفيات الأعيان أنه يقع في جزأين، وهو مخطوط مهم ونادر رقمه : 237 ترجمة الغساني ب ج. 1 من وفيات الأعيان ص 158 ر ج 2 من الأعلام للزركلي ص 279.

22) «الإعلام بأربعين عن أربعين من الشيوخ الأعلام» تأليف أبي القاسم التجيبي صاحب الرحلة والفهرس. الموجود منه مجلد متلاش تنقصه نحو الورقتين من أوله، كتب بخط مغربي وسط مشكول، وبأوله ورقة متلاشية منه. مولد مؤلف هذا الكتاب حسبا في الحديث الرابع عشر سنة سبع وتسعين أو سبعين وستمائة، ص 37 حسب الترقيم الجديد للكتاب.

ووجد بآخره ما نصه : «قد من الله تعالى علي بمطالعة ما ظهر منه من العصر إلى قرب الغروب تقديرا» ـــ عبد الحي الكتاني ـــ، رقمه : 250.

23) «شرح الجامع الصحيح للبخاري بأقوال العلماء واختلافهم في ذلك» جمع الإمام أبي الحسن علي بن خلف الشهير بابن بطال المغربي المالكي المتوفى سنة 449هـ/1508م يوجد منه الجزء الأول مبتور الأخير متلاش يبتدىء بباب «كيف كان بدء الوحي» إلى قوله : «باب فضل الصلاة لوقتها» كتب بخط أندلسي، حبسه السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ 17 جمادى الثانية عام 1175هـ وحيازة الناظر أبي القاسم المسطاسي رقمه 330. انظر كشف الظنون، رقم 546.

24) «كتاب الصمت» تأليف الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي المتوفى سنة 281هـ/895م يوجد منه مجلد وبهامشه تعليقات لعبد المومن بن خلف بن أبي الحسن الرباطي المتوفى سنة 705هـ/1306م، كتب بخط مشرقي حبسه السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ 20 رجب عام 1175هـ، رقمه 426 ذكره في كشف الظنون رقم 1433.

25) «الفتوحات المكية» تأليف الشيخ العارف بالله محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن العربي الطائي المتوفى سنة 638هـ/1241م يوجد منه المجلد التاسع في مجلد ضخم كتب بخط مشرقي مع كتابة تراجمه بالحمرة، وهو محبس على مسجد رباط أبي العباس السبتي من طرف أبي فارس بن أحمد المنصور السعدي بتاريخ أوائل ذي القعدة عام 1008هـ/1600م، وعليه خط أبي فارس بتملكه، ثم حبسه السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ أوائل جمادى الثانية عام 1175هـ، رقمه 7. ذكره في معجم المطبوعات رقم 178.

26) «الأذكار المنتخبة من كلام سيدي الأبرار» للإمام أبي زكرياء محيي الدين النووي المتوفى سنة 677هـ/1279م في مجلد واحد تام، ببعض أوراقه خرم كتب بخط مشرقي مع كتاب التراجم بالحمرة قال مؤلفه في آخره : «فرغت من جمعه في المحرم سنة 667هـ/1269م سوى أحرف ألحقتها بعد ذلك واجزت روايته لجميع المسلمين» رقمه 471. ذكره في معجم المطبوعات في ترجمة النووي.

27) الجزء الأول من صحيح الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة 261هـ/875م مبتور الأخير، متلاش خطه مغربي وسط، اشتراه من وفرة غلة المسجد بمكناس الناظر أبو محمد عبد القادر بن أحمد دادوش الأوسي وحبسه على مسجد صاباط ابن زغبوش ليقرأ بعد صلاة الصبح بعد الفراغ من الحزب وبعد قراءة تفسير الإمام الثعلبي. ولعل المراد بالمسجد هو المسجد المحبس عليه رقمه 152.

28) الجزء الرابع منه مبتور الأخير، خطه مغربي وسط، كتب في طرة آخر ورقة منه : «بلغت المقابلة بقدر الطاقة من الفسحة التي كانت للشيخ العارف إلى المحاسن التي هي الآن حبس على جامع حضرة مكناسة حاطها الله في منسلخ شعبان المعظم سنة 1099هـ/1888م».

29) السفر السادس من صحيح البخاري يبتدىء من كتاب الحج وينتهي بباب

قوله عز وجل : «ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه». كتب بخط مغربي وسط وتراجمه بالملون. حبسه السلطان زيدان المدي على الخزانة عام 1002هـ/1594م، رقمه : 395.

30) مجموع يشتمل على 23 رسالة وكل رسالة تشتمل على 40 حديثا في مواضع مختلفة، أولها «كفاية المحسن في وصف المومن» وآخرها خاتمة في الصلاة على رسول الله ﷺ.

كتب في آخر الرسالة الأخيرة : «ساقه المولى الأمجد السيد بدر الحسيني الزياني سنة 1177هـ/1764م» وبعده : «انتهى إخراج هاته النسخة من أصلها على يد ناسخها محمد الصادق بن عثمان الزواوي التونسي في يوم الجمعة 22 شعبان 1302هـ/1885م». خطها مغربي جميل وأسماؤها مسطرة بأول ورقة من المجموع، رقمه بالخزانة 498. حبسه المحسن الحاج عبد الكريم بناني في فاتح رجب 1401هـ/1982م.

رابعا : السيرة

1) «تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين»، تأليف أبي عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري الرصاع قاضي الجماعة بتونس المتوفى سنة 894هـ/1489م كتب بخط مغربي وسط، ناسخه أبو القاسم بن أحمد الراعي بتاريخ 4 ذي الحجة عام 895هـ/1490م توجد ضمن مجموع يحمل رقم 260 من تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة في 21 جمادى الثانية عام 1175هـ ينتهي في ص 162.

وتوجد منه نسخة أخرى تحمل نفس الرقم استخرجت من الخروم الموجودة بإحدى الصناديق التي لازالت العناية لم تتوجه لاكتشاف ما بداخلها.

كما توجد منه نسختان أخريان تحملان نفس الرقم أعلاه، كتب في آخر ورقة من الأولى ما ملخصه : «نجز على يد تلميذ مؤلفه إبراهيم بن محمد السيجومي في أواسط ربيع الثاني عام 878هـ/1474م»، وبعده كتب : «هذا بخط يد أبي القاسم بن أحمد الراعي في يوم الثلاثاء 4 ذي الحجة متم عام 895هـ/1490م». ونص في الثانية على تعدد نساخها.

أولهم تلميذ المؤلف إبراهيم بن محمد السيجومي، والثاني أبو القاسم بن أحمد

الراعي الأنصاري الغرناطي ـ سية يوم الأحد فاتح عام 901هـ/1496م، والثالث عبد الحكيم بن محمد في يوم السبت أول ذي الحجة عام 991هـ بمدينة تمبكت كتبه عبد الحكيم للشيخ الفقير عمر بن محمود بن عمر بن محمد أثبته المراجع في : «إيضاح المكنون في الـ ـل على كشف الظنون» ج. 1 ص 276 وج 7 من الأعلام للزركلي ص 228.

2) «تحفة الأخيار في فضـ ـصلاة على النبي المختار»، للرصاع المذكور أعلاه بدأ مؤلفه بتأليفه بمناسبة شهر ـ ـسان سنة 869هـ/1465م، خطه مغربي وسط يوجد ضمن مجموع يحمل رقم 218.

3) «تخميس قصيدة البردة» لأ ـ محمد عبد الواحد الهرغي. تام ضمن مجموع يحمل نفس الرقم يبتدىء من ص ـ 1 إلى ص 13.

4) القصيدة المسماة «الفراجة الكرب في مدح سيد العجم والعرب» نظم أبي علي عمر بن علي بن عمر بن الحاج السعيدي أصاب المحو بعض أبياتها، خطها أندلسي وناسخها محمد بن عيسى بن منظور بتاريخ 14 شعبان 896هـ/1491م بمدينة غرناطة مهدها الله ضمن المجموع أعلاه.

5) «تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد عليه الصلاة والسلام». تأليف عبد الجليل بن محمد بن أحمد بن عظوم المعروف بابن عظوم المرادي القيرواني المتوفى سنة 960هـ/1553 م، في مجلد كتب بخط مغربي وسط. ناسخه عبد الكريم بن الطاهر السجدالي بتاريخ منتصف رمضان 1126هـ/1715م ذكره في معجم المطبوعات رقم 185 رقمه بالخزانة 30.

6) الجزء الأول من «اختصار تنبيه الأنام في بيان علو المقام نبينا محمد عليه الصلاة والسلام»، مبتور الأخير. تأليف ابن عظوم المذكور قبل، كتب بخط مغربي وسط ملون رقمه 292.

7) جزء من «ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج» مبتور الأخير تأليف المعطي بن محمد الشرقي المتوفى سنة 1180هـ/1767م كتب بخط مغربي جميل. حبسه على الخزانة الهاشمي بن العواد السفياني في 10 صفر 1250هـ/1835م كما هو مثبت بطرة الورقة الرابعة وبمحول الورقة الأولى، وقد كان ضاع من الخزانة قبل تنظيم كتبها، ثم رد إليها رقمه 511.

8) تشطير قصيدة امرىء القيس مطلعها :

«قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»

في مدح النبي ﷺ لأبي الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني المتوفى سنة 684هـ/1285م ضمن مجموع يحمل رقم 441 مخروم الأطراف كتبت بخط أندلسي ورد ذكره المؤلف عند الزركلي في ج. 2 من الأعلام ص 163.

9) الجزء الأول من «الاكتفا بما تضمنته من مغازي الرسول ﷺ ومغازي الثلاثة الخلفا». تأليف أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي المزداد سنة 565هـ/1170م والمتوفى سنة 634هـ/1237م، خطه مغربي وسط. من تحبيس سيدي محمد التونسي البوعناني على مسجد بريمة بمكناس بتاريخ 19 محرم فاتح عام 1244هـ/1829م رقمه 66 ذكره في ج 1 من كشف الظنون ص 141.

نسخة أخرى من ج. 1 كتب بخط مغربي جميل، وبعض تراجمه مموهة بالذهب. يخصه نحو ورقة من الأول رقمها 69.

نسخة أخرى منه في أربع مجلدات : الأول والثاني والثالث والرابع كتبت بخط مغربي وسط، ناسخها علي بن أحمد بن محمد الشريف، فرغ من نسخ الأول أواخر ربيع النبوي عام 997هـ/1589م. ومن الثاني يوم السبت 6 جمادى الثانية عام 997هـ. ومن الثالث الذي أصابه محو وبتر في عاشر شوال 997هـ. أما الرابع فمبتور الأخير، رقمه 112.

10) «جمع الوسائل في شرح الشمائل» تأليف نور الدين علي بن سلطان بن محمد الهروي المعروف بالقاري، والمشهور بابن سلطان المكي الحنفي المتوفى سنة 1014هـ/1606م في مجلد كتب بخط مغربي جميل ناسخه محمد بن عبد الله بن بلقاسم بن علي بمراكش بتاريخ 3 ذي الحجة 1081هـ/1671م. وكتب بمحول أول ورقة منه أنه حبس على خزانة الجامع الأعظم من محروسة مكناسة، وحازه ناظر المسجد السيد عبد الواحد المسطاسي في ربيع النبوي عام 1184هـ/1771م، رقمه : 27.

خامسا : التوحيد

1) شرح أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسيني التلمساني المتوفى سنة 895هـ/1490م على منظومة أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري في العقائد وسماه الزركلي في ج 8 من الأعلام ص 30 «شرح لامية الجزائري ــ في التوحيد» وذكر أنه خطي تام، خطه مغربي وسط، مجدول بالحمرة ناسخه الحسن بن محمد بن يعز الفيلالي ثم التادلي في الجمعة الأولى من ذي القعدة سنة 1009هـ/1600م يقع ضمن مجموع رقم 32 وهناك نسخة أخرى تحمل رقم 28 تنقصها ورقة في الأول.

2) «عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد» للسنوسي المذكور، خطه مغربي وسط، وفي آخره : «فرغ من نسخه عام 991هـ/1584م». أورد في معجم المطبوعات رقم 1059 وسماه العمدة، يقع ضمن مجموع رقم 328.

3) «المنظومة الكبرى في علم الكلام» تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن زغدي المغراوي النسب التلمساني الدار. خطه مغربي متنوع وسط، تم نسخه أواخر صفر عام 1023هـ/1614م ضمن مجموع رقم 440.

4) الجزء الأول من «نظم الفرائد ومبدي الفوائد» وهو شرح لقصيدة الشيخ أحمد بن زكري التلمساني المسماة «محصل المقاصد في علم العقائد» تأليف أبي العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي المتوفى سنة 995هـ/1587م. به بعض الخروم كتب بخط أندلسي جميل مشكول، انتهى ناسخه منه يوم الأحد 20 رجب 997هـ/1588م.

والشرح المذكور ألفه مؤلفه بإشارة من ولي عهد المنصور السعدي محمد الشيخ الملقب بالمأمون الذي كان خليفة له بفاس.

سادسا : التصوف

1) «الرسالة القشيرية في التصوف» لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد المالك النيسابوري القشيري الشافعي المتوفى سنة 465هـ/1072م ألفها سنة 437هـ/1046م لجماعة الصوفية ببلدان الإسلام، خطها مغربي وسط، ناسخها

محمد بن أحمد عبد القادر الأوسي شهر بدادوش بتاريخ 25 ذي الحجة عام 1067هـ/1656م ذكرها في معجم المطبوعات رقم 1514، والزركلي في ج 4 من الأعلام ص 180، وابن خلكان في ج 1 من الوفيات ص 299 رقمهما 207.

2) «بداية المريد في الجد والمجاهدة وتحقيق المراقبة والمشاهدة» تأليف أحمد بن أبي القاسم بن محمد المغربي الهروي التادلي الصومعي المتوفى سنة 1013هـ/1605م في مجلد واحد مخروم الأطراف خطه مغربي وسط. يقول مؤلفه في آخره : «وكان الفراغ من تبييضه أواخر شهر شعبان عام 1003هـ/1594م، من تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ مهل رجب عام 1175هـ/1762م». رقمه : 274هـ.

3) تراجم بعض رجال التصوف لم يعرف المؤلف نظرا للبتر الواقع في أوله وآخره. كتب بخط شرقي جميل ضمن مجموع. رقمه 382.

4) «تذكرة المريد طريقة الله مع المزيد ومنظومة في التصوف» لم يعرف الناظم ولا الشارح للبتر الواقع في أوائل الكتاب وآخره. خطها مغربي حسن، تقع ضمن مجموع رقم 501.

5) «شرح القصيدة الفيضية المشتملة على أنواع تجليات الإرادة» للمؤلف الشيخ المختار بن أحمد الكنتي القادري المتوفى سنة 1226هـ/1812م. تام، الخط مغربي وسط، مجدول بالحمرة، ضمن مجموع رقمه 502.

سابعا : الفقه

1) «جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر» تأليف الشيخ محمد بن إبراهيم التتائي المتوفى سنة 942هـ/1535م، مجلد واحد، يشتمل على شرح النصف الأول من مختصر خليل بن إسحاق الجندي المالكي المتوفى سنة 767هـ/1366م. كتب بخط مشرقي مع كتابة المتن بالحمرة، ناسخه أحمد شهاب الدين الشافعي رقمه 1.

— الجزء الثاني منه مبتور الأول والأخير، يبتدىء من أوائل بيان الذكاة إلى أواخر باب الحج، خطه مشرقي، مع كتابة المتن بالحمرة، رقمه 19.

— الجزآن الثاني والثالث منه يبتدىء من باب الذكاة إلى آخر باب النفقة،

والثاني من باب البيوع إلى باب الإجارة، فرغ المؤلف من تسويدهما في 20 صفر عام 922هـ/1517م رقمها 12.

ــ الجزء الرابع والأخير يتضمن شرح النصف الثاني من المختصر، بأوله بتر.

يقول مؤلفه في آخره : «وافق الفراغ من اختصاره من الشرح الكبير في اليوم المبارك العاشر من شهر محرم عام 933هـ/1527م» خطه مغربي وسط، ناسخه عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان للفقيه العلامة سيدي عبد القادر طاينة عام 1078هـ / 1668م بمدينة تطاوين، رقمه 126.

ــ مجلد آخر من باب الذكاة إلى آخر باب النفقة بخط مشرقي، فرغ من تسويده في 20 صفر عام 922هـ/1517م رقمه 17.

ــ الجزآن : الأول والرابع يبتدىء الأول منهما من أوائل الشرح إلى آخر باب الحج، مبتور الأول والرابع من باب الإجارة إلى الختم على يد محمد بن أحمد المالكي الأزهري في 10 جمادى الثانية عام 1069هـ/1659م، وجاء في آخره قال مؤلفه : «ووافق الفراغ من جمعه في 22 رمضان 926هـ/1520م بعد أن كنت وصلت فيه إلى باب الإجارة، ثم حصلت الفتنة بين السلطان الملك الأشرف والجنزكار فأحجمت عن الجمع لما هناك من الأكدار، وشغل البال ونهب الأموال، ثم عزمت على إكماله في أواخر جمادى الأخيرة من العام المذكور، ثم على يد عبد الرحمن الجعفري الأزهري المالكي قال ناسخه وكان الفراغ منه يوم السبت 6 شوال عام 1072هـ/1662م». رقمه 362.

2) جزآن من «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل» تأليف الحطاب محمد بن محمد الرعيني المولود سنة 902هـ/1497م والمتوفى سنة 954هـ/1547م يبتدىء من باب الذكاة إلى أواخر باب البيوع، كتبا بخط مغربي وسط متنوع. وأحد الجزأين من تحبيس السلطان المولى علي بن إسماعيل على الخزانة بتاريخ أواسط ذي القعدة عام 1147هـ. ومحلى بالطابع الملكي رقمه 14[13].

3) الثالث والرابع من الأجهوري على مختصر خليل وسماه في كشف الظنون :

(13) الملخص يوجد بالخزانة من شرح الأجهوري على المختصر. أحد عشر جزءا، أجزاء ثلاثة من الثالث، وأربعة من الرابع، وجزآن من الخامس، وجزء من السادس وهو آخر أجزاء النسخة التامة. وجزء مبتور يحتمل أن يكون الثاني وينقصها الأول.

«مواهب الجليل في تحرير ما حواه مختصر خليل» تأليف علي بن محمد الأجهوري المولود سنة 967هـ/1560م والمتوفى سنة 1066هـ/1656م، يبتدىء الجزء الأول بباب الذكاة ويقف عند باب البيوع، والثاني يبتدىء بباب الإجارة إلى الختم، خطه مغربي متوسط على يد ناسخه إبراهيم بن ساسي التادلي وطنا الزموري نسبا. فرغ من نسخ الأول منهما أوائل جمادى الأولى عام 1074هـ/1664م والثاني في 26 ذي القعدة عام 1077هـ/1666م في رواق المغاربة بالأزهر الشريف بالقاهرة رقمه 42.

ـــ مجلدان آخران منه يبتدىء الأول بباب النكاح إلى آخر باب الطلاق، والثاني من باب الزنى إلى الختم، وهو الرابع، خطهما مشرقي مجدول بالحمرة، رقمهما 206.

ـــ الأجزاء : الثالث والرابع والخامس منه يبتدىء من باب الذكاة إلى آخر باب النفقة، والرابع من باب البيوع إلى آخر المساقاة، والخامس من باب الإجارة إلى الختام، وكلها مكتوبة بخط مشرقي جيد مجدول بالحمرة على يد ناسخها محمد البوني السيوطي بن محمد بن يونس المالكي عام 1057هـ/1648م. من تحبيس السلطان مولاي علي بن إسماعيل على الخزانة بتاريخ أواسط ذي القعدة عام 1147 هـ. وجميعها محلى بالطابع الملكي رقمهما 213.

ـــ الأجزاء : الرابع والخامس والسادس من نسخة أخرى تحمل رقم 214 تبتدىء من كتاب البيوع إلى آخر المتن. خطها مشرقي وناسخها علي بن جمال الدين الرفاعي. تاريخ نسخ الخامس ربيع الأول عام 1086هـ/1675م، والسادس 25 ذي الحجة عام 1086هـ.

4) مجلدات ستة من الشرح الوسط على مختصر خليل تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد القادر الدميري المتوفى سنة 805هـ/1403م.

الأول مبتور الأول، والأخير يبتدىء من كتاب الطلاق وينتهي بباب التفليس، خطه مغربي رديء، رقمه 43. والثاني يبتدىء من باب البيوع إلى الختم، خطه مغربي وسط، ناسخه عبد الرحمن بن غافل بن عبد الله الزغداني بتاريخ 7 رمضان

(14) الملخص : يوجد بالخزانة من شرح التتائي على المختصر، ثمانية أجزاء من الأول، وثلاثة من الأول وثلاثة من الثاني، وواحد من الثالث، وجزآن من الرابع وهو آخر النسخة التامة.

سنة 1046هـ/1637م، رقمه 44. والثالث يبتدىء من باب الذكاة إلى أوائل باب النفقة خطه شرقي، رقمه 54. والرابع جزآن في مجلد واحد، ينتهي الأول عند قول المختصر في باب النفقة «وضمت ان خيف للمسلمين» وينتهي الثاني عند قول المتن «فصل رفع للتهمة ما كثر فصده». خطه مغربي وسط. ناسخه محمد بن عياد بتاريخ يوم الجمعة من جمادى الثانية سنة 1086هـ/1676م رقمه 64.

ــ والخامس يبتدىء من باب البيوع إلى أوائل باب القضاء، خطه مغربي وسط، رقمه 65.

ــ والسادس مبتور الأخير، يبدىء من باب الإجارة، خطه مغربي وسط. حبسه السلطان مولاي علي بن إسماعيل على الخزانة بتاريخ أواسط ذي القعدة عام 1147هـ. وهو محلى بالطابع الملكي، رقمه 464.

5) مجلد من الشرح الكبير لبهرام المذكور أعلاه على مختصر خليل، يبتدىء من باب الذكاة إلى أواخر باب الرضاع. خطه شرقي، ناسخه علي بن يوسف الشبريني المالكي البحيري بتاريخ 11 جمادى الأخيرة سنة 962هـ/1555م. حبسه السلطان المولى علي على الخزانة أواسط ذي القعدة عام 1147هـ. وحلي بالطابع الملكي. رقمه 50.

6) الجزء الأول من «التاج والإكليل لمختصر خليل» تأليف أبي عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدوي الغرناطي المعروف بالمواق المتوفى سنة 897هـ/1492م. يبتدىء من أول المتن إلى أواخر كتاب النفقات خطه مغربي متوسط، اشتري من وفر غلة الحبس بتاريخ 2 محرم سنة 1082هـ/1671م. ذكره في معجم المطبوعات رقم 1814، والزركلي في ج 8 من الأعلام ص 30 رقمه 137.

ــ الأجزاء الثاني والثالث والرابع منه : الثاني مبتور الأول يبتدىء بالكلام على استقبال القبلة، وينتهي بالكلام على الحضانة. والثالث تام، يبتدىء من البيوع وينتهي بالمساقات، والرابع تام يبتدىء من كتاب الإجارة إلى آخر المتن[15]. خطها مغربي وسط.

كتب في آخر ورقة منه : «فرغ من ج 4 فرغ منه وقت الزوال في أواخر

(15) يقع شرح المواق في أربعة أجزاء، ولا ينقصه سوى البتر الواقع بأول الكتاب.

شهر الله المعظم رمضان الأبرك عام اثنين ومائتين وألف (1787م) عرفنا الله خيره ووقانا ضره».

7) الجزء الثاني من شرح الشيخ سالم بن محمد عز الدين إلى محمد ناصر الدين السنهوري المتوفى سنة 1015هـ/1607م، يبتدىء من باب الذكاة إلى آخر باب الأيمان والنذور، خطه مغربي وسط، مع كتابة المصنف بالحمرة، حبسه السلطان مولاي علي بن إسماعيل على الخزانة أواسط ذي القعدة 147هـ، وحلي بالطابع الملكي. رقمه 265.

8) الجزء الأول من حواشي اللقاني وغيره ــ كذا سمي في وثيقة التحبيس ــ على مختصر تأليف ناصر الدين اللقاني المتوفى سنة 925هـ/1519م تنقصه نحو الورقة، يبتدىء من باب الطهارة إلى آخر باب النفقات. خطه مغربي وسط متنوع، ناسخه محمد بن منصور الأندلسي الماجري كتبه للفقيه سيدي عبد القادر بن محمد بن باعمرو بتاريخ 15 ربيع النبوي عام 999هـ/1591م من تحبيس السلطان مولاي علي بن إسماعيل على الخزانة بتاريخ ذي القعدة عام 1147هـ، رقمه 87. انظر ج 5 من هدية العارفين ص 30 وج 4 من الفكر الإسلامي ص 111.

9) «شفاء الغليل في حل مقفل الشيخ خليل» تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي المتوفى سنة 919هـ/1513م، يقع في مجلد واحد، كتب بخط مغربي وسط، ناسخه يوسف بن عبد الرحمن الهوازلي. فرغ من نسخه يوم الخميس 2 جمادى الأولى عام 960هـ/1553م من تحبيس السلطان المذكور أعلاه، ومحلى بالطابع الملكي. رقمه 134.

ــ نسخة أخرى منه مخروقة الأطراف رقمها 281.

10) «المختصر الكبير في الفقه المالكي» تأليف أبي عبد الله محمد بن عرفة التونسي المتوفى سنة 803هـ/1400م، يوجد منه بالخزانة المجلد الرابع، يشتمل على الأجزاء : 7 ــ 8 ــ 9 ويبتدىء من باب الرهن إلى باب اللقطة. خطه مغربي متنوع، نسخ أواسط القرن العاشر من تحبيس السلطان مولاي علي بن إسماعيل على الخزانة أواسط ذي القعدة 1147هـ، رقمه 94. مطبوع ج 7 من الأعلام للزركلي ص 272.

11) الجزء الثاني من مختصر ابن الحاجب تأليف الشيخ الإمام جمال الدين

عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي المتوفى سنة 646هـ/1249م. يبتدىء من باب الطهارة إلى أواخر باب الفرائض. خطه مغربي رديء، ناسخه علي بن علي بن محمد بن الخطيب الوجدي بتاريخ العشر الأواخر من ذي القعدة عام 897هـ/1492م كما في ص 362. رقمه 197 خطي استخرجه من ستين كتابا، ج 4 من أعلام الزركلي ص 374.

12) «كتاب التنبيهات المستنبطة على كتاب المدونة المختلطة»(16) تأليف القاضي ابن الفضل عياض بن موسى اليحصبي المالكي السبتي المتوفى سنة 544هـ/1149م، يوجد منها السفر الثاني. كتب بخط أندلسي. رقمه 280.

— جزء آخر منها يحمل رقم 300 مبتور الأول والأخير، يبتدىء من كتاب المرابحة وينتهي بكتاب الجنايات، كتب بخط مغربي وسط.

13) «المسائل المستخرجة» تأليف القاضي أبي الوليد بن أحمد بن رشد المالكي المتوفى سنة 520هـ/1126م، توجد في مجلد ضخم مبتور الأول والأخير. كتب بخط شرقي متنوع، رقمه 349.

14) «بشائر الفتوحات والسعود في حكم التعزيزات والحدود» تأليف أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن أبي البركات المتوفى في غرة محرم 910هـ/1504 م، وهو مؤلف مهم مفيد، يتناول أحكام الدماء والحدود والديات والزواجر إلخ. يقع في جزء واحد تام ضمن مجموع رقم 276 وعدد صفحاته 107، خطه مغربي مبسوط، ناسخه محمد بن إبراهيم بن منصور الأسفي، كان الفراغ منه في ربيع الأول عام 888هـ/1483م على يد ناسخه محمد بن إبراهيم بن منصور الآسفي في ربيع الثاني عام 1047هـ/1637م ببلده آسفي. انظر عنه «نيل الابتهاج بهامش الديباج المذهب».

15) «وثائق الغرناطي» تأليف القاضي أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الغرناطي. ذكر في أوله أنه قرب في تأليفه علم الوثائق تفردا لم يسبق إليه، ولا نبه أحد منهم عليه. خطه مغربي مدموج. يقع ضمن مجموع يحمل رقم 489. ورد في آخره أنه أنجز في 13 رمضان عام 1170هـ/1757م.

16) «تحرير المقالة في شرح الرسالة» تأليف أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني

---

(16) من أسماء المدونة : المختلطة والأم.

المتوفى سنة 863هـ/1459م، يقع في مجلد تام. وفيه أن مؤلفه فرغ من تأليفه في 29 صفر عام 821هـ/1418م. خطه أندلسي، رقمه 46.

ــ نسخة أخرى منه. خطها مغربي وسط، ناسخها محمد بن محمد بن منصور السختي الفجيجي في يوم الثلاثاء متم رجب عام 1205هـ/1791م.

17) شرح على الفرائض ولعلها فرائض الحوفي أحمد بن محمد المتوفى سنة 588هـ/1193م، تأليف سعيد بن التجيبي التلمساني العقباني المتوفى سنة 811هـ/1408م، وهو شرح حافل يقع في مجلد مبتور، الأول كتب بخط مغربي متنوع، يقع ضمن مجموعة، رقمه 338 انظر عنه (نيل الابتهاج) رقم 106 طبعة فاس وج 1 من (الاعلام) للزركلي ص 373 ط. 1.

18) «بغية المبتدي وغنية المنتهي» على الكتاب المسمى «تقريب المواريث وتنبيه البواعث». ط. بتونس لمؤلفه أبي الحسن علي بن محمد بن علي القرشي الأندلسي البسطي الشهير بالقصادي المتوفى بتونس سنة 891هـ/1486م يقع ضمن مجموع، رقمه 487 خطه مغربي وسط، ناسخه محمد بن محمد بن منصور الفجيجي الحسني في يوم الجمعة 14 جمادى عام 1202هـ/1788م ــ انظر عنه ج 5 من الأعلام للزركلي ص 163.

19) شرح على فرائض خليل للقلصادي المذكور أعلاه، في جزء مخروم الأطراف، كتب بخط مغربي مدموج، فرغ مؤلفه من تأليفه في العشر الأول من رمضان عام 880هـ/1476م، وفرغ ناسخه من نسخه في غرة شوال عام 1170هـ/1757م. يقع ضمن مجموع يحمل رقم 489 وينتهي في ص 97.

20) شرحه لفرائض التلمسانية فرغ من اختصاره بالقاهرة في 8 ذي القعدة عام 852هـ/1448م ضمن مجموع رقم 430.

21) شرح رجزية أبي علي السحن بن عطية الونشريسي الأوربي ثم المكناسي، كان بقيد الحياة قرب التسعين وسبعمائة في علم الفرائض فرغ من نظمها في جمادى الأخيرة عام 743هـ/1342م.

يقول في مطلعها :

الحمــد لله القــديم الأزل الخالق الخلق الذي لم يزل

وفي ختامها :

نظمها نجل عطيـة الحسن	يرجو التقرب بها من ذي المنْ
فالتمس الوجه له والمعـذرة	فهي لابـن تسعـة وعشرة
فرغ منها في جمادى الآخرة	مبتغيا بها ثـواب الآخـرة
عـــام ثلاثـــة وأربعينـــا	من قبلها سبع من المئينا

ناسخها محمد بن محمد بن منصور الفيجيجي في 24 شعبان 1202هـ/1787م ضمن مجموع رقمه 486، شارحها لعله أبو الحسن علي بن عيسى التازي الذي كان بقيد الحياة حوالي نهاية المائة 8 كما في فهارس مخطوطات الخزانة الحسنية ص 133.

22) تأليف في الفرائض مأخوذ من كتاب الله العزيز لعبد الله بن محمد سحنون، تام كتب بخط مغربي وسط مجدول بالحمرة.

23) شرح التحفة المعروف بابن الناظم تأليف أبي يحيى محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الأندلسي الغرناطي كان حيا سنة 857هـ/1453م وتوفي بعد هذا التاريخ. قال في نيل الابتهاج. «وفيه فقه متين وتصريف عجيب، ونقل صحيح» خطي نادر، وخطه مغربي متوسط ناسخه سعيد بن محمد بن غانم خنيشة بتاريخ 23 ذي القعدة عام 989هـ/1581م من تحبيس السلطان مولاي علي بن إسماعيل على الخزانة بتاريخ أواسط جمادى الثانية عام 1130هـ رقمه 278.

ثامنا : الأصـول

1) «شرح جمع الجوامع في أصول الفقه لابن السبكي»، تأليف جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المصري الشافعي المتوفى سنة 864هـ/1459م، يقع في مجلد تام مخروم الأطراف. خطه مغربي وسط. مع كتابة المتن بالحمرة. كتب على أول ورقة منه : «تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ 29 جمادى الثانية عام 1175هـ رقمه 193». ذكره في معجم المطبوعات رقم 1003 والزركلي في ج 6 من الأعلام ص 230.

2) «الآيات البينات» حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي، تأليف أحمد بن قاسم العبادي المصري الشافعي المتوفى سنة 994هـ/1586م الموجود منها جزء واحد يبتدىء من الكتاب الثالث في الإجماع إلى آخر المتن خطها مغربي وسط.

وجاء في آخرها ما يلي : «نسخة منقولة من خط المؤلف»، من تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ 29 جمادى الأولى 1179هـ رقمه 88 ذكرها في معجم المطبوعات رقم 208.

3) «نفائس الأصول من شرح المحصول للرازي»، تأليف أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي المالكي المتوفى سنة 684هـ/1285م الموجود منه الجزء الأول في مجلد تام خطه شرقي. فرغ من نسخه في 16 محرم سنة 685هـ/1287م من تحبيس السلطان المذكور أعلاه على الخزانة بتاريخ أواخر جمادى الثانية 1175هـ رقمه 156.

4) «تنفيح الفصول في الأصول» للقرافي المذكور أعلاه الموجود منه مجلد واحد متلاش يبتدىء بالفصل الثالث في أحكام الاستثناء. خطه مغربي وسط، ذكره في كشف الظنون رقم 499 وفي ج. 1 من الأعلام للزركلي ص 90 ط. 2.

5) «شرح على تنفيح القرافي» تأليف أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الفاسي الدار، لخص فيه شرح القرافي على تنفيحه وزاد عليه. خطه مغربي متوسط مدموج. فرغ ناسخه إسحاق بن الجزولي من نسخه في يوم الإثنين فاتح ذي الحجة عام 743هـ/1342م رقمه 352.

6) «تعليق على معالم أصول الدين للفخر الرازي»، تأليف شرف الدين عبد الله بن محمد الفهري ينقصه ورقتان من الأول، خطه مغربي وسط. ناسخه علي بن أبي جمعة بتاريخ 19 رمضان عام 979هـ/1572م رقمه 508[17].

7) «الأحكام في أصول الأحكام» تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي الشافعي الملقب بسيف الدين الآمدي المتوفى سنة 631هـ/1233م يوجد منه جزء واحد في مجلد متلاش مبتور الأول والأخير خطه أندلسي مشكول رقمه 117. ذكره في معجم المطبوعات رقم 10 والزركلي في ج. 5 من الأعلام ص 153 وذكره أنه طبع في أربعة أجزاء.

8) «الإجماع والاختلاف» تأليف أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة 319هـ/931م مبتور الأول والأخير خطه مغربي مبسوط

---

(17) استخرج هذا المؤلف من الخروم المكدسة بالصناديق الموجودة بقاعة المخطوطات بالخزانة.

رقمه 510. ذكره في ج. 2 من كشف الظنون ص 1385 والزركلي في ج. 6 من الأعلام ص 184 وذكر أنه خطي.

9) «شرح البرهان في أصول الفقه لامام الحرمين» تأليف أبي الحسن علي بن إسماعيل بن علي الصنهاجي المعروف بالأبياري المتوفى سنة 616هـ/1220م، الموجود منه بالخزانة الجزء الأول، خطه مغربي متوسط.

يقول ناسخه في آخره : «كمل الجزء الأول وكان ذلك في أواخر شهر شعبان في سنة اثنتي عشرة وستمائة 612هـ/1215م».

حبسه السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة بتاريخ فاتح جمادى الثانية 1175هـ رقمه 95.

10) «شرح المنهاج في الأصول للبيضاوي»، لعل اسمه «نهاية السول في شرح منهاج الأصول» لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي الشافعي المتوفى سنة 772هـ/1370م، يوجد في مجلد مبتور الأول، خطه شرقي، رقمه 403. ذكره في ج. 2 من كشف الظنون رقم 1879 وفي معجم المطبوعات رقم 44 وفي ج. 4 من الأعلام للزركلي ص 119. ط. 2.

تاسعا : البلاغة

1) شرح عصام الدين بن محمد على الرسالة السمرقندية في علم الاستعارات، تام، لمؤلفه : الخواجة أبي القاسم السمرقندي، خطه مغربي حسن مجدول بالحمرة ضمن مجموع رقم 507.

2) شرح علي بن صدر الدين بن عصام الدين على الرسالة المذكورة أعلاه، تام خطه مغربي حسن، ذكره مؤلفه في آخره : بما يأتي : «وكان الفراغ من تسويده ببلد اسكندرية وأنا متوجه إلى مدينة قسطنطينية من الشهر السابع من العام التاسع في القرن العاشر» رقمه 507.

3) حواشي على شرح عصام الدين إبراهيم على رسالة الاستعارات لأبي القاسم الليثي السمرقندي لمؤلفها كما جاء في المقدمة حسن بن محمد الزيباري. تامة ذكر مؤلفها في آخرها أنها تمت في 16 جمادى الثانية عام 1159هـ/1747م خطها مغربي حسن. ضمن مجموع رقمه 507.

4) معاني الاستعارات وأنواع المجاز وما يتعلق بها للسمرقندي المذكور أعلاه، يقع المؤلف من أربع صفحات خطه مغربي جيد مجدول بالألوان، ضمن مجموع رقمه 473.

5) شرح تلخيص المفتاح لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن القزويني، تأليف سعد الدين عمر بن مسعود التفتزاني المتوفى سنة 793هـ/1390م، خطه مغربي جيد. ج 8 من الأعلام للزركلي ص 113، وهذه النسخة كما جاء في الكتاب نسخت من نسخة صحيحة بخط العلامة سيدي عبد الرحمن الفاسي، ضمن مجموع رقم 473.

6) ما وجد من شرح محمد بن الحسن أقصبي لمنظومة الشيخ الطيب بن كيران في الاستعارة من أول المتن إلى قول الناظم : «قرينة لها هي المكنية» يقع في نحو كراسات ثلاث، خطها مغربي جميل مجدول بالحمرة ولعله خط المؤلف على ما يظهر من الطرر الطويلة المكتوبة بالهامش، ضمن مجموع رقمه 501.

عاشرا : اللغة والنحو والصرف

1) «الجمهرة في اللغة» تأليف أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المولود سنة 223هـ/838م والمتوفى سنة 321هـ/933م توجد في مجلد واحد يشتمل على الجزء العاشر يبتدىء من الهمز في الثلاثي والرباعي إلى أبواب الخماسي. وفي هامش آخره ما نصه : «عورض به نسخة مقررة سمعتها من أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد سنة سبع عشرة وثلاثمائة (930م) ولله الحمد والمنة». خطه شرقي. من تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الخزانة عام 1175هـ رقمه 5.

ملاحظة : طبع كتاب الجمهرة في حيدرأباد بالهند في ثلاث مجلدات سنة 1344هـ/1926م الحق بها مجلد رابع خاص بالفهارس بتحقيق وعناية الشيخ محمد السورتي والمستشرق الألماني سالم كرنكور. انظر ابن دريد في ج. 1 من وفيات الأعيان ص 487 وج 6 من الأعلام للزركلي ص 310.

2) «القاموس المحيط» تأليف شمس الدين أو تاج الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي النسيرازي المتوفى سنة 817هـ/1415م. الموجود منه بالخزانة مجلدان : الأول مبتور الأخير، والثاني مبتور الأول خطه مغربي جيد، ناسخ الجزء الثاني أحمد بن محمد بن محمد الحاج نسبا المراكشي الدار والمنشأ فرغ منه بتاريخ 2 ذي الحجة 1084هـ/1674م.

3) «شرح المغني» لابن هشام تأليف بدر الدين محمد بن عبد الرحيم العمري الميلاني مبتور الأول متلاش، خطه شرقي. فرغ منه بتاريخ 17 صفر عام 72هـ / 1370م ضمن مجموع رقم 437. انظر كشف الظنون رقم 1751.

4) «شرح الجمل في النحو» للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة 471هـ/1078م. أما اسم الشارح فلم يتبين لكون الأرضة قد أكلت جل أطراف الكتاب. خطه شرقي. ضمن مجموع رقمه 437. انظر ج. 4 من الأعلام للزركلي ص 174.

5) شرح مصنّف في النحو تأليف إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج المتوفى سنة 311هـ/923م الموجود منه جزء واحد، مبتور الأول والأخير، متلاش، يبتدىء الموجود منه بباب النعت إلى باب الجوازم. خطه أندلسي رقمه 351.

6) «شرح الفية ابن مالك» لأبي محمد الحسن بن القاسم بن عبد الله المرادي المتوفى سنة 749هـ/1349م الموجود منه الجزء الأول، مبتور من أوله، خطه مغربي وسط. من تحبيس السلطان المولى علي بن إسماعيل بتاريخ أواسط ذي القعدة عام 1147هـ/1735م رقمه 226. أورده في معجم المطبوعات رقم 1723.

7) «شرح ملحة الإعراب» تأليف أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري (صاحب المقامات) المتوفى سنة 516هـ/1122م يقع في مجلد، ببعض أوراقه خروم رقمه 398. خطه أندلسي. فرغ من نسخه بتاريخ 6 ذي الحجة عام 723هـ/1323م ذكره في معجم المطبوعات رقم 750.

8) «فوائد القلائد في مختصر الشواهد المعروف بالشواهد الصغرى» تأليف أبي محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة 855هـ/1452م يوجد في مجلد واحد، خطه مغربي جميل ملون. ناسخه محمد بن قاسم الزجاري عرف بالقش مؤدب الصبيان بالكتبيين بإزاء جامع القرويين بتاريخ 24 جمادى الأولى عام 967هـ/1560م رقمه 11. ذكره في معجم المطبوعات رقم 154.

9) «اتحاف ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي اسحاق» وهو حاشية على ألفية أبي مالك جمع فيها المؤلف بين كلام المرادي والشاطبي من شرحيهما عليها مع زيادات مفيدة تأليف محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي المتوفى في 9 جمادى الأولى سنة 919هـ/1513م.

تقع في مجلد مخروم الأطراف. فرغ من تأليفها في 21 ذي الحجة عام 898هـ/1493م خطها مغربي وسط ناسخها عيسى بن أحمد بن الحسن اليادنيني بتاريخ أواخر شوال عام982هـ/1575م، من تحبيس أمير المومنين المولى علي بن إسماعيل. ذكرها في «نيل الابتهاج بهامش الديباج» رقم 333 وفي ذيل كشف الظنون رقم 17 رقمها 436.

10) حاشية الشيخ يوسف القيسي المصري المالكي المتوفى سنة 1061هـ/1651م على شرح الشيخ خالد الأزهري للأجرومية تامة خطها مغربي وسط بجدول بالحمرة ضمن مجموع رقم 500.

11) شرح منظومة تتضمن حكم آخر الفعل المعتل اللام، لأحمد بن عبد العزيز الهلالي تأليف أحمد بن المعطي بن محمد بن البطاح الشرقي القادري القوري التادلي بخط مؤلفه الذي ذكر في آخره أنه أتمه في يوم عرفة ذي الحجة عام 1190هـ/1777م. يقع ضمن خمس صفحات، خطه مغربي وسط. ضمن مجموع رقمه 490.

12) شرح منظومة محمد بن محمد بن عمران الشهير بالجرادي السلوي في قواعد الإعراب، تأليف علي بن أحمد بن محمد الرسموكي الجزولي، ذكر مؤلفه في آخره أنه فرغ من تسويده في 10 جمادى الأخيرة عام 1000هـ/1591م، بالنسبة لما عدى الإعراب وأما الإعراب فقد ألحقه له بعد أكثر من 12 سنة، وبوسط الكتاب حاشية على الشرح المذكور للمهدي بن محمد بن محمد بن الخضر الحسيني العمراني، ذكر مؤلفها أنه فرغ منها في ثاني ذي القعدة عام 1294هـ/1878م خطه مغربي مشكول بالحمرة جميل جدا ضمن مجموع رقمه 497.

الحادي عشر : علوم متنوعة

تاريخ وتراجم :

1) إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي للمؤرخ الشهير أبي سالم العياشي بواسطة ولد المجيز الشيخ عبد الرحمن الفاسي منقولة من خط الشيخ عبد السلام جسوس تامة خطها مغربي وسط جاء في آخرها : «أوائل رجب عام 1076هـ/1666م».

2) أوراق تتضمن التعريف بعلماء بعض المذاهب لم يعرف مؤلفها كتبت بخط شرقي جميل ضمن مجموع رقمه 382.

3) «روض الرياحين في حكاية الصالحين» تأليف عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المتوفى سنة 766هـ/1365م الموجود منه الجزء الأول مبتور الأخير. خطه مغربي جميل رقمه 22 ذكر في معجم المطبوعات رقم 1953.

4) تراجم بعض رجال التصوف لم يعرف المؤلف نظرا للبتر الواقع في أوائل الكتاب وآخره كتب بخط شرقي جميل ضمن مجموع رقمه 382.

5) «الاستعاب في معرفة الأصحاب» تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة 463هـ/1071م يوجد منه الجزء الأول خطه مغربي جميل، فرغ من نسخه في 20 جمادى الأولى عام 1123هـ/1711م. من تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله عام 1175هـ/1762م. ذكره في معجم المطبوعات رقم 159 رقمه 131.

6) «جمهرة الأنساب» تأليف أبي محمد علي بن حزم الظاهري المتوفى سنة 456هـ/1064م في مجلد متلاش، خطه مغربي جميل، فرغ من نسخه بتاريخ أوائل ذي الحجة عام 1129هـ/1717م.

7) «ما وجد من كتاب الأخبار على ما بسبتة من شتى الآثار». اختصر من كتاب «الكواكب الوقادة» للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة 544هـ/1149م. خطه مغربي وسط ذكر ناسخه أنه فرغ من تقييده في 16 ذي الحجة عام 1326هـ/1908م على يد أحمد بن محمد بن محمد بن الهاشمي أبو العيش الحسني. ضمن مجموع رقمه 503.

8) «البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسرى من يد العدو الكافر» وهو احدى رحلات أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي المتوفى سنة 1213هـ/1798م مبتور الأخير خطه مغربي وسط مليء بالأخطاء ضمن مجموع رقمه 503.

9) نصيحة لأبي علي عمر بن خليل الاشبيلي. تامة خطها مغربي وسط مجدول بالحمرة. جاء في آخرها : «انتهى بحمد الله وحسن عونه في يوم الأربعاء 16 ذي القعدة عام 912هـ/1507م». ضمن مجموع رقمه 425.

10) آداب الفريدين تأليف عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي أبو النجيب الشهروردي المتوفى سنة 563هـ/1168م مبتور الأخير مخروم الأطراف خطه أندلسي رقمه 491 ذكره الزركلي في ج 4 من اعلامه ص 174.

11) منظومة في حكم سكنى بيت المدرسة المحبس على الطلبة للشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي المتوفى في ربيع الأول سنة 1175هـ/1761م. تقع في صفحتين خطها مغربي وسط. ضمن مجموع رقمه 490.

فـلـــك :

12) شرح على منظومة في خواص الأفلاك لناظمها علي بن أبي الرحال. لم يعرف مؤلفه لأن جله ممحو، خطه مغربي وسط مع كتابة النظم بالحمرة ضمن مجموع، رقمه 346.

13) رسالة في العمل بالربع المرسوم بالمقنطرات تأليف أبي العباس أحمد، خطها مغربي وسط، تقع في ست صفحات جاء في آخرها : كملت بحمد الله على يد ناسخها أحمد بن المعطي في 10 ذي القعدة سنة 1190هـ/1777م.... ب..... من وادي درعة ضمن مجموع رقمه 490.

14) «الكوكب الدري في معرفة الاسطرلاب الكوري» تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن علي الأندلسي المراكشي يقع في تسع صفحات مخروم الأطراف. ضمن مجموع، رقمه 490.

15) تقييد في ترحيل الشمس ومداخل الشهور وفصول السنة يقع في ورقتين لم يعرف كاتبه. خطه مغربي وسط. ضمن مجموع، رقمه 80.

حـســـاب :

16) «بغية الطلاب في شرح منية الحساب» كلاهما للشيخ محمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي المتوفى في 9 جمادى الأولى سنة 918هـ/1513م خطه مغربي متوسط. ذكر مؤلفه في آخره أنه فرغ من تأليفه يوم الخميس 24 رمضان عام 895هـ/1490م على يد ناسخه مهدي بن محمد بن عبد الجليل الجيداني نسبا، المراكشي دارا ومنشأ، في متم جمادى الثانية عام 1074هـ/1664م. الخط مغربي وسط. ضمن مجموع رقمه 497.

طـــب :

17) أوراق من كتاب تتعلق بكيفية صنع بعض الأدوية لبعض الأمراض، لم يعرف مؤلف الكتاب. ضمن مجموع، رقمه 357.

كيمياء :

18) منظومة في علم المعادن والحكمة تشتمل على أبيات 1443 مبتورة الأخير، لم يدر ناظمها خطها مغربي وسط. ضمن مجموع، رقمه 505.

معاملات تجارية :

19) منظومة في مقادير الأجور بالبسيطة للعامل، وشاهد عقد النكاح، وضامن الأداء، والشفعة، والوقف، وعامل السقي، إلى غير ذلك من المعاملات. تشتمل على 28 بيتا لم يعرف ناظمها ابتدأ بقوله :

وإن ترد معرفة الأجور ... بالضابط المقرر المشهور
فاسمع لما يتلى بهذا الرجز ... من المقادير بلفظ موجز
سبع بساسيط لكل قن وقف ... في حد ملك لنهار انتصف

وختمها بقوله :

فاقنع برزقه الحلال الطيب ... تفز بعز وعلو منصب

خطها مغربي جميل ضمن مجموع رقمه 501.

المحور الخامس : طريقة التعامل مع المخطوطات

الحديث عن طريقة التعامل مع المخطوطات، يسوق إلى الحديث عن التعامل مع كتب الخزانة بصفة عامة، سواء المخطوط منها أو المطبوع. وطرق التعامل مع المستفيدين من كتب الخزانة.

أ ــ المطالعة داخل الخزانة :

يمكن طلبة الثانويات والكليات، المسجلون في الخزانة في المدة الممتدة من 15 شتنبر إلى نهايته من الكتب التي يطلبونها من المطالعة داخل القاعة، شريطة أن لا تتعدى ثلاثة كتب، وذلك بعد ملء مطبوع يتضمن اسم الطالب ورقم ورقة تعريفه، ورقم الكتاب، الذي يطلبه وحرفه.

ويسمح بصفة استثنائية، في نطاق تعميم الثقافة للذين لم تسمح لهم الظروف بالتسجيل في الوقت المحدد له، بالمطالعة داخل القاعة في أوقات فراغها من المسجلين، بعد إدلائهم بورقة التعريف وملء المطبوع المشار إليه أعلاه، كما يسمح

للأساتذة الجامعيين والباحثين بالمطالعة داخل القاعة في سائر أوقات أيام العمل بعد ملئهم لمطبوع تسجل فيه المعلومات المطلوبة.

ب ـ النسخ :

يسمح للمستفيدين من الخزانة بنقل ما شاءوا من مخطوط أو مطبوع داخل الخزانة.

ج ـ التصوير :

يرخص في تصوير الكتاب المطبوع إما برمته أو بفصول منه بعد تقديم طلب كتابي لمحافظ الخزانة والحصول على الإذن بالتصوير، أما الكتاب المخطوط، فلا يرخص في تصويره إلا بإذن كتابي من السيد وزير الشؤون الثقافية. وإذا كان التصوير خارج الخزانة، فيرافق طالب الإذن بالتصوير إلى مكان التصوير مسؤول من الخزانة.

د ـ الإعارة :

لا يسمح بتاتا لطالب أو غيره، بإعارة كتاب من الخزانة كان الكتاب مخطوطا أو مطبوعا، لأن الإعارة كثيرا ما تعرض الكتاب للتلف ولاسيما إذا كان المعير عديم الضمير، ويستثنى من ذلك كتب القصص المطبوعة، فإنه يرخص للطلبة في إعارتها لمدة محدودة.

هذا باختصار ملخص للمحاور التي تضمنها هذا العرض، والأمل معقود على أن تتوجه العناية إلى مخطوطات هذه الخزانة بالإصلاح، لأن جلها قد تلاشى، وأتلفت المهم من أوراقه الأرضة ولاسيما الخروم التي توجد داخل صناديق مقفلة، والتي لم يوظف لها من ذوي الخبرة من يتعهدها ويستخرج ما يمكن أن يكون بداخلها من كنوز. كما أطالب بإلحاح بنقل مكان الخزانة الضيق إلى مكان آخر يتناسب ومتطلبات العصر، ويجعل المستفيد أثناء وجوده بالخزانة يشعر براحة بال وهناء ضمير. وما ذلك على همة وزارة الشؤون الثقافية، ومن يتطوع لتمويل مكان صالح للخزانة من ذوي الأريحية واليسار ببعيد.

وضعية المخطوطات العربية
في المكتبة البريطانية بلندن

الأستاذ ياسين حامد صفدي

قسم المخطوطات والمطبوعات الشرقية
بالمكتبة الوطنية البريطانية ــ لندن

لا يتيح لنا المجال هنا إلا أن نعطي لمحة تاريخية عن نشأة المكتبة البريطانية بلندن التي تعتبر المكتبة الوطنية لبريطانيا العظمى، وعن محتوياتها من المخطوطات العربية.

ترجع نشأة المكتبة البريطانية من حيث مادتها ومجموعاتها إلى فترة تكوين المتحف البريطاني في أواسط القرن الثامن عشر. وبقيت مسؤولية المجموعات الشرقية فيها تحت إدارة قسم المخطوطات الغربية الأوروبية العام، إلى أن حدثت تطورات إدارية في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أدت إلى تكوين قسم خاص للمخطوطات الشرقية والتي كانت تشمل مجموعة المخطوطات والكتب العربية. ومع أن ما تسمى منها المجموعات التأسيسية والتي يرجع تاريخها إلى فترة تأسيس المتحف البريطاني، كانت تحتوي على مادة عربية مخطوطة فإن تلك المادة كانت ضئيلة ولا تتعدى المائتين، إلى أن اشترى المتحف البريطاني معظم مكتبة جيمز كلوديوس ريتش (James Claudius Rich) الذي كان الممثل الدائم لشركة الهند الشرقية في بغداد والذي توفي سنة 1821. وكانت لهفته الكبرى أن يجمع بين يديه ما أمكنه من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والسريانية الخ... وكان يحسنها وخاصة العربية.

وعرف عنه أنه صرف معظم ما كان عنده من المال مع الكثير من الجهد والعناء من أجل الحصول على هذه المخطوطات، وتم شراء مكتبته هذه في سنة 1825، ومن بينها حوالي أربعمائة مخطوطة عربية نفيسة، ومنذ ذلك الحين أخذت مجموعة

المخطوطات العربية تتطور وتتزايد باستمرار عن طريق الإهداء والإقتناء الفردي وعن طريق شراء مكتبات كبار المستشرقين ومجموعات الحاويين، ومن أهمها مجموعة كبيرة ومهمة لأحد الأرستقراطيين البريطانيين الكبار توماس هوارد (Thomas Howard) صاحب اللقب (Earl of Arundel) التي تم اقتناؤها من طرف المتحف سنة 1830. ثم تلا ذلك أن اقتنى المتحف البريطاني سنة 1834 مجموعة وليام براون هودجسون (William Brown Hodgson) ومن بينها مئتان وأربعة وعشرون مخطوطة عربية. ثم تبع ذلك اقتناء مجموعة وليام يول (William Yule) التي احتوت على خمس وأربعين مخطوطة عربية، ومجموعة ستير نشوس (P.H. Sternschuss) وفيها أربع وأربعون مخطوطة عربية، ومجموعة وليام باركر (William B. Barker) سنة 1853 ومنها خمس وعشرون مخطوطة عربية، ومجموعة روبرت تيلر (Robert Taylor) الذي تولى منصب جيمز ريتش بعد وفاة هذا، ومنها مئتان وست وأربعون مخطوطة، ومجموعة هنري رايخهارت (Henry C. Reichardt) وفيها أربع وسبعون مخطوطة عربية، ومجموعة جورج وليام هاميلتون (George William Hamilton) وفيها سبع وستون مخطوطة عربية، ومجموعة اليكساندر جابا (Alexandre Jaba)، ومن بينها ثمان وثلاثون مخطوطة عربية ومجموعة السير تشارلز موري (Charles Murray) التي احتوت على خمس وأربعين مخطوطة عربية وقبطية، ومجموعة السيد هنري كريسويك رولونسون (Sir Henry Greswicke Roulinson) ومن بينها مائة وثمان وتسعون مخطوطة عربية، ومجموعة ادوارد كليزر (Edward Glaser) ومنها ثلاثمائة وثمان وعشرون مخطوطة عربية، ثم مجموعة إدوارد وليام لين (Edward William Lane) صاحب القاموس المشهور، ومن بينها خمس وستون مخطوطة عربية، ومجموعة مايلز (S.B. Miles) التي احتوت على خمسين مخطوطة عربية نادرة عن جنوب الجزيرة العربية.

واستمر الإقتناء والإهداء بصورة أضعف طيلة الفترة ما بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل الثمانينات من هذا القرن، حيث قل الإهداء وقارب الإقتناء أن ينعدم لقلة الميزانية المرصودة لهذا الغرض.

وكان أول مدير لقسم المخطوطات الشرقية واحدا من كبار المستشرقين البريطانيين (1820 — 1902 Charles Rieu) تشارلز ريو. وكان ريو من المتخصصين البارزين في العربية والفارسية والتركية وغيرها، وخدم في المتحف البريطاني أكثر من نصف قرن من الزمن. وساهم مع كيورتون (W. Cureton) في

إخراج الفهرس الأول المفصل للمخطوطات العربية وهو باللاتينية، تحت عنوان :

Catalogus codicum manuscriptorum orientalium codias arabicos

طبع في لندن في جزأين، الأول منهما سنة 1846 والثاني سنة 1856، ثم اجتهد ريو في التنقيح والزيادة لمادة هذا الفهرس، وأتم عمله فيه حيث تمكن من إعادة طبعه سنة 1871، وكان عدد مادته من المخطوطات حوالي الألفين. وتابع ريو جهوده المشكورة في خدمة المخطوطات العربية ليس فقط في نطاق اقتناء المادة العربية المخطوطة، بل في فهرستها على وجه من التفصيل والتقييم، ووضع فهرسا دليلا جديدا لما اقتناه المتحف البريطاني حتى أواخر القرن التاسع. ونُشر هذا الفهرس الثاني للمخطوطات العربية سنة 1894 تحت عنوان :

Supplement to the catalogue of the arabic manuscripts in the british museun. London, 1894.

ومادة هذا الدليل تزيد على 500 1 مخطوطة عربية دقق في وصفها والتعليق عليها فيما يقارب ألف صفحة. وكلا الفهرسين يحتوي على إدخالات مفصلة لكل مخطوط، ومرتبة تحت رؤوس المواضيع المختلفة، ولها فهارس كشافية للأعلام والعناوين وأرقام المخطوطات الخ.

وأتم السيدان إليس وإدواردز (Ellis and Edwards) وضع قائمة للمخطوطات العربية التي اقتناها المتحف البريطاني لغاية 1912، وعنوانها :

Descriptive list of the arabic manuscripts acquired by the trustees of the british museum since 1984. London, 1912.

وعدد المخطوطات المدرجة فيها حوالي تسعمائة مخطوط عربي.

ووضع الأستاذ سامي حمارنة فهرسا خاصا بالمخطوطات العربية في الطب والصيدلة المحفوظة في المكتبة البريطانية، وذلك تحت عنوان :

Catalogue of arabic manuscripts on medicine and pharmacy at the british library. Cairo, 1975.

أما سجلات الفهرسة للمخطوطات المقتناة ما بعد سنة 1912 فهي على شكل بطاقات زرقاء، وهذه ما أقوم حاليا بتحقيقها وضبط فهرستها وتفصيلها استعدادا لوضع فهرس شامل على الحاسب الآلي (الكومبيوتر) لجميع مادة المخطوطات العربية لدينا.

وكما تعرفون فإن الحكومة البريطانية قررت سنة 1973 أن تنشىء مكتبة وطنية

وذلك بدمج عدد من المكتبات الكبيرة الرئيسية والإقليمية إلى مكتبة المتحف البريطاني المشهورة، وأطلق عليها اسم المكتبة البريطانية British library، وتقوم الحكومة الآن بإنشاء مركز لها في بناء ضخم جدا في لندن، ومن المتوقع أن تكتمل المرحلة الأولى منه في سنة 1992، وسيستمر بناؤه وتجهيز قطاعاته وأقسامه إلى مطلع القرن الحادي والعشرين.

وقد نتج عن هذا التجمع المكتبي أن انضمت مؤخرا مكتبة الهند وأقسام الوثائق التابعة لها، وكلها واقعة في لندن، إلى المكتبة البريطانية، فزاد بذلك رصيدنا من المادة العربية المخطوطة والمطبوعة بما في ذلك الوثائق العربية المهمة. ولا مجال لذكر تفاصيل هذه هنا ولكننا نرشد القارىء الكريم أن يرجع إلى النشرات والكتب التي طبعت والتي تحتوي على تفاصيل المادة العربية وفهارسها وخاصة الدليل الذي نشر مؤخرا تحت عنوان :

Arabic language collections in the british library. London, 1984.

وقد بلغ عدد المادة العربية المخطوطة في مجموعاتنا ما يزيد على إثني عشر ألف قطعة من الوثائق والكتب العربية المخطوطة بالإضافة إلى أكثر من أربعين ألف كتاب مطبوع.

وتتضمن المجموعات المخطوطة خاصة روائع تعكس الكمال الفني الراقي الذي توصل إليه الفن العربي والإسلامي في الخط، والزخرفة الشكلية، والزينة الملونة والذهبية، والتصوير، والرسم العلمي، والمعماري، والنباتي، والحيواني، والإنساني، ومن بينها أيضا مخطوطات نفيسة ونادرة، أو لها أهمية فائقة، أو عمق زمني يعطيها امتيازا خاصا.

وللأسف لا يسمح لنا مجال هذه الندوة والوقت المحدد لهذا الحديث أن نذكر هذه الروائع والنفائس والنوادر بالتفصيل، ولكن قد يتيسر أن نلمح تلميحا سريعا لإعطائكم فكرة عامة.

فمثلا من بين مجموعة المصاحف الشريفة لدينا :

— مصحف بالخط المائل الحجازي على الرق من أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ويعتبر هذا المصحف من أقدم المصاحف في العالم.

— مصحف بالخط الكوفي الشرقي المزين بكثافة على الطراز القرمطي، من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

ـ مصحف أيضا بالخط الكوفي الشرقي من السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

ـ مصحف بالخط المغربي على الرق، من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

ـ مصحف بالخط الأندلسي الدقيق مع الكوفي الغربي الزخرفي، ولهذه المخطوطة نظيرة في القاهرة وأخرى في استنبول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ولعل ما عندنا أقدم منهما بقليل من الزمن.

ـ هناك أجزاء من مصحف نادر بالخط المغربي الأندلسي الكبير من أسلوب غرناطة، من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

ـ مصحف بخط النسخ الدقيق مؤرخ سنة 427هـ/ 1036 في غاية من الأهمية.

ـ مصحف كامل من أندر وأروع المصاحف المملوكة في العالم في سبعة أجزاء من الحجم الكبير يمتاز بعدد من الصفحات والميزات الفريدة فهو المصحف الفريد مديد خطاط عصره ابن الوحيد ومن زينة أيرغدي عبد الله البدري المشهور والمصحف الوحيد للسلطان بيبرس والفريد من نوعه بالثلث المذهب الزخرفي ؛ مؤرخ سنة 704هـ/1304م.

ـ مصحف مملوكي رائع الزينة من الحجم الصغير بالخط الريحاني، وقفه السلطان فرج بن برقوق، في القرن السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وهو نموذج جميل جدا يبين مدى رقي فن إخراج المصاحف في عهد المماليك.

ـ كذلك من المصاحف النادرة جدا مصحف بخط المحقق الذهبي عمل بأمر السلطان الإلخاني أولجايتو في الموصل سنة 710هـ/1310م، ذو زينة فاخرة جدا ويوجد له نظير عدا ما في متحف الفن الإسلامي في استانبول.

ـ مصاحف أخرى مهمة كثيرة أدنى من هذا المستوى الرفيع بقليل، ولكن لا مجال لذكرها.

ـ ويجب أن نذكر بشكل خاص مصحف مغربي فاخر عمل بيد أبي حفص عمر المرتضى أمير مراكش، له مزية فريدة إذ يعتبر غلافه المذهب أبكر نموذج يعرف في العالم عن استعمال الزينة الذهبية على الجلود وتثبيتها بالمكواة. وهذه سابقة مهمة في فن التسفير عند العرب. وقد تم عمله في مراكش سنة 254هـ/1256م.

يمكن للقارىء الرجوع لتفاصيل ما ذكرناه أعلاه من المصاحف الرائعة والنادرة، إلى كتاب نشرناه بالإشتراك مع الزميل المسلم الصالح مارتن لينكز (الحاج أبي بكل سراج الدين) وذلك تحت عنوان :

The qur'an : Catalogue of an exhibition of qur'an manuscripts at the british library.

ولدينا عدد من المخطوطات المهمة المبكرة في التفسير وعلوم القرآن والحديث وفي الصوفية والمذاهب والفقه والأدب والفلسفة وعلوم اللغة والتأريخ والجغرافيا والطب والرياضيات والفلك وعلوم الطبيعة الخ. وجاء ذكره باختصار في الدليل المختصر للمجموعات العربية في المكتبة البريطانية الذي سبق ذكره.

ولا يتيسر لنا في هذا المجال إلا أن نذكر البعض منها باختصار لنعطي لمحة عن أهميتها وتنوعها وهي تغطي معظم فروع المعرفة الإسلامية.

فمن بينها مخطوطات قيمة بأيدي مؤلفيها من أمثال ابن خلكان وابن عساكر وابن حجر العسقلاني وابن حبيب وياقوت المستعصمي وابن البواب والذهبي والكتبي وغيرهم.

ومن المخطوطات النادرة جدا أو الفريدة :

ـ معرفة علوم الحديث للنيسابوري، ورياض الصالحين للغزالي، والمحيط لإسماعيل ابن عباد، وشرح ابن الجني على ديوان المتنبي.

ـ ومن المخطوطات المبكرة جدا أو من عهد مؤلفيها نذكر عن طريق المثال :

* الخطيب النباتية لابن نباتة الخطيب.
* كتاب الألفاظ لابن السكيت.
* كتاب الحماسة لأبي تمام.
* الصحاح في اللغة للجوهري.
* مقامات الحريري.
* شرح الطوسي على الإشارات لابن سينا.
* شرح هارون بن موسى على كتاب سيبويه.
* كتاب إيجاز التعريف لابن مالك.

ـ ومن نفائس المخطوطات المصورة التي تعكس أوجه الكمال الفني للكتاب العربي :

* مقامات الحريري.
* نعت الحيوان لبختشوع.
* عجائب المخلوقات للقزويني.
* صور الكواكب الثابتة للصوفي.
* كتاب الكانية وهو بخط ياقوت المستعصمي.
* نهاية السؤال والأمنية في علم الفروسية لعيسى بن إسماعيل الحنفي وغيرها.

ويجدر بي أن أقول كلمة مختصرة في بعض الخدمات المتعلقة في خدمة وصيانة ما عندنا من التراث العربي وخاصة ما يتوفر لدينا منه. فلدينا طاقم كبير وكامل بتقديم جميع الخدمات الفوتوغرافية وقد أحضرت ووزعت نشرة تبين تفاصيل ذلك كله.

كما أنه عندنا ومنذ زمن طويل نظام فني مهم لم يتوفر بعد بكمال في عدد من بلدان العالم العربي والإسلامي، ويكفل لنا هذا النظام الفني إمكانيات الحفظ والترميم والصيانة لجميع ما عندنا من مادة أثرية وتراثية على مستوى عال جدا وبكلفة عالية أيضا. فعن طريق المثال تمكنت مؤخرا أن أنقذ مصحفا جميلا اشتريناه بثمن زهيد وعملنا عليه سبعة أشهر في جمعه وترميمه وضمه وتسفيره إلخ... إلى أن أعدناه إلى حالة مرضية. ومخطوطة أخرى اشتريناها في المزاد العلني بلندن، رخيصة نسبيا بسبب حالتها التي يرثى لها لكنها تعتبر في رأيي حلقة مفقودة في تطور الفن العربي غزيرة الزينة والرسومات، وهي مخطوطة عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني.

فقد خصصنا لها من كبار خبرائنا في الترميم من عمل عليها لمدة سنة كاملة تحت إشرافي الخاص. كما أتممنا عملية مماثلة لمخطوطة مقامات الحريري الرفيعة الفن الراقية الخط والتي تعد الثانية في القدم والأهمية وعملنا في ترميمها وإصلاحها لمدة سنة أيضا. وأخطط الآن لعملية مماثلة للمخطوط الرائع والنادر : «نعت الحيوان ومنافعه» لبختشوع، ويعتبر هذا من أهم المخطوطات المصورة في توثيق مظاهر الفن العربي والإسلامي. ونقوم عادة بانتظام بالكشف عن حالة هذه المخطوطات وفرز ما يلزمه صيانة وترميما ورعاية خاصة.

ونختم كلمتنا هذه في أن نقول إنه لنا نشاطات مرموقة في مجال هذا التراث الذي في عهدتنا، ونبذل أقصى جهدنا في خدمته وتزويده وصيانته والتعريف به وتشجيع ومساعدة الباحثين للتوصل إليه والعمل عليه، من جميع أنحاء العالم.

تقرير عن وضعية
المخطوطات العربية بموريطانيا

الأستاذ محمد الأمين الباه

معهد موريطانيا العلمي السعودي

يتميز المخطوط الموريطاني في الظرفية الحالية عن المخطوطات في الغرب الإسلامي، والتي أكدت معظم العروض التي قدمت بشأنها، بأن مهدها حضري، لكون مهد المخطوط الموريطاني بدويا، وهذا ما يجعله يختلف عن غيره من المخطوطات نظرا لأنه ظل بعيدا عن المؤثرات التي تصيب عادة المخطوطات في البلاد المتحضرة من جهة، ومن جهة أخرى فإن هناك بعض السلبيات التي تعاني منها المخطوطات الموريطانية والتي لا تواجه المخطوطات الموجودة في البلاد الحضرية.

كانت أول عملية تدوين وتسجيل للمخطوط الموريطاني هي التي قام بها المعهد الموريطاني للبحث العلمي في مجلة شهرية عليها صورة لمنارة المسجد القديم، أي مسجد شنقيط باعتباره معلمة من المعالم التاريخية الهامة بموريطانيا شأنه في ذلك شأن الزوايا التي تعتبر مهدا للفكر.

فمن المعلوم أن هذه الزوايا قد احتضنت العلوم والفكر عامة خلال ستة أو سبعة قرون مضت، حيث ظلت متوفرة في الصحاري وفي البوادي، محافظة بذلك على تاريخها العربي الإسلامي نظرا لكون معظم المشايخ ظلوا يحافظون على هذه الزوايا بالرغم من تعرضهم لمطاردة المستعمر، فكان هذا سببا من بين الأسباب التي جعلت الاستعمار وعلى مرور خمسين سنة غريبا عن موريطانيا، فلم يتغير طابع التاريخ العربي الإسلامي في البلاد، وظل المخطوط باعتباره جزءا من هذا التاريخ محافظا على أصالته، إذ أن يد المستعمر لم تعبث إلا ببعض المراسلات

السياسية التي كانت بينه وبين المتآمرين معه. أما أمهات الكتب فلم تصل إليها يد العابثين وهذا ما يستدعي التنويه بما قام به هؤلاء المشايخ. يضاف إلى ذلك أن عملية جمع هذا التراث لم تكن بالأمر السهل كما كان عليه الشأن في المغرب أو الجزائر أو تونس أو مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية. وفي إطار الحديث عن المخطوط الموريطاني لابد من التعريف بطبيعة البيئة التي يوجد فيها هذا الأخير، وبمجهودات العلماء والمشايخ الموريطانيين، خاصة إذا علمنا أنهم كانوا بمثابة رحالة، ونضرب مثالا لذلك بما قام به الشيخ محمد الأمين ولد التلاميذ الذي كون مكتبته المعروفة الآن في مصر، والتي تم تأميمها بعد ثورة سنة 1952، وقد ظلت موريطانيا تطالب مصر برد هذا التراث الهام. وفي هذا الصدد نتوجه بنداء حتى يرد لموريطانيا تراثها المخطوط، خاصة وأن له ورثة شرعيين هم أبناء الشيخ، ومن المعلوم أنه في الشرعية يعتبر الكتاب كالنقود والحيوان وسائر الممتلكات.

كان أهم ما كتب فيه الموريطانيون هو علوم القرآن والتوحيد والفقه المالكي بصفة خاصة، وقد برعوا في ذلك كما برعوا في النسخ، ولازالت مهنة النسخ موجودة في موريطانيا وبشكل طبيعي لا يتقاضى عليها الناسخ مرتبا بل هي هواية طبيعية بالنسبة للإنسان الموريطاني.

وعلى سبيل المثال نذكر بروز العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في تكانيت، وهو عالم معروف زار المغرب أيام مولاي إسماعيل، وبعد تحقيق كتاب هذا العلامة من طرف الدكتور محمد حجي في السنوات الأخيرة اتضح أنه ضم أسماء لعلماء موريطانيين، منهم من نهل من معرفة الشرق والأندلس فألفوا وجلبوا معهم بعض المخطوطات من الأندلس ومن المشرق ومن المغرب، مثال ذلك ما قام به الطالب أحمد المسوني في هذا المجال.

إن أهم ملاحظة يمكن استخلاصها من خلال هذا الملتقى هو أن الباحثين الكرام قد اعتمدوا في أبحاثهم على ما هو لديهم، وذلك إما في حدود صلاحياتهم داخل الدوائر التي يعملون بها، وإما في إطار تعاملهم مع جهات ثقافية متعددة ومختلفة في ميدان المخطوطات، إلا أن الأمر يختلف بالنسبة لموريطانيا خاصة وأن ما سجل من هذه المخطوطات يظل ضئيلا بالمقارنة مع الزخر الهائل الذي تتوفر عليه موريطانيا في هذا المجال. وكما سبقت الإشارة إلى ذلك سابقا فإن المخطوطات الموريطانية تظل متميزة عن المخطوطات في الغرب الإسلامي، وهذا ما يجعلنا نطرح

بعض التساؤلات : هل نترك المخطوطات في موريطانيا على ما هي عليه ؟ أم نمد أيادينا لإنقاذ تراثنا المخطوط ؟ هل نجمع هذه المخطوطات ؟ هل نتنقل بين الزوايا حتى نجمع منها ما نستطيع جمعه ؟ فمجموع هذه الأسئلة وغيرها كثير طرحت إما على المستوى الرسمي وإما على المستوى الغير الرسمي. فكان أهم عمل قامت به موريطانيا في هذا المجال هو حصر بعض هذه المخطوطات في شنقيط، وهي القلعة الإسلامية القديمة التي اعتبرت مهدا لبعض هذه المخطوطات. وبالفعل فإن جامع شنقيط يضم مكتبة خاصة في ملك أهل البشير، وهم علماء معروفون في المنطقة، استطاعوا أن يقوموا بجمعها في سجلات وهذه السجلات عرفت تنظيما حسب النمط التقليدي للتسجيل.

أمام هذه الوضعية الغير مشجعة، وعلى ضوء العروض التي تم إلقاؤها على امتداد ثلاثة أيام من هذا الملتقى، فقد كنا ننتظر من هذا المجمع الكريم أن يخرج بفكرة عامة نعود بها كورقة عمل نقدمها للمختصين بالمخطوطات في موريطانيا الذين يتكلمون باسم الشرعية القانونية لجمع المخطوطات، إلا أننا لم نلمس اقتراحات عملية يمكن الاستفادة منها لإنقاذ المخطوطات والعناية بها.

فمخطوطات الغرب الإسلامي والحالة هذه لا يمكنها أن تستمر استمرارا حضاريا بهذا الشكل إلا إذا اعتبرنا أن العلماء والباحثين قد تخلوا عن مهامهم الأساسية، وهنا لا يمكن أن نلقي اللوم على أحد معين أو جهة معينة، فالمشكل يهم الجميع والمسؤولية ملقاة على عاتق كل الجهات مادام المخطوط يمثل تراثا حضاريا، والحضارة ملك للأجيال وهي ربط بين الماضي والحاضر، ثم إننا بصدد حضارة تتميز بصفات وخاصيات معينة، ألا وهي الحضارة الإسلامية التي ليست لشعب دون آخر أو للون معين أو لجهة دون أخرى.

في ظل الاقتراحات التي قدمت وأمام الوضعية المزرية التي توجد عليها العديد من المخطوطات في العالم الإسلامي، وبهذه المناسبة التي لا تتكرر مثيلاتها إلا نادرا نود أن نخرج بورقة عمل تدعو إلى ضرورة خلق رابطة للمخطوطات الإسلامية العربية في الغرب الإسلامي، أساسها رابط إنساني، سموها إنسانية أو رابطة حضارية، هدفها إنقاذ المخطوطات في الغرب الإسلامي وعلى رأسها المخطوطات الموريطانية لأنها تتعرض إلى كوارث طبيعية أكثر من غيرها. فماذا عسى أن تكون طبيعة هذه الكوارث الطبيعية ؟

في مقدمة هذه العوائق نجد الجفاف الذي زحف على الزوايا مما يجعل الشيخ يغادر زاويته بحثا عن موطن جديد يستقر فيه، وبذلك ينفض كثير من الطلبة الذين يكونون حوله والذين يقومون بالاستنساخ والتدريس والدراسة فيكونون في خدمة الوثيقة الإسلامية أي المخطوط. وفي هذا الصدد نتوجه بنداء مستعجل لمن يريد أن يساهم في عملية إنقاذ المخطوطات بموريطانيا، خاصة وأنها تزخر بثروة جد هامة من المخطوطات، والتي لازالت تعاني من قساوة الظروف الطبيعية، إذ أن معظمها لم يسجل ولم يعالج ولم يرمم بعد، وهذا ما يجعلها عرضة للتلف والضياع. فالهدف الأساسي الذي سعينا إلى الوصول إليه من خلال هذا السرد هو الوقوف على واقع مزر، واقع يدعو بحق إلى القلق، بل القلق الشديد، ويتطلب إثارة الهمم قصد النهوض بهذا الجانب من تراثنا العربي الإسلامي، وحتى يتسنى ذلك فإننا نرحب بكل من يريد التحقيق علميا في هذه المسألة، ونعده بأننا سنعمل على تسهيل مأموريته ومساعدته، ومن أراد أن يتفضل بمساهمة خيرية في هذا المجال فسنكون له من الشاكرين.

المخطوطات والوثائق العربية بالخزانة العامة وخزانة الجامع الكبير بتطوان

الأستاذ محمد الأمين بوخبزة

موثق بالخزانة العامة ـــ تطوان

«المكتبة العامة والمحفوظات» هو الاسم الذي أصبحت تحمله هذه المؤسسة الوطنية بتطوان قاعدة شمال المغرب غداة استقلال المغرب، وكانت النية متجهة إلى جعلها مكتبة وطنية جامعة للكتب والمخطوطات، والوثائق والمستندات بعد تأسيسها سنة 1939 بعاصمة ما كان يسمى بالمنطقة الخليفية على عهد الحماية الإسبانية لشمال المغرب، وبعد أن كان مقرها الأول بساحة الفداء (ساحة الحسن الثاني) الآن، بتطوان في بناية متواضعة، ومحتوياتها تتجاوز بضع مآت، منها مخطوطات لا تبلغ المائة. نقلت إلى بناية جديدة كبرى أطلق عليها إذذاك (المعهد الرسمي) هي الآن (ثانوية القاضي عياض). وهناك بدأت حركة التنمية والاستيراد، فاشتريت لها مكتبات برمتها، كمكتبة ابن الصديق بطنجة، ومكتبة العلمي بشفشاون، ومكتبة الزواق بتطوان، افرزت مخطوطاتها وأضيفت إلى قسمها، وبعد استقلال المغرب نقلت المكتبة إلى بناية لائقة اشتريت لها، بأكبر شوارع المدينة (شارع محمد الخامس) حيث مقرها الآن، وأعدت إعدادا حسنا، وأصبحت قبلة الباحثين والعلماء والطلبة من المغرب وغيره، ومازالت تؤدي رسالتها على أحسن حال، ورغم أنه لم يضف إلى رصيدها المخطوط من الكتب والوثائق إلا شيء تافه، مع العلم أن كثيرا ـــ وكثيرا جدا ـــ من نوادر المخطوطات، وذخائر المصنفات، خرجت من تطوان وقبائل المنطقة الجبلية والغمارية، على يد السماسرة الذين يجولون خلال قراها ومداشرها، ويشترونها بثمن بخس، وهي البقية التي سلمت

من عوادي الزمان، وحوادث السطو والحرق والاحتلال الإسباني الأول والثاني، والقرصنة المعلومة التي أخذت اخواتها طريقها إلى دير الاسكوريال بإسبانيا وغيره، وفيها الكثير من كتب أبناء تطوان كما يعرف بالوقوف عليها، وما كان ينبغي أن يحصل هذا لو نظر إلى الأمر بعناية وإخلاص، كما أنه من المؤسف أن يقل حظ مكتبة تطوان من آثار أبنائها، فلولا أن الفقيه مؤرخ البلدة ألجأته الظروف إلى بيع قسم من مكتبته العامرة، وكان منها نصيب من مؤلفاته، وعلى رأسها تاريخه الحافل المسمى «عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين» لخلت المكتبة تماما من آثار أبنائها البررة مثل العلماء الأجلة علي بركة الأندلسي، وعيسى الجزيري الأندلسي، ومحمد الحراق العلمي، وأحمد بن عجيبة، وعبد الله شطير، وعبد الرحمن الحائك المصمودي، ومحمد الجنوي، وأحمد الوزاني، ومحمد عزيمان، وأحمد السلوي، وأحمد الزوافي ومحمد المرير، وغيرهم ممن تحتفظ بعض المكاتب الخاصة ببعض مؤلفاتهم، وكان الواجب أن تضم خزانة تطوان جميع آثارهم التي هي بنات بيئتها، وإشعاع حضارتها بعد الحصول عليها بأي طريق ولو بالاستنساخ والتصوير.

بلغت مخطوطات الخزانة الآن زهاء ثلاثة آلاف عنوان في مختلف فروع المعرفة، وضع لها جرد غير مستوعب ولا دقيق، وطبعت وزارة الشؤون الثقافية مؤخرا قسمي علوم القرآن والحديث، ولازالت الأقسام الأخرى تنتظر الطبع، وحالة هذه المخطوطات ــ بصفة عامة ــ حسنة بفضل الصيانة والترميم، إلا ما كان من مخطوطات الجامع الكبير التابع للأوقاف، فإنه لوحظ سوء حالها وتكاثر العبث، وتزايد الأرضة فيها، ولعل ذلك راجع إلى الرفوف الخشبية التي تحتضنها مع السوس المتوالد في دفتها، وقلة التهوية اللازمة والتعاهد المطلوب.

ومن المفيد أن نشير في هذه العجالة إلى بعض نوادر الخزانتين وأشباه النوادر مما تنفردان به أو تكادان، وهذا غير مستغرب في خزانتين متواضعتين بالنسبة لكبريات الخزائن في المغرب، فقديما قيل في المثل : «يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر». فمن أعلاق خزانة تطوان :

1 ــ قطعة نادرة من مصحف غرناطي مكتوب على رق الغزال بخط أندلسي فخم ومذهب، عرض بعض لوحاتها صاحب (مصور الخط العربي) ناجي زين الدين في الجزء الأول.

2 ــ نظم الدرر المنثورة لأبي العباس الونشريسي (صاحب المعيار) بخطه.

3 ـــ عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، لأبي العباس قاضي قضاة تطوان ومؤرخها أحمد الرهوني بخطه في 9 مجلدات.

4 ـــ المولد النبوي للشيخ حسن السقا خطيب الجامع الأزهر، بخطه.

5 ـــ شرح بردة البوصيري للشيخ يوسف الحفني، بخطه.

6 ـــ مجموعة رسائل للشيخ محمد الأمير الكبير، بخطه.

7 ـــ تخميس طي البردة للسخاوي المدني، بخطه.

8 ـــ مجموع مهم يشتمل على رسائل في النحلة الكشفية الشيخية التي هي أساسا البهائية، منها رسالتان لكاظم الرشتي ـــ بخطه ـــ كتبهما في النجف فيما يسمى : العتبات المقدسة.

9 ـــ مجموع رسائل وتقاييد للأشراف العلميين ـــ حكام مدينة شفشاون ـــ.

10 ـــ مشارق الأنوار للصاغاني اللغوي، نسخ في القرن الثامن واللافت للنظر أن النسخة لم تمسها الأرضة بأدنى أثر رغم طول المدة، ووجودها بين المخطوطات المصابة، مما جعل بعض الباحثين الأجانب يستظهرون أن ذلك راجع لنوع الورق ومواد صنعه.

11 ـــ شرح المرادي على الفية ابن مالك، نسخ في حياة المؤلف.

12 ـــ ألفية ابن سينا في الطب، نسخت سنة 800.

13 ـــ الشفا للقاضي عياض، نسخة شرقية محققة كتبت سنة 791.

14 ـــ خبايا الزوايا، للشهاب الخفاجي ـــ وهو أصل كتابه الريحانة ـــ نسخة منقولة من خط المؤلف.

15 ـــ ألحان السواجع. للصلاح الصفدي نسخة جيدة، اعتمدت في الطبع.

16 ـــ الأنيس النفيس لأبي القاسم الزاياني، الوزير المغربي. نسخت في حياة المؤلف.

17 ـــ مختصر كتاب العين للزبيدي الأشبيلي، نسختان أندلسيتان، وإحداهما محققة مقروءة معتمدة من القرن السادس تقديرا.

18 ـــ تحفة الأنفس، وشعار سكان الأندلس، لابن هذيل الغرناطي، الجزء الأول الذي لم يطبع ـــ نسخة خزائنية.

19 ــ رقم الحلل في نظم الدول للوزير ابن الخطيب، نسخة جيدة تقرب من عصر المؤلف.

20 ــ ترتيب ديوان المتنبي لأبي جمعة الماغوسي، نسخة كتبت للمنصور الذهبي السعدي.

21 ــ حاشية محمد بن سليمان الروداني على أوضح المسالك ــ نسخة فريدة.

22 ــ كتاب الأبرار، في بري الأقلام وعمل الأحبار ــ نسخة فريدة.

23 ــ مجموع به كتاب به (وصف الأحجار ــ نسخ بمدينة بروسة سنة 836).

24 ــ الجمع بين (نزهة الناظر، وبهجة الخاطر) لأحمد بن عبد القادر التستاوتي، لابن عاشر الحافي السلوي، وعليه خطه ويطول بنا الكلام إذا استرسلنا في الحديث عن المخطوطات المهمة التي تضمها الخزانة، وخصوصا في الفقه والقرآن والتصوف ونحوهما.

أما نوادر خزانة الجامع الكبير فيأتي على رأسها :

1 ــ المصحف المقدس الأثير (مصحف ابن مرزوق)، هذا المصحف الذي كتب على رقوق الغزلان في أوائل القرن السادس بمدينة بلنسية بالأندلس، بخط أحد بني حزب الله، الأسرة الشهيرة بالعلم، ثم تقلبت به الأيام إلى أن حل بتلمسان فاصطحبه الإمام ابن مرزوق الخطيب في هجرته إلى مكة المكرمة حيث جاور بيت الله، يتلو كتاب الله، فأخرج فيه اثني عشر ألف ختمة تجاه الكعبة المشرفة كما كتب حفيده (الحفيد ابن مرزوق) بخطه الرائق في أول النسخة منبها إلى سقوط كلمة (إليك) من قوله تعالى في سورة الملك : «ينقلب إليك البصر خاسئا...» من قلم الناسخ، وعدم تفطن القارىء الخطيب رغم هذه المدة الطويلة، والختمات المتكاثرة. حتى استدركها الحفيد بخطه بمداد مغاير في المصحف المذكور كما شرح ذلك أبو العباس المقري في (نفح الطيب 416/5) طبعة إحسان عباس، ويرجع الفضل في اكتشاف هذا المصحف النادر إلى الفقيه الأديب السيد محمد بن موسى وزير الأوقاف في الحكومة الخليفية يومئذ، رحمه الله.

2 ــ مجلدان من النوادر والزيادات لابن أبي زيدون القيرواني.

4 ـــ حاشية الوانوغي على المدونة.

5 ـــ نسخة من شرح أبي علي ابن رحال على مختصر خليل، ويعتبر أوسع شروحه، فقد شرح نصفه الثاني فقط في 14 مجلدا ضخما.

6 ـــ مسند الإمام أحمد نسخة شرقية عتيقة.

7 ـــ شرح الكرماني على صحيح البخاري ـــ نسخة شرقية عتيقة.

8 ـــ المنزع البديع للسجلماسي في علوم البلاغة نسخة جيدة اعتمدت في طبعه مع نسخة ثانية في لندن ولا ثالثة لهما.

9 ـــ النصف الأول من السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن النسائي، وهي أصل المجتبى الذي هو أحد الكتب الستة في الحديث من نسخة كانت تامة في مجلدين كتبت بدمشق في أوائل القرن السادس. وقد صورت لعدة جهات واعتمدت في الطبع.

هذا علاوة على نسخ خزائنية من صحيح البخاري وغيره، ومعظم هذه النفائس مما حبسه أمير المومنين المولى محمد بن عبد الله لما وزع كتب دار جده المولى اسماعيل على مساجد المغرب.

أما الوثائق ـــ وهي المادة الخام الأولى لتاريخ الأمة وحضارتها ـــ فتنفرد خزانة تطوان بمجموعة جد مهمة عن العصر الحسني الأول والعزيزي والحفيظي تكون معظم الرصيد. كانت في الأصل واردات سلطانية أو وزارية إلى النائب السلطاني بطنجة في تلك الأيام السيد الحاج محمد بن العربي الطريس الدبلوماسي المحنك الشهير، مع مجموعة نادرة مصورة من خزائن مدريد ترتقي إلى عصر المولى محمد بن عبد الله وابنيه اليزيد وسليمان، ومجموعة للمولى عبد الرحمن، ووثائق أصيلة عن حركة الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي والثائر أحمد الريسوني، إلى رسائل بعض المشايخ والعلماء والمجاهدين، وتقاييد وفتاوي ورسوم عدلية، واتفاقيات دولية، ونصوص قوانين وبيعة شرعية وغيرها، يصل مجموع هذه الوثائق إلى نحو 25 000 وثيقة، قامت مديرية الوثائق الملكية بالرباط منذ سنوات بتصويرها كلها وإيداع نسخة من كل صورة منها بالخزانة للاطلاع والاستعمال صيانة للأصول عن التلاشي والتمزق، مع الوعد بتصوير صادراتها المحفوظة بالمديرية حتى تجتمع

الصادرات والواردات أو الظهائر والمراسيم وأجوبتها، وبذلك تتم الفائدة، وتتكامل فصول القضايا والموضوعات الحكومية.

ولهذه الوثائق سجل عام، وبطاقات محررة بالمواد والموضوعات والأعلام، كما أعد لها جرد مختصر مفيد بعدد المحافظ ومحتوياتها إجمالا يقف الباحث المستعجل في أقصر مدة على مجملها وعددها، وقد طبعت لحد الآن أربعة أقسام من فهارسها عن العصر الحسني الأول.

وضع المخطوطات العربية في الجزائر

الدكتور محمود بوعياد
مدير المكتبة الوطنية الجزائرية

1 ـــ الجزائر والتراث العربي المكتوب :

ساهمت الجزائر في إثراء التراث الثقافي العربي مساهمة البلدان الإسلامية الأخرى في المشرق والمغرب، وقد ظهرت بوادر التدوين والتأليف وجمع الكتب منذ فجر الفترة الإسلامية، إذ أن المصادر تورد عددا من أسماء المؤلفين والشعراء جادوا بأقلامهم وقرائحهم في أول دولة إسلامية فوق تراب المغرب الأوسط وهي الدولة الرستمية التي اعتنت بالكتاب عناية خاصة، فيذكر الشيخ أحمد الدرجيني (المتوفى حوالي سنة 670هـ/1272م) في كتابه (طبقات المشائخ بالمغرب) أن أبا عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وجد عند دخوله لتاهرت عاصمة الرستميين «صومعة مملوءة كتبا» (ج أ، ص 96) فأحرقها، ويفرط آخرون في المبالغة بقولهم إن المكتبة التي أسسها الأئمة الإباضية الرستميون في تاهرت كانت تضم ثلاثمئة ألف مجلد من الكتب جلب بعضها من المشرق، وألف الباقي علماء وأدباء ولدوا في المغرب الأوسط أو استقروا بأرضه، وأمام هذه المبالغة لا يسعنا إلا أن نعتبر هذا الرقم خياليا بالنسبة للفترة التاريخية، غير أنه وإن كان بعيدا عن الحقيقة فهو يدل على كثرة عدد المجلدات التي كانت تضمها هذه المكتبة.

ونجد أخبارا مماثلة حول العدد الكبير للمؤلفين وخزانات الكتب عند الدول التي تعاقبت على القطر، ويؤكد هذا الكلام المعلومات التي استقيناها من كتب تراجم العلماء «كعنوان الدراية في ذكر علماء بجاية» لأحمد الغبريني (المتوفى سنة 704هـ/1304م) و«البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان» لمحمد بن مريم (المتوفى سنة 1014هـ/1605م).

فإن المراكز الثقافية كتلمسان، ومازونة، والجزائر العاصمة، وبجاية، وقسنطينة، ومدن وادي ميزاب مثلها مثل المراكز الثقافية التابعة للزوايا على الخصوص، والمنتشرة في كافة أرجاء القطر شمالا وجنوبا، وشرقا وغربا، ملئت كلها بخزائن تزخر بالكتب.

وليس ببعيد عنا وفي بداية القرن الميلادي الماضي ذكر الدبلوماسي والمؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني (المتوفى سنة 1249هـ/1809م) ما قدم له طلبة العلم من كتب في التاريخ عند زيارته لمدينة تلمسان في عهد الخلافة العثمانية. فمما قال: «اتحفونا بما عندهم من كتب الأخبار، وتواريخ من كان ببلدهم من الأحبار، فأتحفني الفقيه الأديب المبدع الأريب، خطيب مسجد أبي مدين بالعبّاد، بتاريخ الامام المؤرخ أحمد بن يحيى البلاذري...، وطالعت بها تاريخ سلمان بن إسحاق المطماطي، وتاريخ هاني بن يصدور القوصي، وتاريخ كهلان بن أبي لؤى الأوربي في أنساب البربر وأيامهم في الجاهلية والإسلام... وتاريخ العقباني في دولة بني زيان، وتاريخ ابن مرزوق الذي سمّاه **«نفي الوسن في محاسن أبي الحسن»**، وغيرها من كتب التاريخ، من جملتها **«واسطة السلوك في سياسة الملوك»** والذي ألفه السلطان أبو حمو موسى الزياني، ملك تلمسان...» (**الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، ص 144**).

ومن الملاحظ أن علماء الجزائر ألفوا في العلوم المعروفة في الحضارة العربية الإسلامية كلها نذكر منهم من اشتهر في بعض العلوم على سبيل المثال لا الحصر:

اشتهر في تفسير القرآن الكريم، عبد الرحمن الثعالبي (المتوفى سنة 870هـ/1471م)، وفي الحديث النبوي الشريف يحتل عدد كبير من الرواة الجزائريين مكانة مرموقة، ذكر أكثرهم عبد الحي الكتاني في كتابه **«فهرس الفهارس»**، ونبغ منهم على الخصوص محمد التنسي (المتوفى سنة 799هـ/1404م) الذي لقب من أجل ذلك بالحافظ التنسي — وقل من لقب هذا اللقب في العالم الإسلامي.

ونبغ عدد كبير من أهل المغرب الأوسط في القراءات، وفي ضبط القرآن ورسمه، ونذكر منهم التنسي السالف الذكر، وفي علم الكلام مازالت كتب الإمام محمد بن يوسف السنوسي (المتوفى سنة 890هـ/1490م) متداولة إلى يومنا في أكثر الجامعات والمعاهد الإسلامية التقليدية نذكر منها على الخصوص **«العقيدة**

الصغرى» و«**العقيدة الوسطى**» و«**أم البراهين في التوحيد**». ونذكر من بين الفقهاء الذين ذاعت شهرتهم أحمد الونشريسي (المتوفى سنة 914هـ/1508م) صاحب «**المعيار المعرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب**» والإمام يحي المازوني (المتوفى سنة 883هـ/1478م) مؤلف «**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**» ومحمد بن عبد الكريم المغيلي (المتوفى سنة 909هـ/1503م) كما نبغ في الفقه والعلوم الدينية المختلفة عدد من العلماء من أسرة ابن مرزوق ومن أسرة العقباني وغيرهم. وألف علماء المغرب الأوسط أيضا في الحسبة والفلك والهندسة والعلوم التطبيقية، ونبغ في التاريخ يحي بن خلدون ومحمد التنسي السالف الذكر، وكذلك محمد بن مرزوق (المتوفى سنة 781هـ/1379م) صاحب «**المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**» وفي الأدب نجد الحسن بن رشيد الشهير بالقيرواني (المتوفى سنة 463هـ/1071م) والذي خلف كتبا عديدة في الأدب أشهرها «**العمدة في صناعة الشعر ونقده**».

وفي الشعر لمعت أسماء عدد من فطاحل الشعراء نقتصر على ذكر عفيف الدين التلمساني (المتوفى سنة 690هـ/1291م) وابنه الشاب الظريف، وكذلك محمد بن خميس (المتوفى سنة 708هـ/1309م) والذي يجوز لنا أن نقارنه بفحول الشعراء العرب، ولا ننسى أديب الأدباء أحمد المقري مؤلف «**نفح الطيب وأزهار الرياض**» وفي الطب والصيدلة نذكر الطبيب عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (المتوفى في منتصف القرن 12هـ/18م) الذي خلف في الموضوع «**كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب**»، وفي العلوم السياسية قد مرّ ذكر كتاب السلطان أبي حمو موسى «**واسطة السلوك في سياسة الملوك**».

أما في التراجم فبالإضافة إلى الغبريني وابن مريم اللذين سبق ذكرهما هناك أحمد بن قنفد القسنطيني (المتوفى سنة 809هـ/1406م) صاحب «**الوفيات**» و«**طبقات علماء قسنطينة**» والونشريسي الذي ألف في الموضوع كتاب «**الفهرسة**»، ولا ننسى مؤلفي كتب تراجم شيوخ الإباضية كأبي زكريا (المتوفى سنة 471هـ/1078م) صاحب «**سير الأئمة وأخبارهم**» ومن الملاحظ أن هؤلاء العلماء والأدباء قد خلفوا كتبا ودواوين تعتز بأكثرها المكتبة العربية إلى يومنا.

وإذا كانت بعض المكتبات العامة وبعض المكتبات التابعة لبعض المساجد والزوايا، وكذلك بعض المكتبات الخاصة مازالت تملك إلى يومنا مجموعة من

المخطوطات من تأليف أولئك الأعلام، أو من تأليف علماء وأدباء الغرب الإسلامي أو المشرق، فإن معظم هذا التراث قد تعرض لصروف الدهر وللمحن التي ابتلى بها الشعب الجزائري طيلة القرن الميلادي الماضي والنصف الأول من القرن الحالي بسبب الاحتلال الأجنبي. فإن المكتبات الجزائرية وما كانت تضمه من نفائس قد تعرضت للنهب والإتلاف من بداية الاحتلال إلى آخر يوم له. وبما أنه لا يسعنا المقام أن نورد كل الشهادات المتعلقة بإحراق بعض المكتبات ونقل النفائس إلى الخارج والضغط على الأهالي لتسليم النوادر من هذه المخطوطات إلى السلطات العسكرية والإدارية الأجنبية لأن القائمة طويلة جدا، سنقتصر على انتقاء بعض الشهادات التي تعبر أكثر من غيرها على هذه المحنة المؤلمة التي فقدت الجزائر بسببها شطرا مهما من تراثها.

أول ما نورد شهادة المدير الأول للمكتبة الوطنية في الجزائر وهو المكتبي والمؤرخ بربروجير Berbruger الذي حضر هجوم الجيش الفرنسي على مدينة قسنطينة سنة 1837م، ونذكر أنه بينما كان الجيشان الجزائري والفرنسي يتقاتلان على كل شبر من أرض المدينة، وبينما كانت النار المضرمة تلتهم البيوت والأحياء، تمكن هذا المكتبي من انقاذ عدد من المخطوطات. وقد نُقل قسم كبير منها إلى فرنسا وبقي قسم في مكتبة الجزائر.

ومن المآسي التي أصابت الكتاب في الجزائر، إتلاف مكتبة الأمير عبد القادر، فمن المعروف أن الجيش الفرنسي تمكن في يوم من الأيام أثناء المقاومة الطويلة للأمير، أن يستولي على الزمالة وهي عاصمته المتنقلة، وقد فقد بطل المقاومة الجزائرية في ذلك اليوم المشؤوم أقرباء ورفقاء كفاح، وذكر هو نفسه أن الزمان والإيمان مكناه من التسلي عن هذه المصيبة، غير أنه لم يتسل أبدا عن فقدان مكتبته الثرية في هذه العملية، وقد ذكر شاهد عيان من الضباط الفرنسيين أنه كان من الممكن تتبع آثار الجيش الفرنسي العائد من الهجوم بفضل أوراق الكتب التي مزقها الغزاة ونثروها في الطرقات التي كانوا يسلكونها.

قائد جزائري آخر فقد مكتبته الغنية نتيجة مقاومته للإحتلال، وهو الشيخ الحداد الذي قاد ثورة سنة 1871م فإن القادة الفرنسيين صادروا مكتبة الشيخ بعد إخفاق الثورة، فتركوا القليل منها في المكتبة الوطنية في الجزائر، ونقلوا الباقي وهو الأهم إلى فرنسا، وأسدل الستار عليها مدة طويلة جدا، فلم يوضع لها فهرس، ولم نعلم بمكان تواجدها إلا مؤخرا.

وآخر مأساة عرفتها المكتبات الجزائرية هي إحراق مكتبة جامعة الجزائر من طرف الغلاة الفرنسيين قبل أن تسترجع البلاد استقلالها سنة 1962م بأيام معدودة، وقد كانت المكتبة تحفظ عددا هاما من المخطوطات العربية، وذكرت التصريحات ومقالات الصحافة الجزائرية والأجنبية أن هذه الوثائق ضاعت كلها في الحريق، إلا أننا علمنا من مصادر مختلفة موثوقة أن هذه المخطوطات كانت قد نُقلت إلى فرنسا مع المحفوظات الإدارية الجزائرية قبل الحريق ببضعة أسابيع. وإذا كان هذا الخبر صحيحا، فإن مكان تواجدها بقي مجهولا إلى يومنا هذا، ولم تقتصر النكبة أثناء الحرب التحريرية (1954م — 1962م) على هذه المكتبة، بل إن كل ما كان مكتوبا بالحروف العربية كان عرضة للنهب والإتلاف. ومن الشهادات التي يدلي بها الأهالي إلى يومنا أن الجنود الفرنسيين وأعضاء مختلف مصالح الشرطة قد استولوا على أعداد كبيرة من المخطوطات أو قاموا بإتلافها علنا، وذلك أثناء العمليات الحربية أو عمليات التفتيش.

إن هذه الشهادات التي أوردناها تخص عددا من الأحداث البارزة. أما ما نهبه الضباط والحكام والمستشرقون، وبعض عملاء إدارة الإحتلال من مخطوطات، وما تنازل عنه منها بعض ممتلكيها طوعا ليبيعوها بأبخس الأثمان جهلا منهم بقيمتها العلمية والفنية أو للحاجة المادية، فهو غير قليل أيضا.

ولابد أن نشير إلى ظاهرة أخرى ساهمت في إفراغ الجزائر من أكبر قسم من المخطوطات، وهي هجرة عدد كبير من علمائها إلى البلدان الشقيقة وخاصة منها المغرب الأقصى وتونس إلى حيث انتقلوا فارين بدينهم وبعرضهم. ونقلوا معهم مكتباتهم، ونجد في بعض مكتبات القطرين آثار عدد من المخطوطات التي نسخت في بعض مدن المغرب الأوسط، ويذكر المستشرق أوغوست كور Auguste Cour أن بعض العلماء الجزائريين الذين هاجروا ولم يفقدوا الأمل في استرجاع استقلال البلاد، دفنوا في الأرض محتويات مكتباتهم في انتظار عودتهم، فضاعت هذه المجموعة الدفينة كلها. (**فهرس مخطوطات مدرسة تلمسان**، ص 7).

وكانت نتيجة هذه العوامل كلها أن فقدت الجزائر شطرا كبيرا من تراثها حتى أننا لا نجد اليوم على سبيل المثال كتابا واحدا في مكتبات تلمسان من الكتب التي قال أبو القاسم الزياني إنه رآها أو قرأها كما سبق أن ذكرنا، أثناء مقامه في المدينة قبل أن تتعرض للعدوان الأجنبي سنة 1830م.

إلا أنه رغم هذه المحن، ورغم فقدان الكميات الكبيرة من المخطوطات التي أتلفت داخل القطر أو نقلت بعدة طرق لعدد من المكتبات في الخارج، فإن المكتبات الجزائرية الرسمية منها أو شبه الرسمية كمكتبات الزوايا، والمكتبات الخاصة، بقيت تحتفظ بالآلاف من المخطوطات التي بلغ بعضها قيمة لا تقدر. وقد لعب هذا الرصيد الذي بقي في الجزائر، دورا هاما في الحركة العلمية الإستشراقية في القرن الميلادي الماضي، وبداية القرن الحالي، لأن الجزائر إذا استثنينا الحملة الفرنسية القصيرة المدة لمصر بقيادة الجنرال بونابارت، كانت أول بلد عربي مسلم يصطدم بالغرب ويحتك بممارساته العسكرية والسياسية والعلمية احتكاكا واسع المفعول، إذ انكب الباحثون الفرنسيون من مدنيين وعسكريين على ما عثروا عليه من مخطوطات، وذلك بهدف الإطلاع قبل أي هدف آخر، على مقومات جموح الشعب الجزائري، وسر مقاومته الطويلة وإستبساله في سبيل الحفاظ على استقلاله فقاموا بتحقيق بعض هذه المخطوطات ثم بنشرها كما قاموا بنقل بعضها إلى لغتهم فإن عددا كبيرا من الكتب التي نشرها المستشرقون الفرنسيون عن الإسلام والعقيدة الإسلامية والفقه وخاصة المذهب المالكي منه، وعن اللغة العربية وآدابها، والتاريخ الإسلامي وخاصة تاريخ الغرب الإسلامي منه، قد استخرجها الباحثون من الخزانات الجزائرية. سواء وقع نشرها في الجزائر أو في فرنسا.

ومن أجل استغلال المخطوطات المحفوظة في مختلف المكتبات الجزائرية على الوجه الأكمل، قام المستشرقون بوصف هذه الوثائق والتعريف بها. فأنجزوا عددا من الفهارس لبعض المكتبات العامة ومكتبات الزوايا. وقد نشرت هذه الفهارس إما في مجلات متخصصة أو على شكل كتاب قائم بذاته. وقد قام بذلك كبار المستشرقين آنذاك : كروني باسي (René Basset) ولويس ماسينيون (Louis Massignon) وجوزيف شاخت (Joseph Schacht) ومن سار على دربهم وطبق أساليبهم العلمية في فهرسة المخطوطات وتحقيقها من علماء البلاد كالعالم الجزائري الكبير محمد بن أبي شنب. أما الفهارس التي نشرت في بعض المجلات الإستشراقية وخاصة منها المجلة الإفريقية (Revue Africaine) التي كانت تصدر في العاصمة الجزائرية، فإن أكثرها متعلق بمكتبات كانت متواجدة في جنوب البلاد وخاصة منها المكتبات الإباضية في ناحية وادي ميزاب، وبما أن أكثر هذه المكتبات قد تشتتت محتوياتها أو ضاعت، أو هي بعيدة عن متناول الباحث اليوم، فإنني لا أرى من المفيد أن أذكر فهارسها هنا. وسأتعرض للفهارس التي نشرت على شكل

كتب في القسم الثاني من هذه الدراسة الذي خصصته للتحدث عن وضع المخطوطات في الجزائر اليوم.

2 ـــ الوضع الحالي للمخطوطات العربية في الجزائر :

يتواجد أكبر عدد من المخطوطات في المكتبة الوطنية كما توجد مخطوطات في عدد من المكتبات شبه الرسمية والمكتبات الخاصة، وسنذكر أهمها وإن كانت محتوياتها لم تكن موضع فهرسة وصفية.

أول فهرس للمكتبة الوطنية، أو مكتبة ومتحف الجزائر Bibliothéque musée d'Alger كما كانت تسمى حينذاك، وضعه المستشرق الفرنسي إيميل فانيان Emile Fagnan وسماه : **فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية لمكتبة ومتحف الجزائر**، ونشر في باريز سنة 1893م في 680 صفحة. وقد وصف فيه صاحبه 1987 مخطوط مع العلم أن عددا من هذه المجلدات المخطوطة يوجد على شكل مجاميع تضم عددا من المؤلفات المختلفة. ورغم بعض الأخطاء الجزئية كإسناد **موطأ المهدي بن تومرت** للإمام مالك مثلا، فإن وصف المخطوطات كان جيدا في الغالب، وخاصة بالنسبة لذلك العهد، بالإضافة إلى أنه لمؤلف أجنبي. ونظن أنه استعان ببعض العلماء الجزائريين كعادة المستشرقين آنذاك، وبالإضافة إلى إسم المؤلف وعنوان الكاتب وبدايته، يحتوي الوصف على نوع الخط وتاريخ وإسم الناسخ، وعدد الأوراق والسطور في كل صفحة، وحجم الأوراق ونوع التسفير.

ومن الملاحظات التي أضافها المفهرس تاريخ وفاة المؤلف، وإذا كان الكتاب قد ذكر في فهارس أخرى لمكتبات أروبية وفي «**كشف الظنون**» لحاجي خليفة، والوصف كله باللغة الفرنسية ماعدا العنوان وبداية الكتاب فهما مكتوبان بالحروف العربية، وقد صنف المؤلف المخطوطات حسب موضوعاتها، وختم الكل بكشاف عام بالحروف اللاتنية بضمّ أسماء المؤلفين، وأسماء الأماكن والمواد، وألحق بهذا الكشاف العام كشافا بالحروف العربية خصصه لعناوين المخطوطات.

أما موضوعات المخطوطات فهي مرآة العلوم المتداولة في البلدان الإسلامية في العصر الإسلامي من علوم دينية وهي الأكثرية ومن أدب وتاريخ، ولغة وفلسفة ومنطق وعلوم مختلفة كالحساب والزراعة والطب والفلك وهكذا.

وفي منتصف هذا القرن الميلادي أتم المكتبي الجزائري عبد الغني أحمد بيّوض

ملحقا لفهرس فانيان وصف فيه المخطوطات التي اقتنتها المكتبة الوطنية بعد نشر فهرس فانيان، وبلغ عدد المخطوطات الموصوفة 942 مخطوط منها 65 مجموعا، وقد أنهى الأستاذ بيّوض وصفهُ سنة 1953، غير أن الفهرس الذي أنجزه لم يطبع بسبب ضياع النسخة الأصلية في مديرية المكتبات الفرنسية في باريز، ولم يبق في المكتبة الوطنية في الجزائر إلا المسودة.

وقد وصف المؤلف المخطوطات باللغة الفرنسية ورتبها حسب تاريخ اقتنائها أي أنه لم يصنفها حسب مواضيعها، وخصص سطرا أو سطرين لكل نوع من المعلومات ورمز له بحرف من الحروف الهجائية، وختم كتابه بعدد من الكشافات، بعضها بالعربية سماها كشافات (B) وهي كشاف أسماء المؤلفين، وكشاف عناوين الكتب، وبعضها الآخر بالفرنسية وهي كشاف أسماء المؤلفين، وكشاف العناوين، وكشاف أسماء النساخ، وكشاف مالكي المخطوطات، وأخيرا كشاف المواضيع.

أما المخطوطات التي اقتنتها المكتبة بعد ذلك العهد وخاصة بعد استرجاع استقلال البلاد، فإنه لم يتم وصفها في فهرس جامع. وقد حصلت المكتبة فعلا على عدد من المخطوطات إما عن طريق الشراء أو عن طريق الهدايا. ولم يوضع فهرس إلا لمجموعة واحدة وهي ما يسمى برصيد ابن حمودة، وهو إسم أستاذي المرحوم بن حمودة الذي أوصى قبل وفاته بإهداء مكتبته كلها من مطبوعات ومخطوطات إلى المكتبة الوطنية، وكان عدد المخطوطات نحو الخمسين جمع مالكها أكثرها في بلاد مالي حيث كان مدرسا للغة العربية في شبابه، وقد قام بفهرستها فهرسة وجيزة جدا الأستاذ النيجيري (من نيجيريا) حسن غوارزو الذي أقام في الجزائر لمدة شهور للقيام ببحث علمي، فعرض علي أن يقوم بوصف هذه المجموعة من المخطوطات العربية الإفريقية التي كانت تهمه كثيرا وتهم موضوع بحثه فقبلت عرض الأستاذ الذي أنجز فهرسه الوجيز المستعمل حاليا من طرف الباحثين وذلك في انتظار من سيقوم بفهرسة علمية دقيقة وكاملة لهذه المجموعة الهامة من المخطوطات التي يخص أكثرها البلدان المجاورة من إفريقيا الغربية الإسلامية.

هذا وإن إدارة المكتبة مافتئت تفكر في القيام بوصف المخطوطات التي لم تفهرس بعد، كما أنها مازالت مصممة على إعادة وصف المخطوطات التي فهرسها في الماضي فانيان والأستاذ بيّوض، لتكون الفهارس كلها باللغة الوطنية على أن

تستعمل الإعلام الآلي لتحقيق هذا الهدف. إلا أنها كانت تنتظر الحصول على التجهيزات والكفاءات اللازمة وهاهي اليوم بصدد الحصول على هذه الإمكانيات كلها، وهي تعد حاليا لهذا الغرض إستمارة تضم كل المعلومات اللازمة في وصف المخطوطات. ومن المنتظر أن تشرع الجماعة المكلفة بإنجاز هذا المشروع ابتداء من الخريف القادم.

أما الفهرس الثاني المطبوع في الجزائر فهو «**فهرسة الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة**» وقد أنجزه العالم الجزائري محمد بن أبي شنب الذي خلف العديد من المؤلفات بالعربية والفرنسية وعددا من المخطوطات قام بتحقيقها تحقيقا علميا نادر المثال في الوطن العربي وقتذاك.

ونشر الفهرس في الجزائر سنة 1909م، وهو يضم وصف 106 مخطوط مصنفة حسب الموضوع. والوصف بالفرنسية على عادة المستشرقين مع ذكر العنوان وبداية المخطوط بالعربية، وذكر نوع الخط وتاريخ النسخ واسم الناسخ والمعلومات الموجودة في أغلب الفهارس من هذا القبيل، كما ذكر المفهرس مكان وتاريخ نشر المخطوط في حالة ما إذا وقع إصداره، وهذا زيادة على ذكر المكتبات التي تضم الكتاب المخطوط نفسه.

ويختم الكتاب بكشافين الأول بالفرنسية ذكرت فيه أسماء المؤلفين، والثاني بالعربية ضم عناوين المخطوطات الموصوفة. ومن الملاحظ أن عددا من هذه المخطوطات قد ضاع قبل أن تسترجع البلاد استقلالها. وقد نقلت السلطات المخطوطات الباقية إلى وزارة الشؤون الدينية حيث هي محفوظة اليوم.

ويخص الفهرس المطبوع الثالث وصف المخطوطات التي كانت محفوظة في مدرسة تلمسان، وما يجدر ذكره هو أن هذه المدرسة كانت معهدا أسس في عهد الإحتلال الأجنبي لتكوين رجال القضاء الإسلامي على الخصوص. وقد قام بالوصف أوغوست كور (Auguste Cour) ونُشر الفهرس سنة 1907م في الجزائر، وهو يضم وصف 110 مخطوط من مجلدات ومجاميع. وقد وصفت وصنفت المجلدات حسب تاريخ اقتنائها. أما عناصر الوصف فهي شبيهة بعناصر الوصف عند المستشرقين مع شيء من الإختصار، وقد ألحقت بالكتاب ثلاث كشافات، ضمّ الأول أسماء المؤلفين المذكورين في الكتاب وهو بالحروف اللاتينية. وذكر الثاني عناوين الكتب الواردة في الفهرس بينما احتوى الثالث على أسماء الكتب

أو مجموعات الأوراق التي لم يجد المؤلف عناوينها وأسماء مؤلفيها. وهذه المخطوطات قد نقلت إلى ثانوية ابن زرجب في تلمسان حيث هي محفوظة حاليا.

وهناك فهرس مطبوع رابع وصف فيه صاحبه وهو المستشرق الفرنسي روني باسي (René Basset) المخطوطات المحفوظة في زاوية الهامل قرب مدينة بوسعادة، وقد نشر في فيرانز بإيطاليا سنة 1897م، غير أنني لم أتوصل إلى الإطلاع عليه.

هذه هي فهارس المخطوطات التي تمّ نشرها على شكل كتب، وما لم يفهرس من المخطوطات المحفوظة في المكتبات شبه الرسمية أي مكتبات الزوايا والمكتبات الخاصة فعدده أضخم، ونذكر من بين المكتبات التي لم تفهرس محتوياتها مكتبة زاوية طولقة قرب مدينة بسكرة، ومالكوها من أتباع الطريقة الرحمانية، ومكتبة الشيخ النعيمي بقسنطينة (المتوفى بعد إسترجاع إستقلال البلاد)، ومكتبة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش المتوفى سنة 1332هـ/1914م في مدينة بني يزكن بوادي ميزاب، ومكتبة الشيخ المهدي بوعبدلي أطال الله من عمره، وهي في مدينة بطّيوة شرق مدينة وهران. وكل واحدة من هذه المكتبات تملك المئات من المخطوطات. وهناك عدد كبير من المكتبات المتوسطة أو التي تضمّ عددا قليلا من المخطوطات في أكثر مدن القطر وخاصة في بلاد ميزاب التي لم تتضرر كثيرا من الحروب في القرن التاسع عشر، ولا إبان حرب التحرير الوطني كما نجد مخطوطات كثيرة في عدد من مدن الصحراء، غير أن عدد المخطوطات المحفوظة في هذه المكتبات كلها لا يمكن حصره ولو بالتقريب كما لا نعرف قيمتها. وذلك لأن مالكيها لم يقوموا بوصفها، ومن الجدير بالتنبيه أن المكتبة الوطنية تدرس حاليا إمكانية القيام بفهرسة هذه المجموعات المختلفة من المخطوطات المحفوظة في مكتبات المساجد والزوايا، وكذلك في المكتبات الخاصة بعد الحصول على موافقة ممتلكيها، وذلك حتى يتوصل الباحثون إلى الإطلاع على محتوى هذه المكتبات، وحتى نتمكن بعد ذلك من القيام بإستنساخ هذه الوثائق حفاظا عليها، وفي الوقت نفسه من أجل وضعها في متناول الباحثين. ويبدو أن بعض المالكين لهذه المخطوطات لم يعارضوا الفكرة حينما عرضت عليهم، وسنرى عند تطبيق الفكرة إذا هُم ثبتوا على قبولهم، لأن هؤلاء المالكين معروفون بغيرتهم الكبيرة على ما حافظوا عليه هم وأجدادهم من قبل رغم المحن وأحيانا رغم الإغراءات، ويجب أن نعترف أنه لولا هذه الغيرة على التراث، وعلى الشخصية الوطنية العربية الإسلامية لما وجدنا قليلا ولا كثيرا من تراث الأجداد.

3 ـــ كيفية الاستفادة من المخطوطات :

إذا كانت مطالعة المخطوطات ممكنة في المكتبات الرسمية وفي بعض المكتبات شبه الرسمية لا كلها، فإن الاستفادة من محتوياتها محدودة بسبب فقدان الفهارس في أكثرها وبسبب عدم وجود إمكانيات للحصول على مستنسخات منها وان المكتبة الوحيدة التي تتوفر على كل التسهيلات الضرورية للإستفادة من المخطوطات التي تملكها هي المكتبة الوطنية الجزائرية. فبالإضافة إلى الفهارس فإن الباحث يجد في متناوله القاعات التي تمكنه من الإطلاع على الأصول، كما يجد في خدمته الموظفين الأكفاء لمساعدته وتقديم الإرشادات له والمعلومات التي يريد الحصول عليها. وتتوفر المكتبة على أحدث التجهيزات للتصوير على المصغرات من ميكروفيلمات ومكروفيشات وللإستنساخ على الورق، كما توجد بها القارئات اللازمة التي تمكن الباحث من قراءة المصغرات التي يحصل عليها من المكتبات الأجنبية عن طريق المكتبة الوطنية الجزائرية، هذا بالنسبة للقارىء المتواجد في عين المكان. أما القارىء الجزائري الذي يقطن خارج العاصمة والقارىء الأجنبي اللذان يبتغيان الاطلاع على محتوى مخطوط من دون السفر إلى مقر المكتبة الوطنية فتجهيزات المكتبة تمكنها من تلبية كل الطلبيات الموجهة لها من الخارج.

وتسهيلا لعمل المحققين ومختلف الباحثين وحتى نتلافى مشكلة العملة الصعبة أحدثت المكتبة منذ سنتين طريقة جديدة للحصول على مستنسخات المخطوطات وفحواها أنها تعرض على المكتبة الطالبة لميكروفلم أو المطلوب منها أن تزود قارئا طلب استنساخ مخطوط عن طريق المكتبة الوطنية الجزائرية على أن تقبل كلاهما أي المكتبة الوطنية الجزائرية والمكتبة الأجنبية التبادل بميكروفلم مخطوط مقابل ميكروفلم مخطوط آخر وقد قوبل هذا العرض كلما قدمته المكتبة الجزائرية بكامل الرضا.

فضاعفت هذه الطريقة من حجم إرسالات مصغرات المخطوطات من الطرفين، وأثلجت هكذا صدور الباحثين في الوطن الذين كانوا لا يحصلون على مستنسخ مخطوط من مكتبة عربية إلا نادرا وبصعوبة كبيرة لأن تحويل العملة الصعبة من أجل الحصول على ميكروفلمات كان صعبا جدا إن لم يكن مستحيلا في عدد من الأقطار العربية.

وأتمنى بهذه المناسبة أن تعم هذه الطريقة في تبادل المستنسخات حتى يسهل

الحصول على مثل هذه الوثائق ويعود ذلك بالنفع الكبير على البحث العلمي عموما، وعلى إحياء تراثنا المشترك، ومما يسترعي الانتباه أن المكتبة الوطنية شرعت منذ أكثر من سنة في استنساخ كافة المخطوطات التي تملكها على ميكروفلمات، وذلك من أجل وقايتها أولا، لأن أصول المخطوطات المستنسخة أصبحت لا تقدم للقارىء بل أصبح يكتفي بالإطلاع على الميكروفيلم بواسطة القارئة التي توضع في متناوله وذلك بدل المخطوط الأصلي، وكذلك من أجل التبادل بواسطة هذه المصغرات مع مكتبات الأقطار الشقيقة ومكتبات البلدان الأخرى حيث توجد مكتبات تملك مخطوطات عربية. وقد أشرت في غير هذا الموضع إلى الشروع فعلا في التبادل بهذه المصغرات.

وختاما أتمنى أن أكون قد وفقت في إعطاء نظرة شاملة على إيجازها عن الوضع الحالي للمخطوطات العربية في الجزائر، وعلى طريقة الاستفادة منها لا بالنسبة للقاطنين في الجزائر فحسب، ولكن بالنسبة أيضا لمختلف الباحثين المقيمين خارج الحدود، والذين يريدون الاطلاع على أحد المخطوطات المحفوظة في المكتبات الجزائرية.

وفقنا الله وإياكم للنهوض بتراثنا وخدمة ثقافتنا المشتركة وهويتنا العربية الإسلامية.

وضعية المخطوطات العربية بتركيا

الدكتور محمد خطيب أوغلى

أستاذ بكلية الإلهيات بجامعة آنقره

لقد اعتنق الشعب التركي الإسلام، الذي ينسجم روحه القومية بروح هذا الدين تماماً ودخلوه على شكل أفواج وجماعات كبيرة خلال القرن التاسع وخاصة في القرن العاشر الميلادي. يعود أصل أتراك الأناضول، تركيا اليوم، إلى أتراك الأغُوز الذين استوطنوا ما وراء النهر في آسيا الوسطى وقد شكّل هؤلاء الأتراك المسلمون قوة عسكرية عظمى أوّلاً في ديار الروم ممثلةً للعالم الإسلامي تجاه العالم المسيحي. وأحفاد هؤلاء الأتراك أسّسوا دُولاً عديدة في المنطقة مثل السلاجقة والعثمانيين. وبإفادة مؤرّخ تركي معاصر وهو المرحوم إسماعيل حامي دانشمند : «هؤلاء الأتراك قد أسّسوا امبراطوريتهم العظمى في القارات الثلاث القديمة بفضل الإسلام، وبه أداموا حكمهم وبه استطاعوا المحافظة على قوميتهم».

هذا من ناحية التاريخ.

أما بالنسبة لموضوعنا، فإن المخطوطات العربية الإسلامية التي تملأ الآن مكتبات تركيا تتجاوز الثلاثمائة ألف نسخة، وقد ورثناها من أجدادنا السلاجقة والعثمانيين وغيرهم من الإمارات التركية في الأناضول. هذه الثروة الهائلة من الحضارة والثقافة الإسلامية كانت مبعثرة في المكتبات الخاصّة وفي المساجد والتكايا والزوايا والقصور وفي دور الشفاء حتى في المراقد، وفي المدن وفي الضيَع والقرى.

وكانت هذه المكتبات تحت إدارة ممتلكيها من الشعب المسلم حتى عام ألف وثمانمائة وستة وعشرين (1826)، حيث انتقلت إدارتها إلى وزارة الأوقاف العثمانية. وقد أصدر وزير المعارف العثماني محمد طاهر منيف باشا أول لائحة ونظام

خاص للمكتبات. واليوم تشرف على المكتبات العامة «المديرية العامة للمكتبات والنشر» التابعة لوزارة الثقافة والإعلام.

وقد قرب عدد مكتبات المخطوطات العامة في تركيا الآن من مائة وستين مكتبة، وباستطاعتنا الاطلاع على أكثر أسمائها في مؤلف الأستاذ فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي، المجلد الأول باللغة الألمانية (ص : 747 — 763).

هذا ماعدا المكتبات الخاصة التي يمتلكها المواطنون والهواة.

مسألة فهرسة المخطوطات بتركيا :

كانت لائحة منيف باشا الآنفة الذكر، تنص على تسجيل أسماء الكتب بأوصافها في دفترين : الأول للمكتبة، وذلك لاستفادة القارئين، والآخر لديوان الوزارة.

أول إنتاج في هذا الميدان كانت فهرسة مكتبة داماد إبراهيم باشا. أعده للطبع السيد عبد الرحمان النجم، من مفتشي الأوقاف سنة ألف وثمانمائة وثلاثة وستين (1863)، وبعد ست سنوات، قد نُشِرت فهرسة مكتبة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) راغب باشا. بعد فترة دامت إحدى عشرة سنة قد شكلت لجنة تصنيفية في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني، حيث تم تدوين وطبع أربعين دفترا لأربع وستين مكتبةً لاستانبول فقط.

وفي العهد الجمهوري، ابتداء من عام ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين (1927) قد شرع بنشر بعض الفهارس للمخطوطات العربية، كما هي معروفة لديكم، ولكن قد انحصرت على العموم على مكتبات استانبول. وأخيراً في عام ألف وتسعمائة وثمانية وسبعين (1978) وبإشراف المرحوم عِصْمَتْ بَارْمَاقسِزْ أوغْلُو (1984 — 1924) أعدَّت المديرية العامة للمكتبات والنشر مشروعاً كبيراً لتدوين وطبع جميع المخطوطات في تركيا. هذا المشروع يسمى بالاختصار : Tüyatok.

مشروع الفهرسة الإجمالية لمخطوطات تركيا — Türkiye yazmalari toplu katologu projesi

أرادت لجنة المشروع أولاً أن تعلم عدد المخطوطات الموجودة في تركيا، وأرسلت منشوراً إلى كلّ مؤسّسة يُخَمِّنُ وجود المخطوطات فيها. وبعد جمع

المعلومات المرسلة إليهم ظهر أن عددها يقارب ثلاث مائة ألف كتاب، نصفها في استانبول، ونصفها الآخر في المدن الأخرى. ورغم وجود سجلات لمكتبات استانبول، إلا أنه لم تكن توجد أية تسجيلات لمخطوطات الأناضول.

وإن الأمانة العامة لهذا المشروع ــ مركزها في آنقره ــ طلبت من محافظات الأناضول إرسال مخطوطاتها إليهم، ووصلت أولا مخطوطات مدينة آدي يَامَان إلى آنقره. والآن قد أنجزت المديرية العامة في إطار هذا المشروع ما يلي :

1 ــ نشر اثني عشر مجلداً حيث تم فيها تعريف ثمانية آلاف وأربعمائة وواحد وثلاثين مخطوطة (8431).

2 ــ كما تم تثبيت وتسجيل اثنين وثلاثين ألفا ومائة وتسعة وثمانين (32189) مخطوطة جاهزةً للطبع.

وأعتزّ بتقديم فهرسةٍ كنموذج لهذا المشروع الكبير، نشرت ضمن ثلاث مجلدات لمخطوطات مكتبة ومُتحف أدَنَه Adana. التعريفات فيها واردة باللغة التركية وحسب قواعد Dewey.

أما موضوع المخطوطات المغربية الموجودة في تركيا :

كما هو معروف للجميع، لا يستطيع أحد أن يفكر بعدم وجود هذه الآثار في تركيا. لأن التاريخ والحضارة والثقافة المشتركة شاملة للعصور. إلا أنه لم يتم بعد أيّ تثبيت وتعيين وفرز في هذا الميدان، ولم نصل حتى الآن إلى مرحلة تمييز مخطوطات المغرب العربي، ومتى وكيف دخلت إلى خزائن الكتب التركية ؟ نتمنى من الله عز وجل ألاّ ننتظر زمناً طويلاً لرؤية كتاب في هذا الموضوع.

سامحوني أيها الأعزاء، قبل أن أختم كلمتي هذه، أودّ أن أقدّم لكم بعض التذكيرات والملاحظات عن المخطوطات القيمة المكتوبة بالخط المغربي التي رأيتها في استانبول وآنقره. أوّلها «كتاب السير» لأبي العباس أحمد بن سعيد الأفرني الشمّاخي، المتوفى سنة تسعمائة وثمانية وعشرين (928هـ/1522م). وأن هذا الكتاب القيم كما تعرفون من مصادر الإباضية. ولقد طبع لأول مرة في القاهرة سنة ألف وثلاثمائة وواحد في ستمائة صفحة.

نسخة تركيا لِـ «كتاب السير» محفوظة في مكتبة إسماعيل صائب أفندي في كلية الآداب بجامعة آنقره تحت الرقم : 1568/1.

كان قد أخبرنا عن هذه النسخة، قبل مدة طويلة أستاذنا العلامة محمد بن تاويت الطنجي، من أبناء هذا البلد العزيز، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، هذه النسخة تحتوي على مائتين وثمان وسبعين ورقة، حيث يختلف عدد السطور من ستة عشر إلى خمسة وعشرين سطرا. وفي الصفحة الأخيرة يوجد تاريخ استنساخه كما يلي :

«ووافق الفراغ منه يوم الخميس بعد صلاة العصر... عشرين يوما من ربيع الأول سنة ثلاثة وعشرين ومائة وألف (1711/1123)، وكتبه الفقير... يحيى بن نافع...».

يبدأ الكتاب بنسب النبي ﷺ وسيرته، ويبحث عن الخلفاء الأمويين وأئمة الإباضية المغربية وغيرهم على نظام الطبقات.

المخطوطة الثانية. «الجامع الصحيح للبخاري».

أثناء بحثي في مكتبة السليمانية وبمساعدة مدير المكتبة السيد معمر أُولْكَرْ، رأيت هذا المسند الصحيح المكون من ثمانية مجلدات كبيرة بخط مغربي، منقول من مكتبة آيا صوفية إلى السليمانية. وهذه النسخة من أعظم وأجمل ما شاهدت من المخطوطات خطا وتذهيبا وتجليدا، إلاّ أن المجلد الأول الغير المذهب كتب بغير الخط الذي نسخت به المجلدات الأخرى، وهو يدل على أن هذا المجلد قد ضاع وأكمله ناسخ آخر. نسخة «الصحيح» هذه من رواية أبي ذر الهروي، وفي آخر السفر الثامن يوجد قيد الفراغ منه بكذا :

«...كتبه عبيد الله إبراهيم بن أبي عريان عفا الله عنه، وبتمام هذا السفر تم جميع الكتب وفرغ منه في أوائل شهر شوال من عام ثلاثة وأربعين وثمانمائة (1440/843)».

وآخر ما أقدم لكم من المخطوطات المغربية هي نسخة أصلية بخط مؤلفها المسمى بـ «كتاب الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون» لعبد القاهر بن محمد بن علي الشريف التونسي الذي دخل خدمة السلطان بَايَزِيد خان الثاني العثماني، حيث يشرح لنا المؤلف سبب تأليفه في آخر الكتاب كما يلي :

«فلما حصلت لي هذه الخدمة المباركة تذاكرت يوما مع بعض الفضلاء الأعيان من أهل مجلسه الكريم في صناعة الطب وفي أسباب مرض الطاعون ومداواته.

وقد كان هذا الحادث واقعاً بمدينة القسطنطينة العظمى. انتهى في يوم الخميس سابع وعشرين محرم فاتح شهور عام تسعة وتسعين وثمانمائة. خطه بيده الفانية مؤلفه، وفقه الله آمين».

هذا الكتاب أيضا منقول من آيا صوفية إلى السليمانية، مكون من سبعة وأربعين ورقة.

زملائي الباحثون الأكارم، أعبر لكم عن مشاعري وأمنياتي العميقة في أن تنشر جميع هذه المخطوطات التي تشكل ثروة أبدية لعالم الثقافة والعلم بجهود كل الباحثين في هذا المجال.

II

توثيق وفهرسة وتنظيم ونشر وصيانة المخطوطات العربية الإسلامية

المخطوطات العربية : أماكنها
الإشتغال بها ـ فهرستها وتصنيفها ومشكلاتها

الأستاذ عصام محمد الشنطي

المدير الثاني لمعهد المخطوطات العربية ـ الكويت

أماكنها والاشتغال بها :

إن موضوع المخطوطات العربية موضوع حساس ودقيق، لأنه متصل بتراث هذه الأمة. وهو موضوع قومي متعلق بعلوم الأمة العربية إبان نهضتها وحضارتها في القرون الوسطى. وحين نذكر المخطوطات العربية ؛ فإن الذهن ينصرف إلى التراث العربي الذي يعد أساس علومها وجذورها، ويعكس أعظم انطلاق للعقل البشري في مختلف العلوم، لذا ينبغي الاهتمام بها، وصرف الجهود نحو الحفاظ عليها وإحيائها والاستفادة منها، ووصلها ـ كماض ـ بالحاضر.

وبالرغم من أهمية موضوع المخطوطات العربية وصلته بماضي الأمة، فإن الجهل شائع بيننا في معرفة أولياتها. فكثير منا إلى حدّ الساعة لا يدري معنى المخطوطة.

والتعريف البسيط للمخطوطة أنها صحائف كتبت بخط اليد قبل نشأة الطباعة. وحين نطلق هذه التسمية على المخطوطات العربية نقصد بها تلك الصحائف التي كتبت بخط اليد قبل نشأة الطباعة في الوطن العربي.

وبالإمكان أن نتفق على معدل متوسط لنشأة الطباعة في بلادنا بما لا يقل عن مائة عام مضت، وإن كنا نجد تفاوتا بين قطر عربي وآخر. ففي الحين الذي نجد فيه دخول المطبعة بالحرف العربي في بعض الأقطار كان منذ ما يقرب من مائتي عام ؛ نجد في مناطق أخرى أن مهنة النساخة كانت رائجة فيها إلى عهد قريب، من مثل موريطانيا وحضرموت في اليمن الجنوبي.

وليس لدينا حتى الآن إحصاء دقيق عن أعداد المخطوطات العربية الموزعة في أنحاء شتى من العالم، والأعداد التي تذكر متفاوتة للغاية، مما يدل على أنها ظنية وتقديرية. فالمقل يذكر أنها مليون مخطوطة والمكثر يعدها ثلاثة ملايين أو أكثر. وبينهما ــ كما ترى ــ بونٌ شاسع.

وبرغم عبث التاريخ بمئات الآلاف من المخطوطات العربية، فالحقيقة التي لا مراء فيها أن ما وصلنا منها كثير ومبعثر في مكتبات الوطن العربي والعالمين الإسلامي والأجنبي. وهي منتشرة عبر أربع قارات، من المغرب حتى باكستان، ومن تركيا حتى الصومال، ومن أوروبا حتى أمريكا. ويمكن تقسيم أماكن وجودها، في الوقت الحاضر، إلى قسمين، قسم أصيل وقسم دخيل. أما الأصيل فهو الوطن العربي والإسلامي حيث كانت اللغة العربية، ــ لغة القرآن ــ في وقت ما سائدة. وحين كانت لغة التأليف والحضارة ووجود المخطوطات في تلك البقاع، سواء في مكتبات عامة، أو لدى بيوت العلماء المشتغلين بالعلم، ظاهرة طبيعية، حيث التأليف والمدارس والنسخ والتداول.

وفي الأقطار العربية الآن من المكتبات العامة ما هو زاخر بالمخطوطات، كالخزانة العامة بالرباط، ومكتبة جامع القرويين بفاس، ودار الكتب الوطنية بتونس، ودار الكتب المصرية بالقاهرة، والمكتبة الظاهرية بدمشق، ومكتبة الأوقاف بحلب (نقلتا إلى مكتبة الأسد الوطنية بدمشق)، والمتحف العراقي ببغداد، ومكتبة الحرم المكي، ومكتبة عارف حكمت ومكتبة المحمودية بالمدينة، والجامع الكبير بصنعاء، ومكتبة الأحقاف في مدينة تريم بحضرموت، وغيرها كثير.

أما الدول الإسلامية فلعل تركيا أشهرها اقتناء للمخطوطات العربية، وأكثر مدنها احتواء لها إستانبول التي كانت عاصمة الدولة العثمانية، فآل إليها كثير من المخطوطات العربية من أماكن عربية وإسلامية.

وفي باكستان مخطوطات عربية كثيرة موزعة في كل مكان، ومثلها الهند التي تحتوي مكتباتها العامة والخاصة على كثير منها. وحين زرت عام 1984 خمس مدن هندية، وهي : دلهي وحيدرآباد ومدراس وكلكتا وبتنه، وجدت فيها سبع عشرة مكتبة تحتوي على نحو واحد وأربعين ألف مخطوطة عربية، فكيف ببقية المدن والقرى ؟ ونحن نعلم أن الهند مترامية الأطراف شاسعة. وفي يوغسلافيا أكثر من مكتبة موزعة على أكثر من مدينة. وأشهر هذه المكتبات مكتبة غازي خسرو

بك الإسلامية في مدينة سراييفو التي زرتها عام 1981، وهي تحتوي على نحو عشرة آلاف مخطوطة عربية. وكذلك لا تخلو بعض البلدان الإفريقية من مخطوطات عربية مهمة كنيجيريا والسنغال وغيرهما.

أما القسم الدخيل فهي البلاد الأجنبية التي نقلت إليها المخطوطات عنوة، منذ القرن التاسع عشر، لجهل أصحابها بها، أو بسبب ما هم عليه من فاقة وعوز. ولو تناولت كتابا من الكتب التي تخصصت في ذكر المكتبات التي تقتني مخطوطات عربية، لوجدت عددا هائلا منها في بلاد أجنبية. وندهش حقا حين نعلم أن المخطوطات العربية موجودة الآن بالمئات، بل بالألوف، خارج الوطن العربي. نجدها في ما لا يقل عن عشرين دولة أوروبية وأمريكية، فيها من المكتبات ما يقرب من أربع مائة مكتبة عامة.

وللدكتور محمد عيسى صالحية، الأستاذ بجامعة الكويت، كتاب قيم وفريد في بابه، نشره سنة 1985، أسماه : **تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة.** كشف فيه عن نقل المخطوطات العربية وغيرها من الآثار من اليمن إلى أوروبا. وقد نشر فيه من الوثائق التي عثر عليها في مكتبة جامعة أوبسالا بالسويد مما يعجب له القارىء بسبب نشاط المستشرقين والتجار والوسطاء لنقل مئات المخطوطات إلى البلاد الغربية.

ولا نستطيع أن نتحدث عن كل مكتبة من هذه المكتبات الزاخرة بالمخطوطات العربية في أوروبا وأمريكا لكثرتها وتنوع ما فيها. وكثير منها مشهورومعروف، كمكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، والمكتبة الوطنية في باريس، ومكتبة الفاتيكان بإيطاليا، ومكتبة شستر بتي في مدينة دبلن بإيرلندا التي تحمل إسم صاحبها شستر بتي الذي طاف في أوائل القرن الأقطار العربية المختلفة، واستقر في مصر فترة ما، وبهذا جمع ثروة تقدر بما يقرب من أربعة آلاف مخطوطة عربية.

ومن المكتبات المشهورة مكتبة المتحف البريطاني التي تعود نشأتها إلى عام 1753م، وأصبحت تدعى منذ عام 1973م بالمكتبة البريطانية باعتبارها المكتبة الوطنية لتلك البلاد، وتعد المجموعة الشرقية في هذه المكتبة واحدة من أكبر المجاميع في العالم، حيث تضم 41 ألف مخطوطة، القسم الأعظم منها باللغة العربية. بينها مخطوطات ذات قيمة علمية وتاريخية نادرة، من مثل المخطوطة الموسيقية التي تضم مدونة موسيقى من العصر العباسي المتأخر. ويحاول الآن فك رموز المدونة

وعزفها، بما يقدم أول عزف موسيقي من الموسيقى العربية القديمة في العصر العباسي.

وهناك قصة في هذا المجال ذائعة مشهورة، وهي قصة الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني، وهو من المشتغلين بالعلم، الذي ذهب إلى ليدن وأمستردام في سنة 1301هـ/1883م، بمجموعة من مخطوطاته العربية، وباعها ـــ تحت ظروف مالية قاسية ـــ إلى مكتبة بريل في مدينة ليدن بهولندا، الغنية بنفائس المخطوطات العربية.

وما كان من المستشرق السويدي الكونت كارلو لاندبيرج، الذي كان فيما مضى سفيرا للسويد في مصر، والذي أسمى نفسه بعمر السويدي، أن وضع في العام نفسه، فهرسا لهذه المخطوطات بعنوان : فهرس مخطوطات عربية مأخوذة من مكتبة خاصة بالمدينة صدر عن ليدن ـــ بريل سنة 1883م. وجاء هذا الفهرس في 183 صفحة، محتويا على ذكر 664 مخطوطة، منها ما هو فريد، ومنها مؤلفات يمنية وفيرة.

ولإسبانيا قصة أخرى. فحين خرج العرب منها حملوا معهم كثيرا من تراثهم المخطوط، ولكنه بقي فيها مئات تجدها في أكثر من مكان، ولعل أشهر المكتبات الإسبانية مكتبة الإسكوريال الملكية الموجودة في دير الإسكوريال الذي يقع على بعد خمسين كيلو مترا عن العاصمة مدريد. وقد أسست المكتبة في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، لتضاهي مكتبة الفاتيكان في روما. وقد بلغ ما بها من مخطوطات قرابة تسعة آلاف. وكانت مكتبة السلطان المراكشي مولاي زيدان السعدي، وهي مكتبة زاخرة بألوف المخطوطات العربية، قد آلت إلى هذه المكتبة بالقوة والاستيلاء. ولا تحتوي الإسكوريال الآن إلا على خمسة آلاف مخطوطة، منها ما يقرب من ألفي مخطوطة عربية. وكان قد شب في المكتبة حريق في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، أتى على ما يزيد على أربعة آلاف مخطوطة.

ويذكر أن في الاتحاد السوفياتي نحو خمسين ألف مخطوطة عربية، وهي بذلك تشغل المرتبة الرابعة في العالم بعد مجموعات تركيا ومصر وإيران. وتزخر أماكن كثيرة في الاتحاد السوفياتي بهذه المخطوطات، وخاصة الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد. ونجد المجموعات الأساسية منها في مراكز الاستشراق مثل موسكو ولينينجراد وباكو (عاصمة جمهورية أذربيجان السوفياتية) ويريفان وطشقند

ودوشنبه. وقد اطلعت على نفائسها في هذه المدن الست خلال زيارتي لها عام 1977. ولعل أشهر مكانين من هذه الأماكن جميعا طشقند، وهي عاصمة جمهورية أوزبكستان الإسلامية، وليننجراد التي تحتوي على نفائس كان قد اختارها وجلبها من الجمهوريات الإسلامية السوفياتية مستشرقون من مثل العالم كراتشكوفسكي، المتوفى في ليننجراد سنة 1951م. ويذكر أن المخطوطات في ليننجراد تلقى عناية فائقة ـــ شأنها شأن المدن الأوروبية ـــ ترميما وتعقيما وصيانة وتوفير جو ملائم لها.

وحين كان الأجداد رسل حضارة وتقدم، حافظوا على هذه المخطوطات محافظة شديدة، واعتنوا بها ورقا ونسخا وضبطا وتجليدا، حتى صار كثير منها تحفة أثرية نادرة بسبب تجويدهم للخط وتزيين الأغلفة بالنقوش المذهبة، فضلا عما تحتويه من مادة علمية غزيرة في مختلف العلوم. وقد ظلت هذه المخطوطات سليمة معافاة من النهب والتلف قرابة عشرة قرون. ولم يصل الإهمال أوجه إلا في القرون الأخيرة، قرون التخلف والانحدار. وبرغم ما بقي في نفوس الأحفاد مما عند الأجداد من قدسية للمخطوطات، ظهرت في عدم التفريط فيها استزادة من البركة والخير، فإنها لم تنل لديهم من العناية والرعاية ما يصونها ويحفظها من الأرضة والسوس، ومن عوادي الزمن. وإن نسيت فلا أنسى حين زرت سنة 1973 مدينة زبيد باليمن الشمالي، وكانت في سالف الأيام مركزا علميا مرموقا، ودخلت بيوت بعض الأجداد ممن كانوا يشتغلون بالعلم ولديهم من المخطوطات مئات، وجدت مأساة، فإنك لا تكاد ترفع المخطوطة بيدك من الكومة التي أمامك حتى يتساقط منها جزء لتهرئه وتلفه. ذلك لأن الحفيد لم يقدرها حق قدرها، وشغله كد الحياة عنها.

ومما يدعو للأسى والأسف أن الأقطار العربية تفتقر إلى متخصصين من أبنائها في ترميم المخطوطات وصيانتها. وهو علم وفن أصبح مستقلا بذاته، له أصول وقواعد نظرية وعملية تدرس في مراكز متخصصة في العالم الأجنبي. وقد استطاع هذا العلم أن يعيد الحياة إلى مخطوطة لا يرجى منها خير، وأن يرممها بعد أن كانت في حكم العدم، وأن يصون المخطوطات من التلف والتآكل. وكم من مخطوطات أرسلتها بعض الدول العربية إلى باريس أو لندن لترمم مقابل ألوف من الدنانير.

ومما يؤسف له أيضا أن بعض الأقطار العربية لم تسن القوانين بعد، لحماية

هذه الثروة القومية من النهب أو التلف. ومازالت تلمس سوقا خفية رائجة في كثير من بلدان العرب لشراء المخطوطات وتهريبها إلى بلاد الغربة. ومازال المستشرق R.B. Serjeant إلى عهد قريب ــ وقد كنت قابلته عام 1974 في مدينة تعز باليمن الشمالي ــ ذا علاقة قوية باليمن، وقد استطاع أن ينقل الكثير من مخطوطاتها إلى انجلترا.

ومن الصعوبة بمكان أن يسترجع العرب ثروتهم القومية المنقولة. ولكن مراكز التخصص العربية وجامعاتها ومؤسساتها العلمية تحاول أن تصور أكبر قدر من هذه المخطوطات التي تعيش في بلاد الغربة، كمجموعتي مكتبة شستر بتي، ومجموعة المكتبة الوطنية في باريس، وليست جميع المكتبات الأجنبية تسمح بهذا التصوير، وما يسمح منها يتقاضى مقابله مالا كثيرا. وينبغي أن تسبق الإشتغال بالمخطوطات، تحقيقا ودرسا، خطوة هامة تكشف لنا عما في المكتبات العامة والخاصة من كنوز دفينة. وأعني بهذه الخطوة التصنيف والفهرسة. تصنيف المخطوطات إلى فنون وموضوعات، فمخطوطات في الأدب، ومخطوطات في اللغة، وفي التاريخ، والجغرافيا، والطب، والعلوم، وغيرها.

أما الفهرسة فهو إنجاز المادة الأساسية عن المخطوطة، كبيان اسمها، ومؤلفها وسنة وفاته، وأولها وآخرها، وعدد أجزائها وأوراقها وسطور صفحاتها وقياسها، واسم ناسخها، وتاريخ نسخها، ومكانه، ونوع الخط، وذكر التملكات والسماعات والإجازات المثبتة عليها. وبيان موضعها، وذكر المصادر التي توثق اسم المخطوطة وتنسبها لصاحبها، وغير ذلك من المعلومات المفيدة عن المخطوطة. وبدون تصنيف المخطوطات وفهرستها وطبع هذه الفهارس ونشرها تظل المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة سرا لا يستطاع معرفته أو الوصول إليه إلا بطريق الصدفة أو الحظ.

وفهرسة المخطوطات من أصعب الأعمال العلمية، وهي تختلف كثيرا عن فهرسة الكتب المطبوعة، ويحتاج هذا العمل إلى صبر وأناة، وإلى خبرة طويلة ودربة ومهارة. كما يحتاج إلى أرضية صلبة ومتسعة من الثقافة العربية والعلوم المختلفة التي تساعد على التعرف على المخطوطات عند فحصها من الداخل وقراءة نصوصها قراءة دارس مدقق. وبخاصة إذا كانت المخطوطة مبتورة الأول أو الآخر، أو معنونة ــ بخط مغاير ــ باسم خاطيء، أو منسوبة إلى غير مؤلفها.

وكم ظهر في الفهارس المطبوعة من الأوهام والأخطاء التي يكشفها الباحث

المتخصص، وكم نجد أوهاما تثير الضحك عند مفهرس أخذ بالعنوان دون أن يدري محتوى المخطوطة. ويحضرني كيف وضع مفهرس كتاب المثلث أو المثلثات لقُطْرُب في العلوم الرياضية مع الهندسة والحساب، وهو في اللغة. وكيف وضع كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت في علم الفلسفة والمنطق، وهو في اللغة. وكيف وضع كتاب سر الصناعة لابن جني، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، في الحرف والصناعات، في حين أن الأول في صناعة الإعراب، والثاني في صناعة النظم والنثر، فهو في البلاغة والنقد.

وإذا أردت ذكر المزيد من الأمثلة على شيوع الأخطاء عند التصنيف والفهرسة نتيجة العجلة أذكر كتاب ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، المتوفى سنة 350هـ، وهو كتاب في اللغة، يوهم أنه ديوان في الأدب والشعر. وكذلك للرئيس ابن سينا المتوفى سنة 428هـ كتابان : كتاب القانون، وكتاب الشفاء. والمتعجل يظن أن الأول في الحكمة والفلسفة، والثاني في الطب. والعكس هو الصحيح فإن القانون في الطب، والشفاء في الحكمة والفلسفة. والمثل الثالث كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، المتوفى سنة 874هـ، وهو كتاب في التاريخ، صنف وهما في الفلك، أخذا بالجزء الأول من العنوان، دون معرفة الكتاب أو تقليب مادته.

ولابد للمفهرس أن يستعين بأدوات عمل مساعدة، وهي مجموعة من المصادر الأساسية التي توثق اسم المخطوطة أو نسبتها إلى مؤلفها، أو تكشف عن غموض بعض المخطوطات وتساعد على حل معضلاتها. ومن هذه المصادر المشهورة **الفهرست** لابن النديم ؛ و**كشف الظنون** لحاجي خليفة، وذيلاه : **إيضاح المكنون**، و**هدية العارفين** لإسماعيل باشا البغدادي، وكلها في ستة أجزاء ؛ و**الأعلام** للزركلي في ثمانية أجزاء ؛ ومعجم المؤلفين لكحالة في خمسة عشر جزءا ؛ و**تاريخ الأدب العربي** لبروكلمان بالألمانية في جزئين وثلاثة ملاحق ؛ و**تاريخ التراث العربي** لفؤاد سزكين بالألمانية والذي صدر منه حتى الآن عشرة أجزاء ؛ وكذلك يمكن الرجوع إلى أمهات كتب التاريخ والتراجم والطبقات.

وبعد أن يكشف التصنيف والفهرسة ما في المكتبات العامة والخاصة من مخطوطات يستطيع الباحث أن يعثر على طلبته منها للتحقيق والدرس. على أن تحقيق النصوص ينبغي أصلا أن يسبق دراسة مادتها، لأن نشر النصوص المحققة تحقيقا علميا من شأنه أن يقدم للدارس نصا محررا كما وضعه مؤلفه.

وقد أصبح للتحقيق، في السنوات الأخيرة، قواعد وشرائط من شأنها أن تخرج النص صحيحا كما وضعه مؤلفه. ولهذا اقتضى على المحقق أن يجمع نسخ الكتاب كلها أو بعضها، مما يعتمد عليه، وأن يثبت في الحواشي المهم من فروق النسخ والروايات، وأن يضبط النص، ويخرج الآيات والأحاديث والأمثال والأشعار والنقول. ولابأس أن يضيء النص الغامض ببعض الشروح دون إطالة أو إثقال. وأن يضع داخل النص علامات الترقيم، من فواصل ونقاط وأقواس وعلامات الاستفهام والتعجب وغيرها. وأن يقدم للنص بمقدمة مفيدة عن المؤلف والكتاب، وأن يختمه بصنع فهارس فنية متنوعة تسهل للباحث الاستفادة من النص المنشور.

وعلى المحقق أن يسبق عمله في التحقيق بخطورة مهمة، وهي التثبت من اسم الكتاب، وصحة نسبته إلى مؤلفه، وأن يوثق ذلك توثيقا لا لبس فيه. وألا يغتر بما هو مكتوب على الصفحة الأولى من المخطوطة من أوهام، وإني لأذكر أنه في الثلاثينات من هذا القرن كان قد صدر كتاب محقق باسم «**نقد النثر**» منسوب لأبي الفرج قدامة بن جعفر، ثم كشفت الأدلة ونسخ من مخطوطة أخرى لم تكن قد ظهرت بعد، إنه كتاب «**البرهان في وجوه البيان**» لإسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، وأصدره محققان آخران بهذا الإسم الصحيح سنة 1967.

وينبغي أن يتحلى المحقق بصفات منها الأمانة والصبر، وأن يكون عالما بالخطوط وتطورها وقراءتها، وعلى دراية بمصطلحات النساخ. وأن يكون متمكنا من موضوع المخطوطة التي يحققها، ومختلف العلوم المساعدة الأخرى. وأن يحسن فهم هذه النصوص، وأن يتتبع منهج المؤلف في كتابه، وأن يكون عالما بمصادر مادته وأصولها، وأن يرجع إلى مراجع لغوية ونحوية ليستعين بها على فهم النص الذي يحققه. فإذا كان يحقق كتابا كمقامات بديع الزمان الهمداني، أو الحريري؛ وكلاهما زاخر بغرائب الألفاظ، فإنه لابد أن يتسلح بثروة لغوية هائلة، بعد أن يرجع إلى شروح هذه المقامات جميعا، وإلى معاجم اللغة.

إن كثيرا من مصنفات علوم التراث العربي تتسم بالموسوعية، وتتشابك بعضها ببعض. وإن الكتاب الواحد منه يحتوي على كثير من العلوم الأخرى، يأتي ذكر بعضها على سبيل الاستطراد. فكتاب الكامل للمبرد كتاب في الأدب، ولكنه يعد من أهم المصادر في أخبار الخوارج. وكذلك نقائض جرير والفرزدق كلها قصائد شعرية متبادلة بينهما، ولكنها تعد من أهم المصادر في أيام العرب وحروبهم في

الجاهلية. ومن هذه الأمثلة يتضح أن كتاب الأدب يحتاج إلى مراجع الأدب، والتاريخ على اختلاف ضروبها، ومراجع في العلوم الدينية، ودواوين الشعر وكتب البلاغة والنقد ومراجع البلدان وغيرها. ويتضح كذلك أن كتاب التاريخ يحتاج إلى كتب الأدب والعلوم الدينية ومراجع البلدان. وبإزاء اتصال علوم التراث العربي بعضها ببعض، ينبغي على محقق كتب التراث أو دارسها أن يكون ذا حد أدنى من المعرفة بمختلف هذه العلوم حتى يستطيع أن يحقق مثل هذه الكتب، أو يستفيد منها دارسا.

وقد نتج عن اهتمام الباحثين بتحقيق النصوص، شيء من الاضطراب والازدواجية. اضطراب بدخول أدعياء التحقيق إلى هذا الميدان دون خبرة أو دراية كافية باللغة وعلوم التراث العربي. وازدواجية بظهور الكتاب الواحد المحقق في آن واحد في أكثر من قطر عربي، وهذا هدر للجهد والوقت، يحتاج الأمر معه إلى تنسيق عربي ثقافي موحد، كما يحتاج إلى ضرورة مراجعة النصوص التي يحققها غير المتمرسين على أن يتحمل المراجع تبعة التحقيق.

ولاشك أن من أهداف تحقيق التراث العربي المخطوط توفير المادة العلمية للدراسة. أما إذا لم تتوافر للدارس النصوص المحققة الكافية، فإنه لابد من أن يطلع على مخطوطات لم يتم تحقيقها بعد، وبدون توافر هذه المخطوطات تتعثر الدراسة ولا يستطيع الدارس أن يتقدم في عمله، ويبقى عمله ناقصا. ويكفي للتدليل على أهمية توافر المخطوطات للباحث، أن من يدرس تاريخ اليمن أو جانبا من جوانبها، ينبغي له أن يطلع على المخطوطات اليمنية المحفوظة في مكتبة أمبروزيانا بمدينة ميلانو الإيطالية، والتي يرجع أمرها إلى تاجر إيطالي عاش في اليمن فترة فباع ما جمعه من مخطوطاتها إلى تلك المكتبة.

إن المخطوطات العربية تعطي قوة دفع للدراسات العربية في العصر الحديث. وهي تشكل مادة أساسية للتحقيق والدرس على حد سواء. وإلا كيف يمكن أن يؤرخ باحث لنشأة الدولة الأموية مثلا دون أن يقرأ ما كتب عنها، ما لها وما عليها، إنه ينبغي عليه أن يطلع على مصادر التاريخ العام كتاريخ الطبري، و**الكامل** لابن الأثير وغيرهما، كما ينبغي أن يطلع على مصادر تميل إلى الجانب الأموي، وإلى الروايات التي تتشيع إلى الجانب الآخر، ومن ثم تخلص له مادة وفيرة يستطيع بعدها الوصول إلى نتائج مدعمة بمصادر ذات قيمة.

ولا تظهر أهمية العلوم المساعدة في تحقيق النصوص التاريخية ودراستها فحسب، بل تظهر في تحقيق مختلف علوم التراث العربي ودراسته. فتحقيق كتاب **الحماسة** لأبي تمام، وهو كتاب شعر اختاره أبو تمام وبوبه على عشرة أبواب، يحتاج إلى الإطلاع على دواوين هؤلاء الشعراء وأخبارهم، والمناسبات والأحداث التي قالوا تلك الأشعار فيها. وكذلك الإطلاع على شروح الحماسة كلها، ومعاجم اللغة المختلفة.

ومما يلفت النظر أن اهتمام العرب في الآونة الأخيرة، بإحياء تراثهم، ومحاولتهم ربط العرب المعاصرين بالعرب الأسبقين، قد أثار جدلا ضخما حول القديم والجديد. والمعادي لهذا التراث يريد أن يقطع الحاضر عن الماضي، وهذا مخالف لطبيعة الأشياء. إن الاشتغال بالمخطوطات العربية نابع من تقدير العرب لثقافتهم، والإبداع الذي حققته في مختلف مجالات المعرفة لغة وأدبا وعلما وفنا وفلسفة، ومن الإيمان بقدرتهم على الاستمرار في مسيرتهم الحضارية وبناء مستقبل أمثل.

وحين ننظر إلى التراث العربي نظرة فاحصة نراه قوة دافعة، تبعث في النفس العربية الثقة بالذات، وتساعدها، في الوقت نفسه، على أن تتبين مواطن الضعف ومواطن القوة في حياتها. وبهذا فإن الاشتغال بالتراث لا يمثل رجعة إلى الوراء، بل هو قوة دفع إلى الأمام، لأن فيه من الذخائر والتجارب ما ينبغي أن يوصل بالحاضر. إن الهدف الأكبر للاشتغال بهذا التراث هو إيصال الماضي بالحاضر الذي يفضي إلى المستقبل، وربط التراث بالمعاصرة والحداثة. وأن تشرب روح ذلك التراث تشربا يسري في الشرايين من شأنه أن يستلهم الماضي المجيد من أجل حاضر ومستقبل أمجد.

فهرستها :

كلمة فهرس أو فهرست من الألفاظ الفارسية المعربة، وجمعها فهارس، وتعني الكتاب الذي تجمع فيه أسماء الكتب.

وقد عرف العرب إبان حضارتهم، وفي مختلف العصور ألوانا متعددة من الفهارس كانوا يضعونها للمكتبات العامة والخاصة. يسجلون فيها أسماء الكتب من علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والشعر والنحو والتصريف والطب وغيره. وكانوا يهتمون في فهارسهم بذكر عدد نسخ الكتاب، والناقص منها والمخروم.

واهتموا كذلك بالمجاميع التي تضم بين دفتي كل منها أكثر من كتاب. والتفتوا إلى النواحي الفنية للمخطوطات، وبخاصة المصاحف إذا كتبت على رقوق أو ورق، مبينين تجليدها وتذهيبها ونقوشها وخطوطها وأسماء الخطاطين الذين كتبوها، وأصناف الأقلام والأحبار، وبيان الألوان المختلفة في الكتابة، وعدد أجزائها، وقطعها إن كان كبيرا أو صغيرا، وعدد السطور في كل صفحة، وذكر التحبيس أو الوقف المثبت عليها.

ووضع الأوروبيون فهارس للتراث العربي الإسلامي منذ القرن الثامن عشر الميلادي، كفهارس مخطوطات فلورنسة بإيطاليا، ومكتبة الفاتيكان، ومكتبة الإسكوريال بإسبانيا. ويذكر أن غالب الفهارس الأوروبية تضم ذكر المخطوطات العربية والشرقية عموما كالسريانية والفارسية والتركية.

وجاء بعض هذه الفهارس على شكل قوائم تكتفي بذكر القليل من توصيف المخطوطات، وبعضها ذكر بعض التفصيلات. ومنها ما توسع في التفصيل وأخذ بذكر أبواب الكتاب، ويفصل في ذكر مطالعها، فجاءت هذه الفهرسة بمثابة دراسة للمخطوطة، كفهرس مخطوطات برلين الذي وضعه المستشرق ألْوَرْد. وهو تفصيل خارج عن الفهرسة بمعناها وأهدافها، فضلا عن أنه يحتاج إلى جهد ووقت كبيرين.

وفي القرن الماضي ظهرت فهارس في الوطن العربي والعالم الإسلامي، كفهارس إستانبول، والمكتبة الصادقية في تونس، والكتبخانة الخديوية بالقاهرة، والمكتبة العمومية بدمشق (الظاهرية فيما بعد) وغيرها. وكانت بعض هذه الفهارس تذكر مع المخطوطات المطبوعات منها. وفي القرن العشرين توالت الفهارس في الجزائر وحلب والقاهرة والموصل ودمشق وبغداد والمغرب.

وخلطت هذه الفهارس بين النهج المعتدل والتفصيلي، على النحو الذي ذكرناه في بعض الفهارس السابقة. غير أن الفهارس في الوقت الحاضر أخذت الشكل المعتدل دون التحليل والتفصيل. وهو منهج مقبول إذا أخذنا في الاعتبار أن الهدف من عمل المفهرس أن يدل العالم أو الباحث على وجود المخطوطة، مع بعض التوصيف المفيد. أما دراسة المخطوطة وتحليلها وبيان أبوابها وفصولها فذلك من شأن الباحث نفسه.

وتختلف فهرسة المخطوطات عن فهرسة المطبوعات اختلافا كبيرا. ففهرسة المخطوطات تحتاج إلى صدر وأناة، ويحتاج المفهرس معها إلى ثقافة إسلامية واسعة،

ومعرفة بعلومها المختلفة ورجالها لتكون له سندا وعونا لما يفهرسه. كما ينبغي أن يكون على علم بمهنة الوراقة والوراقين والمفهرسين والخطاطين والنساخين وغيرهم.

ويحضرني في هذا المجال سقطات كثيرة وقع فيها مفهرسون جدد لا يريدون أن يوسعوا مداركهم بالرجوع إلى المصادر والتنقيب فيها. وأكتفي هنا بمثلين يعدان من طرائف هذه الأوهام، الأول كتاب «**البعث والنشور**» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة 458هـ. جعله المفهرس كتاب «**البحث والنشر**» وهو مصطلح متأخر لا أظنه كان شائعا في القرن الخامس الهجري، وقبل نشأة الطباعة الحديثة. والثاني كتاب «**نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**»، وهو في علوم الحديث، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة 852هـ، تحول عند بعض المفهرسين إلى «**تحية الفكر**»، وهو اسم محدث بعيد عن الأصل، كما ترى.

وهكذا نجد أن فهرسة المخطوطات العربية قد اتخذت أشكالا متعددة تتأرجح بين القوائم غير المرتبة، وبين الفهرسة الموجزة، أو الفهرسة التحليلية التي تبعد المفهرس عن المطلوب منه.

واستقر الأمر في السنوات الأخيرة على أن يتبع المنهج الوسط الذي يقدم مادة كافية لوصف المخطوطة وصفا دقيقا، تاركا دراسة موضوعها وبيان أبوابها وفصولها للمتخصصين والباحثين. وعلى هذا فإن منهج الفهرسة القويم ينبغي أن يتضمن الأسس المرضية في هذا الباب. وهي المبينة لإسم المخطوطة، وإسم المؤلف، وأول المخطوطة، وآخرها، وأجزاء المخطوطة، وعدد أوراقها، وعدد الأسطر، وقياس الصفحات ونوع الخط، وألوان الحبر، وإسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه، والغلاف وتذهيبه ونقوشه وزخارفه، ومصدر المخطوطة التي أتت منه، وذكر التملكات والسماعات والإجازات، وملاحظات عامة تختص بها المخطوطة كحالتها أو تأثرها بأرضة أو رطوبة، وما بها من طمس أو خرم، وفيما إذا كانت النسخة خزائنية. والاهتمام ببيان ما إذا سبق طبعها، وتوضيح هذه الطبعات والمحققين وتواريخها وأماكنها. وذكر مصادر توثيق المخطوطة وصحة نسبتها لمصنفها. كما ينبغي أن يهتم المفهرس بالمجاميع، وأن يحرر بطاقة لكل مصنف منها.

ومن مشكلات فهرسة المخطوطات الأساسية أن تكون النسخة ناقصة الأول والآخر، فلا يبين إسم المخطوطة ولا مؤلفها، وعلى المفهرس في هذه الحالة أن يبذل قصارى جهده لاكتشاف إسم المخطوطة ومعرفة مؤلفها.

تصنيفها :

أما ترتيب الفهارس، فمنهم من يصدرها دون مراعاة الموضوعات، فتجيء المخطوطات في الفهرس الواحد دون تصنيفها إلى موضوعات مختلفة، مكتفيا بالإشارة في داخل التوصيف إلى موضوع المخطوطة. ولم يعد هذا النوع من الفهارس مقبولا. وأصبح الاتجاه الأفضل أن تصنف هذه المخطوطات، وأن ترتب الفهارس وفق الموضوعات كأن تصنع فهرسا للتاريخ، وفهرسا للأدب، وفهرسا لعلوم اللغة، وآخر للفقه، وعلى أن ترتب المخطوطات في الفهرس الواحد على الحروف الهجائية ؛ وأن يهتم «بالإحالات» التي تكشف عن المخطوطة ذات الإسمين مثلا. وينبغي أن يصنع للفهرس في آخره فهرس المؤلفين. ومنهم من يصنع فهرسا آخر للنساخ.

وينبغي للمفهرس أن يهتم بالتصنيف اهتماما كبيرا، وألا يقع فريسة للخلط بين موضوع وآخر، آخذا بالظاهر من إسم المخطوطة. وكنا قد ذكرنا بعض الأمثلة من هذا الخلط العجيب. ولابد للمفهرس من تقليب المخطوطة تقليبا جيدا، يهتدي إلى موضوع الكتاب الحقيقي. ومن أجل هذا أفضل أن تسبق الفهرسة التصنيف، لأن فهرستك للكتاب تكشف لك عن موضوعه كشفا تاما.

وهناك خلاف في الاتفاق على تقسيم المعارف العربية الإسلامية إلى موضوعات. وهي على كل حال تختلف عما فعله ديوي في تقسيمه المعارف الإنسانية عموما إلى موضوعات عامة، لأن في التراث العربي الإسلامي من الخصوصيات والتفصيلات ما يدعو إلى تعديل تصنيف ديوي تعديلا جوهريا.

وقد ارتضى معهد المخطوطات العربية، في تصنيف العلوم العربية الإسلامية، في السنوات الأخيرة، والتي يخرج فهارسه على أساسها، تقسيمها إلى تسعة علوم عامة، وهي : المعارف العامة، الفلسفة، العلوم الاجتماعية، العلوم الدينية، اللغة (علوم اللغة العربية)، العلوم، الفنون، الأدب، التاريخ والجغرافية.

وينطوي تحت كل تقسيم من هذه التقسيمات التسعة فروع كثيرة لا مجال لتفصيلها هنا، على أن هذا التقسيم هو مقصود للتنظيم، وليس كحد السيف، فبين هذه العلوم تداخل وخلاف. فمنهم من يضع الأخلاق مع الفلسفة، في حين يضعها كثيرون في العلوم الدينية، مع التصوف والآداب الشرعية. وكذلك النقد الأدبي، منهم من يضعه مع الأدب، في حين يضعه غالبهم في علوم اللغة، مع البلاغة لالتصاقه بها.

مشكلات فهرسة المخطوطات العربية

الدكتور قاسم السامرائي

باحث في جامعة لايدن ــ هولندا

لم يحظ علم فهرسة المخطوطات العربية في العالم العربي بشقيه بعد بمثل الاهتمام الواسع الذي حظي به علم المطبوعات وغير المطبوعات مما يسمى الآن بـ «أوعية المعلومات»، فقد أدرج علم فهرسة المخطوطات ضمن أوعية المعلومات إدراجا وأقحم فيها إقحاما بالرغم من تباين الملامح المادية واختلافها ــ وإن تشابه بعضها ــ بين المطبوع والمخطوط. ولعل ذلك يعود إلى أن أغلب من كتب في فهرسة المخطوطات ــ وهم قلة ــ كان قد تدرب في أقسام وكليات المكتبات والمعلومات الأوروبية أو الأمريكية التي تعنى بالدرجة الأولى بتنظيم المطبوع دون المخطوط، فغلب على كتاباتهم التقليد والمحاكاة[1]. وهذه المحاولات ــ على جدتها ــ اعتمدت على الجانب النظري دون العملي[2] ومع هذا فهناك محاولات

---

(1) انظر : مجلة عالم الكتب، مج 2، ع 1 (الرياض : رجب ــ مايو 1401هـ/1971م) وبخاصة مقالة د. يحيى ساعاتي (2 ــ 9) ومقالة د. ناصر السويدان وزميله (10 ــ 31) حول رؤوس الموضوعات، فقد أوردا جملة من كتابات المهتمين بالفهرسة.

(2) قارن : عزة حسن : المخطوطات العربية وفهرستها، في الحلقة الدراسية للخدمة المكتبية، دمشق 1392هـ ــ 1972م، ص : 327 ــ 348.

ــ عبد الستار الحلوجي : فهارس المخطوطات، الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية، دمشق 1392هـ ــ 1972م ص : 284 ــ 300.

ــ شعبان خليفة ومحمد العايدي : الفهرسة الوصفية للمكتبات والمطبوعات والمخطوطات، الرياض، دار المريخ، د.ت.

ــ عباس طاشكندي : فهارس المخطوطات العربية، دراسة تحليلية، مجلة الدارة، الرياض ع 2، السنة الخامسة (محرم 1400هـ/ ديسمبر 1979)، ص :219 ــ 242.

أخرى في تقنين قواعد فهرسة المخطوطات أو رسم مناهجها مما نراه في أغلب فهارس المخطوطات التي ظهرت في العالم العربي بشقيه. بيد أن هذه المحاولات الجادة أيضا اعتمدت في أغلبها إما :

1) على المجهود الشخصي والتجربة الفردية الذاتية التي اكتسبها المفهرس أثناء عملية فهرسة بعض المجاميع المخطوطة، أو نتيجة جهود علمية في تحقيق نصوص مخطوطة.

2) أو على محاكاة فهرسة القواعد الأنجلو ــ أمريكية مثل ما نراه في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت ليوسف خوري[3] الذي نشر حديثا.

الواضح جيدا في هذه الفهارس خلوها من أية أسس موحدة وبالتالي فإنها تختلف اختلافا بينا في المنهج المتبع في أساليب وصف المخطوطات والسبب : أن خطة العمل في هذا الفهرس أو ذاك فرضتها شخصية المفهرس العلمية إضافة إلى عوامل إدارية أو ثقافية، أو حتى مالية حددت حريته. فكان فيها المجحف في الاختصار وكان منها المسرف في التطويل. فكان كل مفهرس يحسب أنه مصيب في فهرسته. ولما كانت مهمة الفهرسة تكمن في إعداد البيانات وتيسير المعلومات عن هذه المخطوطة أو تلك، فهي هنا مفتاح الباحث إلى ما تحويه هذه الخزانة أو تلك من الكنوز وهي بعد الدليل إلى تمييز هذه المخطوطة عن أختها وذلك بتعيين الملامح المادية لكل منهما، لأن نسختين من مخطوطة واحدة لا تتشابهان إطلاقا كتشابه نسختين من كتاب مطبوع وهنا تتميز فهرسة المخطوط عن المطبوع، لأن التعامل مع المخطوطات يختلف اختلافا جذريا في مقارنته مع المطبوعات بصنوفها المختلفة. وهذا الاختلاف لا يكمن في كون المخطوطات أهم علميا أو أغلى قيمة مادية من المطبوعات، بل لأن التعامل مع المخطوطات يتطلب صفات وقابليات وميولا في المفهرس أو المحقق لا تستلزمها المطبوعات. والسبب يكمن في أن المخطوطة نفسها عالم قائم بذاته، متميز عن غيره، منفرد بدقائقه وتفصيلاته وصفاته، ولا يستطيع أن يلج هذا العالم ويكتشف خباياه إلا من أوتي صبرا عميقا، وجلدا وثيقا، وهمة عالية، ورغبة صاغية، وحب استطلاع أصيل لاستكشاف

(3) نشره مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط، الجامعة الأمريكية، بيروت 1984.

المجهول في كل ثنية ورقة غائرة، أو جرة قلم عابرة، أو حروف امتلاك مطموسة، أو تعقيبة مبتورة، أو مقابلة مبلولة، أو إجازة مخرومة، أو ترقيم مقطوع، أو تاريخ مزور، أو عنوان مزيف، أو قراءة قارىء ممسوحة أو سماع مؤرخ، أو وقف مغصوب، أو ختم باهت، أو تعويذة أرضة ملغوزة. ومن هنا نخلص إلى أن فهرسة المخطوطات ليست أمرا هينا وعملا يسيرا يقوم به من شاء وكما يشاء ممن عانى تحقيقا لنص، أو نشرا لرسالة أو قراءة في مخطوطة، بل إنها فن وصنعة، قوامها الهواية وسداها الخبرة ولحمتها الدربة الطويلة والمران المستمر والدراسة العميقة الدقيقة لكل جانب جمالي وصناعي وفكري في المخطوطة. إذ لا يكفي معرفة المفهرس بأنواع الخطوط وتطورها واشتقاقاتها والجلود وأصنافها والأمدة والأحبار والأصباغ ووسائل صناعتها وموادها، والأوراق والرقوق والطروس والقراطيس والمهارق وأنواع القباطى والكرابيس والزخرفة والتذهيب والتسفير (أي : التجليد) وما إلى ذلك من الجوانب الفنية ليكون مفهرسا خبيرا دون أن يكون أيضا على معرفة واسعة بالفكر الإسلامي بكل جوانبه المختلفة : من تاريخ وفقه وخلاف وقضاء، وأوقاف وأنظمة الدواوين، وأدب وشعر ولغة وعقائد وفرق وما يدور حول كل هذا وزيادة. فإن في عملية الفهرسة مشكلات كثيرة يمر بها القارىء الحصيف والمحقق المدقق فلا يقف بصره عندها ولا تثير في نفسه تحديا يحمله على معاناة فك ألغازها وحل معمياتها التي تعارف عليها النساخ والقراء قرونا. فقد تعترض سبيل المفهرس بعض هذه الألغاز فيقف أمامها حائرا قلقا وجلا، يقلبها على جوانبها ويكد عقله وخياله حتى يجد لها حلا يرضيه، ناهيك عما يتطلبه الأمر من البحث الطويل والتنقير الممعن في المراجع المختلفة للتأكد والتثبت.

والمخطوطات تتفاوت في حالاتها وتكويناتها الخارجية والداخلية عند وصولها إلى يد المفهرس. فبعضها تصل إلينا كاملة غير منقوصة وبعضها عفّى الزمن والعيث على أوائلها وبعضها تجرأت العوامل البشرية على استلاب أواخرها، وبعضها كان محظوظا فوقعت بيد من صان قدرها المهان فاستكمل ما ضاع من جوانبها، وبعضها انخرمت بعض كراريسها الداخلية فضاعت ووصلت إلينا هذه الكراريس، وبعضها فقدت جلودها فلم تحظ بمن يجدد لها جلودها، وبعضها احتمى بها صاحبها من المطر فسد بها كوة في مسكنه فحمته من البرد والبلل و لم تحم نفسها. وهذه كلها موجودة في المخطوطات التي تمر على يد المفهرس وزيادة ناهيك عن عبث الأرضة الجائعة التي لا تقرأ الألغاز والتعاويذ.

من كل ذلك نخلص إلى المشكلة الأولى في علم فهرسة المخطوطات تكمن في إعداد المفهرس المؤهل، ولا يتم إعداده إلا إذا تبنت الجامعات العربية في المشرق والمغرب فتح أقسام خاصة لتدريب المفهرسين على غرار قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الإمام بالرياض في الأقل، وعلى أن يقوم بالتدريب فيها من أوتي دربة واسعة وخبرة وثيقة في تعامله مع الفهرسة. والعالم العربي الآن يحظى بنخبة من هؤلاء العلماء الذين لا يمكن تعويضهم في المستقبل.

أما المشكلة الثانية فتتعلق بقواعد الفهرسة نفسها، فإن المكتبة العربية تكاد تكون خالية من أية أصول فهرسية متفق عليها والنتيجة لهذا أن كثيرا من عمليات الفهرسة تتم دون قواعد متقنة مما يجعل توثيق المخطوطة مشكوكا فيه أحيانا، لذلك أدعو إلى تشكيل لجنة من العلماء المعنيين بالمخطوطات العربية لعقد ندوة للاتفاق على القواعد الفهرسية تتبناها مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود أو أية مؤسسة ثقافية علمية أخرى. وقد سبق أن حاولنا في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض وضع قواعد ثابتة وعملية، راعينا فيها كل الجوانب المهمة التي يعنى بها الباحث بعامة والمحقق بخاصة (انظر الملحق). وحاولنا أيضا وضع قائمة برؤوس الموضوعات اعتمادا على الواقع العملي والفكري، واستئناسا بدراسات العلماء الرواد الأوائل كالفارابي والخوارزمي والقلقشندي وحاجي خليفة والتهاونوي، والمعاصرين كالمنجد[4] وعبد الوهاب أبو النور[5].

أما المشكلة الثالثة فهي وثيقة الصلة بالمشكلات السابقة وعليها تعتمد في حلها. فإذا توصلنا إلى وضع قواعد فهرسية متفق عليها واتفقنا على وضع قائمة برؤوس الموضوعات فحينئذ تبدأ المشكلة الفنية التدريبية وهي التي يشترك في بعض جوانبها المفهرس والمحقق على حد سواء. ولما كان عمل المفهرس سابقا على عمل المحقق فأولى بالمفهرس أن يوفر العناء على المحقق لأنه يفهرس مخطوطة بين يديه قد لا تتوفر للمحقق في بلد آخر، وهنا يأتي دور تدريب المفهرس على مشكلات الفهرسة وعلى وسائل حلها. وهذا علم قائم بذاته بالرغم من أن من كتب في تحقيق النصوص تناول بعض جوانبه مثل تحقيق عنوان المخطوطة، وإسم المؤلف

(4) قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثانية، 1396هـ/1972م.

(5) انظر : الدارة (السعودية) عدد 4 (صفر 1398هـ/ يناير 1978).

ونسبة الكتاب إليه ثم أوصوا من يود تحقيق مخطوطة : «أن يدرس ورقها ليتمكن من تحقيق عمرها... وأن يدرس المداد فيتضح له قرب عهده أو بعد عهده، وكذلك الخط، فإن لكل عصر نهجا خاصا في الخط ونظام كتابته، يستطيع الخبير الممارس أن يحكم في ذلك بخبرته»[6]. بيد أنهم لم يخبرونا عن وسائل دراسة الورق أو أنواعه في تحديد زمن المخطوطة ولا وسائل معرفة أنواع المداد وأساليب معرفة عصوره ؟ وهذا ما لا يستغني أي مفهرس عن معرفته. إضافة إلى الترقيم وتطور استعماله، ونظام التعقيبات والكراسات، ومعرفة التواريخ المزورة، والعناوين المزيفة، بل وحتى المخطوطات المزيفة الكاملة، ونظام التأريخ بحساب الجمل والحسابات المركبة والعلامات المائية وتواريخها، والمخطوطة المنسوبة لغير مؤلفها الحقيقي، والتجليد ومواده وأقطاره (فإن التجليد الهندي غير المصري وهما غير المغربي) والترنجات والمداليات وزخارفهما والتوريق (وهو الزخرفة المعمولة على شكل أوراق الأشجار[7]، والأحبار وألوانها وتاريخ ظهورها في المخطوطات، ناهيك عن تمييز الخطوط وهذا ما يسمى في اللغات الأوروبية بـ «الباليوجرافي» وسميناه بعلم الاكتناه : وهو علم يختص باستنباط المعلومات واستقراء دقائقها، على ضوء المعرفة التي اكتسبها المفهرس بالدراسة العميقة والمران الطويل. ويلحق

---

(6) عبد السلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها، القاهرة 1374هـ/1954م، الطبعة الأولى، الصفحات 31 ــ 32 وما بعدها.

(7) محمد العربي الخطابي : فهارس الخزانة الملكية (الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات)، الرباط 1402هـ/1982م، ج 2، صفحة 11.

(8) قاسم السامرائي : مقدمة في علم الوثائق الإسلامية، دار العلوم، الرياض 1403هـ/1983م.

ملاحظة :

ــ الفارابي : كتاب إحصاء العلوم، نشره الدكتور عثمان محمد أمين في سنة 1350هـ/1931م بمطبعة السعادة بالقاهرة، وفي سنة 1949 بمطبعة الاعتماد بالقاهرة.

ــ الخوارزمي : كتاب مفاتيح العلوم، القاهرة 1342هـ.

ــ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبع وصور مرارا، زاد عليه النبهاني الحلبي.

ــ التهانوي : كشاف إصلاحات الفنون كلكتا 1862.

ــ طاشركبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة، حيدرأباد 1328 ــ 1329هـ.

ــ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة، (دار الكتب المصرية) والهيئة العامة للكتاب 1405هـ/1985م.

بكل هذا تدريب المفهرس على حسن معرفته، وسهولة استخدامه لآلات الفهرسة المساعدة له في عمله، مثل كتب بروكلمان وسزكين وحاجي خليفة وذيوله والزركلي وكحالة، وكتب الوفيات والطبقات حسب القرون وغيرها، وكتب الرجال والمعاجم وكتب الموسوعات والمشيخات أو البرنامجات، وكتب البلدان والتواريخ بعامة وكتب تواريخ البلدان بخاصة، والأنساب وأصول الرواية والدراية وكتب المتشابه وما إلى ذلك من أوعية المعلومات إضافة إلى اطلاع واسع على ما نشر من فهارس المخطوطات في العالم العربي والإسلامي والعالم الغربي، وعلى ما ينشر من دراسات لها مساس مباشر أو قريب من عمله.

بطاقة فهرسة

ملف المخطوطات ـــ صفحة (1)

1) رقم الحفظ والتسلسل :	2) الميكروفيلم: ....

3) الفن : ....

4) عنوان المخطوطة : ....

5) عنوان المخطوطة الفرعي: ....

6) اسم المؤلف ....

7) اسم الشهرة : ....

8) تاريخ وفاة المؤلف :	9) القرن : ....

10) المصادر : ....
....
....
....

14) الجـزء : ....

15) بداية المخطوطة : ....
....
....
....

19) نهاية المخطوطة : ....
....
....
....

23) نوع الخط : ....

24) تاريخ النسخ : ....

25) القرن : ....

26) مكان النسخ : ....

27) اسم الناسخ : ....

28) اسم الشهرة : ....

29) عدد الأوراق ....

30) عدد الأسطر : ....

31) المقاس الداخلي :	32) المقاس الخارجي : ..

ملف المخطوطات ــ صفحة (2)

ملاحظات عن حالة المخطوطة :

1) رقم الحفظ والتسلسل : ....

2) الورق : ....

3) الحبر : ....

4) الجدولة : ....

5) التذهيب والزخرفة : ....

....

7) التجليد : ....

8) الآفات : ....

9) ملاحظات : ....
....
....
....
....

ملف المخطوطات ــ صفحة (3)

البيانات التوثيقية :

1) رقم الحفظ والتسلسل : ....

2) المقابلة : ....

3) التصحيح : ....

4) التقييد : ....

5) الشرح والحاشية : ....
....
....

8) التملك والختم : ....

9) القراءة والسماع والاجازة : ....

ملف المخطوطات ــ صفحة (4)

بيانات تلخيصية :

1) رقم الحفظ والتسلسل : ....

2) الواصفات : ....
....
....
....
....

8) تعريف بالمخطوطة : ....
....
....
....
....
....
....

15) أصل (ل) أم صورة (ص) : ..

ملف المخطوطات ــ صفحة (5)

بيانات عن الطبع والنشر :

1) رقم الحفظ والتسلسل : ....

2) الطبع والنشر : ....

3) مكان واسم الناشر : ....

4) تاريخ النشر : ....

5) التحقيق : ....

6) المحقق : ....

7) النسخ الأخرى : ....

12) مكان الحفظ : ....

13) المفهرس : ....

14) تاريخ الفهرسة : ....

التوقيع : ....

تقنيات فهرسة المخطوطات العربية

الدكتور أحمد شوقي بنبين

أستاذ بكلية الآداب ــ الرباط

تقديم :

مما لا جدال فيه أن الفهرسة قد رافقت الإنسان طوال حياته، وساعدته على تنظيم معارفه وتنسيقها وحفظ آثاره وصيانتها. وقد أصبحت الفهرسة اليوم أداة ضرورية ووسيلة فعالة لكل من الباحثين في حقل التراث الإنساني، والعاملين في مجال المكتبات على السواء. والمخطوط العربي أطول مخطوطات العالم عمرا، وأكثرها عددا وأجذرها بالاهتمام والعناية والتنظيم.

فما هي الطرق التي استخدمها القدماء والمحدثون في وصفه والتعريف به وتنظيمه ؟ وما علاقة الفهرسة العلمية للمخطوط بعلم المخطوطات وتاريخ النصوص ؟

ذلك ما سنحاول الإجابة عنه في هذا العرض.

إن من أقدم ما وصلنا من فهارس القدماء شذرات من الفهرس البيبليوغرافي الذي وضعه الشاعر اليوناني كاليماخوس (Callimacus) في القرن الثالث قبل الميلاد لأهم خزانة في العصر القديم خزانة الأسكندرية[1]. ويعتقد الأخصائيون أنه أول فهرس منهجي وضع في التاريخ باعتبار الطريقة العملية التي لجأ إليها كاليماخوس في تقسيمه للمعرفة تقسيما علميا، وتصنيف الكتب حسب هذا التقسيم. و لم يكن العرب ليجهلوا هذا النوع من العلم والتقنية لتنظيم مكتباتهم ووضع الفهارس اللازمة لها. فكتب المصادر ملأى بالأخبار التي تحدثنا عن فهارس الخزانات

---

(1) شذرات من هذا الفهرس محفوظة بخزائن المتحف البريطاني بلندن.

الخليفية. فقد جاء في كتابي «**العبر ونفح الطيب**» أن ابن حزم قال : «أخبرني تليد الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة. في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير»[2].

وإذا كانت المصادر تقتصر على ذكر هذه الفهارس دون الإفصاح عن نوعيتها وطريقة صياغتها، فإن اكتشاف بعض الفهارس التي يعود بعضها إلى القرن السابع الهجري[3] يعطينا فكرة عن مدى اهتمام القدماء بهذا الجانب كما يرشدنا نسبيا إلى الطرق التي استخدموها في فهرستهم للمخطوطات، هذه الطرق التي نلاحظ بعض آثارها في الفهارس الحديثة.

وإذا كان القدماء من الغربيين يستعملون عددا من المصطلحات للتعبير عن هذه العملية الفنية كأن يقولوا مثلا Catalogus، Repertorium، Bibliotheca، Inventarium وIndex وهي كما تلاحظون كلمات يونانية ولاتينية، فإن القدماء من العرب المسلمين استعملوا كلمة «فهرست» الفارسية ليس للتعبير عن فهرسة المخطوطات والخزانات فقط، ولكن للتعبير أيضا عن علم البيبليوغرافيا الذي هو غير علم الفهرسة فلم يكن «فهرست» ابن النديم مثلا كتابا في الفهرسة بقدر ما هو كتاب بيبليوغرافي بهر بتنسيقه وتنظيمه وتصنيفه المحدثين من المستشرقين والإخصائيين في الأدب البيبليوغرافي.

وفي العصر الحديث شاءت إرادة الله تعالى ألا يبقى تراثنا العربي المخطوط محفوظا بخزاناتنا العربية وحدها، بل انتقل لأسباب شتى إلى معظم بلدان العالم حتى لا تكاد تخلو خزانة من الخزانات من رصيد من هذا التراث. وقد حازت أوروبا حصة الأسد من هذه المخطوطات، الشيء الذي جعلها تسبق إلى الاهتمام به وصيانته والاستفادة منه، وذلك بتسجيله وفهرسته وتنظيمه وتيسير سبل الحصول عليه. وإذا كان لعلماء الغرب أن يفكروا في فهرسة مخطوطاتنا التي يملكون منها أكثر مما نملك، فإنهم لم يأنسوا من أنفسهم القدرة اللازمة، والكفاءة العلمية للقيام بهذا العمل العلمي فنادوا على أصحابه الشرعيين من العرب المشارقة ليفهرسوا ويضعوا القوائم البيبليوغرافية. وهكذا كانت الفهارس البيبليوغرافية الأولى

---

(2) يتعلق الأمر بخزانة الحكم المستنصر 366هـ، النفح، ج 1، ص 362.

(3) أشير هنا إلى فهرس خزانة التربة الأشرفية وفهرس مكتبة جامع القيروان.

للمخطوطات العربية من وضع العلماء السوريين واللبنانيين فمنذ سنة 1677م فهرس بطرس دياب الحلبي المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة الملكية[4] بباريس، ثم فهرسها كل من باروت السوري الذي كان مترجما في مكتبة الملك، ثم أب عسكري الماروني قبل أن يشتغل بها Renaudot وD'Herbelot وDe Slane وBlochet وVajda وسواهم. وكان الغزيري[5] (Casiri) أول من فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالإسكوريال بإسبانيا قبل أن يشتغل بها H. Derenbourg وRenaud وL. Provencal وسواهم.

أما المخطوطات العربية في إيطاليا فقد وضع فهرستها في «فلورنسا» Florence عواد السمعاني عام 1742[6] كما اشتغل بفهرستها في خزانة الفاتيكان يوسف شمعون السمعاني عام 1756[7]، قبل أن يشتغل بها مستشرقون إيطاليون أمثال Gabrielli وG. Levi Della Vida وسواهما[8].

أما الفهارس المنهجية التي وضعها المستشرقون للمخطوطات العربية فلم تظهر إلا في منتصف القرن الماضي. وليس هذا من الغرابة في شيء إذا ما علمنا أن الفهارس التي وضعوها للمخطوطات اليونانية واللاتينية لا تعدو كونها قوائم بأسماء

---

(4) الخزانة الوطنية حاليا.

(5) أشار Steinschneider في فهرسته للمخطوطات الإغريقية بالإسكوريال إلى وجود قائمة بمخطوطات الاسكوريال العربية محفوظة بخزانة الفاتكان بروما، بحث عنها «درنبورغ» ووجد أنها بضعة أوراق لا أهمية لها، ويبقى أن عمل الغزيري عمل رائد وأولي في هذا الإطار، وفهرسته هو : Bibliotheca Arabico-Hispana Escuriolcusis-Brill-Leiden 1660-1670 ترجم إلى اللغة العربية أيام المولى سليمان 1815م باقتراح الأديب المغربي محمد بن عبد السلام السلوي وزير السلطان المذكور، وهو نسخة فريدة محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 6792.

(6) Assemani (S.E) bibliotheca medicae laurentianae et palatinae cadicum manuscriptum orientalium catalogus- Florence 1742.

(7) Assemani (J.S) bibliotheca apostolicae vaticanae codicum manuscriptorn catalogus pars Iti Roma 1756.

(8) معظم هذه الفهارس قد وضع على غرار كشف الظنون لحاجي خليفة الذي يمكن اعتباره أول مفهرس علمي للمخطوطات العربية والتركية والفارسية، والماروني العسكري أضاف إلى العربية المخطوطات السريانية وأضاف الغزيري إلى هذه اللغات الكرشوني والخاميادو وهي اللغة الإسبانية المكتوبة بحروف عربية بيد آخر مسلمي إسبانيا.

المؤلفين وعناوين الكتب. أما الفهارس المنهجية فلم تصدر في أوروبا إلا في القرن التاسع عشر[9].

ولما تنبه المسلمون إلى عظيم شأن تراثهم المخطوط وقيمته، وأقروا العزم على جمعه والاطلاع عليه والبحث فيه، فإنه قد تجمع لديهم المجموعات النفيسة والنادرة سواء ما نفضوا عنه الغبار من خزاناتهم العربية، أو ما اطلعوا عليه وجلبوه وصوروه من الخزانات الأجنبية، فكان لزاما عليهم ومن أجل الضبط البيبليوغرافي أن ينظموه ويفهرسوه، فظهرت إلى جانب الفهارس الموضوعة في الغرب، فهارس عربية متعددة تختلف من حيث الأساليب والبيانات والطرق والصيغ البيبليوغرافية. وإذا كان الأستاذ المنجد قد حصرها في ثلاثة أنواع : فهارس مختصرة، وأخرى مفصلة، وثالثة أكثر تفصيلا مع اقتراحه لخطة خاصة بالفهرسة، فإن الأخصائيين في هذا الميدان لايزالون حتى اليوم يقترحون الخطط والتصورات الشخصية لفهرسة المخطوط العربي.

ولست أهدف في هذا البحث إلى تكرار مختلف الاقتراحات المتعلقة بتقنيات فهرسة المخطوطات، بل سأقف فقط عند بعض العناصر لهذه العملية العلمية، والتي أعتبرها مواصفات أساسية للمخطوط العربي كالإشارة إلى الخط والناسخ ووسائل الكتابة، كالجلد والورق وغيرها، ثم عملية تأريخ المخطوط غير المؤرخ.

الإشارة إلى خط النسخة ليس بالشيء الجديد بالنسبة للفهرسة الحديثة، فالقدماء كانوا يشيرون إلى نوع خط المخطوطة كما جاء في فهرست مكتبة جامع القيروان والذي تحدث فيه واضعه عن أصناف الأقلام والأحبار، وعن الخطوط المنسوبة، وأنواع أخرى من الخط كالصقلي والنباري[10]. ويلاحظ في معظم فهارسنا الحديثة أن المفهرس يكتفي بالإشارة إلى الجهة التي ينتمي إليها الخط المستعمل كأن يقول : خط شرقي أو خط مغربي دون الإشارة بتدقيق إلى مكانه وعصره. وبما أن محور هذه الندوة هو المخطوط العربي في الغرب الإسلامي ؛ فإن المخطوطات التي نسخت بخط مغربي لاتزال بحاجة إلى مزيد من البحث لتحديد

(9) كانت فرنسا من بين الدول الأوروبية السباقة إلى وضع فهارس منهجية للمخطوطات اللاتينية والفرنسية وأول فهرس منهجي صدر فيها كان عام 1849م.

(10) نسبة إلى «نبارة» بليبيا (انظر دراسة على هذا الفهرس في الجزء الثاني عام 1957 من مجلة معهد المخطوطات العربية).

الأنواع المختلفة من الخطوط المغربية. فإذا كان الخط مغربيا فهو إما أندلسي أو مغربي أو جزائري أو تونسي أو موريطاني أو غير ذلك وإذا كان مغربيا مثلا أهو فاسي ؟ أو صحراوي ؟ أو سوسي ؟ أو بدوي ؟ أو غير ذلك ؟ أعتقد أن هذا النقص الملاحظ في فهارسنا يرجع إلى أمرين : أولهما أن الخط المغربي لم يحظ بما حظي به الخط الشرقي من الدراسة والبحث فالصراع لايزال حتى الآن قائما حول أصل الخط المغربي أهو متفرد عن الأندلسي كما زعم ابن خلدون ؟ أم هو شيء آخر كما قرر ذلك المستشرق الهولندي (O. Houdas)[11] ؟ ثانيهما أن المغرب يفتقر كباقي الدول الشرقية إلى باليوغرافيين المختصين بعلم الخطوط القديمة.

وإذا انتقلنا من الخط إلى ناسخه لاحظنا أن المفهرسين عموما يشيرون إلى النساخ إشارات عابرة، وهذا شيء طبيعي، لأن المفهرس لا يهمه البحث في شخصية الناسخ وفي سلوكه، بل مهمته تسجيل اسمه بين مواصفات المخطوط. فالنساخة والنساخ موضوع لم يحظ هو الآخر بما يستحقه من البحث، وهذا النوع من الدراسة ضروري للمفهرس والباحث على السواء. فإذا كان القدماء يعتبرون النساخة شيئا مثيبا من الناحية الشرعية حيث يضيفون اسمهم في المخطوط ليدعى لهم مع المؤلف ولهذا كانوا يقولون :

وما من كاتب إلا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة إن تراه[12]

إذا كان القدماء يعتقدون هذا الاعتقاد فإن عددا من النساخ قد بدلوا وغيروا عن قصد أو غير قصد، كأن يحاول الناسخ إظهارا للمهارة، وخدمة للعلم والدين، أن يقلد خط النسخة التي ينقل منها بدقة كبيرة حتى لا يميز بينها، فتكون نسخة كتبت في القرن العاشر قد نسبت من حيث الخط والتأريخ إلى القرن الخامس أو السادس. على المفهرس إذن أن يكون قوي الحدس واسع الاطلاع بأنواع الخطوط إذا أراد أن يحدد خط النسخة تحديدا علميا صحيحا.

أما فيما يخص مواد الكتابة التي استعملها القدماء كورق البردي وأنواع الجلود والورق والكاغد وغيرها فإنها كانت موضوع بعض الدراسات وإن كانت لاتزال

(11) O. Houdas : Essai sur l'écriture maghrebine : in melanges orientaux 1886.

(12) هذه الظاهرة يشاركون بها النساخ المسيحيين في القرون الوسطى الذين كانوا حريصين على ألا يغيروها، وألا يبدلوا، وألا يقعوا في خطإ يحاسبون عليه يوم القيامة.

تفتقر إلى الدقة والتخصص في هذا الميدان. فإذا كان المخطوط مكتوبا على الورق فأي نوع من الورق عربي أم أوروبي ؟ وإذا كان أوروبيا فما هو مصدره ؟ وما هو عصره ؟ إذا كانت عليه علامة من علامات هذا الورق (Filigranes)[13].

ومما يؤسف له أن يخلط المفهرس لا بين أنواع الورق المستعمل فقط، بل بينها وبين الجلود والرقوق التي أصبحت بعد عملية الدباغة أكثر شبها بالكاغد. وقد تنبه بعض المهتمين بالتراث العربي وفهرسته من المستشرقين إلى هذا كما صنع H. Derenbourg في فهرسته للمخطوطات العربية بالإسكوريال[14].

ومما جعلني أقف عند هذا العنصر من عناصر الفهرسة والمتعلق بتحويل المادة المستعملة للكتابة[15] هو ما يسمى بالطلوس أو الطروس (Palimpseste)، وهي الرقوق أو الصحف التي محيت وكتب عليها من جديد[16]. وقد قرأت في بحث من الأبحاث أن هذه الظاهرة قد عرفت في الغرب الإسلامي، بحيث لما فتح العرب الأندلس والمغرب وإيطاليا محوا الكتب اللاتينية واليونانية بعد ترجمتها وكتبوا عليها ثانية لأن الرق والبردي غاليا الثمن. فلما خرج العرب من الأندلس محا الإفرنج كتب العرب وكتبوا عليها مع أنها في غنى عن ذلك لوجود الكاغد الذي نشره العرب بأوروبا. وفي القرن الماضي استخرج الأوروبيون بوسائل كيماوية النصوص اليونانية واللاتينية القديمة من الطلوس العربية وبقيت الطلوس الإفرنجية محتفظة بسر الكتب العربية المطلوسة.

فهل اهتم المفهرسون والباحثون والفيلولوجيون والمهتمون بشؤون المخطوطات من العرب بهذه الظاهرة في فهارسهم أو أبحاثهم أو مختبراتهم إن كانت لهم مختبرات لاستخراج هذه الطلوس حتى يعلم نهائيا ما هي الكتب التي ضاعت ؟ وما هي الكتب التي بقيت ؟ وماذا نقترح لحل هذا المشكل ؟ ذاك ما سنعرفه في خاتمة هذا العرض.

---

(13) اعترف بجهله حتى في التمييز بين أنواع الخطوط المتفرعة عن الخط المغربي.

(14) Briquet : Filigranes, Paris 1907.

(15) كانت المواد التي يكتب عليها القدماء من العرب من وحي البيئة في بادىء الأمر، ثم اختلفت باختلاف الزمان والمكان.

(16) عرفت عند الإغريق واللاتين Palinpsestus (Latin) et Palimpsestos (Grec) : ولم تدخل إلى اللغة الفرنسية إلا عام 1823 لما بدأوا يهتمون بفهرسة التراث القديم.

أما العنصر الثالث والأخير هو المتعلق بتأريخ المخطوطات، ألاحظ من خلال قراءتي لعدد من فهارس المخطوطات العربية أن عملية تأريخ المخطوطات لم تكن من أسبقيات المفهرسين، فلم يهتموا بها بقدر ما اهتموا بعنوان المخطوط واسم مؤلفه مثلا.

فإذا كان المخطوط مؤرخا أشاروا إلى تاريخ النسخ من دون أن يبحثوا بحثا كوديكولوجيا هذا التأريخ. و لم يخصصوا واحدا من الكشافات المرفقة بالفهرسة الموضوعة للمخطوطات المؤرخة إلا نادرا. وإذا كان المخطوط غير مؤرخ سكت المفهرسون عنه أو أرخوه بالحدس والتقريب. وفي العقود الأخيرة يلاحظ أن المفهرسين بدأوا يهتمون بدراسة كل ما من شأنه أن يساعد على تأريخ المخطوط، كالتجليد والكتابة ومادة الكتابة والتذهيب والتملك والوقف والتوقيعات والتصحيحات وسواها، وهذه الأشياء الأخيرة هي التي أطلق عليها الغربيون خوارج الكتاب Ex-libri، ومما ينبغي إضافته إلى هذه الوسائل أن بعض المعاهد العلمية في أوروبا استعارت بعض التقنيات من علوم الفيزياء في هذا السبيل منها التحليل الكيميائي للمداد ومواد الكتاب، الهلوغرافيا، في سبيل مقارنة الخطوط، البيطاراديوغرافيا Betaradiographie من أجل التعرف على علامات الكاغد ووسائل أخرى لفك رموز النصوص المطلوسة.

وتأريخ المخطوطات له غايتان أساسيتان، أولهما أنه يعطي المقومات الأساسية لما يسمى بتاريخ النصوص، وثانيهما أنه يساعد على تقدم الدراسات المتعلقة بالخطوط القديمة، وكلنا يعلم أهمية فهارس المخطوطات المؤرخة في جميع اللغات.

إضافة إلى هذه العناصر التي اكتفيت بالحديث عنها في إطار الفهرسة أود أن أقول شيئا عن الفهرسة والبيبليوغرافيا والفهرسة والتصنيف.

إذا كان القدماء من العرب قد استعملوا كلمة فهرسة للتعبير عن فهرسة الكتب والبيبليوغرافيا معا، فإن الغربيين في العصر الحديث قد استخدموا لفظ بيبليوغرافيا للتعبير عن الفئتين معا قبل تخصيص علم الفهرسة بمصطلح آخر هو الكاتالوكاج (Catalogage) بالعالم البلجيكي Chauvin الذي وضع فهرسة للمطبوعات العربية استعمل كلمة بيبليوغرافيا للتعبير عن هذه العملية العلمية. وعلى الرغم من استعمال المصطلحين عن فئتين من العلوم سواء عند العرب أو عند الغربيين فإن علم الفهرسة يختلف عن علم البيبليوغرافيا ولا يمكن لصانع الفهارس أن يكون

بيبليوغرافيا كما لا يمكن لمكلف بالحسابات أن يكون رياضيا، إلا إذا ألم كلاهما بقواعد هذه العلوم.

فلابد إذن للمفهرس من أن يكون بيبليوغرافيا[17]، فتوثيق اسم الكاتب وعنوان المخطوط والبحث في مختلف النسخ وفي أماكن وجودها وهل طبعت أم لا ؟ وسواها من التساؤلات ذات الطابع البيبليوغرافي تفرض على المفهرس الحديث للمخطوطات أن يلم بقواعد البيبليوغرافيا، تاريخها، أنواعها إذا أراد أن يجيب عن الأسئلة العلمية التي تطرحها عليه عملية الفهرسة والتي يقتضيها الوصف التاريخي والكوديكولوجي للمخطوطات، فإذا أراد المفهرس أن يعرف مثلا هل طبع المخطوط المفهرس أم لا ؟ فإن لديه عددا كبيرا من البيبليوغرافيات كتبا أو مجلات يجب أن يعرفها ويستشيرها في الوقت المناسب، ويأتي على رأس هذه القوائم البيبليوغرافية بيبليوغرافيات متعددة للمطبوعات العربية وضعها المستشرقون في القرن التاسع عشر (وهو عصر البيبليوغرافيا كما يقولون) مثل Schnarrer وتسنكير (Zenker) وChauvin وVan Deck وسواهم. وتحاول هذه البيبليوغرافيات أن تحصي جميع الكتب العربية المطبوعة منذ بداية الطباعة بحروف عربية في أوروبا، أما مجلة المخطوطات العربية للمنجد ونشرات معهد المخطوطات العربية والمجامع اللغوية العربية وغيرها هي الوسائل البيبليوغرافية الأولى للمفهرس.

وإذا نظرنا إلى علاقة التصنيف بالفهرسة لاحظنا أن الذين وضعوا فهارس المخطوطات العربية في أوروبا قد اتبعوا تصنيفا للعلوم في غاية الدقة بدءا بالعلوم الدينية وختما بما اصطلح عليه الأقدمون بعلوم الأوائل.

وإذا سار عدد من المفهرسين الغربيين للمخطوطات العربية على غرار تصنيف العلوم الإسلامية الذي ورد في فهرس مخطوطات برلين بألمانيا للمستشرق ألورد (Ahlward) فإن التصنيف الذي اتبعه الغزيري للمخطوطات العربية المحفوظة بالإسكوريال منذ القرن الثامن عشر كان في غاية الدقة بحيث أن المستشرق H. Derenbourg لما عزم على وضع فهرسة جديدة لمخطوطات الإسكوريال مضيفا ما غفل عنه الغزيري، لم يقر فقط التصنيف الذي وضعه المفهرس العربي بل أثنى عليه واحتفظ به كطريقة تصنيفية ومنهج تنسيقي مثالي للعلوم الإسلامية. وعلى

(17) يلاحظ أن عددا كبيرا من واضعي فهارس المخطوطات العربية يجهلون أو يهملون علم البيبليوغرافيا.

الرغم من هذا التقسيم فإن المخطوطات ترتب داخل المكتبة حسب أرقام معينة دون مراعاة لهذا التصنيف، وقد بدأ المحدثون يعدلون عن الطرق العتيقة ويرتبون المخطوطات العربية المصنفة حسب نظام ديوي العشري لتصنيف الكتب وتنسيقها كما صنع الدكتور يوسف خوري لمّا فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت[18].

يتضح من خلال ما سبق أن فهرسة المخطوطات العربية ليست بالأمر الهين، بل إنها عملية تقتضي اطلاعا واسعا وتخصصات متنوعة صعبة قلما تجتمع لعالم واحد. فهل وجد من بين المفهرسين، عربا كانوا أو غربيين، من توفرت له هذه العلوم واجتمعت لديه هده التخصصات ؟ وبعض المستشرقين إيمانا منهم بأهمية هذه العملية العلمية، لم يقتحموا هذا الباب بل تركوه لأهله كما صنع أسلافهم في القرنين السابع والثامن عشر. وبعضهم تجشم عناء الفهرسة واقتحمها معترفا بجهله لعدد من أجزاء علومها الأساسية.

اعترف H. Derenbourg واضع فهرس مخطوطات الإسكوريال بجهله لأنواع الخطوط المغربية فاكتفى بالإشارة إلى شرقية الخط أو مغربيته دون تحديد الجهة التي ينتمي إليها هذا الخط.

أما المعاصرون من زملائنا العرب فإنهم قد وضعوا الفهارس بطريقة ساذجة وتصورات خاصة دون اعتبار الفهرسة علما قائما بنفسه له قواعده، ولا يستطيع أن يقوم به إلا من أوتي شروطا خاصة، أهمها ميله وحبه لعلم المخطوطات، واستعداده الفني والعلمي لممارسته. كل يفهرس على هواه وكل يرى طريقته سديدة وإن كانت مضطربة، منهم من قلد المستشرقين من المحدثين، ومنهم من سار على منوال الفهارس العتيقة دون الأخذ بالاعتبار المعطيات العلمية الحديثة ذات الصلة الوثيقة بهذا العلم، فجاءت فهارس مخطوطاتنا العربية على أشكال مختلفة وأساليب متعددة تختلف صورها من بلد إلى بلد ومن خزانة إلى خزانة في البلد الواحد.

ما هي الاقتراحات التي من شأنها أن تساعد على حل هذا المشكل ؟ وما هي السبل التي ينبغي سلوكها للوصول إلى هذه النتيجة المتوخاة ؟

---

(18) يوسف ق. خوري : المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت 1984.

أقترح بتواضع كبير شيئين، أعتقد أنهما أساسيان في هذا الإطار.

أولهما : العمل على إثارة اهتمام الطلبة الجامعيين لعلم المخطوطات وإدماجه ضمن البرامج لا الجامعية فقط؛ بل ضمن برامج مدارس علوم المكتبات : كذلك في الجامعة وعلى مستوى التخصص الأكاديمي لا توجد في البلاد العربية دراسات عن المخطوط العربي أو تخصص في علم المخطوطات إلا نادرا.

وفي معاهد المكتبات الحديثة التي عمت العالم العربي اليوم لا يعدو ما يلقنه الطلبة القواعد الأولى لفهرسة المطبوعات لا المخطوطات، وتاريخ البيبليوغرافيا وأنواعها وتاريخ الكتاب والبيبليوغرافيا والبيبليوتيكونوميا والمفاهيم الأولى لعلوم المكتبات، دون أي اهتمام بشؤون المخطوطات لما تتطلبه من مختصين ولما تقتضيه من جهد وعناء واستعداد وكفاءة علمية.

ثانيهما : إنشاء معهد للبحث وتاريخ النصوص على مستوى العالم الإسلامي تشرف عليه المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ISESCO وذلك للقيام بالوظائف التالية :

1) دراسة المخطوطات العربية يختص بها قسم من أقسام هذا المعهد يدعى قسم علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا[19] (Codiocologie) كما يقول الغربيون. والفهرسة جزء من أجزاء الكوديكولوجيا بالإضافة إلى تاريخ المخطوطات والمجموعات، وبحث وضعية المخطوطات ومصادرها، وما آلت إليه والآمر بتأليفها والذي أهديت إليه، إلى جلوده أو ورقه وغير ذلك[20].

في هذا الإطار واعتبارا لهذه المواصفات العلمية الدقيقة يمكن البحث في عدد من المشاكل المخطوطية كتاريخ الخطوط، وتأريخ المخطوطات، والبحث في مواد الكتابة، ودراسة حياة النساخ وسلوكهم، وإخضاعهم لنظرية الجرح والتعديل كما أخضعت لها حياة رواة الحديث واللغة، ودراسة الطلوس دراسة كيماوية

---

(19) مفهوم علم المخطوطات عند المختصين من العرب يتضمن بالإضافة إلى تاريخ المخطوط وفهرسته ووضعيته وغيرها خط هذا المخطوط، ومادة كتابته، بينما الغربيون يجعلون الخط ومادة الكتابة من قبيل علم الخطوط القديمة أو الباليوغرافيا.
علم المخطوطات العربي : الكوديكولوجيا + الباليوغرافيا.

(20) الفهارس المفصلة تعالج هذه المشاكل التي هي من اختصاص علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا.

لاستخراج النصوص العربية القديمة، وأخيرا تحديد خطة نهائية لفهرسة المخطوط.

2) إنشاء قسم أو أقسام للاهتمام بمخطوطات اللغات الشرقية والسامية التي رافقت اللغة العربية عبر تاريخها الطويل، كالفارسية والتركية والعبرية والسريانية، ومخطوطات هذه اللغات وغيرها المكتوبة بحروف عربية[21]، فمعظم فهارس المخطوطات العربية القديمة وبعض الحديثة تجمع مخطوطات هذه اللغات للعلاقات الوثيقة والصلات التي كانت تربط بينها في فهرس واحد.

وخلاصة القول هي أن الغاية القصوى من إنشاء هذا المعهد وفي هذا الإطار بالذات، هو خلق خطة موحدة لفهرسة المخطوطات تقتصر على العناصر الأساسية لتعريف المخطوط، دون الاهتمام بالعناصر الأخرى التي يختص بها قسم الكوديكولوجيا. وهدف هذا الأخير من هذه الأعمال هو البحث في تاريخ النصوص الذي طالما أهملناه في عالمنا العربي مع العمليتين معا الفهرسة الموحدة وتاريخ النصوص، تمكنان من رسم خطة واحدة لتحقيق النصوص، وهو مشكل علمي كبير طالما أرق ولايزال يؤرق الكثير من جهابذة الفكر واللغة من علماء العرب وكل المهتمين بالتراث العربي المخطوط.

---

(21) الخط الكرشوني : المخطوطات العربية المكتوبة بالحرف السرياني. ذكر Huisman في كتابه عن المخطوطات العربية في العالم، المخطوطات اليهودية العربية (Judeo-Arabe) والمخطوطات المكتوبة بالخط الكرشوني.

من هو ذلك الذي يشرف على المخطوطات ؟

الدكتور محمد طريف السمان

أمين المطبوعات والمخطوطات العربية
في المكتبة الوطنية النمساوية — فيينا

التراث المخطوط يا إخواني هو الثروة الفكرية الثابتة القيمة التي خلفها لنا أجدادنا من العلماء ورفعوا أثمانها بما هو أغلى من الذهب والفضة. رفعوا ثمنها بعصارات أذمغتهم وأذهبوا في خطها جل أوقاتهم، فكانت تركتهم لنا من أثمن التركات وأكثرها نفعا، ليس للمسلمين فحسب وإنما للعالم كله مشرقه ومغربه.

وإن كانت مخطوطاتنا قد التهمتها نيران الغزوات، وابتلعتها مياه دجلة وبردى أثناء الحروب، وإن ضاع وأهمل الكثير منها خلال الاحتلال العثماني، وسرقات المستعمرين بأمر الإنجليز والفرنسيين أيام الاحتلال، فإن ما تبقى منها في خزاناتنا العامة والخاصة لجدير بالعناية والحرص والدراسة.

أناشدكم هنا يا إخواني وأرجو المسؤولين باتخاذ ما يلزم من الإجراءات وبأسرع ما يمكن لمنع تصوير وإخراج هذا التراث الثمين من بلادنا. إذ أنه لازالت تعرض مخطوطاتنا العربية الإسلامية حتى اليوم على تجار الآثار وبيوتات المزاد العلني وهواة المخطوطات في الغرب. إن القيمة التي يدفعونها للحصول على مخطوطاتنا ولو كانت مغرية لبائعها إلا أنها تبقى دائما دون القيمة الحقيقية بكثير. وخاصة إذا عرفنا بأن المشتري الغربي اليوم يعرف جيدا القيمة الحقيقية لما يشتريه ويقتنيه، وندر من يشتري تراثنا ليقرأه، إنهم يشترونه ليدخروا أموالهم أو ليضاعفوا أرباحهم، وخاصة في السنوات الأخيرة بعدما انخفضت الفوائد في البنوك وقلت أثمان الأسهم في الشركات بعد موجات الإفلاس المتواترة التي حدثت ولاتزال.

دخلت عن قريب متجرا لبيع الآثار لأسأل عن ثمن مخطوط معروض للبيع،

فوجدته مفككك الأوراق ناقص الصفحات في عدد من الأماكن وعندما سألت البائع عن النواقص أخبرني بأنه باع فقط الورقات المزخرفة وذات الرسوم المذهبة من المخطوط. وهذه حادثة يا إخواني ليست نادرة.

وإذا نظرنا إلى المتبقي من تراثنا اليوم، نراه في كثير من الأحوال يعاني الأمرين، فهو مهمل في إحدى الزوايا، موكل عليه من لا يفقه قيمته، بل يزيد في إتلافه إن كان جاهلا له، فيتركه متراكما تعبث فيه الحشرات، وتسير فيه عفونة الرطوبة، أو تفتته حرارة المكان، ويبهت أسطره ما يسطع عليه من نور. وهكذا تعامل معاملة الجاني.

أقول الجاني الخطر، إذ لازلت أذكر كلمات مدرس مستعار بعد انقضاء سنين الاحتلال الفرنسي وأثناء دراستي الثانوية، عندما قال لنا المدرس موعظا محذرا في أسباب تخلف العرب : «إذا أردنا التقدم والتطور لبلادنا فما علينا إلا رمي الكتب الصفراء القديمة بعيدا (وكان يعني المخطوطات)، ودراسة العلوم الناشئة الحديثة التي انتهى إليها الأوروبيون».

إن مثال هذا المربي للنشء الحديث يا إخواني ليس بالقليل، فلا نستغرب جهل البعض وحقده على القديم من التراث. وقد يكون من هؤلاء من أوكل إليه أمر المخطوطات فيهملها إن لم أقل يعدمها قبل أن ينظر فيها.

لذا فالقائم على أمور المخطوطات لابد أن يكون ممن عنده الرغبة للتعامل معها أولا، ولديه مؤهلات تتناسب والعمل الذي سيقوم به ثانيا.

ونحمده تعالى على التفاتة بعض الحكومات في بلادنا المجيدة، إذ جعلت دورات خاصة وفروعا جامعية لتدريس وتدريب من سيقوم على الخزائن ودور الوثائق وإدارة شؤونها وتنظيمها وفهرستها وبالتالي إغنائها.

إلا أن إعداد أمناء المخطوطات ومحافظي خزائنها يختلف تماما عن إعداد العاملين في خزائن المطبوعات ومجامع المخطوطات (الأرشيف)، فعليهم توسيع أفق معرفتهم لا بدراسة أو دورات إضافية فحسب بل بالاطلاع على أحدث ما توصل إليه هذا الفرع من العلوم وقراءة الجديد فيه، في الكتب والمجلات الخاصة.

وإعداد المتعاملين بالمخطوطات يختلف من بلد إلى آخر، ففي أوروبا مثلا تنظم دورات إضافية خاصة لذلك، والتأهيل لهذا العمل يكون حسب الدرجات

العلمية، والشهادات المدرسية، علاوة على دراسة علم تنظيم الخزائن. إذ تجعل هناك دورات وندوات خاصة لهذه الغاية تعقد كل سنتين في بلد ما للتدارس والتباحث في قضايا المخطوطات، وتطوير التعامل معها ثم إيجاد الحلول للمعقد في أمور تصنيفها وصيانتها والاستفادة منها.

فتأهيل العاملين في خزائن النمسا مثلا يستمر عامين تامين. وقبل الابتداء بالعمل بالخزانة يتلقى المقبلون (شروط ومؤهلات خاصة) موادا علمية هامة منها : تاريخ نشوء وتطور الكتاب حتى الطباعة الحديثة، مع تاريخ وتطور أدوات الكتابة. ثم تاريخ تطور الخطوط وأشكالها، وتاريخ فنون وتجليد الكتاب، إلى جانب علوم البيبليوغرافيا والمصادر والمراجع التاريخية حتى طرق الفهرسة والصيانة والترميم والإدارة وغيرها، مع تدريب عملي مكثف أثناء وبعد الدروس النظرية.

وقد فاتني أن أذكر إلى جانب الرغبة والاهتمام من قبل المتعامل مع التراث المخطوط أن تكون الأمانة من صفاته الأولى. إذ كم فقد من المخطوطات قبل تسجيلها، وكم اقتلع من ورقات منمنمة مذهبة، واختلت أجزاء هامة من مجموعة مخطوط، لا من المطالعين فحسب بل من المشرفين والعاملين في الخزانة أنفسهم.

بسبب الاختصاصات العلمية اليوم، والمؤهلات الإدارية إلى جانب الهوايات والاهتمام الشخصي نود أن نجد اليوم إنسانا يستطيع تولي إدارة شؤون المخطوطات أو خزانة بشكل عام كما كان عليه الحال في القديم، إذ كان محافظ الخزانة ملما بشكل جيد بجميع المعارف والعلوم، وقد يكون من العلماء البارزين، والتاريخ يحدثنا عن أسماء لامعة من الفقهاء العلماء، والوزراء الذين تولوا إلى جانب عملهم مسؤولية إدارة خزانة الخليفة منذ العصر العباسي وما بعده، حتى عصور الانحطاط في المشرق والمغرب، ثم انتقلت هذه العادة بانتخاب أمين الخزانة إلى أوروبا، إذ توالى مثلا على خزانة فيينا من فيهم الطبيب العالم، والشاعر الأديب، والحقوقي الفيلسوف، وكان فيهم مستشرقون اختارهم القيصر لإغناء الخزانة بالمخطوطات العربية، وإليهم يعود الفضل بما هو موجود الآن من نوادر المخطوطات العربية بالخزانة الوطنية النمساوية.

وبتفرع العلوم وتجزئتها وبدء عصر الاختصاص، أصبح من الضروري توزيع مهام الخزانة بين المختصين في شتى العلوم المختلفة، على أن يكونوا ممن يتقنون عددا من اللغات وأتموا دراستهم الجامعية بفرعين اثنين من العلوم. وهنا لابد لي من

ذكر معهد البحوث التاريخية النمساوي الدولي التابع للجامعة، والذي يخرج كل ثلاث سنوات عددا قليلا من المختصين لاستلام الإدارات والمناصب الكبرى في الخزائن والمتاحف ودور المحفوظات (الأرشيف) ومثيلتها ممن يتقنون قراءة الخطوط واللغات القديمة إلى جانب عدد من اللغات الحديثة ويخضعون قبل قبولهم في هذا المعهد إلى شروط خاصة منها أن يكونوا من حملة شهادة الدكتوراه وغير ذلك من العقبات العلمية.

أطلت في تمهيدي بعض الشيء لأبين ضرورة امتلاك بعض المؤهلات التي لا غنى عنها من أجل التعامل مع المخطوطات. إذ أن المشرف الأول عليها هو الذي سيرسم الطريق الضيق أو الواسع الذي سيسير ومساعديه عليه في تدبير سياسة الخزانة. إنه هو الذي يبث فيما أراد فقط الحفاظ على مجموعته من التراث المخطوط أم يرغب بأن يقتني عليها ويزيد في عددها. ولاشك أن الخزانة الحية هي التي تنمو باضطراد. واقتناء المخطوطات يجب ألا يقتصر في رأيي على فرع معين من العلوم، بل يفضل شراء كل ما يرد ويعرض على الخزانة وهذا يتعلق طبعا بالمخصصات المالية. وغالبا ما تكون هذه محدودة لهذا الغرض، وهنا يمكن التعاون بين عدد من الخزائن في البلد الواحد لشراء ما يعرض، ولكي لا يترك المجال لإخراج المخطوطات من الوطن. وقد يتسنى للمسؤولين بل يجب عليهم عمل ما يلزم لتوعية الشعب عن طريق الإذاعة والصحافة والنشرات الخاصة إلى قيمة التراث المخطوط، وضرورة الحفاظ عليه وإهدائه أو بيعه أو توريثه للخزائن الوطنية قبل رميه بأثمان بخسة في أيدي الغرباء من السياح، الذين يبيعونه فيما بعد بأسعار خيالية في الخارج وينتقل تراثنا بدوره إلى خزائن أوروبا أو تتشتت ورقاته في حوانيت تجار الآثار. والكل يعرف ما يعرض شهريا في دور المزاد العلني في عواصم أوروبا. وهنا أؤكد ضرورة إطلاع محافظي الخزائن على فهارس ونشرات دور المزاد العلني الدورية في كل مكان لمعرفة ما يباع من تراثنا ومصيره الذي يصير إليه، وقد يمكن لنا استرجاعه إن كان مسروقاً وذلك حسب الاتفاقيات الدولية.

إن من المهام الأولى لمحافظ خزانة المخطوطات التنظيم والإشراف على الأعمال التقنية المكتبية من تسجيل وترقيم وختم المخطوط ثم ترميمه وتغليفه بالشكل الذي يحافظ عليه وعلى جلده أيضا كي لا يصاب من كثرة الإستعمال في المستقبل بضرر

أو تلف، وأحذر من استعمال الدوائن المصطنعة مثل النايلون. وإن السماح بإعادة المخطوط قبل إتمام ما ذكرت قد يؤدي إلى عواقب غير محمودة.

وفهرسة المخطوط هي من الأعمال الهامة في الخزانة، وتتطلب ثقافة وخبرة كبيرتين لذا يفترض أن تتم مباشرة من قبل المسؤول الأول لا من المساعدين.

وإن ورقة توثيق ترفق دائما مع المخطوط برهنت مع فائدتها الكبرى بما يحصل للمخطوط، إذ أنها تحمل اسم كل مطالع وعنوان وتاريخ مطالعته واستفادته من المخطوط، وعلى هذه الورقة تتم كتابة الملاحظات من تصوير ونسخ وترميم وفقدان ورقات وغير ذلك.

وقد يتمكن المسؤول عن المخطوطات من مقارنة النسخة الجديدة مع مثيلاتها في الخزائن الأخرى داخل البلد وخارجه إن استطاع لتحديد القيمة التاريخية أو للتعرف على النص الكامل إن كانت نسخة ناقصة، وربما تكون مخطوطة وحيدة نادرة وهذا ما يزيد في قيمتها المادية والتاريخية. لذلك لابد من ترشيحها أو إدراجها في قائمة المخطوطات التي يجب أن تدرس وتحقق للنشر.

والمخطوطات النادرة أو المزخرفة والمذهبة يحرس على فصلها وحمايتها في مكان أكثر أمانة وملاءمة، ويحدد، بل يقتصر استعمالها على المختصين والعلماء فقط.

ولابد من أن يقوم أمين الخزانة باتخاذ الإجراءات اللازمة لتصوير جميع مخطوطاته في الخزانة على الأفلام المصغرة (ميكروفيلم)، الغايات كثيرة، أهمها سهولة وسرعة الاستنساخ لتلبية رغبة المطالعين، والمحافظة على النسخة المخطوطة كي لا يؤذيها النور بتكرار التصوير، ومن ثم للحفاظ على النص على الأقل في حال فقدان النسخة الأصلية. وبهذه المناسبة أحذر من استنساخ المخطوط أو بعض صفحاته بالطريقة المباشرة السريعة على الناسخ الحديث Xerox مثلا، فهي تحد من عمر المخطوط وتفقد مع الوقت نور مدادها.

كما وأن تطور الطابعة التصويرية بالألوان توصلت إلى تعدد استعمالها في خزائن أوروبا، وخاصة المخطوطات المزخرفة والمصورة أو المذهبة النادرة، وهذه تدعى Facsimile فاكسيميله، فهي غالية التكاليف إلا أنها تعد من الطرق الناجحة في الحفاظ على المخطوط الأصلي الثمين، الذي يحفظ بشكل نهائي دائم، ويقدم بدلا عنه النسخة المصورة التي هي كالأصل بدون فارق للقراء والباحثين، كما وتتمكن

الخزائن الأخرى في العالم من شراء وامتلاك الفاكسيميله التي هي صورة صادقة عن الأصل. وبهذه الطريقة تم طبع أمهات المخطوطات في العالم من ضمنها نسخة القرآن الوحيدة لابن البواب المحفوظة في دبلن، والمجموعة الفريدة لكتاب الأدعية الذي صدر حديثا بعنوان الخيرات للجزولي، وكلاهما طبعا في غراتس بالنمسا بالمطبعة الأكاديمية. وأعتقد بأن هناك عشرات المخطوطات الثمينة من حيث نصوصها أو منمنماتها وتزويقها بالذهب والألوان المنتشرة في خزائن العالم العربي وتستحق المحافظة على فنونها ورسومها بطبعها بهذه الطريقة الحديثة المصورة. وبانتشار الفاكسيميله للمخطوطات العربية تعرف العالم على فنون الكتب العربية الرفيعة التي تجهلها العامة في العالم الغربي.

وهناك نقطة هامة أريد أن ألفت نظر إخواني في خزائن المخطوطات إليها، وهي أن العدد الكبير من المخطوطات تبقى على الرفوف محدودة الإستعمال. ومن واجب المشرف على الخزانة بل من إحدى وظائفه التعريف بما تحويه خزانته. وباعتقادي بأن الفهارس المطبوعة على الرغم من ضرورة إحداثها إلا أنها لا تفي بالغرض الذي أنا بصدده. فلابد من نشر أبحاث ولو مختصرة على فحوى وخواص كل مخطوطة، وما تضم دفتيها من علم أو فن حتى لو تم ذلك بالتعاون مع المختصين والعلماء ومدرسي الجامعات.

وهنا تأتي وظيفة المعرض التي أعتبرها من المهام التي تقع على عاتق أمين خزانة المخطوطات. إذ عليه أن يهيء كل بضع سنوات معرضا لما تحويه خزانته للتعريف بها، ويستحدث المناسبات لها علمية كانت أم تاريخية، ويضع للمعرض دليلا فيه أوصاف كل مخطوط، ويذكر ما هو معروف عن تاريخها وتاريخ مؤلفها مع تقييم لنصها، وبهذا ينشط الاهتمام بالتراث. وقد يتمكن عدد من أمناء الخزائن بالتعاون على مثل هذه التظاهرة في المناسبات والأعياد القومية أو الدينية وغيرها، وحبذا لو التفت جميع الخزائن العربية إلى فوائد مثل هذه المعارض التي تنظم في أوروبا سنويا تقريبا، كما هو الحال في خزانة فيينا التي تعرض سنويا وتحت شعارات وعناوين مختلفة ما هو متوفر لديها من مخطوطات، وتنظم إلى جانبه عددا من المحاضرات التي توضح الموضوع المختار، فمثلا سيعرض في هذا الصيف، وبعنوان العالم العربي وأوروبا جميع المخطوطات العلمية والأدبية والفنية التي أثرت على أوروبا بطريق مباشر أو غير مباشر، أو التي ترجمت ودرست في جامعات الغرب،

وسيعرض إلى جانب المخطوطات العربية المخطوطات الأجنبية التي نقلت عنها. وقبل ثمانية أعوام اخترت موضوع الحضارة الإسلامية، وعرضت فيه مخطوطات تركية وفارسية إلى جانب العربية. فهذا مثل بسيط على ما يمكن عمله من أجل الثقافة العامة بواسطة المخطوطات «القديمة الصفراء التي قيل بعدم نفعها».

إن الغرب الإسلامي لغني جدا بالمخطوطات العلمية النادرة، وضمن مجموعاتها العدد الكبير الغير معروف، وقد يتسنى لإخواني المشرفين على هذا التراث إقامة معرض عربي إسلامي يعرفوننا على ما أنتجته هذه المنطقة من كنوز فنية وعلمية تفخر بها.

والمعروف لدى الجميع بأن الغرب الإسلامي له اليد الطولى في تطور فنون المخطوط العربي الإسلامي، وخاصة في استعمال الألوان والتذهيب، ويكفي أن يكون مولد الزخرف المورق الذي بهر فناني العالم، والذي يسموه أرابيسك Arabesk كان في هذا البلد. وحبذا لو وجهت عناية خاصة إلى تطوير ودراسة فنون الكتاب العربي القديم في شمال هذه القارة، وكلمة Maroquin في أوروبا الوسطى لا تعني الجلد والتجليد الممتاز للكتاب فقط، بل إنها تنطوي على الرمز المثالي لرفعة فن الكتاب في معناها الضمني.

ورجائي الآخر من إخواني العاملين والمشرفين على المخطوطات في الغرب الإسلامي إنشاط وتوسيع البحث في تطور الخط في هذه المنطقة فباحثي وعلماء الخطوط في أوروبا وحتى في العالم العربي لازالوا يتخبطون في آراء ونظريات حول الفروق بين الخط المغربي والخط الأندلسي، ثم بين هذين الخطين وخطوط بقية شمال إفريقيا. المصادر هنا كثيرة متوفرة ولا ينقصنا سوى دراسات وبحوث مركزة حول هذا الموضوع. وفي اعتقادي بأن المشرفين على الخزائن هنا لهم الكلمة الأخيرة في هذا البحث.

III

اشكالية تحقيق ودراسة التراث المخطوط للغرب الإسلامي

مسرد لواقع المخطوط
من الرحلات المغربية الحجازية

الأستاذ محمد المنوني
مؤرخ وباحث في المخطوطات العربية

اعتبارا لبعد المغرب من الحجاز، فإن الرحلات المغربية للبقاع المقدسة تتسع آفاق ارتساماتها : عبر شمال إفريقيا، ومرورا بمصر، وانتهاء عند الحرمين الشريفين، وكانت هذه المناطق تمثل الخط الذي يسير فيه ركب الحجيج المغربي، من أيام بني مرين حتى منتصف القرن 13 الهجري. وبذلك فإن منهجية هذه المؤلفات، تتميز بتسجيل ارتسامات الرحالة عن مشاهداته في مساره الطويل ذهابا وإيابا، فتصف البلاد والسكان والمعالم والعادات، في عروض تطول أو تقصر حسب خطة الرحلة، وإلى ذلك ينوه المؤلف بأسماء الذين يتعرف عليهم من رجال العلم وشيوخ التصوف، في لوائح أو تراجم وجيزة أو مطولة، مضافا لذلك عرض الاجازات المتبادلة : في نصوصها أو خلاصاتها، فضلا عن وصف المشاهد الإسلامية الكبرى، وخصوصا في الحرمين الشريفين، وفي هذا الاتجاه يتحدث بعض الرحالين عن الخزائن التي زاروها في طريقهم ذهابا وإيابا. وهو واقع أبي سالم العياشي، والغنامي، ومحمد بن عبد السلام الناصري، وأحمد الفاسي، وسواهم. وبين هؤلاء من يعلن عن اكتشاف نوادر وذخائر كانت مجهولة.

ويتميز العياشي بتوسعه في الوصف المقارن : للعادات الحضرية بكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما يقدم لمحة عن نظام الأغوات بالمسجد النبوي الشريف. وحينما بدأت المنجزات الحديثة تدخل إلى مصر، نجد رحالة مغربيا هو الغيغائي، تبهره مباهج التلغراف والتلفون والقطار والمطبعة، فيصفها ويثبت رسوما لها.

ولما كانت طرابلس مكان استراحة للركاب الحجازية في تشريقها وعند تغريبها، جاءت كتابات الرحلات المغربية يتسلسل فيها وصف تاريخي لهذه المنطقة، في فترة تناهز ثلاثة قرون، بدءا من أواسط المائة 11هـ حتى منتصف القرن 13هـ. وإلى هذه الارتسامات الخارجية، تصف الرحلات الجهات التي يمر بها الحجاج داخل المغرب، ومن ذلك ما كتبه الإسحاقي في رحلته رفقة الأميرة خناثة، فقدم لمحة عن مدينة تازا : تاريخيا ومعماريا وثقافيا، ولنفس الرحالة وصف شيق لاحتفال مدينة فاس بيوم خروج الركب المغربي من هذه المدينة.

ومن جهة أخرى فإن عالما هو ابن الحاج التلمساني، يرجز قصيدة همزية عن مراحل الحاج المغربي من مدينة تازة إلى الحرمين الشريفين، ومنها إلى بيت المقدس، وهو يصدرها بإحصاء الحاجيات التي يتوقف عليها الحاج، فيذكرها واحدة واحدة إلى أن يستوعبها.

أيها السادة : هذه لمحة قصيرة عن منهجية كتابة الرحلات المغربية الحجازية، ومنها يتبين دورها في عدة ميادين : في ربط الصلات الثقافية بين المغرب وشمال افريقيا والمشرق، وأيضا : في وصف طريق الحاج المغربي : جغرافيا وتاريخيا وحضاريا وروحيا، وأخيرا : يضاعف من أهمية هذه المعلومات، أن معظمها مما أهمله تاريخ المناطق التي تصفها الرحلات.

وبعد هذا المدخل، ها هو مسرد لـ 26 رحلة حجازية مخطوطة.

1 ــ التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز لأبي سالم العياشي : عبد الله بن محمد بن أبي بكر، المتوفى عام 1090 ــ 1679، وهي رحلته الصغرى، شبيهة بدليل للمسافرين إلى الجهات المقدسة، كتبها برغبة من تلميذه أحمد بن سعيد المكيلدي.

ــ منها عدة مخطوطات : واحدة في الخزانة العامة عند حرف الكاف رقم 43، في محفظة من ص 303 إلى 316.

ــ نسخة أخرى في الخزانة العامة حرف الدال رقم 2793.

ــ نسخة ثالثة في الخزانة العامة حرف الدال رقم 2839.

2 ــ الرحلة المقدسة مؤلفها هو ابن المرابط الدلائي : محمد بن محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر الصنهاجي ثم الفاسي، توفي عام 1099 ــ 1688، وهي

رحلة وجيزة منظومة في بحر الكامل على روي الدال، نظمها في 36 بيتا، ثم أدرجها ضمن ديوانه الذي ينتظم مع ديوان والده في جزء محفوظ بالخزانة العامة حرف الدال رقم 3644 : من ورقة 59 أ إلى ورقة 63 ب.

3 ـــ رحلة أبي علي الحسن اليوسي، وهي عن حجته عام 1101هـ، وكان الذي جمعها هو ولده محمد اليوسي الذي كان بقيد الحياة عام 1119 هـ ـــ 1708.

من مخطوطات الخزانة الحسنية رقم 2343 في 54ص.

نسخة أخرى بالخزانة العامة حرف الكاف، وتحمل رقم 1418 ضمن مجموع.

4 ـــ هداية الملك العلام، إلى بيت الله الحرام، والوقوف بالمشاعر العظام، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام. مؤلفها يحمل لقب أُحُزِي، واسمه أحمد بن محمد بن داوود الجزولي التملي الشهير بالهشتوكي، توفي عام 1127 هـ الموافق لسنة 1715، وهي رحلته الأولى بتاريخ عام 1096هـ.

منها مخطوطة فريدة في الخزانة العامة حرف القاف رقم 190 بخط المؤلف : ص 441، خ.ع.64 : مصورة على الشريط.

5 ـــ وله رحلة حجازية ثانية قام بها عام 1119هـ، وهي أيضا من محفوظات الخزانة العامة حرف القاف رقم 147 ثانية مجموع : ص 21 ـــ 144 بخط المؤلف أيضا.

6 ـــ نسمة الآس، في حجة سيدنا أبي العباس، جامعها هو القادري، أحمد بن عبد القادر بن علي الحسني الفاسي، توفي عام 1133هـ الموافق لـ 1721. وكانت حجته عام 1110هـ، برفقة شيخه أحمد بن محمد بن معن الأندلسي الفاسي، ثم ألف باسمه هذه الرحلة. منها ثلاث مخطوطات : واحدة في الخزانة الحسنية رقم 8787 في 80 ورقة، نسخة أخرى في الخزانة العامة حرف الكاف رقم 1418 ضمن مجموع، نسخة ثالثة في الخزانة العامة حرف الكاف رقم 3216.

7 ـــ «رحلة القاصدين ورغبة الزائرين»، مؤلفها هو الغنامي، عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي المزمزي، تاريخ وفاته غير مضبوط، وكانت حجته عام 1141هـ الموافق لـ 1729.

من محفوظات الخزانة الحسنية رقم 5656، في نسخة فريدة بها 24 صفحة وبآخرها بتر.

8 ــ رحلة حجازية من تأليف محمد الشرقي بن محمد الإسحاقي، المتوفى بعد عام 1737/1150، وقد حج عام 1730/1143، في رفقة الأميرة خناثة وحفيدها محمد بن عبد الله السلطان من بعد.

المعروف منها هو الجزء الأول في نسخة بخزانة القرويين رقم 1258 مبتورة الآخر، ويصل الموجود منها إلى ذكر مشاهد المدينة المنورة، نسخة أخرى في الخزانة الحسنية تشتمل على 389 صفحة وتحمل رقم 11867.

9 ــ رحلة حجازية لأبي مدين الدرعي : محمد بن أحمد بن الصغير السوسي، توفي سنة 1744/1157، ألفها عن حجته عام 1152.

من مخطوطات الخزانة العامة حرف القاف رقم 297 ثانية مجموع من ص 20 إلى ص 280.

10 ــ «بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام» اسم الرحلة التي كتبها الزبادي : عبد المجيد بن علي بن محمد المنالي الحسني الفاسي، توفي عام 1163 ــ 1750. من مخطوطات الخزانة العامة حرف د. رقم 1808 في 261 ص. نسخة أخرى في الخزانة العامة حرف الكاف رقم 398.

11 ــ رحلة حجازية للحضيكي : محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي اللكوسي، توفي عام 1775/1189، وقد حج عام 1152هـ.

من مخطوطات الخزانة العامة حرف د. رقم 896، في مجموع من ورقة 10 ــ أ. إلى ورقة 29 ــ أ، نسخة أخرى في الخزانة الحسنية رقم 405، نسخة ثالثة بالخزانة الحسنية 11048 : مصورة على الورق.

12 ــ «إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، لابن عثمان : محمد بن عبد الوهاب المكناسي، توفي عام 1214 / 1799، سجل فيها ارتساماته عن سفارته من جهة السلطان العلوي محمد الثالث إلى اسطمبول، والحرمين الشريفين والقدس الشريف، حيث استغرقت الرحلة عامين وسبعة أشهر، ابتداءا من عام 1785/1200.

من مخطوطات الخزانة الحسنية رقم 5264 في 348ص، مع نسخة أخرى : 12307.

13 ــ رحلة حجازية للفاسي : أحمد بن محمد بن أحمد الفهري، المتوفى عام 1799/1214، كتبها عن حجته عام 1211هـ، قطعة مهمة منها في الخزانة العامة حرف ج، رقم 88 ضمن كناشه : ص 164 ــ 181.

14 ــ الرحلة الكبرى للناصري : محمد بن عبد السلام بن عبد الله الدرعي، المتوفى عام 1239 / 1823، دون فيها أخبار رحلته الحجازية عام 1196، من مخطوطات الخزانة الحسنية رقم 5658 في 446ص. وهي نسخة المؤلف بخطه.

15 ــ الرحلة الصغرى لنفس المؤلف، وهي في أخبار رحلته الحجازية عام 1211هـ.

من مخطوطات الخزانة الحسنية رقم 121 في 217ص، نسخة أخرى بنفس الخزانة رقم 147 في 205ص.

16 ــ رحلة حجازية مؤلفها هو العلوي : إدريس بن عبد الهادي بن عبد الله الحسني الفاسي، توفي سنة 1913/1331، ألفها عن حجته الأولى عام 1871/1288.

من مخطوطات الخزانة العامة حرف الدال رقم 1115، في مجموع من ورقة 112 ب إلى ورقة 123 ب.

17 ــ رحلة حجازية للغيغائي : محمد بن عبد الله بن مبارك العمري، حج عام 1274هـ. نسخة فريدة بالخزانة العامة رقم 98 من حرف الجيم، وتشتمل على 454 ص، وفي الخزانة العامة مصورة منها على شريط يحمل رقم 12.

18 ــ رحلة حجازية مؤلفها هو المجاهد السبعي : أحمد بن محمد بن الحسن السغروشني، توفي عام 1336هـ، وهي عن حجته عام 1310هـ.

من مخطوطات الخزانة العامة حرف الكاف رقم 2908 في 47 ص. بخط المؤلف.

19 ــ رحلة حجازية للسرغيني : عبد السلام بن محمد بن المعطي العمراني المراكشي، توفي عام 1350 ــ 1931، ألفها عن رحلته للحج عام 1321هـ برفقة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني.

مخطوطة بالخزانة العامة حرف الكاف رقم 1012، ثالثة مجموع : ص 111 ــ 212.

20 ـــ رحلة حجازية مؤلفها هو العلمي : محمد بن أحمد الحسني الفاسي، وكان يرافق شيخه محمد بن جعفر الكتاني الحسني في حجته عام 1321هـ، فدون فيها وقائع رحلة أستاذه.

مخطوطة بالخزانة العامة حرف الكاف رقم 1012، رابعة مجموع من صفحة 213 إلى 280 : غير تامة التأليف.

21 ـــ رحلة حجازية لمحمد حجي بن الحاج الهاشمي بوشعرة السلاوي، كان بقيد الحياة عام 1929/1348، دون بها ارتساماته عن حجته عام 1348هـ.

من مخطوطات الخزانة العامة حرف الدال رقم 3259 في 108 صفحة.

22 ـــ «الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية»، مؤلفها هو الغسال : الحسن بن محمد الطنجي، المتوفى عام 1358 ـــ 1939، وصف فيها رحلته للحج عام 1315هـ.

بالخزانة العامة حرف الدال رقم 1496، في مجموع من ورقة 5 ب إلى ورقة 24 ب.

23 ـــ رحلة حجازية للجعيدي : إدريس بن محمد بن إدريس السلاوي، توفي عام 1360 / 1941. من مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية رقم 475.

24 ـــ رحلة حجازية لأبي العباس سكيرج : أحمد بن الحاج العياشي الخزرجي ثم الفاسي، توفي عام 1363 / 1944، كتبها عن رحلته عام 1334هـ للبقاع المقدسة، برسم النيابة عن السلطان العلوي المولى يوسف بن الحسن الأول : في تهنئة شريف مكة الملك الحسين بن علي بالاستقلال، مع الإشراف على تأسيس الرباطين المغربيين بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

بالخزانة الحسنية رقم 12499 في 149 ورقة.

25 ـــ الرحلة المغربية المكية، للصبيحي : أحمد بن محمد السلاوي، توفي عام 1363 / 1944، دون بها ارتساماته عن حجته عام 1334 في رفقة البعثة التي ذهب فيها سكيرج ـــ آنف الذكر. من مخطوطات الخزانة العامة حرف الدال رقم 1850 : أول مجموع ص 1 ـــ 35، ولها مصورة على الشريط : خ.ع 1216.

26 ـــ «الرحلة المعينية المحررة إلى مكة والمدينة المنورة» لمحمد ماء العينين بن محمد العتيق الشنقيطي، توفي عام 1376 ـــ 1956، دونها عن رحلته الحجازية عام 1357هـ في جزئين. منها مصورة في الخزانة العامة على الشريط رقم 80 ونسخة أخرى مصورة على الورق خ.س 10922، وتعتبر هذه الرحلة متممة لست وعشرين رحلة حجازية مغربية مخطوطة.

خزائن كتب الزوايا بالمغرب

الأستاذ أحمد التوفيق
أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط

اختلف السياق التاريخي لتأسيس خزائن الكتب بالمغرب، فمنها ما تأسس بمبادرة الأمراء والرؤساء، طلبا للحلية وتثبيتا للنفوذ السياسي، وذلك لأن انتشار الإسلام اقترن في هذه الربوع بإشاعة المعارف العلمية المكتوبة بالتدريج كوجه من وجوه إدخال العقيدة وترسيخها مع ما يرتبط بها من أدب وقيم وآلات. وفي سياق مشابه من حيث النتيجة ومختلف من حيث المقاصد تأسست خزائن أخرى على أيدي كبار العلماء وشيوخ الإسلام في هذه البلاد. وتأسس نوع ثالث من خزائن الكتب بسعي شيوخ الرباطات والطرق الذين أسسوا حلاق الدرس إلى جانب حلاق التربية في إطار التصوف «السلفي» إذ نشأت خلال القرون الأربعة الأخيرة على الخصوص زوايا – مدارس قصدها طلاب السلوك وطلاب العلوم في آن واحد، وقد تكاثرت هذه المراكز وازدهرت بفضل رفد مكفول من الجماعات تعد مناطق الجنوب نموذجية في تنظيمه. أما النوع الرابع من خزائن الكتب فقد تكون في الجوامع والمساجد والأضرحة تحقيقا لمقاصد مختلفة باختلاف أنواع المحبسين.

وهكذا انتهت إلينا اليوم خزائن تراثية سلطانية، وخزائن في ملك أسر متوارثة للعلم، وخزائن في بعض المدارس والزوايا، وخزائن محبسة على عدد من الجوامع والأضرحة والمزارات.

وعلى هذا الاختلاف في السياق السياسي أو الثقافي أو الديني أو الاجتماعي لنشوء خزائن الكتب، ترتب اختلاف قدرها وصبغتها ومصيرها، وفي جميع الحالات تميز تاريخ الخزائن بقلة التراكم، وهي حالة تنسحب على جوانب حضارية

أخرى تدخلت فيها عوامل الاضطراب السياسي والخصاص الطبيعي وخضوع الملك الشخصي لمقتضيات الميراث حتى تعاورتها أدوار النمو والتدهور المتجاوبة مع ظروف عامة أو محلية أو ظروف مؤسسات حاضنة للخزائن، وهذا ما طرأ على كثير من الزوايا بذهاب المشيخات الكبرى وزوال الاشعاع العلمي عن مراكزها.

ولسنا في حاجة إلى التأكيد على الدور الرئيسي الذي قامت به الزوايا الصوفية في مدن المغرب وبواديه في المجال الديني والثقافي والاجتماعي، حتى إن تاريخها ينطبق إلى حد كبير على تاريخ الدين والثقافة والمجتمع، ولن يتضح عظم ذلك الدور وضوحا تاما ما لم توضع خرائط النشاط الصوفي والعلمي والاجتماعي للزوايا منذ العصر المريني على أقل تقدير، ولاشك أنها لو وضعت ستبدو شبكات كثيفة امتدت عبر القرون لتغطي حتى المناطق النائية المتوغلة في الجبال، وتمس بتأثيرها أبعد المجموعات القبلية عن الحضارة المكتوبة.

ولسنا في حاجة، من جهة أخرى، إلى إبراز الأهمية التي صارت لخزائن كتب الزوايا في المغرب، إذ كفانا مؤونة ذلك الأستاذ محمد المنوني بفهرسته لكتب الزاوية الحمزية[1] ولكتب الزاوية الناصرية[2] إضافة إلى ما يشهد به من الغنى القسم المنقول من كتب هذه الزاوية الأخيرة إلى قسم المخطوطات من الخزانة العامة بالرباط حيث تمت فهرسة الجزء الأكبر منه تحت حرف «ق».

بيد أننا لا نعرف جميع الزوايا الفرعية الصغرى التي تملك رصيدا من كتب التراث ولاسيما في البوادي، حيث بقي عدد من هذه الزوايا مجهولا خارج النطاق المحلي، مع العلم بأن كثيرا منها، ولاسيما في سياق حركات سنية ذات تقاليد علمية كما هو الشأن بالنسبة للجزولية عامة، كان قبلة للمريدين والمتبركين ومحاكم سداد وصلح للفلاحين ومدارس للطلبة ونوادي للمدارسة والأخذ والمنافسة، حرص شيوخها على جلب الكتب بالاقتناء والتحبيس، وعلى سبيل التمثيل لهذه الشبكة أبرز بحث تاريخي ميداني يهم منطقة درعة[3] أنه قامت بواحات الوادي خلال

(1) راجع **مجلة تطوان**، العدد الثامن ص 67 — 177، سنة 1963.

(2) **دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت**، مطبعة فضالة، 1985.

(3) أحمد البوزيدي، **التاريخ الاجتماعي لدرعة**، د.د.ع./ مكتبة كلية الآداب بالرباط 1988.

القرون الأربعة الأخيرة زوايا كثيرة يفوق عددها عشرين زاوية إضافة إلى الزاوية الناصرية الكبرى وفروعها. وقد قام معظمها بتدريس العلوم وتوفرت له خزائن كتب وتخلفت عن أصحابها تقاليد في حفظ الوثائق وإنجاز التقاييد. وقد تحدث محمد المكي الناصري (المتوفى حوالي 1757/1170) في كتابه «الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة»[4] عن واحد من الشيوخ المكونين لخزائن الكتب وهو محمد بن إبراهيم الجزولي الدرعي فقال : «رحل إلى المشرق (عام 1035هـ/1626) في أبهة عظيمة فحج ورجع، حدثني من أثق بحديثه، بل شاع وذاع وملأ الأسماع عن الشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن ناصر رحمه الله قال : «لما عزم صاحب الترجمة على الحج استصحب معه ثلاثين قنطارا من الذهب : عشرة منها في مأكله وما يقوم به وتعلقاته وأصحابه في الطريق، وعشرة اشترى بها ما أراد من التحف والذخائر النفيسة، وعشرة اشترى بها الكتب، وكان في ما قبل مغرما بإنشائها، جمع منها شيئا كثيرا، ونهبها بعد ذلك السلطان زيدان بن أحمد المنصور بسبب أمور يطول بنا سردها، ولله عاقبة الأمور».

إن تاريخ حج الجزولي منصوص عليه في كتاب **الفوائد الجمة** الذي كتبه التمنارتي بترودانت سنة 1636/1045. ولكن تاريخ غصب كتب الجزولي على يد الأمير السعدي لم يرد إلينا. فإما أن يكون قد وقع قبل 1612 وهو تاريخ سطو القراصنة على خزانة الملك السعدي وتحويلها إلى الإسكوريال[5] فتكون كتب الجزولي ضمن ما سرق من خزانة زيدان، وتكون الكتب التي اقتناها الجزولي في حجه سنة 1626 محاولة لتعويض الخزانة التي غصبها الأمير ؛ وإما أن يكون غصب كتب الجزولي قد وقع بعد ضياع الخزانة الأميرية سنة 1612 لأن زيدان أراد أن يعيد بناء خزانة جديدة على حساب جماعي الكتب من أمثال الجزولي، فيكون اقتناء الجزولي بنفس الغرض التعويضي. أما أن يكون الغصب قد وقع بعد رجوع الجزولي من الحج، فغير مرجح لأن زيدان لم يعش سوى عامين بعد ذلك حيث توفي سنة 1628م. وفي جميع الحالات، فإن كلا من السلطان زيدان

---

(4) حققه مؤخرا محمد لحبيب نوحي، د.د.ع مكتبة كلية الآداب بالرباط 1988، ورقم ترجمته الجزولي فية : 75.

(5) راجع ملابسات تحويل هذه الخزانة إلى الإسكوريال عند محمد حجي : **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ص 183، مطبعة فضالة 1976.

السعدي ومحمد بن إبراهيم الجزولي كان من أعظم المغرمين بالكتب المنشئين للخزائن.

والواقع أن مظان المصادر لا تنحصر في الزوايا الكبرى، مثل الزاوية الناصرية بتمكَروت بوادي درعة، بل إن فروع كل زاوية ــ أم كانت بمثابة أجهزة دفع للثقافة المرتبطة بمهمة الزاوية، فكل تتبع لتاريخ نشاط الزوايا يؤدي إلى التعرف على مجالات إشعاعها، ويرشد بالتالي إلى عدد من المظان المحتملة للتراث، علما بأن كثيرا من النشاط الثقافي والعلمي للزوايا لم تتخلف عنه آثار مكتوبة، فما عسانا نعلمه عن نشاط الناصرية في السفح الشمالي للأطلس لو لم يكتشف كتاب «الدرة الجليلة» للخليفتي، مثلا ؟ فمن هذا الكتاب نعرف تراجم أزيد من ثلاثمائة من الأشخاص الذين أطروا نشاط المنتسبين للناصرية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من أبناء القبائل التي على ضفاف وادي تاساوت ووادي العبيد. وقبل أن تظهر نسخة ثانية من هذا الكتاب عند بعض الخصوص في مدينة طنجة تم تحقيقه على نسخة وحيدة كانت في ملك قاض من علماء منطقة بزو الواقعة في مقدمات جبال المجال المذكور. فالتراث العربي في هذا الغرب الإسلامي قد بلغ إلى أقصى المناطق النائية وحظي فيها بالرعاية، وإذا احتاج هذا القول إلى دليل فمن الأدلة عليه أن بلدة بزو المشار إليها تحتضن خزانة للكتب المحبسة على جامعها وفيها وقع العثور على النسخة الفريدة من الكتاب الذي خصصه الجاحظ للمهمشين في مجتمعه أولا وهو كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان[6].

وفي هذه المنطقة توجد زاوية تناغملت التي يعرج عليها من طريق أزيلال، فموقعها في قلب الأطلس على سفح مشجر مطل على وادي أمرصيد قريبا من نقطة مصبه في وادي العبيد على بعد ثلاث كلمترات من مساقط أعظم شلالات المغرب، وهي شلالات أزوض. هنالك في الحدود القديمة بين مجال المجموعة القبلية الهسكورية والمجموعة الصنهاجية الأطلسية، تأسست هذه الزاوية على يد أحد صلحاء القرن الحادي عشر الهجري وهو الشيخ موسى البوكَمازي[7]، نسبة لأيت بوكَمّاز قبيلة جبلية قريبة من تلك الجهة. وقد نما نفوذ رابطته الصوفية على نمط الزوايا المرتبطة بوظائف قبلية، حتى شمل أيت عباس وأيت بوكَمّاز وأيت

---

(6) راجع مقدمة تحقيق عبد السلام محمد هارون لهذا الكتاب المنشور ببغداد سنة 1982.

(7) راجع ممتع الأسماع : 16 ودوحة البستان، 58 والصفوة : 201 ــ 202.

مصّاض. وتعين لدى قبائل مجال الزوايا مقدمون ونواب لزاوية تانغملت، سهروا على توثيق الصلة بين قبيلتهم وبين الشيوخ المتعاقبين وبتلك الصلة يأتي الرفد الضروري لمشاريع الزاوية دينية كانت أو علمية.

وقد أورد صاحب **الدرة الجليلة** إشارة إلى خزانة الكتب التنغملتية عندما ذكر أحد المتولين مشيخة الزاوية، وهو أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز وقد وصفه بالمعرفة المتقدمة في العلوم وقال عنه إنه «كان مجتهدا في إحياء ما اندرس من كتب زاويته» وهي إشارة يفهم منها أن خزانة الكتب قد تأسست ونمت في وقت سابق من تاريخ الزاوية قد يكون هو وقت انتساب التنغملتيين إلى الناصريين، نظرا لما لهؤلاء السادة من اهتمام بالكتب وبنشر العلم عامة.

وقد استمرت العناية بالقراءات القرآنية، وتدريس مبادىء العلوم في الزاوية التنغملتية إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري على أقل تقدير[8]، وبعد ذلك استمرت الزاوية في وظائفها الدينية والاجتماعية، فتوقف نمو الخزانة التي لم يدخل إليها سوى عدد قليل من الكتب المطبوعة على الحجر، والمطبوعة طباعة عصرية.

وقد التفتت الأنظار إلى الزاوية التنغملتية في قرننا هذا، حيث زارها شخص من العلماء المغرمين بالكتب والآثار وهو عبد الحي الكتاني، وذلك على الأرجح عام 1934. وبعد ثلاث سنوات زار منطقة شلالات أوزوض الملك المغفور له محمد بن يوسف، وفي السنة الموالية لزيارته وضعت قائمة إجمالية بأسماء كتب خزانة هذه الزاوية بمبادرة أحد علماء منطقة بزو، وهو عبد الرحمن بن أحمد البزيوي، فقد كتب في صدر هذه اللائحة : «تقييد ببيان الكتب الموجودة بزاوية تناغملت وكلها بخط اليد عدا ما أرشد عنه منها بكونها بالمطبعة وذلك بتاريخ ثاني عشر ربيع النبوي 1357 عندما قمنا بزيارة تلك الخزانة صحبة الفقيه العلامة المؤرخ سيدي عبد القادر بن سودة الفاسي والفقيه العدل سيدي محمد نور الدين

---

(8) إذ أن الغجدامي الذي عرفنا بمذكراته في كتابنا عن إنيولتان يذكر أنه هم في أيام السلطان مولاي الحسن بالذهاب إلى مدرسته زاوية تنغملت فعدل عن ذلك بسبب ظروف مجاعة حادة.

(9) والد مؤلف كتاب **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**.

بن أبي بكر البزيوي، ثم بعد الزيارة وجهت له كتابا مضمنه أن ينشر ما وقفنا عليه في الخزانة»[10].

وهذه اللائحة هي التي نقلتها «لائحة المخطوطات الموجودة بزاوية تنغملت بإقليم بني ملال» التي نشرتها مستنسخة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة بالرباط سنة 1973، وفيها 34 صفحة ذكر بها ثمانمائة مجلد دون ترتيب لا حسب الأبجدية ولا حسب الفنون، وقد وضع قبل كل عنوان أو مجلد رقمه الترتيبي (نمرته)، ثم يذكر العنوان كاملا أو مختصرا، وإن لم يعلم، ذكر الفن الذي يتناوله وإن كان جزءا من عدة أجزاء وقع النص عليه، وإن كان المجلد مجموعا ذكر ما بداخله من المتون دون إدخالها في الترقيم الترتيبي. وأمام كل مصنف إسم مؤلفه، ثم تاريخ النسخ إن وجد.

وتشمل مواضيع كتب خزانة الزاوية التنغملتية عددا كبيرا من الفنون كالقرآن وعلومه والتفسير والحديث والسيرة النبوية والعقائد والفقه والتصوف واللغة والأدب والتراجم والتاريخ والرحلات والفلك والطب، وغير ذلك. ومما جاء في لائحة كتبها :

للمشارقة والأندلسيين :

- مراتب العلوم لابن حزم.
- تأليف في السياسة لابن رضوان.
- شعر لابن هانىء.
- التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي.
- اللؤلؤ النظيم في روح التعلم والتعليم للأنصاري.
- تأليف في الطب للشاقوري.
- تأليف في الطب لابن سيناء.
- ديوان المعري.
- تأليف في الحسبة للسقطي.
- شرح عجائب القلب للغزالي، الخ.

---

(10) من نسخة مصورة عند أحمد عمالك، لأن اللائحة التي نشرتها وزارة الأوقاف خالية من هذا التصدير.

وللمغاربـة :

- شرح تلخيص المفتاح للولالي.
- مسألة أولاد الأعيان للرسموكي.
- ديوان اليوسي.
- درة الحجال لابن القاضي.
- الدرر المرصعة لمحمد المكي الناصري.
- تقاييد في الفقه للمعطي بن الشرقي.
- تذييل أجوبة الورزازي للكيكي.
- المجالس المكناسية لليفرني.
- تنبيه الإخوان في ترك البدع والعصيان لمحمد بن علي السوسي.
- تويلف في الحساب للمغراوي.
- التيسير العجيب في التفسير الغريب لابن القاضي.
- شرح منظومة السجلماسي للخلوفي الصرغيني.
- مناقب الشيخ عبد الله معن للفاسي.
- تأليف في تعلم الصبيان للسلطان محمد بن عبد الله.
- تأليف في قبلة المغاربة[11] للشيخ الصالح أبي صالح.

ومن الكتب المبتورة أو التي لم تحقق أسماء مؤلفيها :

- مجموع في الفقه والتصوف.
- تاريخ الملوك الماضية.
- كتاب في الطب مبتور الأول.
- كتاب في التصوف.
- رحلة إلى الحج بأولها بتر.
- كتاب في مناقب الأئمة والمجتهدين.
- كتاب في التصوف.

---

(11) هذا توليف قيم ألفه رجل أيلاني من جهات مراكش في القرن السابع، وتضمن معلومات تاريخية حول تكوين الرباطات ومحاربة برغواطة. وقد كان الاطلاع على النسخة التنغملتية إن بقيت هنالك، من الدوافع لنا على تكرار زيارة الزاوية، ولربما كانت النسخة الموجودة من هذا الكتاب في الخزانة العامة بالرباط مأخوذة من تنغملت.

ـ أوراق بعضها في التاريخ.
ـ تقاييد في الطب.
ـ كتاب للنفري، الخ.

ولبعض الكتب قيمة خطية فنية، ومن بينها «مصحف كريم» في سفر رقيق وفي غلاف من المؤبر، وكتاب ربيع الأبرار للزمخشري، وديوان المتنبي، ومقنع المحتاج في آداب الأزواج الخ.

وبصفة عامة فإن كتب الخزانة التنغملتية يغلب على اختيارها الغرض الدراسي والاهتمام الصوفي وأثر النسبة الناصرية. وأقدم ما ورد في لائحتها من حيث النسخ يرجع تاريخه إلى القرن التاسع الهجري. ومما يلفت الانتباه، كثرة مؤلفات السيوطي بين الكتب المذكورة، وكذا وجود عدد من التآليف التي وضعها أشخاص محليون من النكرات، ومعظمها في الفقه والدين واللغة.

وقد قمنا بثلاث زيارات للزاوية التغملتية منذ 1970، وفي كل زيارة منها حظينا بكرم عميدها ولياقته، وصرفنا صرفا لطيفا عن الغرض الذي هو الوقوف على أحوال الخزانة وذخائرها. وقد تحققنا من وجود تفاوت قليل بين أرقام اللائحة المنشورة وبين الأرقام التي على كتب الخزانة، كما تحققنا من كون الكتب في ست «خزانات»[12] يعين كناش بأيدي أصحابها أرقام الكتب التي في كل خزانة، وذلك في غرفة لا تتوفر فيها أي شروط صيانة بالرغم من جفاف هواء تلك المنطقة. ولعل أصحاب الخزانة يستندون في موقفهم الحالي المتمثل في الحرص الشديد على ممتلكاتهم من الكتب إلى ما فرط في أوائل عهد الاستقلال من بعض الموظفين الذين نقلوا جملة من الكتب إلى العاصمة على سبيل الاستعارة، فلم يردوا الأمانة إلى أهلها.

وقد اطلع زميلنا أحمد عمالك[13] في هذه المدة الأخيرة على حالة الكتب التنغملتية وتصفح ما يقدر بثلثها، وأكد ما أشرنا إليه من وضعية قلة صيانتها، وليست هذه الوضعية شاذة في شيء بالنسبة لوضعية خزانات الزوايا بصفة عامة، فقد دخلت عهدا من الجمود المرتبط بتبدل جانب في وظائف تلك الزوايا حيث

(12) بمعنى الطارمة أو الدولاب أو الصندوق.
(13) أستاذ التاريخ بكلية الآداب بمراكش.

انصرف أصحابها عن المهمة التدريسية المرتبطة بالخزانة، وصارت تلك المخلفات التراثية في أعينهم إرثا محنطا تزيد قدسيته مع مرور الأيام، فلا يمكن الحفاظ عليه من النهب إلا بمنع الناس كافة من رؤيته، وهذه الظاهرة تبرز بشكل قوي بسبب انعدام سياسة تشريعية في هذا الميدان يكون من شأنها طمأنة المالكين على تراثهم وإعانتهم على تجديد دور تلك الخزائن على نطاق أوسع والقيام بإجراءات الصيانة على كاهل النفقات العامة، وإذكاء ما قد يكون خبا من شعلة في تلك النفوس التي ظلت وفية لتقاليدها في الكرم إلا بالكتاب.

إن وضعية خزانات كتب الزوايا الكبرى والصغرى في المدن والبوادي بالمغرب تستدعي مبادرة مستعجلة لإنقاذ نفائس من التراث ومعالم في التاريخ الثقافي، لأن هذه الخزائن مهمة بما قد يكون فيها من فرائد أو من نسخ ضرورية للتحقيق كما هي مفيدة كوثائق مادية لمؤرخ المجتمع والثقافة، فالكتب إن لم تكن مهمة بأفرادها فإن الخزانة في غاية الأهمية بشخصها وميزاتها وموقعها كباب وكعامل ثقافي تاريخي في وسط ما[14].

---

(14) إذا كانت هذه الدراسة السوسيولوجية الثقافية للخزانة كوحدة لا تهم بصفة أساسية الباحثين عن نوادر المخطوطات، فإنها في الحقيقة غنية بالنسبة لمؤرخ الثقافة والمجتمع ولاسيما بالنظر الأركيولوجي الذي ينقب عن خلفيات استعمال مختلف أنواع الكتب ورواجها، إضافة إلى أهمية التقاييد التي على دفات الكتب وهوامش الصفحات وغيرها.

لمحة عن الاستشراق في ألمانيا

الدكتور هبرت لانج

الملحق الثقافي بالسفارة الألمانية ـــ الرباط

لا يمكن أن نحدد تحديدا دقيقا متى كان ظهور الاستشراق كعلم وكموضوع بحث في ألمانيا. فالدراسات العربية التي قامت بها بعض الجامعات الأوروبية في القرن الرابع عشر الميلادي لا يمكن أن نعتبرها بداية بالمعنى الصحيح للاستشراق، نظرا لأن تلك الدراسات لم تساعد على فهم وتفهم الإسلام، بل إنها على العكس من ذلك ساعدت أكثر على فهم اللاهوت المسيحي، ويعتبر Johann J. Reiske الذي عاش ما بين 1717 و1774 مؤسس علم الاستشراق في ألمانيا، ذلك لأنه كان أول من نشر وترجم بعض النصوص العربية، وبالأخص معلقة طرفة بن العبد بشرح ابن نحاس. وفيما بعد ازدهر نشر النصوص في القرون التالية فنشرت مئات النصوص العربية القديمة الأساسية في الشعر القديم، من عهد الجاهلية والإسلام : في اللغة والآداب والتاريخ والجغرافية والفلسفة والحساب والجبر والفلك والطب، ويقال إن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره الفرنسيون والإنجليز مجتمعين. ذكر ذلك الباحث اللبناني الأستاذ صلاح الدين المنجد في كتاب له عن دور الألمان في الدراسات العربية والإسلامية.

ولابد أن نشير في هذا الصدد إلى الأعمال الأساسية لـ (1758 ـــ 1838) (S. De Sacy) وأهمها بدون شك «Chrestomathie Arabe» أي النصوص المختارة العربية و«Grammaire Arabe» أي النحو العربي. إن De Sacy يعتبر إلى الآن مؤسس الاستشراق العلمي، وفقه اللغة العربية في الغرب، وهو أستاذ للأجيال من الباحثين، وقد أثر De Sacy تأثيرا كبيرا على جيل المستشرقين الألمان. ومن بين الطلبة الذين وفدوا إلى باريز للدراسة في المعهد الشهير : L'ecole speciale des langues orientales

vivantes يوجد بعض الألمان مثل (1788 — 1861) Georg Wilhelm Freytag (1802 — 1870) Et Gustav Flugel؛ والجدير بالذكر أن Freytag أصبح في ما بعد باحثا في الآداب العربية وألف القاموس العربي اللاتيني الذي مازال مستعملا حتى الآن.

أما بالنسبة لـ Gustav Flugel فإن من المعروف أنه قام بنشر القرآن الكريم و«فهرست ابن نديم» وقد استغرق هذا العمل مدة خمسة وعشرين عاما.

ويعد Heinrich Fleischer أيضا من بين تلاميذ S. De Sacy لقد أنشأ معهدا للدراسات العربية في Leipzig، وقام هناك بدراسات عالجت قواعد اللغة العربية وخاصة De Dozy «Le supple-ent aux dictionnaires arabes»، وقام كذلك بنشر تفسير للقرآن الكريم للبيضاوي، ذلك التفسير الذي مازال مستعملا حتى اليوم؛ ويعتبر Fleischer أحد مؤسسي الجمعية الألمانية الشرقية في عام 1845 : Deutsche morgenlandische gesellschaft. وإذا كان علم الاستشراق في ألمانيا لغاية منتصف القرن التاسع عشر يقوم على أساس من المنهج اللغوي الدقيق، ومعالجة القرآن أولا وقبل كل شيء كنص لغوي وأدبي، فقد ظهرت فيما بعد مدرسة تاريخية يتزعمها C. Niebuhr et Ranke وفرضت نفسها في نهاية القرن التاسع عشر؛ وكانت تضم من بين أعضائها Gustav Weil الذي كتب سيرة النبي محمد وتاريخ الخلفاء، وقد عثر فيما عثر عليه Gustav Weil أثناء تنقلاته من خزانة إلى أخرى على بحث يضم جميع المصادر الممكنة عن حياة الرسول محمد — على مخطوطين لديار بكر هما «تاريخ الخميس» و«المسيرة الحلبية»، وJ. Wellhausen الذي اشتهر أصلا بدراسته عن الثوراة. بيد أن الحد الفاصل والحاسم في تاريخ الاستشراق وقع في بداية القرن الحالي عندما اكتشف العلماء والباحثون الإسلام على اعتبار أنه موضوع قائم بذاته من موضوعات البحث العلمي الأخرى، وجعلوا دراسة الإسلام علما مستقلا في ميدان الاستشراق.

ومما لاشك فيه أن أهم ممثلي هذا الجيل من الباحثين هو (1836 — 1930) Theodor Noldeke والذي يعتبر من أعظم المستشرقين. وضع Noldeke في عام 1856 أطروحة دكتوراه في اللغة اللاتينية حول موضوع «نشوء وتركيب السور القرآنية» و«تاريخ القرآن». وفي بعض مراحل حياته نذكر هنا إقامته في Leipzig حيث زار أستاذ علوم اللغة العربية الشهير Fleischer السالف ذكره وفي فيينا

حيث تعرف على مخطوطات المكتبة الملكية هناك، ثم في Leiden حيث اطلع على أعمال تلك المدرسة الحقيقية وشارك فيما بعد في نشر كتب الطبري At-Tabari. ويمكن القول أن T. Noldeke هو زعيم المستشرقين الألمان. هذا الرجل العقلاني الذي كان ينفر من كل ما هو رومانتكي وصوفي لم يكن يهتم بدراسة التصوف. وعلى ذكر عهد الرومانتكية في ألمانيا وعلى رأس من يمثل هذا العهد من المؤلفين Johann Wolfgang Von Goethe فلابد أن نرجع شيئا ما إلى الوراء لنجد مدى تأثير الإسلام على Geothe وتأثير Geothe على علم الاستشراق وقد كتب الكثير عن Geothe والإسلام على سبيل المثال يذكر هنا الباحث المغربي : A. Benachenhou Geothe et l'Islam, Rabat 1962 والذي يبرز فيه مدى اهتمام Goethe بشخصية النبي محمد العظيمة والقرآن الكريم. والمعروف أن Goethe قرأ القرآن عدة مرات في الترجمات المعروفة في عصره، وجذبت انتباهه بعض السور القرآنية وخاصة سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء وسورة المائدة، وسورة الأنعام وسورة العنكبوت.

ويقول Goethe عن القرآن في ديوانه «إن هذا الكتاب سيظل عظيم التأثير إلى الأبد لأنه عملي إلى أقصى حد، ولأنه يلائم غاية الملاءمة حاجة أمة تبني مجدها على أساس من تراثها القديم وتتمسك بعاداتها الموروثة».

وعن موضوع الجدل بين المعتزلة والسنية حول خلق القرآن أو أزليته كتب Goethe في قصيدة مشرقة :

— هل القرآن أزلي ؟
— هذا السؤال لا أسأله.
— هل القرآن مخلوق ؟
— هذا ما لا أعرفه.

اما أنه أم الكتاب.

فذلك ما أومن به وذلك واجب كل مسلم.

إن ما يدعى عن تأثير Goethe على الاستشراق الألماني مبالغ فيه ولاشك لأنه لم يكن لديه إلا القليل من المعرفة باللغة العربية والفارسية، ويبدو أنه تأثر بترجمة لكتاب «ألف ليلة وليلة» لـ Antoine Galland وخاصة ترجمة الحافظ De V. Hammer-Purgstall والديوان الشرقي الغربي.

المخطوطات :

المخطوطات العربية التي توجد في خزانة جامعة Tubingen وهي من أقدم الجامعات الألمانية حيث أنها أنشئت منذ 500 عام تقريبا تأتي في المرتبة الثالثة بعد مكتبة الدولة في Berlin وMunchen. ومن نوادر خزانة Tubingen نذكر :

ـ نسخة لكتاب فضائل القرآن لأبي القاسم بن سلام ألف في عام 561هـ.

ـ كتاب سمط اللآلىء لأبي عبيد البكري والمكتوب بالخط المغربي.

ـ كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب للأندلسي علي بن موسى بن سعيد.

ـ حكاية عمر النعمان.

والجدير بالذكر أن خزانة Tubingen تحتوي على أكثر من 100000 كتاب من بينها فهرس المخطوطات العربية الموجودة فيها.

أما المخطوطات العربية في برلين Staatsbibliothek فقام بتأليف فهرسها المشهور الأستاذ Wilhelm Ahlwardt اعتبارا من عام 1863 واستغرق هذا العمل الجبار أكثر من عشرين عاما ويتضمن هذا الفهرس «Verzeichnis der orientalischen handschriften in deutschland (VDHO)». جل المخطوطات العربية في ألمانيا كما يدل على ذلك اسم الفهرس، ولعل أعظم ما قام به الألمان في هذا المجال هو فهرس المخطوطات العربية في مكتبة Berlin الذي وضعه Ahlwardt في عشر مجلدات وصف فيها عشرة آلاف مخطوط تقريبا.

أما بالنسبة لخزانة Bayrische staatsbibliothek muenchen فقد وضع فهرس المخطوطات فيها الأستاذ Aumer، بينما وصف الأستاذ Fleischer أكثر من 450 مخطوطا موجودة في مكتبة Dresden الوطنية.

هناك أيضا فهارس H.W وفيها وصف الكاتب المخطوطات الموجودة في مكتبة جمعية المستشرقين الألمان، وقد ألف H.W أيضا المنجد العربي الألماني الشهير الذي أصبح مرجعا لكل مستشرق.

وقد قدم C.B في كتابه «تاريخ الأدب العربي» عرضا كاملا لجميع المؤلفات الإسلامية باللغة العربية المتوفرة حتى منتصف القرن العشرين، مع إثبات جميع المخطوطات والمطبوعات وتحديد أماكنها ووصف مختصر لحياة مؤلفيها (المشهورين).

ومن أعمال B أيضا كتاب «تاريخ الآداب المسيحية في الشرق»، وهو كتاب عالج فيه مؤلفه الأدب المسيحي العربي والسرياني وموجز قواعد اللغات السامية المقارنة.

ومن المستحيل أن أذكر جميع الأساتذة الذين عملوا ولايزالون في ميدان المخطوطات العربية، ومن بينهم : Josph Schacht, Otto Spies, Max Krause, Walter Hinz, Fritz Meier, Jorg Kramer, Rudolf Sellheim.

وقد قام الأستاذ Wilhelm Hoenerbach بوصف المخطوطات الموجودة في تطوان شمال المغرب، ودرس الأستاذ Stefan Wild في جامعة Bonn مخطوطات صنعاء في اليمن ويواصل الأستاذ Albrecht Noth من جامعة Hamburg هذا العمل من بعده.

وختاما لهذا الباب عن المخطوطات العربية بمكتبات ألمانيا من الواجب أن نشير هنا إلى أعمال الأستاذ Fuad Sezgin التركي الأصل المقيم في Frankfurt والذي كتب «تاريخ الأدب العربي» وأرشدنا إلى جميع المخطوطات العربية في مكتبات العالم.

ويحتوي معهد الأستاذ Sezgin على مجموعة من المخطوطات، خاصة في مجال العلم.

ولننظر الآن إلى المحيط السياسي والاجتماعي الذي عمل فيه المستشرقون الألمان خلال القرن العشرين، فبعد إنشاء الرايخ الألماني Deutsches Reich في عام 1877 على يد المستشار Bismarck كانت ألمانيا قد أصبحت بعد انجلترا وفرنسا دولة استعمارية، لها رعايا من المسلمين في منطقة الساحل الشرقي لافريقيا. وفي عام 1898 قام الإمبراطور ويلهام الثاني بزيارة لسوريا والأراضي المقدسة المسيحية. وشهد عند قبر صلاح الدين في دمشق حفلا اعتبر فيه حاميا لثلاثمائة مليون مسلم.

واعتبارا من عام 1905 جرت محاولات للتغلغل في المغرب وكان الممثل الأول لألمانيا في سلسلة المؤتمرات حول المغرب المستشرق المعروف Friedrich Rosen الذي أصبح فيما بعد وزيرا للخارجية. وكانت ألمانيا تحاول الوقوف مع فرنسا في المغرب على قدم المساواة اقتصاديا وسياسيا. وكانت بطبيعة الحال تعتمد في هذه المحاولة على المزيد من المعرفة العامة عن المغرب والدراسة العلمية عنه، تشهد على ذلك المنشورات العديدة التي تتناول الجوانب الجغرافية والاجتماعية واللهجات المحلية، كما يشهد عليه إنشاء مكتبة ألمانية متخصصة بشؤون المغرب بطنجة. وقد

أشرف معهد برلين على أغلب ما نشر عن المغرب. ونجد هناك دراسات عن الأمثال المغربية.

ــ عن الأسلحة المستعملة في المغرب.
ــ عن اللفظ في اللهجة المغربية.
ــ عن الأمثال في شمال المغرب.
ــ عن ظهير شريف معين.
ــ عن قصص طنجة.
ــ عن القضاء المغربي.
ــ عن حق الأجانب في الملك العقاري.

إلا أن هذا الاهتمام بالمغرب الحديث لم يستمر طويلا إذ توقفت التجربة الاستعمارية الألمانية مع نهاية الحرب العالمية الأولى. حيث رجع الباحثون إلى موقعهم التقليدي أي إلى دراسة ماضي الإسلام من كل جوانبه وإن ظلت محدودة النطاق، ويقول الأستاذ Ulrich Haarmann من جامعة Freiburg في مقال له عن المستشرقين الألمان والعصر الحديث في العالم الإسلامي : بأن دراسات مهمة مشرقة ظهرت في الفترة ما بين الحربين العالميتين مبرزا دور معهد اللغات الشرقية في Seminar fur orientalische sprachen in Berlin. ومن مخلفات انهزام ألمانيا في الحرب العالمية الأولى نلاحظ ظاهرة غريبة تتجلى في توثيق الروابط الثقافية بينها وبين دول الشرق. فقد أفادت في أمور كثيرة ليس آخرها التضامن الدولي بين أعداء فرنسا وانجلترا، كما أفادت في فقدان ألمانيا لمستعمراتها ومنحت هذه الظروف المواتية، بالإضافة إلى السمعة الجيدة التي كان الاستشراق الألماني يتمتع بها في الشرق، وتمكن العديد من العلماء الألمان من العمل في بلاد المنطقة.

وعلى سبيل المثال نذكر الأستاذ Wilhelm Spitta الذي تولى كرسي فقه اللغة العربية بجامعة القاهرة وهو خبير في اللهجات العربية.

وقد أحدث وصول Hitler ونظامه النازي إلى الحكم أضرارا وخسائر جسيمة بالنسبة للاستشراق الألماني حيث أن عدد العلماء تقلص لعدة أسباب، أولها هجرة بعض الأساتذة من سلالة يهودية إلى المنفى وذهاب آخرين ضحية الحرب.

ويعتبر عام 1945 نقطة تحول بالنسبة للاستشراق الألماني وبالنسبة لعلم الإسلام. ويمكن القول إن الشك قد أحاط بكل شيء في فترة ما بعد الحرب

العالمية الثانية. ونلاحظ عودة ملموسة إلى علم الاستشراق القديم الآمن الذي خرج سليما من عصر ما قبل الحرب، لا من حيث المناهج والجوهر البديهي فحسب بل في سمعته العالمية أيضا.

وشكلت جامعة برلين الحرة استثناءا في هذا المجال إذ استمر فيها الاهتمام بالعصر الإسلامي الحديث تحت قيادة Walter Krause et Fritz Steppat وتحولت إلى نواة لدراسات الشرق الأدنى المنصبة على الموضوعات الحاضرة ونرى أن أعمال جامعة برلين مارست تأثيرا ملحوظا على جل جامعات ألمانيا.

أما اليوم فقد أصبح الاستشراق في ألمانيا علما حيا من جديد. يدل على ذلك كثرة المجلات الاستشراقية التي تصدر في ألمانيا :

ــ مجلة المستشرقين الألمان Zeitschrift der deutschen morgenlandischen gesellschaft.

ــ مجلة الإسلام Der Islam.

ــ مجلة Islamica.

ــ مجلة الشرق Orient الصادرة عن المعهد الشرقي الألماني.

وأخيرا وليس آخراً مجلة «فكر وفن» التي صدرت لأول مرة في عام 1963 والتي وصلت اليوم إلى عددها 45.

أما الشاعر الرومانتيكي والمستشرق الحقيقي (1788 ــ 1866) Friedrich Ruckert فقد قال «الشاعر مثله مثل البهلوان يمشي على حبال الكلام».

وقد وُصفت المستشرقة الأستاذة Annemarie Schimmel بأنها تعكس روح مولانا جلال الدين الرومي في تراجمها العديدة لأفكار هذا الصوفي العظيم. أو لكتاب «الحماسة» لأبي تمام أو لقسم مهم لديوان حافظ وبعض المقطوعات من آثار فريد الدين العطار ورباعيات الخيام. وكان Ruckert يشتغل بدراسة القرآن، وقد نشر بعض آياته في ترجمة جميلة جدا في عام 1824 ولم يتمكن من ترجمة القرآن بأكمله، ويقال أنه لا يوجد في الدنيا من استطاع القيام بترجمة من هذا المستوى، وقد حافظ في الصياغة الألمانية على الأسلوب الخاص للقرآن حيث احترم هذا الجمال الإعجازي الفريد للقرآن. وقبل أن نعود إلى القرن العشرين لابد أن نلقي نظرة على الدور المهم الذي لعبه Carl Heinrich Becker (1876 ــ 1933)، وهو أول أستاذ لتاريخ وثقافة الشرق في معهد المستعمرات الذي أنشأ

في Hamburg وهو نواة جامعة Hamburg الحالية. وكانت المجلة التي أصدرها وهي «مجلة الإسلام» Der Islam تعد آنذاك واحدة من خيرة المجلات العلمية المختصة بالعالم الإسلامي، ومازالت المجلة إلى اليوم تتمتع بهذه السمعة.

واسمحوا لي أن أذكر هنا أسماء بعض المستشرقين المعاصرين الألمان الذين يتابعون أبحاثهم العربية والإسلامية في مختلف الميادين وهم الأساتذة والدكاترة :

Fritz Steppat, Baber Johansen (Berlin) ; Werner Ende, Albrecht Noth, Udo Steinbach (Hamburg) ; Stefan Wild, Otto Spies, Wilhelm Hoenerbach (Bonn) ; H.R. Roemer (Freiburg) ; G. Endress, Reinhard Schulz (Bochum) ; H. Singer, Martin Forstner (Mainz) ; Josef Van Ess (Tubingen) ; Wolf Fischer (Erlangen) ; E. Wagner (Giessen).

أما اليوم فعدد الطلاب الذين يختارون التخصص في ميدان الاستشراق يتزايد بصورة ملموسة رغم عدم وجود مناصب في الجامعات الألمانية للمستشرقين الشباب.

ويرجع الفضل في ذلك للاهتمام السياسي والاقتصادي الذي تخص به جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ السبعينات الشرقين الأدنى والأوسط. ونأمل أن يزداد هذا الاهتمام بالرغم من تغير الظروف السياسية وحتى الاقتصادية.

وفي ختام هذا العرض المتواضع، علينا أن ننظر إلى المستقبل وأنا أدعو زملائي المحترمين إلى المزيد من التعاون العلمي وندوتنا هاته تشكل بدون شك خطوة في هذا السبيل.

التراث والمعاصرة

الدكتور محمود علي مكي
أستاذ بكلية الآداب ـ القاهرة

القديم والجديد... التقليد والحداثة... الأصالة والتجديد... التراث والمعاصرة.

قضايا مافتئت تثار في الأوساط المثقفة في عالمنا العربي بين فترة وأخرى، وثار حولها الجدل، وتختلف حولها الآراء، إذ أنها تصور أزمة الثقافة في مجتمعاتنا منذ القرن الماضي حتى اليوم. وعلى الرغم من كثرة ما كتب حول هذا الموضوع فمازالت المؤتمرات والندوات تعقد حوله، وإذا كان الخلاف لايزال محتدما بين الباحثين العرب حول الحلول التي يراها كل منهم لأزمة ثقافتنا الحديثة فإن ذلك الجدل كله كان مغنيا للأفكار موسعا لدائرة البحث ملقيا ضوءا يعيننا على تبين طريقنا نحو المستقبل.

وقد كان لمصطلح «التراث» في غمرة هذا الجدل الذي يتجدد بين وقت وآخر مكان يمثل محور القضية فالذين يتحدثون عن القديم أو عن التقليد إنما كانوا يقصدون به تراث أمتنا و موروثها الحضاري أو الثقافي، والذين يتحدثون عن الحداثة أو التجديد كانوا يقصدون دائما كيفية التعامل مع هذا التراث سواء منهم الذين سيتمسكون به تمسكا شديدا أو الذين يتطرقون في رفضه والدعوة إلى تجاهله، أو المواقف الوسطية التي تتراوح بين هذين الموقفين.

ولهذا فإنه ينبغي أن نعرض في إيجاز لمدلول كلمة التراث. وهو لفظ مشتق من الأصل الثلاثي ورث. جاء في التنزيل الحكيم : ﴿وتأكلون التراث أكلا لمّا﴾، غير أن التراث هنا هو ما يخلفه الرجل لورثته من مال وهو بمعنى الإرث، وروي عن النبي ﷺ أنه بعث ابن مربع الأنصاري إلى أهل عرفة فقال : «اثبتوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم»، ومن ذلك إشارة إلى أن الإسلام

إنما هو عودة إلى ملة إبراهيم الحنيفية وما تقوم عليه من نقاء التوحيد، فالإسلام بذلك كان وارثا وقتها ومصححا عبارات الرسالات التي أنزلت على سائر الأنبياء من قبل، فالتراث المقصود هنا هو التراث الروحي.

وحينما نستخدم مصطلح التراث اليوم فإننا نعني، كل الموروث الحضاري القديم. والحضارة في مفهومها العام هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان للسموّ بظروف حياته سواء أكانت هذه الثمرة مادية أم معنوية، وإذا تحدثنا عن تراثنا الحضاري في منطقتنا العربية اليوم ؛ فإننا سنرى أن الدائرة سوف تتسع اتساعا شديدا إذ أنها سوف لن تقتصر على موروثنا العربي الإسلامي بل ستمتد جذورها إلى أزمنة موغلة في القدم، إذ تضم كل الحضارات السابقة التي عرفتها شعوب بلادنا منذ فجر التاريخ من فرعونية وبابلية وأشورية وفينيقية وقرطاجية ويمنية قديمة، حتى صحاري شبه الجزيرة العربية التي كان الناس يعتقدون أنها بحكم ظروفها الجغرافية أدنى مستوى حضاريا بما يحيط بها من أقطار تكشفت في السنوات الأخيرة عن مفاجآت مدهشة، إذ تبين من الحفائر التي تمت في قرية الفاو وفي وبار أنها كانت تحت رمال الجزيرة مدن ذات حضارة عريقة، هذا فضلا عن معالم الحضارات القديمة الثمودية والصفوية والقتبانية وغيرها، وهكذا نرى أنه كما كان تراثنا الروحي مستوعبا لكل الديانات السابقة فإن تراثنا الحضاري يستوعب أقدم ما وجد على ظهر الأرض من حضارات وبهذا يكون تراثنا أغنى تراث عرفته البشرية، فهو يمتد عبر الزمان وعبر المكان امتدادا لا نظير له.

على أننا لن نتوسع في فهم تراثنا إلى هذه الحدود، وإنما سنقتصر على الحلقة الأخيرة من حلقات هذا التراث الحضاري، وهي التي تتخذ محورها من العربية لغة والإسلام دينا دون أن يغيب عن أذهاننا أن تراثنا العربي الإسلامي قد استوعب في مسيرته كل ما سبقه على نحو مباشر من ثقافات الأمم المجاورة. وإذا كان هذا التراث يشمل كل جوانب الحضارة من علوم وفنون وآداب فإننا سنضيق الدائرة أيضا فنقتصر على التراث الفكري الذي وصل إلينا في صورته المكتوبة.

هذا عن التراث فماذا عن «المعاصرة» ؟ لقد كان المفكرون والنقاد يتحدثون عن القديم والجديد منذ أوائل هذا القرن، ثم شاع بعد ذلك مصطلح الحداثة منذ نحو ربع قرن وهو يعني ببساطة النزوع إلى التجديد أي أنه سعى إلى التحول والتغير في مقابلة التقليد الذي يعني الجمود والثبات. وهذا مفهوم لم يكن غائبا

عن المفكرين والنقاد العرب القدماء، وقد فطنوا إلى أنه مفهوم نسبي مرتبط بالزمن الذي يستخدم فيه. فابن قتيبة يقول في «الشعر والشعراء» : «فلم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شريف خارجيا في أوله» وننبه إلى هذه العبارة الأخيرة التي تتحدث عن نسبية الحداثة، وعليه لنا أن نعكسها فنقول أيضا إن كل حديث في وقته لا يلبث أن يصبح قديما حينما يمضي الزمن، أما الحداثة في المصطلح النقدي الحديث فهو على قدر غير قليل من الاضطراب، وقد اصطلح النقاد العرب لكي يقابلوا به مصطلح المودرنزم (Modernisme) و الـ Modernite وهو يشير في الأدب إلى الثورة الإبداعية التي ظهرت في أوروبا منذ منتصف القرن التاسع عشر. وكان الشاعر الفرنسي بودلير أول من قدم صياغة نظرية للحداثة تقوم على أساس مفهوم جمالي مغاير للمفاهيم القديمة وعلى نحت لغة شعرية تسعى إلى التجديد. غير أن هذه الحداثة لا تتزامن ولا تتفق في مفهومها مع الحداثة التي عرفت في آفاق أوروبية أخرى، فهناك مذهب شعري جديد أطلق عليه نفس الاسم Modernisme في العالم الناطق بالإسبانية، وهو الذي ظهر على يد الشاعر النيكاراجوي روبن داريو Ruben Dario في سنة 1888 منذ أن أخرج شيلي ديوانه «أزول Azul» على أن الحداثة الإسبانية كانت مع تأثرها بالفرنسية مختلفة عنها في تفاصيل كثيرة أسلوبية وجمالية.

وإنما ننبه إلى ذلك لأن كثيرا من النقاد العرب يصطنعوا المصطلحات الأوروبية ويحاولون فرضها على الأدب العربي بغض النظر عن اختلاف ظروف كل ثقافتنا عن ظروف الثقافة الأوروبية وعلى الرغم من أن هذه المصطلحات لم تستخدم بشكل واحد في جميع البلاد الأوروبية، مما جعل الكثيرين من النقاد في الغرب يعترضون عليها ويرفضونها، وقد تعاقبت بعد مذهب الحداثة في أوروبا مذاهب كثيرة بهذا الايقاع السريع الذي يواكب تطور الحضارة الأوروبية مما جعل تلك الحداثة تصبح الآن «عظم امتشاسن وآلة معلقة في دكان قشاسن» على صديقين لسان الدين بن الخطيب في عبارة له عن قصص فتح الأندلس.

فإذا كنا نتحدث عن الحداثة في ثقافتنا العربية فإننا نعني بها بشكل عام مسايرة التطور الموجود في عالم اليوم خلال العصر الحديث، غير أن هذا العصر الحديث يصعب تحديده إذ هو يمتد على مساحة واسعة من الزمن يمكن أن تصل إلى قرن

من الزمان، فإذا أتينا إلى مصطلح «المعاصرة» فإننا نجده أخص من الحداثة إذ هو يتضمن أيضا بعدا زمنيا ولكن في دائرة أضيق على أنه في حدود الأعوام الثلاثين الأخيرة، ولكن أي عالم هذا هو الذي ينبغي أن نواكب روح العصر فيه ؟ طبيعي أنه يفهم منه أنه العالم المتقدم في مضمار المنجزات الحضارية التي تمثلت خلال القرون الثلاثة الأخيرة في الغرب الأوروبي والبلاد التي أخذت نفسها بأسباب حضارته مثل الولايات المتحدة وروسيا واليابان، وهنا يمكن أن نلاحظ بوضوح أبعاد الأزمة الثقافية والفكرية التي نواجهها، فهذا العالم الذي نعمل على الاستفادة منه من شتى جوانب التقدم العلمي والتكنولوجي ليس عالمنا فحسب، صحيح أننا لو تأملنا جذور التقدم الأولى فإننا يمكن أن نسجل أن ما استفاده من حضارتنا وفكرنا العربيين الإسلاميين كان من مكونات تقدمه، ولكن الفجوة قد ازدادت اتساعا بيننا وبينه بسبب القرون التي كنا فيها مخلدين إلى الركود. وإذا كنا نعمل الآن على اللحاق بركب هذا العالم فنأخذ منه ما نستطيع من علم وتكنولوجيا فإنه علينا أن نعترف بأننا إنما نأخذ ثمرات منجزات في هذه الميادين، ولم تتح لنا الفرصة بعد لكي نتوصل أسس تلك المنجزات، ثم بعد ذلك كيف نوفق بين الحفاظ على موروثنا القديم الذي يمتد على مدى قرون متطاولة وبين هذا التقدم الذي يسير بسرعة مذهلة ؟

الواقع أن المشكلة ليست حديثة بل رأينا الفكر العربي يواجهها كلما التقى بثقافة جديدة يمكن أن تضاف إلى محصوله، وقد كان الفكر العربي بفضل الإسلام بطبيعته متفتحا إلى المعرفة بكل ألوانها، نجد أصول ذلك في القرآن الكريم الذي كان أول ما نزل من آياته «إقرأ، إقرأ باسم ربك الذي خلق... الخ» وفي أحاديث الرسول ﷺ الذي حث على طلب العلم أينما وجد، ولهذا فإن المسلمين لم يكادوا يحتكون بأمم لها تراث فكري علمي قديم حتى تراهم يأخذون هذا التراث كله بغير عقد ولا حواجز نفيسة، وهكذا نشطت منذ القرن الأول للهجرة حركة ترجمة هائلة بلغت ذروتها في القرن الثاني في عصر الرشيد والمأمون فنقل إلى العربية تراث الإغريق وفارس والهند. ومما يستحق التنويه أن اللغة العربية استطاعت بفضل مرونتها أن تستوعب كل هذا التراث الحضاري فأوجدت مصطلحات وألفاظا جديدة تعبر عن مختلف مجالات العلوم والفنون والصناعات. وتم ذلك في يسر وسهولة حتى إنها سرعان ما أصبحت بحق «لغة الحضارة» في عالم ما يدعى في أوروبا بالعصور الوسطى. ولم ينقطع هذا المد الثقافي خلال العصور التالية مما

يدل على خطأ الفكرة الشائعة بين بعض المستشرقين من أن الفكر العربي بطبيعته يجنح إلى التقليد ويقوم على أساس نظري كونه يرى أن العالم سائر في طريق الفساد ولهذا فإنه يعارض التجديد، ولا يرى بديلا عن التمسك بآراء السلف. ولعل مما يدل على ذلك ما نجده في كتابات علمائنا القدماء من أنه يقف على رأس كل قرن فئة من المجتهدين تضطلع بتجديد الفكر في سائر المجالات. أما الفكر العلمي الذي يقوم على الشك المنهجي الإرادي وهو الذي تشيع نسبته إلى ديكارت (في القرن السابع عشر) فإننا نجده منصوصا عليه في كتابات مفكرينا القدماء من أمثال النظام والجاحظ وأبي هاشم البصري والحسن بن الهيثم.

وقد تعرضت الثقافة العربية الإسلامية خلال مسيرتها الطويلة لأخطار جسيمة منها ما ضرب عليها من حصار تمثل في الغزوات المغولية من الشرق والحملات الصليبية من الغرب، وقد أدى ذلك إلى حرص المسلمين على الحفاظ على تراثهم وجمعه، ولاسيما خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، ومن هنا ظهرت التآليف الموسوعية الضخمة التي يمثلها شهاب الدين النويري (ت 1333) وابن فضل الله العمري (1348) والقلقشندي (ت 1418) وتقي الدين المقريزي (ت 1441) وجلال الدين السيوطي (ت 1505).

بل إننا لا نسرف إذا قلنا إن تلك الحركة الموسوعية كانت أشبه بتلك التي سبقت الثورة الفرنسية وكانت موشكة على أن تؤتي أكلها في أواخر العصر المملوكي لولا الظروف السياسية والاقتصادية التي ألمت بالعالم العربي وانتهت به إلى إسلام قيادته للترك العثمانيين.

ويخطىء من يظن أن هؤلاء كانوا مجرد جامعين للمواد العلمية التراثية السابقة، فالحقيقة أن من يتأمل أعمال هؤلاء يمكنه أن يرى فيها كثيرا من أصالة الفكر والطموح إلى تجديده انطلاقا من ذلك التراث.

كذلك ربما كان من الأخطاء الشائعة في كتابة تاريخنا الثقافي أن العصور التالية ابتداءا من وقوع العالم العربي تحت حكم العثمانيين إلى الاحتكاك بالعالم الأوروبي منذ أوائل القرن التاسع عشر كانت عصور ظلام وجهل وركود مطلق، صحيح أن الفكر العربي لم يعد يمثل حيويته السابقة، ولكنه لم يخل من مفكرين أعلام كانوا قادرين على النهوض بالبعث الجديد. ويكفي أن نشير من هؤلاء إلى ستة أسماء لمعت في هذا العصر الموسوم أو الموصوم بالتخلف :

1 ـــ شهاب الدين أحمد المقري الجزائري نزيل مصر والشام (ت 1631) صاحب موسوعتي نفح الطيب وأزهار الرياض.

2 ـــ عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1683) وصاحب موسوعة خزانة الأدب التي أراد أن يرد بها الأوساط الأدبية إلى التذوق اللغوي والشعري وعلوم العربية.

3 ـــ الجبرتي الكبير حسن بن إبراهيم والد المؤرخ (ت 1774) الذي اهتم بالعلوم فجمع تراثا هائلا من كتب الهندسة والكيمياء والفلك والصنائع.

4 ـــ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي (ت 1792) الذي ظهر في جزيرة العرب وكان همه مكافحة البدع والعقائد المخالفة للسنة واضطلع بدور كبير في تجديد الفكر الديني.

5 ـــ المرتضى الزبيدي محمد بن عبد الرزاق (1790) الذي مد نشاطه من اليمن إلى مصر والهند وهو من باعثي التراث الديني واللغوي، مما يتمثل في معجمه الكبير تاج العروس.

6 ـــ محمد بن علي الشوكاني الزيدي وهو ممن أراد إحياء عقيدة السلف فحارب التقليد وكان داعية لنبذ الصراعات بين الفرق الدينية المختلفة.

ولاشك في أن هؤلاء ساهموا في التحول الكبير الذي كانت الأمة العربية الإسلامية مقبلة عليه في أوائل القرن التاسع عشر والذي أسرع نتيجة احتكاكها بالحضارة الأوروبية على إثر الحملة الفرنسية.

ومن جديد نجد أن أعلام المفكرين في الأمة لم ينتبهوا إلى خطر هذا الغزو القادم من أوروبا حتى رسخ وعيهم بضرورة التغيير والتجديد، وهذا هو ما تمثل في العبارة المشهورة التي قالها الشيخ حسن العطار أستاذ رفاعة رافع الطهطاوي وذلك عند احتكاكه برجال الحملة الفرنسية «إن بلادنا لابد أن تتغير وأن يتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها».

وكان هذا الاحتكاك بأوربا حاسما في تلك التوجهات الجديدة، فرأينا في العالم العربي بأجمعه حركات تجديدية تمثلت في نخبة من المفكرين كان منطلقهم هو الاستفادة من تلك الحضارة الأوروبية التي قطعت شوطا كبيرا في مضمار التقدم ولكن مع الحفاظ على تراثنا القديم. فقد كان هؤلاء ممن توفرت لهم ثقافة دينية

تراثية واسعة ورأوا بحكم تمكنهم من تراثنا الفكري القديم أنه لا تعارض بين هذا التراث وبين الأخذ بكل جديد نافع، ونذكر في مقدمة هؤلاء رفاعه الطهطاوي في مصر (1873) وخير الدين التونسي في تونس (1890) وجمال الدين الأفغاني في مصر والهند وتركيا (1897) وتلميذه محمد عبده (1905) وعبد الرحمن الكواكبي (1902) ثم من تأثر به في المغرب مثل الجزائري عبد الحميد بن باديس (1940).

غير أن هذه الحركة الفكرية التي عملت على تأصيل الفكر العربي وتحديثه، والتي كان يمكن لها أن توفق بين مستحدثات الحضارة وبين الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية، أو بتعبير آخر بين التراث والمعاصرة، تعرضت لما قطع عليها سبيل هذا التطور الهادىء السليم، إذ أن الاستعمار الأوروبي لم يرد لبلادنا أن تحقق ذلك التوازن الكفيل ببعث حقيقي، فرأينا القوتين الاستعماريتين الكبيرتين وهما انجلترا وفرنسا تتدخلان في عالمنا العربي في ضراوة قاسية فتوزعان بلادنا وتتخذانها نهبا لهما. بدأ ذلك باحتلال الجزائر في 1830 وانتهى بفرض الحماية على المغرب في عام 1912.

وأدى هذا التدخل السافر إلى طرح جديد لقضية تحديث الفكر العربي على نحو لم يسر في طريقه الأولى المعتدلة الهادئة وإنما بشكل تمايزت فيه المواقف وازدادت فيه حدة الحوار وعنفه. وهكذا أصبحت القضية مواجهة بين التراث العربي الإسلامي والمعاصرة، وكأن الأمرين ضدان يقفان على طرفي نقيض، وقد اجتهد الاستعمار في سياسته الخشنة على توسيع هوة الخلاف وعلى أن يصبح فكر أمتنا موزعا على شيع متصارعة متنابذة نازعة إلى أقصى درجات التطرف.

ويمكن أن نحدد في معالجة تلك القضية ثلاثة مواقف :

- الأول موقف المتمسكين بالتراث تمسكا يصل إلى رفض كل جديد (رجال الدين).
- والثاني موقف الذين انبهروا بالحضارة الأوروبية فأرادوا تقليدها في كل شيء حتى إنهم أرادوا أن يقطعوا ما بينهم وبين التراث جملة (سلامة موسى، لويس عوض).
- والثالث موقف المعتدلين الذين واصلوا مسيرة المجددين الأولين، وهؤلاء كانوا يتفاوتون فيما بينهم قربا إلى هذا المحور أو إلى ذاك.

ولاشك في أن الطريق القويم في علاج هذه القضية هو ذلك الطريق الوسط الذي يعمل على الأخذ بأسباب المعاصرة أي مسايرة عصرنا الحاضر في تقدمه، والأخذ عن القرن الأوروبي ما أضافه إلى عالم المعرفة ولكن بغير تنكر لتراثنا، فإن في هذا التراث من الإيجابيات ما يمكن أن يضاف إلى ما نطمح إليه من تقدم علمي ينبغي أن يوضع في خدمة الإنسانية. ولعل أهم ما نستطيع أن نستخلص من تراثنا شيئان :

أولهما التوازن بين عقلانية العلم وما ينبغي أن يقوم عليه من قيم خلقية وروحية. وهو ما نفتقده في كثير من الأحيان في ذلك التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يسير في عالم اليوم بسرعة مذهلة. فبغير هذه القيم يمكن للعلم أن يتحول إلى أداة جهنمية للتدمير والخراب.

والثاني شمولية المعارف، وذلك أن التخصص الدقيق الذي كان من نتائج التقدم الهائل في العلوم واتساع دائرتها قد كانت له نتائجه السلبية ومن أخطرها أن العالم المتخصص قد تحول في كثير من الأحيان إلى مجرد ترس في آلة هائلة صماء، هذا بينما لو تأملنا ما كان عليه المشتغلون بالعلوم من تراثنا العربي لوجدنا أن العالم كان موسوعي المعرفة يحيط بكثير من فروع العلوم المختلفة على نحو يجعله أكثر إحساسا وتفاعلا مع نبض من يعايشه من البشر. ويكفي أن نشير إلى علماء مثل ابن رشد الذي كان فيلسوفا وطبيبا وفقيها وابن زهر الذي كان طبيبا وشاعرا وأديبا وابن طفيل الذي شارك في كل معارف عصره.

أما كيفية التعامل مع التراث العربي في عالم اليوم فإنه ينبغي أن نذكر أولا أن جانبا كبيرا من هذا التراث لايزال حتى اليوم مجهولا. صحيح أن الجهود التي بذلت في خدمته كانت كبيرة. وهنا ينبغي أن نعترف بفضل العلماء الأوروبيين الذين كانوا أسبق منا في الاهتمام بنشره منذ القرن السادس عشر. وقد بدأنا نحن في العالم العربي منذ أواسط القرن التاسع عشر في الاهتمام به وكان ذلك بفضل ذلك الرعيل الأول من مجددي الفكر العربي فبدأت حركة النشر في مصر والشام أولا ثم تراها اليوم قد امتدت على طول العالم العربي كله. ومع ذلك فإن المخطوطات العربية يبلغ عددها 3 ملايين لم ينشر حتى الآن إلا الأقل من ثلثها. وهي نسبة لا تمكننا حتى من الحكم على قيمة هذا التراث حكما صحيحا. فواجبنا الأول هو تجميع هذا التراث الذي نراه مفرقا في مكتبات العالم كله، وهنا يكون

التقدم التكنولوجي الذي يشهده العصر معينا على تيسير هذه المهمة، إذ بفضل التصوير والطرق الحديثة للفهرسة والعناية بترميم المخطوطات وتيسير التبادل بين المكتبات والمؤسسات العلمية يمكن أن توضع خطط بجداول زمنية محددة لنشر ذلك التراث نشرا سليما. ومن ناحية أخرى فإن التحقيق العلمي قد تقدم كثيرا خلال السنوات الأخيرة في العالم العربي، فقد كان عدد المحققين المجيدين في أوائل هذا القرن لا يزيد على بضع عشرات. أما اليوم فهناك مئات من المحققين المجيدين في رقعة العالم العربي كله فضلا عن من يشتركون معنا في الاهتمام بتراثنا من أصدقائنا المستشرقين، كما أن مراكز الطبع قد تزايدت تزايدا ملحوظا يبشر بمستقبل مشرف.

وأود بهذه المناسبة أن أشير إلى نقطة تثار كثيرا هذه الأيام من قبل كثير من المهتمين بالتراث العربي، وقد كانت موضوعا لندوة كانت مقامة في الرياض منذ أيام قليلة وكان عنوانها «ما نأخذه من التراث وما نتركه» ذلك أن الانتقاء من التراث إذا ترك لهوى هذا أو ذاك من الناس قد يتحول عدوانا على ذلك التراث، والواجب ألا يتم الانتقاء إلا بعد أن ينشر التراث كله، فلا ينبغي أن نترك الأمر لمعايير قد يصنفها أناس غير مؤهلين للحكم على تراثنا الماضي فلا يبعد أن يشوهوه أو يبتروه أو يخضعوه لأدواتهم الخاصة. ولنا عبرة فيما اقترح البعض مما سموه تهذيب أعمال فكرية أو أدبية لها قيمة كبرى مثل الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أو الفتوحات العربية لابن عربي أو إحياء علوم الدين للغزالي أو ألف ليلة وليلة. وأذكر بهذه المناسبة عبارة قالها سيرفانتيس في روايته الخالدة دون كيخوت : «ليس هناك كتاب رديء إلا وفيه شيء جيد»، ومن هنا أقول إنه ينبغي أن نكون على حذر شديد قبل أن تمتد أيدينا إلى التراث، ولا أقول ذلك من منطلق تقديسه أو التعبد به وإنما أقول إننا لا نستطيع أن نتصرف في ذلك الموروث الثقافي إلا بعد أن نعرفه معرفة عميقة ونتمكن من تقويمه على أسس سليمة.

المخطوطات العربية الإسلامية الأندلسية المكتوبة بالخط العبري أو المترجمة إلى اللغة العبرية

(المكتبة الوطنية ـــ باريس)

الأستاذ أحمد شحلان

أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـــ الرباط

ماذا نقصد بالمخطوطات العربية الإسلامية الأندلسية المكتوبة بالحرف العبري أو المترجمة إلى اللغة العبرية ؟

إذا كنا نقصد بمخطوط الغرب الإسلامي المؤلَّف الذي كتبه مؤلف ينتسب إلى هذه الديار أصلا أو نشأة أو إقامة أو زيارة، فإن استعمالنا لهذه النسبة في بحثنا هذا، قد يتجاوز هذا الإطار، إذ نجد من بين المخطوطات التي سنتعرض لها هنا، نصوصا مشرقية عربية لأعلام مشارقة، ونصوصا إغريقية ترجمت أول ما ترجمت إلى العربية في المشرق أيام ازدهار حركة الترجمة العلمية. ونصوصا عربية ليهود مشارقة. ونصوصا عبرية ظهرت بعد القرن الثاني عشر في اسبانيا المسيحية أو جنوب فرنسا، بالإضافة إلى النصوص التي استنسخت أو ألفت أو ترجمت في أرض الأندلس. وعليه فإنا نقصد بالمخطوطات العربية الإسلامية الأندلسية :

أ) مؤلفات ألفت أصلا إما بالعربية أو العبرية في بلاد الغرب الإسلامي.

ب) مؤلفات عربية لعلماء يهود أو مسلمين أو يونانيين استنسخت بالحرف العبري في بلاد الغرب الإسلامي.

ج) مؤلفات عربية لعلماء يهود أو مسلمين مشارقة أو مغاربة، ترجمت إلى اللغة العبرية، سواء في أرض الأندلس أو إسبانيا المسيحية أو جنوب فرنسا أو إيطاليا.

ويجدر بنا ليكون هذا الموضوع منسجما واضح المعالم، أن نتحدث عن الظروف التي ظهرت فيها هذه الأنواع المذكورة أعلاه، فجاءتنا مخطوطات ذات أهمية كبرى لمؤرخ الفكر، وللمتتبع للآثار الإسلامية وما آلت إليه منذ العصر الوسيط إلى عصر النهضة فعصرنا الحاضر.

لم تكن الأندلس وإسبانيا عموما خالية من العنصر اليهودي قبل وصول الإسلام إليها. ولم تكن عامة ساكني هذه الديار، مسيحيين وغير مسيحيين، لتنفلت من وضع قاس عممه رجال الكنيسة، فأثقل كاهل الناس المسيحيين، وحكم بالنبذ والقهر والاستذلال على غيرهم، وخاصة اليهود. فكرهت النفوس هذا الظلم، وانتظرت المخلص، وتمثل هذا المخلص في طلائع المسلمين الذين اجتازوا الفاصل المائي على مراكب من عزم. فانفتحت إليهم الصدور، وفتحت لهم كثيرا من مغالق المدن، فدخلوها سلما. وكان لليهود دور كبير في هذا الأمر. وما كان للمسلمين ساسة وجندا وعامة لينسوا هذه المسألة.

وقامت الدولة الإسلامية على أرض الأندلس، وساهم في قيامها العديد من الأجناس، سواء أولئك الذين كان إيمان الإسلام رائدهم في هذا الفتح، أو أولئك الذين وجدوا في دين الفاتحين بلسما التأم به جرحهم، واطمأنت إليه نفوسهم. فحل محل العصبية القبلية التي كانت هي عصبة الحكم في المشرق، كفاءات عقلية وقدرات سياسية ومقتضيات عليا للدولة الإسلامية التي نبتت بذرتها في أرض تختلف عن أرض المشرق، طبائع وتطلعات، وواقعا اجتماعيا، وهو واقع أحاط حدوده، خصوصا الشمالية والغربية، فكرٌ يختلف عنه ثقافة وسياسة وأعرافا، ولكنه يلامسه سكنا وجوارا.

اجتمعت هذه العوامل كلها، ففسحت المجال لكل القدرات، وأذنت بالنماء لكل الثقافات، خصوصا وأن الفكر الإسلامي كان قوي البنيان، متين الأسس، مما جعل جذور تلك الثقافات تلتمس منه عطاءا، وتستقي منه حياة. فأصبحت الأندلس قبلة مستنيري لأوروبا، بل مكانا تهفو إليه أفئدة أرباب الكنيسة، وهم رجال الفكر والعقل إذذاك.

انصهرت كافة العناصر الأندلسية في بوتقة واحدة هي الفكر الإسلامي العربي، كما تمثل في مصادره ومظانه المشرقية، أو في مؤلفات أندلسية، خصوصا وأن التجربة السياسية الجديدة إذذاك، دلت على أن الحكم لا يقوم له كيان، إلا إذا كانت

العلوم أسسه، وما كان منها أنفع للإنسان والبدن أحرى أن يكون في طليعة ضمير العالم والمدبر. فنالت العلوم الضرورية مثل علم العدد، والفلك وآلاته، والطب، والصيدلة، وعلم الحيل، وما إليها من علوم دنيوية ولغوية، أوفى نصيب، حتى إذا اشتد ساعد الإنسان الأندلسي، ووضعت المقدمات الضرورية للعقل والمنطق والإدراك، لم يجد هذا الإنسان غضاضة في الخوض في العلوم الإلهية والفلسفية.

وقد ساهم في هذا البناء كل عناصر الأندلس مسلمين وغير مسلمين، ومن بينهم اليهود.

كانت اللغة العربية لغة هؤلاء اليهود، وكانت مناهج البحث العربي الإسلامي مناهجهم، فبالعربية كتبوا، وعلى غرار منهج أعلامها نهجوا في البحث والتأليف خصوصا، في علومهم المرتبطة بدينهم ولغتهم، فألفوا بالعربية في النحو واللغة والتفسير والفقه والكلام، ونقلوا جل مؤلفات أعلام الفكر العربي الإسلامي من الحرف العربي إلى الحرف العبري دون ترجمتها إلى العبرية مثل مؤلفات الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن باجة وابن طفيل وابن رشد، بالإضافة إلى مؤلفات علوم العدد والهندسة والفلك والطب والصيدلة والطبيعة، حتى إذا تمكنوا من هذه العلوم، ألفوا فيها هم أنفسهم بالعربية بخط عبري، أو بلغة عبرية أقرب إلى العربية منها إلى أي شيء آخر. وظل الحال هكذا ما بين القرنين التاسع والخامس عشر.

طرأ طارىء على واقع اليهود في الأندلس، فغادرت مجموعات منهم هذه الديار إبان حكم الموحدين، وغادرتها مجموعات أخرى أكثر عددا في القرن الخامس عشر، واتجهت أمواج منهم إلى الجنوب نحو أرض المغارب، وأخرى إلى الشمال : شمال اسبانيا وجنوب فرنسا ثم فيما بعد إلى إيطاليا. وقد حمل معهم هؤلاء جميعا الكثير مما تبقى بين أيديهم من مؤلفات علمية وفلسفية ودينية عربية اللغة عبرية الحرف. وبعد أن استقر المقام بهذه المجموعة التي اتخذت الشمال وجهة لها، واستوطنت جنوب فرنسا، اغتنمت العائلات العالمة فترات الاطمئنان والأستقرار، لتعود إلى إرثها الذي حملته معها، وأكثره عربي إسلامي، لتتخذه منطلقا لفكر جديد يخدم الطائفة بالنسخ والتقليد والشرح والتأليف والنقد، ولكن وبالأساس، بالترجمة. إذ بعدت الديار العربية عن هؤلاء المهاجرين، وقد كانت لهم اللغة العربية هي الأخرى لغة مقدسة، فعادوا إلى اللغة العبرية، وكانت قاسما مشتركا بين

الطوائف، فاتخذوها بديلا جديدا ألف به علماؤهم من دوي اللسان العربي، وانبرت بعض العائلات منهم مثل عائلة أبناء تبون أو قلونيموس لترجمة ذلك الإرث العربي الإسلامي، أو العبري المكتوب بالعربية في أرض الأندلس.

ولم تغب أهمية حركة الترجمة هاته عن أرباب السياسة والدين من المسيحيين المستضيفين الجدد، فعملوا على الاستفادة منها، فحثوا اليهود على النقل من العربية إلى العبرية ومنها إلى اللاتينية على غرار ما فعله بعض أجدادهم في أرض الأندلس نفسها وخصوصا في مدينة طليطلة.

وكان نتيجة لهذه الحركة الهائلة أن استنسخت وترجمت المئات من المؤلفات في مختلف العلوم العقلية والنقلية.

فما مصير هذه الأعمال ؟

إذا ما قيس الباقي من المخطوطات العبرية والعربية العبرية الحرف بالحركة العلمية الهائلة التي شهدتها الأندلس وشمال إسبانيا وجنوب فرنسا ثم إيطاليا بما بقي، فإن هذا الباقي لا يمثل إلا النزر اليسير مما كان يجب أن يكون. ولابد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن المخطوطات العبرية بما فيها مخطوطات العلوم العربية الإسلامية، قد تعرضت في كثير من الأحيان، خصوصا في بداية القرن الثالث عشر وعلى مدى القرن الرابع عشر، عندما اعتبرت الكنيسة اليهود ناشري فكر الإلحاد، أي بعض هذه الترجمات، وخصوصا مؤلفات ابن رشد[1] إلى كثير من النهب والحرق والتدمير. فما علاقة هذه الآثار بما يوجد حاليا في المكتبة الوطنية بباريس ؟

قد يتبادر إلى الذهن أن جل المخطوطات الموجودة في باريس هي بقية من بقايا ذلك العصر حملت حملا إلى هذه المكتبة. وهذا ما ظنه Sauval، إذ اعتقد أن هذه المجموعة من المخطوطات تعود إلى أيام Charles VI، وأنها هي التي حجزت من اليهود سنة 1397، وفند J. Taschereu، المدير العام للمكتبة الملكية (الفرنسية) في تقريره المؤرخ بـ 1866 الذي قدمه إلى وزير المعارف العامة، هذا الرأي، وبين أن مصير تلك المخطوطات أو جلها أصبح مجهولا[2]. أما ما تتضمنه المكتبة

---

(1) انظر مقالنا : الغزالي في منظومة الفكر اليهودي الوسطوي، ندوة الغزالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1988.

(2) وهو المنشور في مقدمة فهرست المكتبة الوطنية الحالي.

الوطنية حاليا، فقد تجمع على مر السنين كما يتجلى ذلك من التقرير المذكور أعلاه. فلم تكن تضم مكتبة Blois التي ضمت إلى مكتبة Fantaine-Bleu سنة 1544، أيام الملك فرانسوا الأول، إلا ثلاث مجلدات عبرية. وعادت البعثة العلمية التي بعثها الملك المذكور إلى المشرق بحثا عن المخطوطات الشرقية بحوالي أربعين مخطوطا، ربما كانت تضم بعض المخطوطات العبرية.

ولم تكن المجموعة تتعدى الثلاثين مخطوطا أيام Henri II، وضُمت مكتبة Catherine De Medicis إلى المكتبة الملكية سنة 1599، فزاد عد المخطوطات العبرية بحوالي عشرين مجلدا.

ومر حوالي قرن من الزمان دون أن تمتلك المكتبة عددا ذا بال من هذه المخطوطات، بل انحصر ما كانت تمتلك في بعض مجلدات كان بعضها في حوزة Hurault de Boistaille، وبعضها كان في حوزة الكردينال De Richelieu. وهذه المخطوطات هي التي كونت محتوى فهرست مكتبة الملك الذي أعده Rigault أيام Louis XIII، وفهرست 1945 الذي أعده الإخوة Dupuy.

وأصدر Louis XIV في 12 يناير 1668 مرسوما يقضي بتبادل المخطوطات بين مكتبة Collegè Mazarin والمكتبة الملكية إذذاك، فحصلت هذه بموجبه على اثنتين ومائة (102) من المخطوطات العبرية. وحصلت في نفس الوقت تقريبا على المجموعة القيمة من المخطوطات الشرقية التي كانت في حوزة Gilbert Gaulmin، وكان من بين مخطوطاتها سبع وعشرون ومائة (127) من المخطوطات العبرية.

ولم يكن نظر المسؤولين عن المكتبة إذذاك بعيدا، إذ كان من بين التعليمات التي زود بها Colbert أحد العلماء الذين كلفهم بالبحث عن المخطوطات بإسبانيا : أن يقتني أفضل المخطوطات القديمة الإغريقية والعربية والفارسية ولغات شرقية أخرى باستثناء المخطوطات العبرية : «إذ في المكتبة ما يكفي من هذه المخطوطات» كما جاء في ذلك الأمر.

ولولا هذا الأمر لكان من نصيب المكتبة والباحثين كثير من الآثار العربية الإسلامية المكتوبة أو المترجمة إلى العبرية.

وفي سنة 1700، حصلت المكتبة على أربعة عشر (14) مخطوطا كانت في مكتبة أساقفة Reims.

وحصلت في سنة 1712 على اثني عشر (12) مخطوطا عبريا من بين المجموعة الشرقية التي كانت بحوزة Melchiseder Thevenot، وعلى واحد وسبعين ومائة (171) من المخطوطات العبرية من خمسة وستمائة (605) مخطوط في مختلف اللغات الشرقية مما كان في ملك Colbert.

وعندما طبع فهرست المكتبة سنة 1739 كان يضم ست عشرة وخمسمائة (516) من المخطوطات العبرية.

وبعد الثورة الفرنسية ضمت جل مكتبات الأديرة إلى المكتبة الملكية التي أصبحت تسمى منذ ذاك المكتبة الوطنية. وكان من بينها ثلاث مكتبات فقط، هي التي كانت تضم مخطوطات عبرية، وهي : مكتبة الـ Oratoire وSorbonne ودير St-Germain-des-Pres وكانت مكتبة الـ Oratoire تضم مجموعة نادرة جاء معظمها من القسطنطينية بلغ عددها سبعة ومائتين (207)، وكان معظمها في ملكية أحد العلماء اليهود القرائين من القرن الخامس عشر يدعى Caleb Afendopoulo. وكان في ملكية السربون ثمانية وخمسون ومائتان (258) من المجلدات كلها مضروبة بشعار الكردينال De Richelieu.

أما مكتبة St-Germain فكانت تضم أربعة وثلاثين (34) مجلدا.

ومنذ ظهور الفهرست الأول ازدادت مقتنيات المكتبة بثمانية وأربعين ومائة (148) من المخطوطات بواسطة الاقتناء أو المخطوطات التي لم تصنف سابقا أو مما حصلت عليه من مكتبة St-Genevieve ومكتبة L'Arsenal بعد المرسوم الوزاري الصادر في 15 يونيه 1860، أو عن طريق التبادل بين المكتبة وخزانة الوثائق الملكية بعد المرسوم الصادر في 19 أبريل 1862.

وتعد المخطوطات التي امتلكتها المكتبة بعد هذا التاريخ من اعتق المخطوطات، وربما هي التي تحدث عنها Gerard de Montaigu[3] أيام Charles V، ويفترض أن هذه هي المخطوطات التي احتجزت من اليهود أيام الملك Philippe le Bel.

وضم الفهرست الحالي عندما صدر سنة 1866 1313 مخطوطا. أما المخطوطات التي اقتنيت بعد صدور هذا الفهرست فلم تكن بالقدر المنتظر من الثروة الهائلة التي خلفها لنا العصر الوسيط. فهل يعود هذا إلى اهتمام المسؤولين

---

(3) Inventaire du trésor des Chartes، عن مقدمة الفهرست ص V.

عن المكتبة بمقتنيات المخطوطات الشرقية الأخرى، خصوصا وأن فرنسا أصبحت دولة استعمرت أغنى البلدان العربية حضارة وفكرا وبالتالي إرثا مخطوطا ؟

على أي، فإن المقتنيات العبرية التي اقتنتها المكتبة بعد صدور الفهرست الحالي لم تظهر في أي فهرست جديد، بل أضيفت بخط اليد في ذيل الفهرست الحالي، وهو الموجود بقاعة المكتبة الوطنية، قسم المخطوطات الشرقية. وظهر وصف لبعض هذه المخطوطات في مجلة الدراسات اليهودية Revue des Etudes Juives التي مازالت تصدر بباريس. وقد حرص المحافظون بالمكتبة على أن يلصقوا الصفحات الخاصة بوصف هذه المخطوطات في ذيل الفهرست.

ومن الملاحظ أن كثيرا من هذه المقتنيات المضافة جاء أصلا من المغرب، ويتناول عديدا من الجوانب التاريخية والدينية والفقهية واللغوية التي كانت من نتاج يهود مغاربة أو من موروث الغرب الإسلامي.

المسهمون في فهرست المكتبة الوطنية بباريس :

قام بوصف المخطوطات العبرية الموجودة بهذه المكتبة عديد من المستشرقين واليهود على مدى قرون عديدة، وكان أولهم مستشرق يدعى Adolph في القرن السابع عشر، ثم تابع عمله سنة 1689 Louis de Compiegne وهو يهودي تنصر، وراجع عمله القس Renaudot. وكان هذا العمل هو مادة فهرست 1739، ثم راجع المخطوطات من جديد Bernard Devalabregue. ونهض بوصف مخطوطات الـ Oratoir التي أصبحت جزءا من المكتبة الوطنية كما رأينا، Richard Simon، وسهر Munk، الباحث المشهور، في آخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن التاسع عشر، على وصف مفصل لهذه المخطوطات قبل أن يحول فقدانه البصر دون إتمام عمله. فنهض به Derenbourg، غير أن اهتماماته الخاصة ومسؤولياته العلمية لم تسمح له بإتمام الفهرست، فتابع العمل AD. Frank. غير أن الذي وضع الفهرست في صورته النهائية، ووحد جذاذاته، وأضاف عديدا من التواريخ، كان هو المستشرق M. Zotenberg. وإذا كان عمل هذا الأخير قد وحد الجهود، فإنه أحيانا أسقط كثيرا من التفاصيل بل البحوث الدقيقة التي قام بها هؤلاء العلماء، خصوصا Munk و Derenbourg و Frank.

ومن حسن حظ البحث أن مونك قد وضع جل تعاليقه في كتابه

Melanges[4]، كما أن المكتبة الوطنية احتفظت بأصول هؤلاء العلماء وأخرجتها إخراجا خاصا يمكن الرجوع إليه.

ومن الطبيعي أن ترى الفترة الزمنية الفاصلة بين صدور الفهرست سنة 1866 ووقتنا الحاضر عديدا من البحوث العلمية الجديدة، والنشرات التحقيقية لكثير من هذه المخطوطات، بل مقتنيات أخرى اقتنتها المكتبة، مما يدعو إلى إعادة النظر في مضمون هذا الفهرست. وهذا ما حدث فعلا، إذ اهتم مركز البحث العلمي الفرنسي C.N.R.S بإشراف C. Sirat والجامعة العبرية، بالمخطوطات العبرية المؤرخة الموجودة في المكتبة. فظهرت أعمال المؤسستين في ست مجلدات ضخام، ثلاثة منها تتضمن وصف المخطوطات، وثلاثة أخرى تحتوي لوحات نماذج من روائع هذه المخطوطات[5].

كما أن G. Vajda قد أعاد النظر في كل هذه المخطوطات. وذلك بتصحيح الوصف أو التحقق من المعلومات أو إغناء النص بما يناسبه من مراجع قديمة وحديثة. ولم ينشر بعد هذا العمل، وقد تفضل السيد Garel محافظ القسم العبري بالمكتبة الوطنية بباريس، فأطلعنا على القسم الخاص بابن رشد، وسننشر ما استفدناه منه على حدة.

مضامين هذه المخطوطات :

1 — نصوص وترجمات الكتاب المقدس.
2 — فهارس توراتية ومأثورات وتفاسير يهودية.
3 — فقه وتلمود وتشريعات وعبادات.
4 — كتب صلوات يهودية.
5 — كلام ولاهوت.
6 — تصوف (قبلة).
7 — علوم فلسفية.
8 — علم العدد والطبيعة والفلك والتنجيم.

---

(4) Mélanges de philosophie juive et arabe. Paris 1955.

(5) Comité de paleographie hébraïque, Manuscrits médiévaux en Caractères hébraïques partant des indications jusqu'à 1540.
TI notices TII planches, 1972 TII Nots II pal 1979, TIII Not. III PI 1986 ? C.N.R.S. Paris.

9 ــ الطب والجراحة.

10 ــ اللغة.

11 ــ التاريخ.

12 ــ الشعر.

13 ــ رسائل وفتاوى.

14 ــ الفهارس.

وإذا كان لنا أن نلخص هذه المخطوطات في أرقام فإنا نقول : إن الفهرست يضم : 1313 مجموعا[6]، و1251 عنوانا، و3042 نصا[*]. (مع النسخ المكررة) منها :

1 ــ مؤلفات يهودية مكتوبة بالعربية بالحرف العبري لـ 17 مؤلفا (4 مجهولون)، وهي عبارة عن 32 عنوانا في 65 قطعة (مع نسخ مكررة).

2 ــ مؤلفات إغريقية مترجمة إلى العربية لـ 7 مؤلفين، وهي عبارة عن 8 عناوين في 9 قطع (مع النسخ المكررة).

3 ــ مؤلفات عربية إسلامية مكتوبة بالحرف العبري لـ 16 مؤلفا، وهي عبارة عن 23 عنوانا في 28 قطعة (نسخ مكررة).

4 ــ مؤلفات عربية إسلامية مترجمة إلى العبرية لـ 41 مؤلفا، وهي عبارة عن 103 عناوين في 295 قطعة (نسخ مكررة)، نهض بترجمتها 34 مترجما (3 مجهولون). فكان عدد العناوين المترجمة 82 عنوانا في 237 قطعة (نسخ مكررة).

وشرح البعض من هذه النصوص العربية 33 شارحا (3 مجهولون) في 52 عنوانا و85 قطعة (نسخ مكررة).

فيكون مجموع المؤلفين 81 مؤلفا و166 عنوانا و397 قطعة بالإضافة إلى الشروح والشراح أعلاه.

فمحتوى هذه جميعا هو الذي يكون المضمون الفعلي لما تحتويه المكتبة الوطنية

---

(6) يضاف إليها ما اقتني بعد طبع الفهرست كما أشرنا إلى ذلك.

(*) ويمثل هذا المحتوى الكلي للفهرست.

بباريس، وعليه تكون المخطوطات العربية الإسلامية أو التي اهتم بها المسلمون أو التي اعتمدها اليهود ترجمة ومرجعا هي التي تكون أهم مخطوطات هذه المكتبة مضمونا وعددا وقيمة علمية وهذه هي المخطوطات :

1 ـ مؤلفات يهودية عربية مكتوبة بالحرف العبري :

أ) كتابات دينية :

أبو يوسف يافث بن علي البصري القراء (ق 11) :

ـ ترجمة وشروح للتوراة.

يافث بن صعير الطبيب القراء (ق 13) :

ـ المقالة التاسعة من كتاب الوصايا.

السموءل المغربي (16) :

ـ مقدمات وشروح للتوراة.

داود بن أبراهام بن أيوب القراء :

ـ مواعيظ وشروح تلمودية.

الشيخ فاضل القراء المصري :

ـ كتابات كلامية وتوراتية.

سلمون بن يروحيم :

ـ تفسير لسفر نحميا من التوراة.

موسى بن ميمون :

ـ شرح كتاب المشنا (أقسام منه، في الفقه اليهودي).

ب) كتابات كلامية وفلسفية :

بحيا بن بقودا (ق 11) :

ـ كتاب الهداية إلى فرائض القلوب والتنبيه على لوازم الضمائر[7].

(7) نشر النص العربي أبراهام سالم بن بنيامين يهودا، بليدن سنة 1907 ـ 1912. ونشرت الترجمة العبرية التي قام بها يهودا بن تبون، وحققها طوب هلبنون سنة 1969 بالقدس.

يهودا اللاوي (ق 11 — 12) :
— كتاب الكوزري أو الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل[8].

موسى بن ميمون :
— دلالة الحائرين[9].
— مقالة في صناعة المنطق.

يهودا بن نسيم بن مالكا (ق 14) :
— كتاب أنس الغريب[10].
— تفسير كتاب الخلق.

موسى كوهن بن قسبين القرطبي (ق 14) :
— رسالة العناية الإلهية والدار الأخرى.

مجهـول :
— مجموع في كتب التصوف.

ج) كتابات طبية وصيدلية :

موسى بن اردوت :
— كتاب اقرابدين.

يهودا بن إبراهام الطليطلي :
— كتاب تنظيم الحاوي[11].

---

(8) نشر النص بحرف عبري داود بنيت سنة 1977 بالقدس.

(9) انظر مقالنا : من الفكر الفلسفي اليهودي العربي، أبو عمران موسى بن ميمون وكتابه **دلالة الحائرين**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 5، 6، والعدد 7، ص 1 — 23 وص 77، 107 نشر نص الدلالة في ترجمته العبرية مرارا آخرها بعناية يوسف داود قافح بالقدس سنة 1977، ونشر النص العربي حسين أتاي بجامعة أنقرا سنة 1974.

(10) والكتاب مدخل فلسفي لكتاب الخان، وينقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول، حوار بين المؤلف ونفسه. (طلب الحياة في الموت)، والثاني حوار بين طالب وشيخ في موضوع العدل المطلق... والثالث في كيفية وصول الإنسان إلى العلم الكامل....

(11) يقول في مقدمته أنه اطلع على كتاب الحاوي للرازي وكذا على مختصره، فوجده غير مرتب ترتيبا منهجيا، ونظرا لأهمية هذا الكتاب، فإنه قصد وضعه مرتبا ترتيبا منهجيا حتى يسهل على القارىء استعماله.

موسى بن ميمون[12] :

ـــ فصول موسى في الطب.

ـــ الرسالة الطبية في البواسير.

ـــ الرسالة الفاضلية في القبض.

ـــ مقالة في الربو.

ـــ شرح فصول أبقراط.

ـــ مختصر بعض مؤلفات جالينوس.

مجهـــول :

ـــ مجموع من كتب طبية.

د) الفلـــك :

سعديه كوون الفيومي :

ـــ في الكواكب وطبائعها.

II ـــ مؤلفات إغريقية مكتوبة بالحرف العبري :

أبقـــراط :

ـــ فصول أبقراط على المسألة والجواب.

ـــ الأمراض الحادة.

جالينـــوس :

ـــ شرح الأمراض الحادة لأبقراط (ترجمة حنين بن إسحق).

مكنـــوس :

ـــ كتاب في البول.

إقليـــدس :

ـــ اختصار عناصر إقليدس.

بطلمـــوس :

ـــ المجسطي.

---

(12) انظر مجلة كلية الآداب ـــ الرباط، عدد (5 ـــ 6).

تيودوســـس :

ـــ كتاب في الكرة (ترجمة قسطا بن لوقا).

III ـــ مؤلفات عربية مكتوبة بالحرف العبري :

ثابت بن قرة :

ـــ شرح مناظر إقليدس[13].

محمد بن يوسف الأستاذة :

ـــ رسالة الربع دائرة عملها والعمل بها.

أمية بن عبد العزيز أبو الصلت :

ـــ رسالة في الاسطرلاب.

أبو محمد جابر بن افلح الاشبيلي :

ـــ في علم الهيئة[14].

أبو الحسن غريب بن سعيد الكاتب :

ـــ في تفصيل الأزمان ومصلح الأبدان[15].

أبو جعفر بن الجزار[16] (ق 10) :

ـــ مجربات في الأدوية.

عبد الله الشكفي السوسي :

ـــ في المجربات.

---

(13) يوجد في هامش الترجمة العبرية لمناظر إقليدس رقم 2، 1011.

(14) ربما هو اصلاح المجسطي المعروف بإصلاح ابن أفلح. جاء في كتاب دلالة الحائرين لابن ميمون : «وقد ألف في ذلك (مقومات بطلموس) ابن أفلح الإشبيلي الذي اجتمعت بولده، كتابا مشهورا...» ص 297 من طبعة حسن أتاي المذكورة.

(15) تناولت هذه المقالة حساب الأيام والليالي خلال السنة كلها، اعتمادا على التقويم المسيحي، وذكر صاحبها الأعياد ومنازل القمر والأيام الملائمة للفلاحة وتركيب الأدوية، يبدأ بـ : «هذا كتاب جعل مذكرا بأوقات السنة وفصولها وعدد الشهور وأيامها ومجاري الشمس في بروجها...».

(16) ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، (تحقيق فؤاد سيد) ط 2 بيروت 1985، ص 88 ـــ 90.

أبو نصر الفارابي :
ـــ في الأيام المفضلة لتركيب الأدوية.

مجهــول :
ـــ مقالة في الأدوية[17].

ب) فـي الطـــب :

حنين بن إسحق (ق 9) :
ـــ الأمراض الحادة لأبقراط. شرح جالينوس.

ابن سينا (ق 10 ـــ 11) :
ـــ القانون.
ـــ شرح كليات القانون[17 مكرر].

ج) فلسفـة ومنطـق :

أبو نصر الفارابي (ق 9 ـــ 10) :
ـــ فصول يحتاج إليها في صناعة المنطق.
ـــ في شرائط اليقين.

ابن رشـــد (ق 12) :
ـــ مختصر المنطق.
ـــ الحس والمحسوس.
ـــ تلخيص كتاب النفس.
ـــ تلخيص كتاب الكون والفساد.

IV ـــ المؤلفات العربية المترجمة إلى العبرية :

أ) الفلك وما إليه :

أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم (ق 8) :

---

(17) يبدأ بـ : «اعلم أن الأدوية بعضها نباتية وبعضها معدنية وبعضها حيوانية...».
(17 مكرر) نسبه صاحب فهرست المكتبة الوطنية إلى فخر الدين الرازي ؟

ـــ شرح كتاب الثمرة لبطليموس[18].

ـــ ترجمة قلونيموس بن قلونيموس سنة 1314.

أبو بكـــر[19] :

ـــ كتاب المواليد[19 مكرر].

ـــ ترجمه إسحق البو البير سنة 1498.

أبو معشر محمد بن عمر البلخي (ق 9) :

ـــ المدخل الكبير لعلم الهيأة.

ـــ ترجمه عن اللاتينية إلى العبرية يعقوب بن مخير الي سنة 1439.

ابن مســل[20] :

ـــ الكتاب الثالث عشر من الدوائر الممكنة في الكرة[21].

ـــ مترجم مجهول.

قسطا بن لوقا (ق 9) :

ـــ كتاب العمل بالكرة النجومية، أو كتاب في العمل بالكرة الكبير[22].

(18) ابن العبري غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون، تاريخ مختصر الدول [تحقيق صالحاني اليوسوعي] بيروت، 1978، ص 123.

(19) يسمى عند اللاتين Al Kassim Fihus Al Kasit Albubather.

انظر : J. Veranat, ce que la culture doit aux Arabes d'Espagne Sindibat 1985, p. 161.

(19 مكرر) ترجم من العربية إلى اللاتينية ومنها إلى العبرية، ونشرت الترجمة اللاتينية التي كانت موجودة سنة 1218 بفنيز سنة 1492.

(20) ابن جلجل ص 21. ويلاحظ أن هذا العنوان يشبه عنوان أحد الكتب المنسوبة إلى أبي عثمان سهل بن بشر، إذ من كتبه : كتاب المدخل الصغير، وكتاب المدخل الكبير، وكتاب الهيئة وعلم الحساب. انظر فهرست ابن النديم، ط دار المعارف، بيروت 1978، ص 383.

(21) الكتاب أربعة فصول من مدخل للمسجطي.

(22) ويوجد بالمكتبة الوطنية كتاب صغير بعنوان : في العمل بالكرة ذات الكرسي في 25 فصلا، وهو قسم من هذا المؤلف (الرقم القديم 1157).

ــ ترجمه يعقوب بن مخير سنة 1256 (هكذا).

محمد الكبير (هكذا) الفرغاني (ق 9) :

ــ مختصر الهيئة من مجسطى بطليموس.

ــ ترجمه يعقوب انطولي[23].

أبو علي الحسن بن الهيثم (ق 9 ــ 10) :

ــ [مقالة في هيئة العالم].

ــ ترجمه سلمون بن بتير وكذا ترجمه يعقوب بن مخير.

أبو القاسم أحمد بن الصفار (ق 11) :

ــ في عمل الإسطرلاب[24].

ــ ألفه مؤلفه في قرطبة في الربع الأول من القرن الخامس الهجري وترجمه يعقوب بن مخير.

أبو عبد الله محمد بن معاد الإشبيلي الوزير القاضي (ق 11) :

ــ رسالة في الفجر.

ــ مقالة في الكسوف (في سبعة أبواب) وهو الكسوف الواقع يوم الإثنين آخر يوم من عام 1079/471. ترجمهما شموئل بن يهودا المرسلي.

علي بن أبي الرجال (ق 11) :

---

(23) يقول المترجم في أول وآخر النص، كما بين ذلك صاحب فهرست المكتبة، «بأنه قام بالترجمة من إملاء عالم نصراني، يعني بدون شك (يقول صاحب الفهرست) إنه اعتمد نسخة لاتينية فسرها نصراني بلهجته الجارية، ثم صحح انطولي الترجمة على نص عربي، وأضاف هو فصلا على فصول الكتاب الإثنين والثلاثين. وخصصه لطول اليوم والليل حسب خطوط الطول وخطوط العرض.

(24) جاء في نسخة أخرى بعنوان : تفسير آلة الإسطرلاب، وتختلف عن الترجمة أعلاه.

ـــ أحكام النجوم.

.(25)

ـــ ترجمه سلمون دون درويبس Don Drobis :

أبو القاسم بن إبراهيم بن يحيا بن الزرقلا (ق 11)[26] :

ـــ في عمل الصفيحة.

ـــ رسالة العمل بالتقويم المسمى الصفيحة.

ـــ ترجمة يعقوب بن مخير.

ـــ مقالة في حركة الأفلاك الثابتة.

ـــ ترجمة مليس المرسلي R. Miles de Marseille.

أبو إسحق البطروجي (ق 12) :

ـــ كتاب في الهيئة[27].

ـــ ترجمه موسى بن تبون سنة 1259.

أبو محمد جابر بن أفلح الإشبيلي :

ـــ مختصر مجسطي بطليموس.

---

(25) ترجمة يهودا بن موسى إلى الإسبانية، ثم ترجم هذه الترجمة إلى اللاتينية Anegiduisde theobaldis de Rome Pierre de Rogolo وعنها نقل إلى العبرية.

(26) جاء إسمه في نسخ أخرى أبو إسحق بن الزرقيلة (6، 1030 ـــ 2، 1031 ـــ 7، 1047). ويذكر المؤلف أنه وضع هذه الرسالة في 61 بابا، تناول فيها طريقة استعمال هذه الآلة التي صنعها هو نفسه لقياس علو الأفلاك.

(27) «يوجد الأصل بالإسكريال بعنوان كتاب في الهيئة لنور الدين البطروجي الإشبيلي، وتوجد منه ترجمة لاتينية لـ Michel Scot سنة 1217. منها نسختان في المكتبة الوطنية (الرقم القديم 1399) وفي السربون 1820. وهناك ترجمة أخرى عن العبرية لكلو قلونيموس، نشرت بفنيز 1531.

يقول البطروجي أنه ألف هذا المؤلف بوازع من ابن طفيل الذي عرض عليه نظاما فلكيا جديدا لا ينحرف نحو المركز ولا يدور حوله...» عن صاحب الفهرست.

ـــ ترجمه يعقوب بن مخير، وأتم الترجمة وصححها شموئل بن يهودا المرسلي سنة 1336.

محمد بن محمد [بن هذيل] :

ـــ ربع الدائرة.

ـــ ترجمه موسى بن يهودا كليانو.

عمر بن محمد مصومان :

ـــ مختصر في الهيئة.

ـــ ترجمه موسى الإغريقي بن الي[28] وترجمه مجهول كما ذكر موسى الإغريقي.

أبو يوسف بن إسحق الكندي (ق 9) :

ـــ رسالة مختصرة في مقالة المواليد.

ـــ ترجمه قلونيموس بن قلونيموس سنة 1314.

ـــ رسالة في الأسباب المنسوبة إلى الشخوص العلوية الدالة على تكوين الأمطار.

ـــ نفس المترجم نفس السنة.

ـــ رسالة في الرطوبة والمطر المسماة الرسالة الكافية (نفس المترجم).

ب) في الطب :

حنين بن إسحق :

ـــ أسئلة لحنين بن إسحق[29].

---

(28) يقول المترجم أنه أخذ هذا العلم عن شيخ مسلم دعاه مولانا محمد.

(29) مما ذكره له فهرست ابن النديم : كتاب في البول على طريق المسألة والجواب، وكتاب العين على طريق المسألة والجواب. وذكر له أيضا كتابا إلى ابن المنجم في استخراج كمية كتب جالينوس، ابن النديم ص 410.

ـ وجاء كذلك بعنوان مدخل إلى الفن الصغير لجالينوس.

ـ ترجم من العربية إلى اللاتينية ومن اللاتينية إلى العبرية.

أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد الجزار (القيروان ق 10) :

ـ مقالة في النسيان وأسباب التذكر. المترجم مجهول.

أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي (ق 9 ـ 10) :

ـ المقالة السابعة من قواعد فن الجراحة.

وهو الكتاب السابع من المنصوري.

ـ كتاب التقسيم والتشجير.

ترجمة موسى بن تبون.

ـ نتف من خصائص أعضاء الحيوان.

ابن سينا :

ـ الأرجـوزة.

ترجمة سلمون بن يوسف الغرناطي.

ـ القانون (أجزاء منه متعددة وفي نسخ متعددة).

ترجمه نتان هماتي وكذا يوسف بن قيقاس اللورقي وكذا زرحيه بن إسحق السفردي ومترجم مجهول.

ـ مختصر أصول الطب.

المترجم مجهول.

أبو القاسم الزهراوي (ق 11) :

ـ المقالتان الأولتان من كتاب التصريف.

(الحجر الكريم).

ترجمة مشولم بن يونا.

ـ نتف من مقالة في الفصد (لم يذكر المترجم).

ـ كتاب الاستعمال (التصريف لمن عجز عن التأليف).

ترجمة شم توب بن إسحق الطرطوس سنة 1258 بمرسيليا.

علي بن يوسف بن جرجي بن أحمد بن إبراهيم أبي خلوف.

ـــ مقالة في البواسير.

لم يذكر المترجم.

ـــ مقالة في ضعف الباه.

ـــ ذكر المؤلف هنا هكذا : عبيد بن علي بن جراجي بن خلوف الحكيم.

ج) علــم العــدد :

أبو كامل المصري[30].

ـــ كتاب طرائف الحساب.

(كتاب أبي كامل في الحيل).

ترجمة مردخاي فينيزي.

أبو سليمان الربيع بن يحيا :

ـــ مختصر مقالة في العدد (من كتابين Nicomaque de Berasa).

ترجمه قلونيموس بن قلونيموس.

د) الموسيقــى :

أمية بن عبد العزيز أبو الصلت :

ـــ الفن الرابع من القسم الثاني في علم الموسيقى.

المترجم يهودا بن إسحق :

هـ) السحــر :

أبو أفلح السرقسطي (ق 12) :

---

(30) M. Levey, the algebra of Abu Kamil, Madison, 1966.

— كتاب الثمار[31]

و) العلوم الفلسفية :

حنين بن إسحق :

— أقاويل الفلاسفة ونكتهم وأخلاقهم[32].

— ترجمه يهودا بن سلمون الحريزي.

إخوان الصفاء :

— رسالة الحيوان (الرسالة الواحدة والعشرون)[33].

ترجمها قلونيموس بن قلونيموس :

أبو نصر الفارابي :

— العقل والمعقولات.

— مبادىء الموجودات.

ترجمه موسى بن تبون سنة 1248.

— في كون النفس.

ترجمه زرحيه بن إسحق.

— مختصر المنطق[34].

(31) يقول صاحب فهرست المكتبة : مقالة في السحر الواقع بسبب رسوم الطيور التي تصنع بأكوام تحتوي سعف النخيل، وخصوصا تموره، وكذا بعض الطيوب، والمؤلف من كتابين، يحتوي الأول الجانب النظري، أي قولا عاما في السحر، والثاني قسما تطبيقيا بين فيه كيف تصنع الأشياء المذكورة والنتائج المترتبة عن ذلك.

(32) نشر بـ Riva di Trento سنة 1562.

(33) في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها. انظر رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ط دار صادر، بيروت، جـ 2، ص 178 — 306.
ونشرت الترجمة أول مرة بـ Montoue.

(34) نشرت له ترجمة لاتينية في باريس 1638.

ترجمة موسى بن تبون سنة 1253[35].

ــ مقالة في الغرض من ما بعد طبيعة أرسطو (غير تام).

ــ مقالة في شرائط القياس والبرهان وشرائط التصديق.

ــ ما يحتاج إليه في صناعة المنطق (خمسة فصول يحتاج إليها في صناعة المنطق).

ــ ترجمة موسى بن لامس.

ــ عيون المسائل.

(عين الحكم).

ترجمه طدروس طدروسي.

ــ تحصيل السعادة.

(تنبيه على طريق السعادة).

ابن سينا :

ــ مختصر السماء والعالم.

ــ تقسيم العلوم (من كتاب الشفاء).

(مختصر من صناعة المنطق).

ــ الطبيعة (من كتاب النجاة).

ترجمه طدروس طدروسي.

ــ من مظاهر الكون.

أبو حامد الغزالي :

= ترجم منه : المدخل والمقولات والعبارة والقياس والجدل والسفسطة، وتختلف ترجمة المدخل (رقم 4، 917 عن رقم 3، 917)، وربما هي لمترجم آخر.

(35) جاء هذا التاريخ في نص آخر (وقع 3، 917) هرتمخ : مقالة أخرى صغرى لأبي نصر الفارابي في كيفية القياس والبرهنة عليه وبيانه على طريقة الأقدمين.

— مقاصد الفلاسفة[36].

ترجمة إسحق البلاك وشرح موسى النربوني.
— مقصد المقاصد.

ترجمة إسحق بن نتان.
— تهافت الفلاسفة.

ترجمة زرحيه هاالليفي بن إسحق.
— ميزان العمل[37].

ترجمه إبراهام بن سموئل بن حسداي.
أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ق 10 — 11).
— كتاب الدوائر[38].

ترجمة موسى بن تبون.
أبو بكر بن باجة (ق 12) :
— رسالة الوداع.

ترجمة يهودا بن قيقاس.

---

(36) انظر بحثنا في ندوة الغزالي المشار إليها أعلاه.
وقد كنا تحدثنا في هذا البحث عن كتاب **الأسئلة والأجوبة** والشك الذي حام حول هذا الكتاب. وقلنا بأن اليهود ترجموا قصيدة قل لإخوان للغزالي، دون أن نقف عند صحة نسبتها، ونغتنم الفرصة لنذكر ببحث الأستاذ عبد الله كنون، المنشور في «فلاسفة الإسلام في الغرب الإسلامي»، ندوة نبراس الفكر التطوانية، ففيه تحقق الأستاذ من نسبة **الأجوبة الغزالية وقصيدة قل لإخوان**، إلى أبي الحسن علي بن خليل المسفر السبتي. ط أعمال الندوة بتطوان سنة 1961، ص 119 — 127.

(37) انظر مقالنا : **ميزان العمل في الترجمة العبرية**، الصادر في أعمال ندوة اليونسكو 1987.

(38) H. Corbin - Histoire de la Philosophie islamique, p. 325.

ـــ مقالة تتصل برسالة الوداع.

(نفس المترجم).

أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل :

ـــ حي بن يقظان.

ـــ شرح النربوني.

أبو جعفر بن سباق :

في البرهان على أن الهيولي لا تحدث ولا تفنى.

ابن رشــد :

لا يسمح زمان هذا العرض ولا مساحة هذا البحث باستعراض مؤلفات وشروح ابن رشد المترجمة أو المكتوبة باللغة العبرية، إذ هذا عمل يتطلب بحثا خاصا ومنهجا يختلف عن هذا المنهج، وهذا ما قمنا به وسننشره إن شاء الله على حدة. ونكتفي هنا بالقول بأن مكتبة باريس تضم أغنى مجموعة من مؤلفات ابن رشد مما يوجد في المكتبات العالمية، إذ تضم ستة وثلاثين عنوانا، تتمثل في 148 نسخة، وهذا أكبر عدد من العناوين والنسخ لمؤلف من المؤلفين يوجد في المكتبة الوطنية بباريس القسم العبري.

خــاتـمـــة :

إننا في عرضنا هذا، لم نذكر كل المؤلفات الإغريقية التي ترجمت إلى العبرية في عصر الترجمة مع أنها ترجمت إلى العبرية عن العربية، واكتفينا بذكر النصوص المكتوبة بالحرف العربي فقط.

ـــ إننا لم نذكر المؤلفات اليهودية العربية التي ضاع أصلها العربي، ولم تبق إلا ترجمتها العبرية، واكتفينا بتلك التي جاءت عربية اللفظ عبرية الحرف فقط.

ـــ إننا لم نذكر المؤلفات اليهودية العبرية التي اتخذت لها النص العربي الإسلامي منطلقا ومعتمدا.

ـــ إن الكثير من هذه النصوص العربية الإسلامية المترجمة إلى العبرية، مايزال

مخطوطا دون تحقيق ودون عناية، إذ لم ينشر اليهود من هذا الإرث إلا ما كان من نتاج أعلام يهود أندلسيين.

ــ إن هناك شروحا كثيرة لمؤلفات عربية إسلامية، قام بها يهود، وتكتسي أهمية قصوى في تاريخ الفكر إذذاك، ومع ذلك ماتزال مخطوطة محجوبة عن أعين مؤرخي الفكر عامة، ومؤرخي الفلسفة خاصة.

ــ إن الذي اعتنى بنشر بعض هذه الأعمال المترجمة إلى العبرية هم اليهود أو بعض المؤسسات العلمية والجامعية الغربية، وقد درسوا هذه النصوص حسب مفاهيم خاصة بهم، ويحسن بنا نحن، ورثة هذه الآثار، أن تنهض للعناية بها بالتحقيق والنشر والتأريخ والدرس حتى نضعها في المسار القومي العربي.

ــ إن التأريخ الحق لحركة الترجمة هذه، وما أسدته من خدمة للنهضة الغربية لا يمكن وضعه في إطاره الحقيقي إلا بالرجوع إلى هذه النصوص، وتتبع تواريخ الترجمة وتواريخ النسخ ودراسة الخط والأسلوب، والبحث عن من ترجم ولمن ترجم.

ــ إن تواريخ نسخ كثيرة من هذه المخطوطات يعود إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشرة وتداول هذه الآثار العربية الإسلامية في هذه الفترة له دلالته.

إن تعدد نسخ المؤلَّف الواحد من هذه الآثار سواء في المكتبة الوطنية بباريس، أو المكتبات العالمية الأخرى، بالرغم من الضياع والحرق والتدمير، يدل على مدى الأثر الكبير الذي كان لهذه الأعمال.

ــ إنه من المفضل، بل من المرغوب فيه، أن يعتمد المحقق من بين ما يعتمد، أثناء تحقيقه نصا عربيا إسلاميا، الترجمة العبرية، فقد لاحظنا مدى أهمية اعتماده بالنسبة لبعض ما اطلعنا عليه من نصوص عربية.

وضعية البحوث عن مخطوطات الموريسكيين

الدكتورة ماريا ج. فجيرا

أستاذة بجامعة مدريد

يقدم هذا البحث خريطة تتوضح من خلالها المراكز التي وُجدت بها أهم الوثائق والمخطوطات العربية بالأراكون، كما يؤرخ البحث لتلك الوثائق والمخطوطات.

وتلاحظ الباحثة من خلال المخطوطات المدروسة أن المدجنين في الأراكون استعملوا اللغة العربية حتى القرن التاسع الهجري، إلا أنه بعد ذلك التاريخ نجد وثائق بالعربية تتخللها كلمات غريبة عن اللغة العربية، وقد نجد أيضا كلمات عربية مكتوبة بشكل خاطىء كأن تكتب كلمة «هذا» دون ألف مثلا، مما يدل على أنه بعد القرن التاسع الهجري لم يعد للمدجنين إلمام كبير باللغة العربية.

المخطوطات الأعجمية الموريسكية

الأستاذ الحسين بوزينب

أستاذ بكلية الآداب ــ الرباط

إن المخطوطات الأعجمية الموريسكية مخطوطات كتبت بإسبانية آخر مسلمي جزيرة الأندلس التي كانت تمتاز بخواص تجعلها تختلف عن لغة باقي سكان هذه البلاد : كالحفاظ على خاصيات لغوية تخلت عنها لغة المسيحيين عدة قرون من قبل، ثم إن هذه المخطوطات، التي تنتمي في أغلبها إلى القرن السادس عشر الميلادي وبداية السابع عشر، معظمها يوجد مكتوبا بحروف عربية وتستعمل مصطلحات إسلامية وبنيات لغوية عربية للتعبير عن المفاهيم الثقافية التي كانت تميز المسلم الإسباني عن المسيحي الإسباني، أما المواضيع التي تطرقت إليها فإنها تختلف باختلاف حاجة الموريسكي المضطهد من قبل محاكم التفتيش، فالمواضيع الدينية من قرآن وحديث وفقه... الخ، تكون أهم جزء من هذه الكتابات، ولنا كذلك حكايات بطولية إسلامية وحتى مسيحية أحيانا وتنبؤات وشعر... الخ.

ولكن هذا الأدب الموريسكي المكتشف إلى حد الآن يستجيب إلى حاجة الموريسكي إلى الحفاظ والدفاع عن هويته الإسلامية ومميزاته الحضارية.

ويرجع الاكتشاف الحقيقي لهذه المخطوطات والاستفادة منها إلى قرننا هذا وإن لم أقل إلى النصف الثاني منه. فبالرغم من ظهورها صدفة منذ نهاية القرن الثامن عشر لم يع الدارسون مضمونها منذ البداية، فوجودها مكتوبة بخط عربي كان يجعل مكتشفيها يظنون أنها كتب عربية، فقراءة العبارات التي كتبها مالكو هذه المخطوطات و مصنفوها قد تبين لنا كيف كان التعامل مع هذه الكتابات.

فبخصوص المخطوط 5302 للمكتبة الوطنية بمدريد نقرأ هذه العبارات المضافة :

1) «في بلدة Belchite، وفي أواخر شهر شتنبر من عام 1716 وجدت هذه الكتابات العبرية في منزل Mathias Lucas في المكان المسمى بحي السيد».

ثم أضيفت بعد ذلك العبارة اللاتينية الآتية :

2) «كتابة رديئة ولا تفهم، ليست بعبرية بل عربية مغربية أو موريتانية»، وفي الأخير يضيف المترجم القاصري Miguel Casiri.

3) «ليست بعربية موريتانية بل هي لغة قشتالية».

ويعتبر أهم اكتشاف للمخطوطات الأعجمية الموريسكية هو ذلك الذي حدث ببلدة Al Monacid de la Sierra بناحية سرقسطة سنة 1884 على إثر هدم أحد المنازل القديمة، وتوجد هذه المخطوطات حاليا في معهد الدراسات العربية التابع للمجلس الأعلى للبحث العلمي بمدريد.

ومن المكتبات الإسبانية التي تضم مخطوطات أعجمية زيادة على السالفة الذكر، نخص بالذكر المكتبة الوطنية بمدريد، ومكتبة القصر الملكي ومكتبة الإسكوريال والمكتبة البلدية بطليطلة، وخارج إسبانيا المكتبة الوطنية بباريس ومكتبة كامبريدج... الخ، وبلادنا قد تتوفر على مخطوطات لم تكتشف بعد، فمخطوط الموطأ للإمام مالك الذي يحمل شروحا بالعجمية الموريسكية الموجودة في حوزة الأستاذ محمد المنوني ينم عن هذه الإمكانية.

لقد قلنا سابقا إن البحث في هذا الميدان قد بدأ حديثا لأن ما قام به المستشرقون الإسبان أمثال Guillen Robles و Paswal Gayangos في القرن الماضي من نشر لبعض الحكايات الموريسكية، أو النصوص الدينية لم يكن يتوخى تحقيق النصوص بطرق علمية بقدر ما كان يهدف إلى تسهيل قراءتها.

إن هذه المخطوطات التي تعبر أيما تعبير عن الشخصية الموريسكية لازدواجيتها من شتى الجوانب تستوجب تعاملا خاصا يأخذ بعين الاعتبار جملة من العناصر التي اجتمعت لتتمخض عن هذا النتاج.

فمن جهة، نجد أن هذه الكتابات تستعمل رموزا موحدة لمقابلة الأصوات الإسبانية وكأننا بالموريسكيين وقد اجتمعوا في مؤتمر لغوي وضعوا فيه قواعد لنسخ اللغة الإسبانية بحروف عربية، فمن لا يتعجب من التوحيد الرمزي الذي توصل إليه هؤلاء الموريسكيون لنقل الأصوات الإسبانية : E وI وP وN وCH...

الخ، وهي أصوات لا مقابل لها بالعربية، وربما قد لا يتحسس البعض ما أريد أن أبين هنا، ولكنهم لو تذكروا ما يعانيه معاصرونا عندما يحاولون نسخ إسم إسباني أو فرنسي تمثلا بالحروف العربية فلربما أدركوا ذلك. فكيف يمكن لنا اليوم أن نميز بين الصائتين E وI في اسمين مثل Viguera أو Higuera، إذا أردنا أن ننسخها بالعربية، وآخذ هذين المثالين الحيين، وأستسمح الأختين، لأن لي فيهما شاهدا وهي هذه الوثيقة (برنامج هذه الندوة) فـ Viguera نسخ بالعربية فيجيرا وHiguera هيجيرا أي أن الناسخ وجد صعوبة للتمييز بين الصائتين الإسبانيين E وI فألغى التمييز الذي بينهما، ولكن الموريسكي كان أدق فكان يخصص الكسر لـ I والفتح + الألف لـ E كما نفعل في العربية عند كتابة الكلمة : ماءة.

فالتوحيد الرمزي يطرح عدة تساؤلات، منها كيف يستطيع هذا الأدب المحظور والممنوع أن يتوصل إلى توحيد جهاز من أجهزة عمله أي نظام النسخ Sistema de transcripcion فهذا يجعلنا نفكر أن لظاهرة الأدب الأعجمي جذورا تصل إلى الحقب الأندلسية السابقة، فاستعمال الحروف العربية لكتابة اللغة الإسبانية كان متداولا قبل الموريسكيين وخصوصا بين العامة من الناس، خصوصا في التراسل وهذه الظاهرة تشبه ما حدث ويحدث في المغرب بين البربر المستعملين الحروف العربية لكتابة لغتهم.

وأما هذا التوحيد الرمزي نجد أحيانا بعض المخطوطات تحاول إعطاء دقة أكبر فتضيف بعض الرموز التي لا تستعملها الغالبية كالتمييز بين الدال والذال في الإسبانية (علما أن هذه اللغة لا تتوفر إلا على رمز واحد لهذين الصوتين هو D ولكن له تحقيقين مرة كدال وأخرى كذال). وإضافة التشديد أحيانا على حروف شديدة Oclusivas ربما لإبراز هذه الشدة، أو إضافة المد في كلمات إسبانية للتعبير على النبر الاسباني... الخ.

ومن جهة أخرى نجد الخطوط التي تبرز هذه الكتابات تتعدد وتختلف، فمن الخطوط الأنيقة والجميلة التي تراعي أدنى الجزئيات، نمر عبر خطوط يمكن أن نعتبرها متوسطة إلى أن نصل إلى خطوط تبين وكأن كاتبيها أشخاص مبتدئون لا يتحكمون في القلم، وهذا الصنف الأخير يوجد بكثرة ويظهر أن أصحابه حديثوا العهد بتعلم الكتابة العربية، الكتابة فقط، بل والحروف فقط، لأن قواعد الكتابة العربية لا تراعى بتاتا، فقد يكتبون حروف الوسط في الأخير أو يقسمون

الكلمة بين السطرين كما هو الشأن في الإسبانية، أو يلصقون جزءا من الكلمة بالتي تليها، زيادة على كتابة ما يسمع وترك ما لا يسمع، ككتابة الصلاة بالألف والصاد واللام أصل وحرام بدون ألف المد... الخ.

أما فيما يخص قيمة هذه الكتابات التي لا تقبل التقييم العمودي، فيجب النظر إليها من زاوية كونها تعكس حياة مجموعة إنسانية تشبثت بقيمها الروحية والثقافية، حيث كانت تواجه باستمرار خطر الإبادة، فلا يجب إذا أن ننتظر أدبا رفيعا كالذي كان لدى معاصريهم من المسيحيين الذين كانوا يحيون عصرهم الذهبي، بل إن الأدب الموريسكي أدب مقاومة استئصال الهوية ومقاومة التذويب، وأدب استطاع رغم كل ما كان يحيط به من مخاطر أن يؤدي رسالة وهي البقاء في محيط الإسلام.

زيادة على هذا فإن هذه الكتابات يمكن الاستفادة منها في مجالين خاصين، أولهما دراسة نتائج التقاء لغتين كالعربية والإسبانية في الترجمة، لأن كثيرا من هذه المخطوطات عبارة عن ترجمات لنصوص عربية، فهي بهذا تقدم لنا مجالا خصبا لدراسة مختلف التقاطعات والانتحالات اللغوية التي تحدث عند التقاء لغتين.

والمجال الثاني هو مجال الدراسات اللغوية الرومنسية من صوتيات ومعجميات، فوجود الإسبانية مكتوبة بخط عربي يوفر للباحث في هذا الميدان إمكانية إضافية لمعرفة حالات يصعب إدراكها من خلال النصوص المكتوبة بالخط اللاتيني وحده.

إن البحث في هذا الميدان اقتصر إلى حد الآن على المختصين في الدراسات اللغوية الرومنسية والملمين بعض الشيء باللغة العربية، ولذلك أتت الأبحاث متعمقة في الجانب الرومنسي، ومقصرة في الجانب العربي.

فحتى يكون البحث متكاملا أظن أن من الضروري الإلمام باللغتين العربية والإسبانية إلماما كافيا يفهم شتى المعاني والأشكال اللغوية، ويستحسن أن يكون للباحث معرفة باللهجة المغربية الدارجة لأن اللهجة العربية الأندلسية العامية وجدت في المغرب امتدادا لها.

القيمة الوثائقية للمخطوطات الاسبانية
من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر
المتعلقة بالحضارة الأندلسية

الدكتورة تريزا بيريز هيجيرا

أستاذة بجامعة مدريد

أبرزت الأستاذة من خلال مجموعة من الشفافيات قيمة المخطوطات الإسبانية المتعلقة بالحضارة الأندلسية وذلك خلال الفترة الممتدة من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر. فناقشت ضمن عرضها مسألة انتقال بعض الفنون من المشرق إلى إسبانيا المسيحية، وبينت تأثر الفنون المسيحية سواء في الأندلس أو في إسبانيا عموما، خلال القرن العاشر، بالفنون العباسية والساسانية كما يتجلى ذلك في اللباس والعمارة وحياة الأمراء وغيرها.

المخطوطات العربية المنسوخة
في شمال إسبانيا النصرانية

الدكتور بيتر شورد فان كوننكسفيلد

أستاذ في جامعة ليدن ــ هولندة

إن أكثر مجموعات المخطوطات العربية في العالم تحتوي بين ثناياها على عدد من مخطوطات المغرب بعامة والأندلس بخاصة. وبقدر ما تسمح لي معرفتي فإن أية محاولة لم تتم لتسجيل هذه المخطوطات في نظام موحد والنتيجة أننا في الواقع لا نملك أية معرفة موثوقة حول عدد المخطوطات الأندلسية والمغربية الموجودة الآن. ناهيك عن معرفتنا بالتفاصيل حول المخطوطات التي جاءت من مناطق معينة أو فترات تاريخية معينة. ومن هنا فإننا لا نعرف عدد المخطوطات العربية التي ترجع إلى عهود ملوك الطوائف في الأندلس مع أننا على ثقة أن هذا العدد قليل نسبيا. ومثل هذه المعلومات النزيرة يمكن أن تصح على فترات الموحدين والمرابطين مع علمنا أن هناك عددا ليس قليلا يعود تاريخه إلى هاتين الفترتين أو غيرها.

وعلى أية حال فمن الناحية العلمية فإن أهمية الحصول على هذه المعلومات مفيدة جدا لدارس الكيان المادي للمخطوطات الأندلسية والمغربية وبخاصة للببليوغرافي المهتم بتحديد الجوانب المادية للمخطوطة إضافة إلى المؤرخ المعني بتحديد أصل المخطوطة المكاني التي تقع في حدود دراسته، وذلك لأن المخطوطات ليست نصوصا مصدرية فحسب، ولكنها شاهد أيضا على النشاط الثقافي لهذا القطر أو ذاك أو هذا البلد أو ذاك في فترة معينة من التاريخ حيث نسخت هذه المخطوطات وبدأت في الانتقال من مالك إلى آخر.

ولأضرب مثلا : إن المخطوطات الأدبية الأندلسية التي اشتملت على نتاجات

الشرق الشعرية والنثرية لا تشكل أهمية لأولئك المهتمين بدراسة وتحقيق هذا الأدب المشرقي فحسب ولكن أيضا لمعرفة انعكاس التيارات الأدبية في الأندلس. ومن هنا فإن كل مخطوطة إنما هي مرآة تعكس الحياة الثقافية للزمان والمكان الذي نسخت فيه المخطوطة وتداولتها الأيدي.

إن محاولة تنظيم قائمة تسجيلية لكل المخطوطات الأندلسية والمغربية إنما هو عمل جسيم لا يستطيع أن يضطلع به إلا جماعة من العلماء المختصين ومن مناطق عديدة من العالم، فلعل هذه الندوة تستطيع أن تسهم في إحياء الوعي بأهمية مثل هذا المشروع الكبير.

إن إسهامي في هذه المحاضرة إنما هو إسهام متواضع لتوضيح الفائدة العلمية التي يمكن أن يجنيها العلماء من هذه المبادرة العلمية الرائعة. ولذلك سأقصر محاضرتي هذه على منطقة محدودة لم تحظ بعد بالاهتمام من أكثر المهتمين بالمخطوطات العربية بعامة وهي إسبانيا النصرانية وأعني المخطوطات العربية ــ لغة وحرفا ــ التي تعود إلى تلك المناطق من إسبانيا التي كانت واقعة تحت حكم ملوك النصرانية. فإن أغلب هذه المخطوطات كانت قد نسخت في هذه المناطق بالرغم من أن بعضها قد نسخ في الأندلس الإسلامية وانتقلت سريعا إلى شمال إسبانيا النصرانية حيث تمت دراستها والتعليق عليها. إن هذه المناطق التي أشرنا إليها يمكن أن نسميها الجسور الثقافية التي أوصلت الثقافة العربية إلى العالم الغربي في القرون الوسطى.

إن مثل هذه المخطوطات نادرة نسبيا وهي حسب علمي لا توجد إلا في الخزائن الأوروبية وهي هنا تشكل تراثا لثلاث أقليات دينية عاشت في إسبانيا النصرانية من نهاية القرن الحادي عشر حتى بداية القرن السابع عشر وحافظت على اللغة العربية في كتبها. وأعني :

1 ــ المُستعربين النصارى، وهم أحفاد النصارى المستعربين الأندلسيين.

2 ــ الجماعات الإسلامية التي تسمى بالمدجّنين، وهم المسلمون الذين عاشوا تحت الحكم الإسباني النصراني بعد انحصار الحكم الإسلامي.

3 ــ الجماعات اليهودية التي كانت تتشكل من جماعات يهودية كانت تحت الحكم الاسباني النصراني، وأخرى هاجرت من الأندلس الإسلامية إلى الشمال.

من هنا فإنني أرى أن هذه المخطوطات تعكس الحضارة العربية لكل من هذه الأقليات الدينية، إضافة إلى أن دراسة هذه المخطوطات دراسة مقارنة يمكن أن تلقي المزيد من الضوء على معرفتنا حول الجوانب الباليوغرافية التي كانت تستخدم في صناعة هذه المخطوطات، وعندها يمكننا أن نميز بل ونتعرف على بعض المخطوطات التي لا نعرف مصدرها المكاني أو الزماني فنرجعها إلى اسبانيا النصرانية.

لقد وزعت عليكم قائمة تحتوي على 37 مخطوطة عربية من اسبانيا النصرانية، واعتمدت في تسجيل غالبها على دراستي الشخصية لها. أما الباقي فقد اعتمدت في تسجيلها على بعض الفهارس المنشورة.

وإن جزءا مهما من هذه المجموعة محفوظ في المكتبة الوطنية بمدريد إلا أنني أضفت إليها عددا من المخطوطات المحفوظة في لايدن وباريس وطليطلة وليون والإسكوريال وروما ومكتبة الأكاديمية الملكية التاريخية في مدريد ومونيخ (في ألمانيا الغربية).

والآن اسمحوا لي أن أعلق ولو بصورة مختصرة على كل مجموعة من هذه القائمة الموجودة بين أيديكم، فأولها مجموعة المخطوطات العربية للمستعربين النصارى في شمال إسبانيا. وتحتوي على ست مخطوطات وهي مخطوطات نادرة جدا بالمقارنة بالمجموعتين التاليتين، والسبب في ندرة هذه المخطوطات يقع في أن هؤلاء النصارى المستعربين على الضد من الجماعات الإسلامية واليهودية في شمال إسبانيا فقد تأقلموا سريعا مع المجتمع النصراني الإسباني ففقدوا اللغة العربية وتبنوا اللغة اللاتينية في كتاباتهم. فإننا نجد في الأرشيف التاريخي الوطني في مدريد مجموعة من الوثائق العربية التي تتعلق بالبيع والشراء وما إلى ذلك ترجع إلى بداية القرن الرابع عشر وتعود إلى مستعربي طليطلة ومع هذا فإن اللغة العربية كلغة علمية وأدبية قد فقدت أهميتها عند المستعربين منذ نهاية القرن الثاني عشر.

إن أهم مخطوطة مذكورة في القائمة هي معجم لاتيني عربي يعود إلى القرن الثاني عشر في طليطلة، كان القصد الأول من تأليفه هو دراسة اللغة اللاتينية من هؤلاء الذين كانوا يحسنون اللغة العربية أكثر من إحسانهم اللاتينية. ففي المخطوطات المرقمة 3 و4 و5 فإننا نملك نصا لاتينيا حيث تظهر اللغة العربية على حواشي النص اللاتيني، وهذه المخطوطات كلها تعكس الاتجاه الديني الكاثوليكي لهذه الأقلية.

إن معظم هذه المخطوطات قد كتبت على الرق الذي صنع على الطريقة الأوروبية في صناعة الرق، والتي تختلف عن الصناعة الأندلسية لأن هذه الرقوق ثخينة الجرم أولا، وأن الكراسات فيها تتكون في الأغلب من ثمان ورقات وفقا للنظام اللاتيني الأوروبي ثانيا. ويستثنى من ذلك المخطوطتان رقم واحد واثنين اللتان تتكونان من اثنتي عشرة ورقة منها عشر ورقات من الكاغد والاثنتان من الرق. ويمكن ملاحظة هذا النظام في بعض المخطوطات الأندلسية الإسلامية من القرن الثاني عشر والثالث عشر إلا أن الرق فيها رقيق لطيف الصنع.

وعلى العكس من المخطوطات التي جاءت من الجماعات اليهودية والإسلامية من شمال إسبانيا فإننا لا نعرف على وجه الدقة والتحقيق أية مخطوطات تعود إلى المستعربين في شمال إسبانيا مكتوبة بكاملها على كاغد. ومن هنا فإنني أرى أن المخطوطات العربية النصرانية المكتوبة بالخط الأندلسي وعلى الكاغد إنما جاءت في الواقع من تلك الجماعات النصرانية التي كانت تحت الحكم الإسلامي في الأندلس. ولعل تاريخ هوروشيوش المحفوظ في واشنطن والذي نشره عبد الرحمن بدوي في بيروت يوضح هذا النظام. ومن هنا فإننا نستطيع أن نفترض على وجه قريب من التحقيق أن المخطوط رقم 6 في القائمة والمحفوظة في الإسكوريال برقم 1623 وهي نسخة من كتاب القانون المقدس، قد كتبت في شمال إسبانيا النصرانية لأن هذه المخطوطة التي لا نعرف مصدرها قد كتبت على رق سميك خشن وعلى شكل كراسات احتوت كل منها على ثماني ورقات إضافة إلى أنها تحتوي على فصول طويلة كتبت باللاتينية.

1) مخطوطات مسلمي شمال إسبانيا العربية :

إن هذه المجموعة من المخطوطات تظهر لنا صورة مختلفة تماما، إذ هي تحتوي عموما على كتب مدرسية تعنى بدراسة اللغة العربية والدين الإسلامي على مستوى ابتدائي حيث نجد في ضمنها القرآن الكريم والقواميس البدائية وكتب النحو وبعض النصوص البسيطة حول العقيدة الإسلامية والفقه المالكي.

والغريب في هذه المجموعة أن بعضها قد نسخ في القرى وبعض المدن الصغيرة الواقعة في المناطق الريفية، بل إن بعضها قد قام بنسخها واعظ القرية أو خطيبها أو أحد طلبة الفقه.

إن هذه المجموعة تعكس لنا الحقيقة التاريخية في أن الجماعات الإسلامية في

شمال إسبانيا منذ القرن الثاني عشر، وحتى السابع عشر، قد انعزلت عن بقية العالم الإسلامي وبخاصة عن جنوب الأندلس، ومع هذا فإن هذه الجماعات قد نجحت في المحافظة على الأسس الضرورية المتاحة في الثقافة الإسلامية، والتي استمر نقلها من جيل إلى جيل، ويستثنى من ذلك المخطوطة رقم أحد عشر التي نسخت في مدينة برشلونة في سنة 562هـ وهي تحتوي على مجموعة من رسائل ابن زهر الطبية. ومع هذا فإن الناسخ في هذه المخطوطة لم يكن مسلما ساكنا في شمال إسبانيا على أكثر الاحتمال، بل كان أسيرا وقع مؤقتا في الأسر بمدينة برشلونة. ويمكن ملاحظة ذلك مما كتبه هذا الناسخ في نهاية المخطوطة حيث قال :

«تم الكتاب والحمد لله حق حمده والصلاة على جميع أنبيائه وسلم ببرجلونه على يدي فرج بن عمار منسلخ شهر صفر عام اثنين وستين وخمس مائة فك أسره ورحم من قال آمين حين يقرأه بعزته وقدرته».

إن كل هذه المخطوطات العربية قد كتبت على الكاغد ولعل أعجب ما فيها يكمن في طريقة تاريخها إذ أن الناسخ ذكر اسم الشهر طبقا للتاريخ النصراني بينما ذكر السنة تبعا للتاريخ الهجري، وهذا يسري على أكثريتها حيث اتبع النساخ في بعضها النظام الإسلامي المعروف. إلا أن بعضها الآخر اتبع النساخ فيها نظاما مزدوجا في ذكر الشهر كما يظهر في مخطوطة رقم 1 حيث ذكر الناسخ تاريخ النسخ فقال : في أربعة وعشرين شوال الموافق لـ 6 فبريره سنة 747هـ. إن مثل هذا الجمع بين المبادىء التاريخية الإسلامية والنصرانية غير معروف عندي في المخطوطات الأندلسية. ولهذا فإننا يمكن أن نفترض أن مثل هذا النظام الخاص في تاريخ المخطوطات لابد أن يكون مصدره إسبانيا النصرانية، ومن هنا فإنني أرى أن المخطوط رقم ستة عشر وهي نسخة من كتاب منهاج العابدين للغزالي مؤرخه في الثلاثين من شهر يناير سنة خمسين وتسع مائة هجرية يعود أصلها إلى إسبانيا النصرانية مع أن إسم مكان النسخ لم يذكر في المخطوطة.

2) المخطوطات العربية العائدة إلى الجماعات اليهودية في شمال إسبانيا وهي مذكورة في الفصل الثالث من القائمة :

إن هذه المجموعة من المخطوطات تعكس لنا الحقيقة التاريخية في أن يهود شمال إسبانيا كانوا أهم جماعة ورثت العلم العربي وبالخصوص في مجال الطب والفلسفة وسائر علوم الأوائل باللغة العربية. فإن بعض النصوص العربية الطبية المهمة مثل

كتب ابن سينا والزهراوي وإن بكلارش الإسرائيلي وديوسفوريدس وأمثالهم كانت معروفة لديهم حيث عكفوا على دراستها والتعليق عليها. فحتى مطلع القرن الرابع عشر فإننا نرى سموايل بن وقّار الذي كان طبيب الملك الفونسو الحادي عشر قد كتب كتابه كتاب الطب القشتلي الملوكي في اللغة العربية (أنظر مخطوط رقم 14).

وعلى العكس من المخطوطات الإسلامية من شمال إسبانيا فإن مخطوطات يهود شمال إسبانيا كانت قد نسخت عموما في المدن الكبيرة مثل طليطلة وبرشلونة وقرطبة وما إلى ذلك. إضافة إلى ذلك فإن هذه المخطوطات كانت ملكا لعدد كبير من العلماء اليهود المشهورين. ولعل أغرب ما في هذه المخطوطات أن نساخها كانوا من المسلمين الذين نسخوها بناء على طلب من هؤلاء اليهود، بل إن بعضها قد نسخ في الأندلس الإسلامية ونقلت بعد ذلك في فترة قريبة إلى إسبانيا النصرانية مثل مخطوطة رقم 2 التي نسخت في مدينة ألمرية، نسخها محمد بن عبد الملك بن طريف، ودخلت في القرن الثالث عشر في ملك أحد العلماء اليهود بمدينة طليطلة إلا أن غالب النساخ كان من المسلمين الذين كانوا يعيشون في شمال إسبانيا النصرانية مما يظهر في المخطوطات رقم 6 و7 و9 و12 التي نسخها نساخ مسلمون في طليطلة لوزراء يهود كانوا في خدمة ملوك إسبانيا النصرانية.

إن أغلب هؤلاء النساخ المسلمين قد أرخوا مخطوطاتهم على نظام مزدوج طبقا للنظام الإسلامي وللنظام الإسباني القديم المسمى بتاريخ الصفر الذي يبدأ بسنة 38 قبل المسيح. ومع هذا فإننا نجد النساخ اليهود لا يؤرخون مخطوطاتهم بالتاريخ الهجري ولكن بتاريخ الصفر فقط مثل المخطوطة رقم 11 و13 حيث ذكر هذا التاريخ باسم تاريخ الروم.

ولو ألقينا نظرة فاحصة على أكثرية هذه المخطوطات لظهر لنا جليا أن أكثرها كان قد نسخها نساخ مسلمون عاشوا إما في الأندلس الإسلامية أو شمال إسبانيا النصرانية.

الظاهر أن اللغة العربية كانت بالنسبة لعلماء اليهود لغة العلم دون أن تكون لغة التخاطب اليومي فهم قد علقوا على هذه المخطوطات باللغة العبرية أو اللغة اللاتينية أو حتى باللغة العربية بالحروف العبرية.

النتيجــة :

إن المخطوطات العربية المكتوبة بالخط الأندلسي لم يكن مصدرها الأندلس فحسب كما يعتقد، لأن عددا محدودا منها كانت إسبانيا النصرانية مصدرا لها وهذه الأعداد المحدودة تظهر بجلاء بعض المظاهر التقنية التي امتازت بها عن المخطوطات الأندلسية. ولو استعنا بدراسة بعض هذه المظاهر فإنه يمكننا أن نميز بين المخطوطات العربية التي جاءت من الأندلس أو من إسبانيا النصرانية. ولعل أهم هذه المظاهر يكمن في النظام الذي نراه في أساليب التاريخ المتبع في هذه المخطوطات.

إن المخطوطات النصرانية تظهر لنا أن هذه الأقلية المستعربة سرعان ما تأقلمت مع الحضارة النصرانية اللاتينية في إسبانيا. أما المخطوطات الإسلامية فإنها تظهر لنا أن الثقافة الإسلامية ذات المستوى البسيط قد تركزت في الأرياف وأنها قد شملت جماعات تقليدية لم تستطع أن تنتج أعمالا جديدة لغياب العلماء منها.

أما المخطوطات اليهودية فإنها تمثل التقاليد العلمية التي كانت سائدة في الأندلس والعالم العربي وهي بذلك تؤكد الدور التاريخي الذي لعبه اليهود الإسبان بكونهم متعاونين مع العلماء الأوروبيين الذين ترجموا العلوم العربية إلى اللاتينية في القرون الوسطى في شمال إسبانيا.

إن هذه المخطوطات التي نسخ أكثرها نساخ مسلمون صارت من المصادر المهمة التي استقينا منها كثيرا من المعلومات حول حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية وبالأخص فيما يتعلق بدور أولئك الذين تعاونوا مع العلماء الأوروبيين الذين لم يكونوا يعرفون العربية وإنما استعانوا بالمترجمين اليهود فأهملوا ذكر أسماء هؤلاء في الترجمات اللاتينية عامة، بل إننا نرى في حالات أخر أن أسماء مؤلفي بعض مؤلفات من المسلمين تنسب إلى غير مؤلفيها في الترجمات اللاتينية.

TABLE I — Arabic manuscripts originating from among Mozarab Christians in Northern Spain
(Cf. P. Sj. van Koningsveld, The Latin-Arabic Glossary of the Leiden University Library)

	SIGN	CONTENTS	PLACE OF ORIGIN/COPYING	COPYIST/POSSESSORS	DATING
1	Leiden Or. 231	LATIN-ARABIC GLOSSARY	Toledo (Cop.)	Copied by order of Cypriano ibn Isâ ibn Abî Hajjâj, who died in 1157	Ca. 1150 J.C.
2	Paris, 3.N. Nouv. Acq. Lat. 1296	LATIN-LATIN DICTIONARY WITH MARGINAL ARABIC GLOSSES	Silos (origin ?)	—	Ca. 1100 J.C
3	Toledo 99.30	LATIN GRAMMAR WITH MARGINAL AND INRERELINEAR GLOSSES AND TRANSLATIONS	Toledo (Cop.)	—	Ca. 1150 J.C.
4	Toledo 11.4	GREGORIUS, MORALIA IN IOB WITH NUMEROUS ARABIC GLOSSES	Toledo (origin ?)	—	Ca. 1150 J.C.
5	Leon, San Isidoro MS nr. 2	LATIN BIBLE WITH NUMEROUS ARABIC ANNOTATIONS	?	—	12th Century
6	Escorial ar 1623	AL-QANUN AL-MUQADDAS (ARABIC AND LATIN)	—	—	Copied from a MS dated «16 Uktûbar 1087 ERA» (= 1049 J.C.)

TABLE II — Arabic manuscripts originating from among Muslims in Christian Spain

	SIGN	CONTENTS	PLACE OF ORIGIN/COPYING	COPYIST	DATING
1	Bnm 5	ZUBAYDÎ, MUKHTASAR AL-ᶜAYN	Cervera (Catalonia)	Ahmad b. ᶜAbd al-Rahmân b. Sâlim b. Muh. Al-ᶜÂmilî.	«24 Shawwâl = 6 Fabrîruh 747 H» (1346 J.C.)
2	Bnm 6	JÂBIR AL-MARIYYU, SHARH ALFIYYAT IBN MÂLIK	Paterna (prov. of Valencia, Almeria, Cádiz ?)	Mûsâ b. Ibr. Al-Qurashî Al-Araghûnî Al-Shabînânî Al-Jamjamî	«Dhû l-Hijja 906 H» (1501) «25 Safar 907 H» (1501)
3	Bnm 36	IBN ABÎ ZAYD, AL-RISÂLA	Calatazzalab	Muh. b. ᶜAlî Al-Arkham	«Xetember 841 H» (1437)
4	Bnm 44	ABÛ BAKR IBN AL-ᶜARABÎ, AL-TAQRÎB WA-T-TABYÎN FÎ SHARH AL-TALQÎN	Paterna (Cf. ms no. 2)	Mûsâ Al-Jamjamî (= copyist of Ms nr. 2)	«11 Yûniyuh 920 H» (1514)
5	Bnm 60	MAJMÛᶜAH OF THELOGICAL AND JURIDICAL TEXTS	Terrería (= Terrer in the prov. of huesca ? Cf. Lapeyre s.v.)	Muh. b. Muh. Al-Murâbitî Al-Abdarî Al-Ansârî, «from among the Muslim community of Terrería».	«20 Mayuh 875 H» (1471) «9 Fabrîruh 881 H» (1477) «10 Abrîl 883 H» (1478)
6	Bnm 82	QUR'ÂN	Letosa (prov. of Huesca)	Yahyâ b Ghâlib, «servant of the Mosque of Letosa»	«On a Wednesday of the second decade of Shaᶜbân = 22 Yûniuh 824» (1491)
7	Bnm 85	ZAJJÂJÎ, AL-JUMAL FÎ 'N-NAHW	Cervera (?), Cf. Ms Nr. 1.	Salâma b. Yûsuf b. Salâma Al-Munchab (?)	«Yûniuh 824 H» (1421)
8	Bnm 86	GHAZZÂLÎ, AL-ARBAᶜÎN FÎ USÛL AL-DÎN	Monastir (near Huesca)	Coproduction of two «faqîh's»: Muh. b. ᶜUmayra b. Ibr. Serrano, and : ᶜAlî b. Lubb b. Abî Rabîᶜa Al-Murâdî	«22 Mârs 924 H» (1518)

	SIGN	CONTENTS	PLACE OF ORIGIN/COPYING	COPYIST	DATING
9	Bnm 114	AL-FAKHKHÂR, SHARH RISÂLAT IBN ABÎ ZAYD	Torrellas (prov. of Zaragoza)	—	«19 Mayo 889» (1484)
10	Bnm 560	AL-MAKHBÛNI, AL-TANBÎHÂT WA-'L FAWÂ'ID (MÂLIKÎ FIQH)	Saltis (prov. Sevilla-Huelva)	Sa^cd b. Muh. b. Sa^cd, khatîb of the Mosque of Saltis	Second decade of Rabî^c II 913» (1507)
11	Paris Bn Ar 2960	IBN ZUHR, OPERA (MEDICINS)	Barcelona	Faraj ibn ^cAmmâr : «تم الكتاب (...) ببرجلونة على يدي فرج بن عمّار، منسلخ شهر صفر عام 562 فكّ أسره ورُحِم من قال : أمين حين يقرأه بعزته وقدرته».	«End of Safar 562 H»
12	Munchen Or. 28	QUR'ÂN	Bellûs (distr. of Játiva, prov. of Valencia) «في : بلوش من طاعة شاطبة وملك بلنسية»	—	«924 H» (= 1518)
13	Brah 31	ANON, TA'YÎD AL-MILLA (DEFENDING ISLAM AGAINST JUDAISM)	Huesca	—	Ca. 1350 J.C.
14	Rome, Vatican Library	MAJMÛ^cA OF AL-^cAQÎDA Al-QURTUBIYYA AND OTHER RELIGIOUS TEXTS	Petrona (?), near Valencia (Ms :بطرنه)	Abû ^cImrân Mûsâ b. Mûsâ Al-Ash^carî Al-Arandaqî (from Arándiga near Calatayud in Aragon)	«5 Mayo 925» (1519)
15	Rome, Borg. Ar. 127	IBN ^cABD AL BARR, AL-KÂFÎ FI L-FIQH AL-MÂLIKÎ	Tarrazona	Abû l-khalîl Ibn. Al-Qalbî, khatîb of the Great Mosque of Tarrazona	«1-10 Xetember 849 H» (1445 J.C.)
16	Bnm 58	GHAZZÂLÎ, MINHÂJ AL-^cÂBIDÎN	?	?	«30 Yaneiro 950»
17	Al-Zâwiya al-hamziyya, Morocco	AL-GHAZZÂLÎ, K. MI^cYÂR AL-^cILM	Sinhâjat Saraqusta	Muh. b. Muh. Al-Qurashî, al-ma^crûf bi-**Kalabâra**, cop. the book for himself.	«Monday 25 Aghusht, falling within the middle decade of Dhû 'l-Qa^cda 899».

TABLE III — Arabic manuscripts originating from among Jews in Christian Spain (for identification of possessors cf baer, historia de los Judios en la Espana cristiana and encycl. Judaica

	SIGN	CONTENTS	PLACE OF ORIGIN/COP.	COPYIST/POSSESSORS	DATING
1	Bnm 127	IBN BIKLÂRISH AL-ISRA'ÎLÎ, AL-MUSTAᶜÎNÎ	? (Cop.) Barcelona (Poss.) Toledo (cathedral)	Yahûdah ibn Yaqar, teacher of Nahmanides, fl 1225 J.C. (Poss)	12 th century
	—	SAME WORK, MS LOST BUT MENTIONED IN COLOPHON OF NAPOLI MS ; CF. RENAUD, 139.	Cordoba (Conquered by Ferdinand III in 1236)	—	«17 Rabîᶜ II 663 = 5 Febr. 1303 Era» (1265)
2	Bnm 125	DIOSCURIDES, MATERIA MEDICA	Almeria (Cop.) Toledo (Poss.) Toledo (Cathedral)	Muh. b. ᶜAbd al-Malik b. Tarîf (cop.) Poss : (1) Rabbi Pinehas ; (2) Ibr. B. Ishâq Ben Shûshân : 1182 J.C. (3) Mayer, brother of nr. (2). Fam. of Ben Shûshân : Cf, Baer and Enc. Jud. s.v.	Cop. undated ; Note of Ibr. Shûshân dated : «Jan. 1220 Era» (1182 JC)
3	Vat. Ar. 5, Rome	PSALTERIUM MOZARABICUM (WITH INTERLINEAR HEBREW TEXT IN SEPHARDIC SCRIPT)	? (Cop.) Toledo (Poss.)	Poss : Mayer b. Rabbi Ishâq Ben Shûshân (= Poss. nr. 3 of Ms 2, treasurer of King Alfonso X (1252-1284).	12 th century
4	Bnm 129	MAJÛSÎ, KÂMIL AL-SINÂNA.	? (Cop.) Toledo (Poss.) Toledo (Cathedral)	Copyist unknown ; Poss : (1) Ibr. b. Yûsuf Al-Kharrâd ; (2) Mayer b.r. Ishâq Ben Shûshân (poss. of Mss 2 and 3)	12 th century

	SIGN	CONTENTS	PLACE OF ORIGIN/COP.	COPYIST/POSSESSORS	DATING
5	Bnm 130	GALENUS, VARIA OPERA	? (Cop.) Aragon (Poss.) Toledo (Cathedral)	Copyist unknown ; Possessors : (1) Muh. b. Ahmed b. Idrîs, poss. the Ms in «Jumâdâ I 74 (=674 H) ; (2) ᶜAzir Ben Ardût, fl. 1350, or. from Huesca, court doctor of Pedro IV of Aragon (Baer 325).	13 th century
6	Bnm 126	ZAHRÂWÎ, AL TASRÎF LIMAN ᶜAJIZA ᶜAN AL-TA'LÎF	Toledo (Cop.) Toledo (Poss.) Toledo (Cathedral)	Copyist : Yûsuf b. Muh. Al-Tanyûkhî Al-Lawshî who copied by order of the Jewish wazîr in Toledo : Abû 'l-Hajjâj Yûsuf Ben Nehemyâsh.	«First decade of may 1265 Era» (1227)
	Other volumes of this bulky Ms, copied by the same scribe and by order of the same wazîr, can be found in Bnm 552, 553 and 554. They have been dated in the same way.				
7	Escorial Ar 807	RÂZÎ, AL-HÂWÎ	Toledo (Cop.) Toledo (Poss.)	Same copyist as nr. 6 who worked for the same wazîr.	Dated «22 March 1264 Era= 21 Rabîᶜ I 623 H» 1226)
8	Escorial Ar 816	RÂZÎ, AL-HÂWÎ	Toledo (Cop.)	Copied by ᶜÎsâ ibn Abî Bakr ibn ᶜÎsâ Al-Qaysî Anon. Possessor added Hebrew annotations.	«Last decade of Rabîᶜ I 626 H» (1229)
9	Escorial Ar 806	RÂZÎ, AL-HÂWÎ	Toledo (Cop.) Toledo (Poss.)	Copyist unknown. Cop. by order of Abû Sul. Ben Nehemyâsh Al-Israîlî, wazîr in Toledo, relative of wazîr ment. in Mss 6 and 7.	Dated 12 Muharram 610 (1213 JC)

	SIGN	CONTENTS	PLACE OF ORIGIN/COP.	COPYIST/POSSESSORS	DATING
10	Bnm 132	IBN SINA, AL-KULLIYÂT FÎ L-TIBB	? (Cop.) Toledo (Poss.) Toledo (Cathedral)	Copyist : Muh. b. Muh. b. Ahmad b. ᶜAbd al-Malik b. Hâsir. Owned by Ibn Shûshân, Ibr. B. Mayer (Cf. Ms 2, 3, 4.)	Rabîᶜ I 633 H (1235 JC)
11	Escorial Ar 870	MAJMÛᶜA OF TREATISES OF IBN RUSHD AND OTHERS (PHILOSOPHY AND MEDICINS)	Guadalajara (Cop.) Cuadalajara (Poss.)	Copied by Yishâq b. Abû Hârûn Ibn Waqqâr for his son (on the family of Ben Waqqâr cf. Steinschneider, A rabische Lit. 165).	Dated «1463 Era» (1425)
12	Escorial Ar 833	VARIOUS MEDICAL TREATISES	Toledo (Cop.) (With glosses in Hebrew)	Cop. by ᶜAbd al-Kabîr b. ᶜAbd al-Haqq b. ᶜAbd al-Kabîr Al-Ghâfiqî	Dated «1302 Era = 1265 Jc = 633 H»
13	Bnm 501	SAMUEL IBN WAQQÂR, KITÂB AL-TIBB AL-QASHTALLÎ AL-MULÛKÎ (THE AUTHOR WAS COURT-DOCTOR OF KING ALFONSO XI ; CF DERENBOURG, NOTES, 611)	Toledo (Cop.)	?	Dated «1414 li-Ta'rîkh âr-Rûm» (1376 JC)
14	Escorial Ar 913	ᶜALI IBN RIDWÂN, COMMENTARY ON PTOLEMAEUS' QUADRIPARTITUM	?	Partly in Hebrew characters	«First decade of Yûniuh 1382 Era = Second decade of Safar 745» (1344)
15	Escorial Ar 915	PTOLEMAEUS, KITÂB AL-MAJISTÎ	?	?	«4 Xetember 1314 Era» (1276 JC).

SOME BIBLIOGRAPHICAL REFERENCES :

AUMER, J : Die arabischen Handschriften der Königlichen Hof- und Staatsbibliothek in München. München 1866.

BAER, Y : Historia de los Judíos en la España cristiana. Madrid 1981 (traducida por José Luis Lacave).

DERENBOURG, H : Notes critiques sur les manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Madrid. «Homenaje à Don Francisco Codera». Zaragoza 1904, 571-618.

ENCYCLOPAEDIA JUDAICA

GIL, J.S. : La escuela de traductores de Toledo y sus colaboradores judíos. Toledo 1985.

KONINGSVELD, P.S. VAN : The Latin-Arabic Glossary of the Leiden University Library. A contribution to the study of Mozarabic manuscripts and literature. Leiden 1977.

LEVI DELLA VIDA, G : Manoscritti arabi di origine spagnola nella Biblioteca Vaticana.

RENAUD, H.P.J : Trois études d'histoire de la médecine arabe en Occident. «Hespéris» 10 (1933).

ROMENO, D : Judíos escribanos y trujumanes de árabe en la Corona de Aragon (reinados de Jaime I a Jaime II). «Sefarad» 38 (1978), 71-105.

STEINSCHNEIDER, M : Die arabische Literatur der Juden.

GUILLEN ROBLES, F : Catalogo de los manuscritos árabes de la Biblioteca Nacional de Madrid. Madrid 1889.

LAPEYRE, H : Geographie de l'Espagne Morisque.

AL-MANNŪNĪ, M : Maktabat al-zâwiya al-ḥamziyya. Safha min ta'rîkhihâ. «Majallat Titwân» nr. 8, 97-177.

المخطوطات العربية في فرنسا
خلال القرن السادس عشر

الأستاذة جوزي بالانيا

مديرة مكتبة معهد العالم العربي — باريس

يوضح العرض الاهتمام الذي أولاه ملوك فرنسا، خلال عصر النهضة، لجمع المخطوطات العربية، وذلك إلى حد أن فرانسوا الأول قام بإرسال سفارات وبعثات من أجل شراء مخطوطات عربية من تركيا، وقد تجمع لملوك فرنسا عدد مهم من المخطوطات العربية مثل رسائل إخوان الصفا ومخطوطات القرآن الكريم وغيرها.

كما طرح البحث عدة أسئلة من بينها : هل عملية الاحتفاظ بالمخطوطات العربية من طرف الفرنسيين في القرن السادس عشر تدخل ضمن حبهم للعلم ؟ وهل كان بفرنسا آنذاك علماء لهم قدرة على دراسة تلك المخطوطات ؟

وأشارت الباحثة في نهاية عرضها إلى أن الجواب عن مثل هذه الأسئلة يوجد ضمن مؤلف ستصدره خلال السنة القادمة.

الوثائق التاريخية المغربية

الدكتور جرمان عياش
أستاذ بكلية الآداب ــ الرباط

إنني أعتقد أن استعراض التراث يبقى ناقصا لو تغافلنا في المناسبة الراهنة عن جزء مهم منه يعرض لنا لا في شكل كتب وضعت لغاية أدبية أو علمية وإنما في شكل كتابات منفصلة، نشأت لقضاء أغراض الحياة اليومية سواء في العلاقات بين الأفراد أو في إدارة مختلف المؤسسات الاجتماعية أو السياسية للدولة. أعني بها أولا جميع هذه العقود والرسوم والشهادات التي سماها الفقهاء «وثائق»، منها عقود البيع أو النكاح مثلا أو رسوم الملكية. وأعني بها كذلك هذه المجموعة التي لا يحصى عددها من الكتابات التي لابد منها لتنشيط دواليب الدولة والتي يطلق عليها إسم «وثائق» كذلك. بل اعتبارا لما أعاره الفقهاء من العناية لعلم التوثيق أي للنوع الأول من الوثائق وددت لو أثرت الاهتمام إلى وثائق الدولة لما عانته من الإهمال مع أنها أغنى مصادر التاريخ وأوثقها.

وتتمثل أساسا هذه الوثائق في الرسائل التي يتبادلها السلطان يوميا مع جميع مساعديه وخدامه من الخلفاء والعمال والأمناء ونظار الأحباس، وكذلك الظهائر التي كانت تتلى أمام الملأ لنشر الأخبار الوطنية، كما تتمثل فيما يسجل في المراسي ولدى أمناء المستندات وأمناء الجباية من الحسابات في الكنانيش الخاصة بذلك. فلو قسنا كمية الكاغد المستهلك لسد حاجيات الدولة لهذه الكتابات المتنوعة لوجدناها أضخم أضعافا مضاعفة من التي تستعمل لوضع الكتب المخطوطة أو نسخها.

لا يعني ذلك طبعا أنه لم يحملني على الحديث عن تلك الوثائق إلا حجم الكاغد المستهلك لكتابتها. لكن الكم يدخل أيضا في الحساب إن اقترن بالقيمة. فما هي

إذن قيمة هذه الوثائق ؟ هذا ما أتحرى تبيينه تبريرا لما استنتجته من ضرورة العناية بها. هذا هو الموضوع الذي سأركز عليه مستغنيا عن ذكر أماكن الوثائق الموجودة بالمغرب ووصفها لأنني خصصت لذلك منشورات وافية فيها الكفاية.

على أنه وقبل ذلك، سأتقدم بملاحظة : قد سبق لي أن قلت إن غاية الوثائق المذكورة ليست لا علمية، ولا أدبية بخلاف غيرها من الكتب المخطوطة. هل يستنتج من ذلك أنها تخلو من أي طابع علمي أو أدبي ؟ لا أذهب إلى هذا الرأي في شيء. كان الفقهاء يعدون التوثيق علما من العلوم، إذ يشترطون في الموثق مستوى عاليا من الثقافة حتى يستوعب دقائق الأمور التي تعرض له، فيعبر عنها دون تحويل ولا تحريف، دون زيادة ولا نقص، وبالألفاظ التي تناسب المعاني أدق المناسبة. فاعتمادا على الوثائق المخزنية المغربية وخصوصا منها الرسائل الصادرة من ديوان السلطان، يتجلى لنا أن البناثق كما هو اسمهم، يمتازون بجميع الخصائص التي تتوفر في العالم الأديب، إذ أنهم مضطرون بحكم وظيفتهم إلى تقديم عروض عن كل ما شاء الله أن يقع في البلاد من خطوب ونوازل فيقومون بمهمتهم قياما يثير الإعجاب لما فيه من ترتيب منطقي للأشياء والأفكار، ومن أسلوب مجرد من كل زخرف، عديم الالتباس دون زيادة ولا نقص. بحيث تشكل هذه الوثائق نموذجا للأدب العلمي إن صح هذا التعبير.

أما أدب الأدباء فلا يغيب هو الآخر عن بعض تلك الوثائق. وأخص منها على سبيل المثال تلك الرسائل العديدة التي كان مولاي عبد الرحمن بن هشام يمليها شخصيا مخاطبا فيها عماله وتلك التي كان يوجهها يوميا تقريبا إلى سيدي محمد ولي عهده. نعم كان هدف تلك الرسائل هدفا إداريا أو سياسيا لكنها تفيض في الوقت نفسه بعواطف السلطان وتأملاته وتوصياته وأحكامه في الزمان وأهله، أي أنها تفيض بشخصية رجل مغربي عاش في القرن التاسع عشر بحيث كانت ردود فعله إزاء تطور البلاد انعكاسا للعقلية المغربية آنذاك وإن كان ذلك الرجل سلطانا. إنه يحق علينا أن نعترف بما في ذلك من الأدب السليم الخالص، إذ من وظائف الأدب الأساسية أن يخلد عقلية الأجيال ؟ بل تنبهنا هذه الرسائل إلى صلة الوصل التي تربط الأدب بالتاريخ. كما تذكرنا برأي بن فرحون في «التبصرة» كما نقله الأستاذ عمر الجيدي تأريخه للمذهب المالكي، قال ابن فرحون : «إن الوثائق تمكن من الاطلاع على أسرار المسلمين وأحوالهم ومجالسة الملوك والاطلاع على

أمورهم وعليائهم وبغير هذه الصناعة لا ينال أحد ذلك»[1].

ما أحسن قول ابن فرحون هذا إذ يرجع بنا إلى صلب الموضوع لأنه يلخص في جملة واحدة ما ينبغي أن يقال عن الوثائق المغربية بالذات : أي أنها مصدر لتاريخ البلاد، بل لا تاريخ يستحق هذا الإسم إلا بالاعتماد على هذا المصدر.

قد يتعجب البعض مما عسى أن يكون في هذا الحكم من الشك إن لم نقل من التنكر لقيمة المؤلفات التاريخية التي صنفها بعض الكتاب المشهورين كالضعيف الرباطي، أو أحمد الناصري وغيرهما من الذين عرضوا لنا أخبار المغرب مقتصرين إما على أقوال من سبقوهم من رواة الأخبار، وإما على ما عاينوه أو سمعوه من بعض معاصيرهم دون أن يشعروا بضرورة التحقيق أو التكملة على أساس الوثائق المخزنية منها أو الغير المخزنية. على أنه والحق يقال، لا يجوز أن نقتنع بما جاء به هؤلاء الكتاب المحترمون. فلنقتصر مثلا على ما رواه أحمد الناصري عن الأيام التي عاشها هو وعاينها. حقا لقد سجل بدقة الحركات التي قام بها مولاي الحسن والسنوات الصعبة ووفيات أشهر العلماء. أما ماعدا ذلك من الأمور التي لا تخرق العادة ولا يستلفت نظر مطلق الناس ففاتته، مع أن هذه الأمور هي النسيج الحقيقي لحياة أي شعب كان. لم ينتبه مثلا أحمد الناصري إلى حدث ذي خطر كان من شأنه أن يهمه كعالم أشد الاهتمام، والذي يكمن في ظهور المطبعة كوسيلة جديدة في المغرب، قدر عليها أن توقف مصير الكتاب المخطوط ببلاده. حيث أن ظروف إنشاء المطبعة الأولى في المغرب وحتى تاريخها ظل مجهولا مدة تنيف على قرن إلى أن انكب اليوم عبد ربه من جهة والفقيه المنوني من جهة أخرى على وثائق الوزير بليمني الذي كان قد أشرف وقتئذ على تأسيس المطبعة المذكورة.

كما أن أحمد الناصري لم ينتبه إلى بعض عواقب الحرب التي شنها الإسبانيون على المغرب سنة 1860 مع ما كان لهذه العواقب من الدور الحاسم في تفكيك المجتمع المغربي فتحطيم دولته. أذكر منها مثلا هذا التحويل الذي اضطر المخزن إلى إنجازه في نظام الجباية. ذلك أن الزكاة والأعشار كانت من قبل تقدر حسب قدر محصول السنة كما تقضي به الشريعة الإسلامية مما يضمن الاحتفاظ بوسائل الإنتاج وسلامة الفلاح المنتج وإن كانت السنة سنة قحط. أما بعد الحرب المذكورة ونتيجة

(1) «تبصرة الأحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام».

للعجز المالي الذي خلقته الدعيرة الباهضة المفروضة على المغرب من طرف الغزاة الإسبانيين اضطر السلطان إلى تحويل الزكاة والأعشار إلى ضريبة قارة يحدد قدرها مسبقا مهما كانت الغلة وافرة أو ناقصة. أصبحت إذن تثقل كاهل الفلاح بل تلزمه بالفرار تاركا أرضه مهملة في حالة الجفاف. فات أحمد الناصري هذا التحول الخطير الذي تخلى من خلاله المغرب لأول مرة في تاريخه عن أصل من أصول الشريعة الإسلامية.

أما الستار فلم يكشف عن ذلك إلا حديثا على يد من أبى إلا أن يجعل الوثائق المخزنية أو الغير المخزنية أساسا للبحث التاريخي.

لكن ضرورة تقديم الوثائق كمصدر للبحث التاريخي تتجلى أكثر فأكثر بمقدار ما نتناقل مما جاء على لسان الرواة المغاربة إلى مئات الكتب التي صنفها كتاب أوروبيون حول المغرب. لا أطيل الكلام هنا عن الأسباب التي دفعت بهؤلاء الكتاب إلى تزوير صورة الماضي المغربي. لكن التزوير قائم. على أن تحقيق وجود هذا التزوير قد ظل مستحيلا لولا مراجعة الوثائق التي قامت بها حديثا جماعة من الباحثين المغاربة.

فهكذا مكنتنا الوثائق المغربية إلى اليوم من تكذيب عدد لا يستهان به من النظريات الخطيرة التي أشاعها الأوروبيون. منها مثلا أن المغرب لم يكن قبل الاستعمار دولة تستحق هذا الإسم، وإنما كان مجموعة من القبائل تدافع كلها عن استقلالها، بحيث أن المخزن لم يفرض سلطته إلا بالسيف ليبتز منها الضرائب دون أي خدمة يسديها لها مقابل الجباية، مما يؤدي حتما إلى اضطرار المخزن لمواجهة أغلبية القبائل الثائرة ومقاومتها. لكنه لم يفلح سوى في إخضاع بعض من البعض الآخر، وظلت أغلبية القبائل، تعيش في فوضى نابذة سيادة السلطان خصوصا في الجبال والأقاليم النائية التي تكون ما يسمى ببلاد «السيبة».

إزاء هذه النظرية العامة مكنتنا الوثائق من إقامة الدليل على أن الدولة المغربية وإن لم تكن تشبه الدول الأوروبية العصرية المركزية، فإنها كانت دولة حقا لأنها مكونة من مجموعة من القبائل التي قد تتخاصم فيما بينها، بل تتنازع مع السلطة المركزية لكنها مرتبطة فيما بينها بشعور الانتماء إلى وطن مشترك واستقلاله، وذلك لأنه يضمن لها الظروف اللازمة للبقاء والسلامة. حقا إن هناك بعض القبائل التي «لا تنالها الأحكام» على حد التعبير المخزني، وهي القبائل التي لا وجود فيها لممثل

مباشر للمخزن. لكن هذه القبائل ذاتها تلتجىء إلى السلطان وتستغيث به إما للتوسط فيما بينها عند وقوع نزاع وإما لحمايتها من الأعداء الأجانب. كما تساعده بدورها لرد هؤلاء الأعداء وإن لم تمسها العداوة مسا مباشرا. ومكنتنا الوثائق الوطنية من اكتشاف أن السبب الحقيقي للفوضى التي غرق فيها المغرب فعلا منذ الثلث الثاني من القرن التاسع عشر والذي يكمن في الضربات القاضية التي سلطتها عليه بالتناوب أقوى الدول الأوروبية سواء بواسطة الهجومات العسكرية أو بالغرامات الباهضة أو بالغزو الاقتصادي والتضييق المختلف والاستيلاب التدريجي لسيادة السلطان عن طريق ما كان يدعى «بالحماية القنصلية». بحيث إن الدول الأوروبية لم تتدخل حسب زعمها، لضبط أمور المغرب المريض، وإنما هي التي أنهكته تمهيدا للاستيلاء عليه.

لذلك نلاحظ أن الالتجاء إلى الوثائق الوطنية ليس غريبا بشيء. بل إنما هو المسلك العلمي السليم المعترف به في العالم بأسره، أي أنه لا يجوز أن يكتب تاريخ أي شعب كان إلا اعتمادا على وثائق هذا الشعب الوطنية كمصدر أساسي وكحجة قاطعة. هذه هي القاعدة التي احترمها ويحترمها مؤرخو العالم باستثناء هؤلاء الكتاب الذين ألفوا عن تاريخ المغرب. إنهم إذن خرقوا بوقاحة القانون العلمي ولتبرير هذا الخرق أو إخفائه سارعوا إلى ترويج إشاعات مفادها أن الوثائق منعدمة في المغرب لأنها ضاعت أو لم تكن موجودة مطلقا. وبما أن المغاربة أنفسهم كانوا جاهلين لمنفعة الوثائق التاريخية، كما أن تحول زمام الأمور من الحكومة المخزنية إلى الحكومة الاستعمارية أسقطها في زوايا النسيان بالنسبة للمثقفين المعنيين بالأمر. أما بالنسبة للذين يتعرضون لها في مكامنها القديمة فإنها أصبحت في منزلة الأشياء المضايقة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بإحراقها.

وفعلا كانت ومازال الأفران توقد من هذا الكنز الوثائقي حتى إذا استرجع الاستقلال أصبحت الظروف مناسبة لإنقاذ ما لم يضع منه حريقا.

وفعلا سنحت آنذاك لعبد ربه فرصة إثارة مشكلة الوثائق بالتوسل إلى حكام الوقت وبإشهار الموضوع أمام الرأي العام عن طريق المقالات المنشورة في بعض المجلات والعروض المقدمة في المؤتمرات الدولية. ومن الذين قابلوا هذه الدعوة بأذن صاغية لابد من ذكر الأستاذ محمد الفاسي الذي أيدها بكل ما له من الفراسة والكرم والمروءة، وما له من السمعة العلمية والنفوذ السياسي. يكفي دليلا على

ذلك تأسيسه لجائزة الحسن الثاني السنوية التي أثارت اهتمام الناس بالوثائق وأيقظت فيهم الشعور بقيمتها. وإني لأغتنم فرصة هذه الندوة لأتقدم إليه بما هو أهل له من الشكر الجميل بإسمي شخصيا وبإسم جميع المؤرخين الشبان الذين يقبلون بحماس على البحث التاريخي.

ذلك أن الأمور قد عادت إلى نصابها، أي أن البحث التاريخي اليوم في المغرب لم يعد يتصور إلا إذا كانت الوثائق أساسه وعمدته. وهذا الاعتماد أصبح ممكنا شيئا فشيئا لأن الوثائق لم تعد ولله الحمد، تفنى في الأفران، بل أصبحت موضع العناية الرسمية. وقد نشر البعض منها بفضل الأستاذ عبد الوهاب بن منصور وجمع جلها في الخزانة الملكية الحسنية التي تفضل محافظها الأستاذ محمد العربي الخطابي بتسهيل إقبال الباحثين عليها.

يجوز لنا إذن أن نشعر بشيء من الارتياح حين ننظر إلى ما وقع من تطور منذ ثلث قرن بتوقف اضمحلال رصيد الوثائق التاريخية، وذلك بعد تنبه أصحاب السلطة إلى كونهم معنيين بالأمر وقبولهم التدريجي لجعل جزء من هذا الرصيد في متناول الباحثين، وبنشأة جيل من الدارسين القادرين على استغلاله، بل إن مجهودهم قد أثمر ثمراته الأولى المحمودة.

على أنه والحق يقال لاتزال الغاية المنشودة بعيدة، ذلك أن الوثائق التاريخية لابد أن تكون مجموعة في مراكز خاصة بها كما هو شأن جميع الدول المتقدمة وهذه المراكز ليست خزانة لحفظها فقط بل هي أيضا مؤسسة تقوم بتنظيمها وترتيبها وإنشاء فهارس لها تسهيلا لوصول الباحثين إليها، لأن هدف تلك المراكز المعترف به قانونيا هو وضع الوثائق رهن إشارة المؤرخين.

وفي المغرب سمعنا منذ سنين بمشروع بناء مركز خاص بالوثائق التاريخية لكن هذا المشروع لازال في حيز الحلم ومن المرجح أنه سيتأخر بناؤه. وفي انتظار تحقيق مثل هذا المشروع ستظل مجموعات الوثائق المعروفة تابعة لمكتبة أو خزانة في جناح ثانوي يعار لها من العناية ما تسمح به الوظيفة الرئيسية للمؤسسة. وما هو أخطر من ذلك أنه لا وجود لأي قانون يضبط الوصول إلى هذا الجناح بحيث إن الرخصة مازالت تمنح كمزية وليس كحق مثل جميع الحقوق، ومحدد بقانون يخضع له الباحث كما تخضع له إدارة المؤسسة.

أما فيما يخص التصنيف أيضا فكل شيء رهين بمبادرة هذا الشخص أو ذاك.

إذ تسلك لذلك طرق مرتجلة قد تتضارب فيما بينها وتتغير من حين إلى آخر ومن مركز إلى آخر، بل قد تؤول أحيانا إلى الإخلال بما كان منظما. ذلك أن الإدارة المخزنية كانت تنظم وثائقها نظاما يسهل مراجعتها عند الحاجة. فمن شأن هذا النظام أن يناسب اليوم حتى غرض المؤرخ. فكان من الأجدر أن يحفظ هذا النظام كلما أتاحت الظروف ذلك، كما كان من المحترم أن يسترجع هذا النظام بقدر الإمكان إن كان قد اضطرب بسبب ما. أما الآن فعوضاً من ذلك نلاحظ غير ما مرة نوعا من التصنيف يزعم أنه نظام عصري وهو في الواقع اضطراب تام. وتلافيا لهذا الداء، لا أرى إلا دواءا واحدا وهو إشراك المؤرخين في تحديد طرق التصنيف المناسبة.

وكما قلت فقد تقدمنا تقدما لابأس به، على أن الطريق مازال طويلا أمام المؤرخين المغاربة. فأتمنى لهم في المستقبل نفس المواضبة ونفس الإصرار اللذين أظهروهما حتى الآن.

مخطوطات علي بن ميمون الغماري
بالمكتبة الظاهرية
(مكتبة الأسد حاليا ـ دمشق)

الدكتور عمر الجيدي
أستاذ بدار الحديث الحسنية ـ الرباط

1 ـ التعريف بابن ميمون :

علي بن ميمون الغماري أحد المغاربة الذين عملوا على تحقيق التواصل العلمي والثقافي بين شرق العالم الإسلامي ومغربه ؛ تأليفا وتدريسا، وهو ثالث الغماريين الذين أنشأوا مدرسة للتصوف السني في المشرق، وعملوا على نشرها هنالك، وأصبح لها أتباع وأنصار ومريدون.

فإلى جانب أبي الحسن الشاذلي، وعبد الرحيم القنائي الترغي يذكر علي بن ميمون كثالث الثلاثة الذين طبعوا عصرهم بطابع خاص.

لكن من هو علي بن ميمون هذا ؟

لقد أحسن صنعا إذ أثبت نسبه كاملا في طالعة كتابه «رسالة الإخوان» حيث قال :

«علي بن ميمون بن أبي بكر بن علي بن ميمون بن أبي بكر بن يوسف بن إسحاق بن أبي بكر بن عطاء الله بن سليمان بن يحيى بن نصر بن يوسف بن عبد الحميد بن يلتين بن وازروف بن واشكور بن عرب بن هلال بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الهاشمي القرشي الغماري».

ولد بقبيلة بني بوزرة إحدى القبائل الغمارية على ساحل البحر الأبيض المتوسط بشمال المغرب، والمعلومات عن حياته الأولى قليلة، بل تكاد تكون منعدمة، لكنه ظهر على مسرح الأحداث في عهد أبي الحسن علي بن راشد الأكبر أمير شفشاون الذي تولى القضاء على المدينة الراشدية، وإن كنا نعلم أنه كان قبل ذلك يرأس فرق المجاهدين على الشواطىء الغمارية حماية لها من المهاجمين الإسبان والبرتغال.

والظاهر أنه لم ينتقل إلى مدينة شفشاون حتى كان قد حصّل علما واسعا ببلده غمارة التي كانت يومئذ تعج بالعلماء والصلحاء والزهاد، فأخذ عنهم علمهم، وتخلق بأخلاقهم، وقلدهم في سلوكهم. نقول هذا اعتمادا على نص أورده هو نفسه في كتابه «**رسالة الإخوان**» إذ يقول : «وذلك أن من أعظم نعم الله علي أن علمني كتابه العزيز قبل البلوغ، وقرأت في ذلك الزمان نظم الشيخ الخراز رحمه الله في رسم القرآن وضبطه حفظا، وحفظت نظم الشيخ أبي الحسن علي بن بري في قراءة ورش وقالون على الإمام نافع رضي الله عنه، وحفظت الأجرومية في النحو، وحفظت نظم الشيخ أبي مقرع في معرفة حساب السنة وغيره، كما هو معلوم هذه الأشياء، وكلها حفظتها كأم القرآن في ذلك الزمان وصورتها على الشيخ. ثم بعد البلوغ من علي بحفظ رسالة الشيخ أبي محمد بن أبي زيد القيرواني رحمه الله وصورتها على الشيخ، ثم قرأت نظم الشيخ أبي إسحاق التلمساني في الفرائض وحفظته وصورته على الشيخ، واشتغلت بمبادىء علم الحساب والفرائض حتى حصلت على معرفة المناسخات وقسمة التركات والإقرار والإنكار والوصيات والتدبير والصلح ومسائل الخنثى وسائر أبواب فقه الحساب والفرائض وكنت أحفظ هذه الكتب المذكورة كلها كأم القرآن، شكرا لله وأنا ابن عشرين سنة، ولم أزل ببلاد غمارة التي نشأت فيها ولم أدخل مدينة قط، بل في قبائل غمارة عمرها الله».

ولأن اختياره لمنصب القضاء من طرف أمير شفشاون يدل على أن الرجل كان على دراية واسعة واطلاع شامل على أسرار الشريعة، ولكن ابن ميمون لم يدم في القضاء طويلا إذ سرعان ما تخلى عن هذا المنصب لأمر ظهر له من الأمير.

يروي ابن عسكر في الدوحة (ص 28) أن علي بن ميمون كان جالسا يوما مع الأمير ابن راشد الأكبر، وإذا بيهودي أقبل وأخذ بيد الأمير المذكور وقبلها فقال القاضي ابن ميمون «إنا لله وإنا إليه راجعون، نحن نقبل يدا تقبلها اليهود»

فأزعجته العناية الربانية بسبب ذلك إلى حضرة فاس، ويظهر أن التحاقه بفاس كان حوالي 894هـ ومكث بها سبع سنوات حسبما ورد في كتابه **«الرسالة المجازة»** حيث قال «دخلت هذه المدينة المباركة فاس فالتزمت علماءها وبقيت في المدرسة متجردا نحوا من سبعة أعوام» ولكن ابن ميمون يذكر في كتابه **«فضل خيار الناس»** أنه دخلها ما بين سبعين إلى ثمانين بعد ثمانمائة، ولقد عدد بعض الشيوخ الذين أخذ عنهم في فاس نذكر منهم : أبا زيد عبد الرحمن بن سليمان النالي الشهير بالحميدي الغماري، وأبا الحسن علي الزقاق، وأبا عبد الله محمد بن أبي جمعه وأبا عبد الله محمد المكناسي قاضي الجماعة في عصره، وأبا عبد الله محمد بن إبراهيم، وأبا عبد الله محمد بن أحمد بن غازي، وأبا العباس أحمد الونشريسي وشيوخا آخرين.

ولكن بن ميمون كان معجبا كثيرا بشيخه الأول (الغماري) لعلو درجته في الحفظ والفهم حديثا وفقها وتفسيرا، اسمع إليه وهو يتحدث عنه فيقول «الشيخ الفقيه العالم المحدث الذي لم يبق في وقتنا هذا في المغرب الأقصى والأدنى من يحفظ هذا الكتاب (يقصد المدونة) عن ظهر قلب مثله، لا في فاس ولا في غيرها من مدن المغرب بأجمعه، فإني أعرف ذلك جيدا» ثم استمع إليه وهو يصف علو منزلته في العلوم فيقول «كان متثبتا وعلى اطلاع وفهم في سائر العلوم مثل النحو والحساب والفرائض»، درس ابن ميمون على الحميدي هذا موطأ الإمام مالك والعمدة ومختصر الصحيحين والمدونة، ويصف مجالس دروسه فيقول «فأول ما يستفتح يومنا بمجلس شيخي الذي أخذت عنه معظم ما يسر الله لي من الفقه والحديث، وله ثلاثة مجالس في مجلس واحد يبدأ أولا بالحديث بالنقل الغزير الكثير لكل ما يحتاجه الحديث من معرفة نسب الراوي ومكانته في اللغة والإعراب والفقه وغير ذلك... ثم بعده مجلس رسالة ابن أبي زيد القيرواني بالنقل الكثير أيضا من شارحيها، ثم بعده مجلس المدونة بالنقل الكثير المفرط من كلام مشاييخ المدونة من أولهم إلى آخرهم، فيشرع عند شروق الشمس ويفرق أحيانا قرب الزوال» (انظر الرسالة المجازة)، وفي موضع آخر يذكر «ثم نأتي بعد لمجلس شيخي (والحديث دائما عن الحميدي) فنقعد عنده في مجلس موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه في الحديث بنقل مشائخ العلم من مذهب مالك إلى آذان العشاء الأخيرة» (نفس المرجع).

(قلت : من الأسف أن يكون هذا الشيخ بهذه المكانة والمنزلة في العلم ويذاع صيت الونشريسي وابن غازي والزقاق وأضرابهم ولا نعرف شيئا عن هذا العالم الفذ الذي يحكي عنه ابن ميمون ما يحكي إنه الإهمال لحق بعلماء البادية).

وبعدما أمضى ابن ميمون سبع سنوات (عند الدكتور عبد الهادي التازي عشرون سنة انظر جامع القرويين 506/2) في الدراسة في فاس وحصل جملة وافرة من العلوم، وظهر في فنون كثيرة مثل الفقه واللغة والعربية وغيرها، شد الرحلة إلى المشرق في جمادى الثانية سنة إحدى وتسعمائة (انظر رسالة الإخوان ص : 1) فمر بالجزائر والتقى ببعض شيوخها، ثم منها إلى تونس وهناك التقى بشيخه عرفة القيرواني فطلب منه أن يتصل بالشيخ العارف بالله أبي العباس أحمد ابن محمد التوزري التباسي التونسي ببلاد الجريد، فأخذ عنه الطريقة، ويقول ابن عسكر في الدوحة (ص 28 — 29) : «إن سبب هجرة ابن ميمون من فاس إلى المشرق أنه سمت همته إلى منازل الأفراد فاعتكف بجامع القرويين وآلى على نفسه ألا يخرج منه حتى يريد الله تعالى وليا من أوليائه، فأقام هنالك مدة إلى ذات يوم فقعد إلى سارية من سواري المسجد وسار يتلو القرآن، وكان له صوت حسن، والناس كلهم قد خرجوا من المسجد وغلقت أبوابه قبل الزوال فلم يبق فيه أحد، فبينما هو يقرأ إذ سمع بكاء وأنينا خلفه فالتفت فإذا هو برجل بصير (كفيف) فعلم أنه من الأولياء فسأله عن شيخ التربية، فأشار عليه بأنه في بلاد الجريد».

وهكذا أقام ابن ميمون في بلاد الجريد أربعة أشهر، ثم واصل سيره نحو المشرق، وينقل ابن العماد أنه دخل القاهرة وحج منها قبل أن ينتقل إلى الشام (شذرات الذهب 83/8) ولكن ابن ميمون يصرح في كتابه «بيان غربة الإسلام» (ص 9) أنه لم يدخل مصر قط، ولا أدري مستند ابن العماد فيما نقل، المهم أن ابن ميمون وصل إلى بلاد الشام سنة 904هـ فقد جاء في كتابه «تنزيه الصديق ص 1» ما يلي : «لما شاء الله تعالى حلولي ببلاد الشام سنة أربع وتسعمائة سمعت من لاخلاق له من أهل الأهواء..».

ثم انتقل من الشام إلى تركيا في شهر ذي الحجة سنة خمس وتسعمائة ونزل بمدينة بورسا ومكث بها مدة وتنقل في أرجاء تركيا ثم انتقل ثانية إلى الشام وهكذا دخل دمشق أواخر سنة 912هـ ونزل بحارة السكة بالصالحية وهرع الناس للتبرك

به، والأخذ عنه، وممن أخذ عنه الشيخ عبد النبي شيخ المالكية والشيخ شمس الدين ابن رمضان شيخ الحنفية وخلق من الفضلاء (انظر شذرات الذهب 88/8).

وينقل ابن العماد عن محمد بن عراق في سفينته أنه لم يشتهر في بلاد العرب بالعلم والمشيخة والإرشاد إلا بعد رجوعه من الروم (يقصد توركية) إلى حماة سنة إحدى عشرة ثم قدم منها إلى دمشق في سابع عشر رجب سنة 913هـ وأقام في قدمته هذه ثلاث سنوات وخمسة أشهر وأربعة عشر يوما يربي ويرشد ويسلك ويدعو إلى الله على بصيرة... واجتمع إليه الحج الغفير، ثم دخل عليه قبض وهو بصالحية دمشق، واستمر ملازما له حتى ترك مجلس التأديب، وأخذ يستفسر عن الأماكن التي في بطون الأودية ورؤوس الجبال حتى ذكر له مكان (مجدل معوش) فهاجر إليها في ثاني عشر محرم 917هـ وأقام هناك خمسة أشهر وتسعة عشر يوما وتوفي ليلة الإثنين حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بها في أرض موات بشاهق جبل حسبما أوصى به.

وينقل صاحب شذرات الذهب (83/8) عن الشقائق النعمانية أن ابن ميمون «كان لا يخالف السنة حتى نقل عنه أنه قال لو أتاني السلطان أبو يزيد بن عثمان لا أعامله إلا بالسنة، وكان لا يقوم للزائرين ولا يقدمون له، وإذا جاءه أحد من أهل العلم يفرش له جلد شاة تعظيما له، وكان قوالا بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، وكان له غضب شديد إذا رأى في المريدين منكرا يضربهم بالعصا وكان لا يقبل وظيفة ولا هدايا الأمراء والسلاطين، وكان مع ذلك يطعم كل يوم عشرين نفسا من المريدين وله أحوال كثيرة ومناقب عظيمة».

ويذكر أنه كان من طريقته لا يرى لبس الخرقة ولا إلباسها، وذكر تلميذه ابن علوان الذي خصه بكتاب من وصاياه، ما يلي : «اجعل تسعة أعشارك صمتا وعشرة كلاما» «الشيطان له وحي وفيض فلا تغتروا بما يجري في نفوسكم وعلى ألسنتكم من الكلام في التوصية والحقائق حتى تشهدوه من قلوبكم» وكان ينهى أصحابه عن الدخول بين العوام وبين الحكام ويقول ما رأيت لهم مثلا إلا الفأر والحيات فإن كلا منهما مفسد في الأرض، وكان شديد الإنكار على علماء عصره، ويسمي القضاة : القصاة، ومن مأثور كلامه : «لا ينفع الدار إلا ما فيها» «لا تشتغل بعد أموال التجار وأنت مفلس» «اسلك ما سلكوا تدرك ما أدركوا» «عجبت لمن وقع عليه، نظر المفلح كيف لا يفلح» «كنزك تحت جدارك وأنت تطلبه من عند جارك».

ومن تتبعنا لكتبه رأيناه عنيفا في الرد على الخصوم جريئا على قول الحق مسارع إلى تغيير المنكر، شديد الحرص على اتباع السنة وقمع البدعة، وتلك صفات الغماريين، فما عهدناهم إلا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر قوالين بالحق، لا يعرفون المداهنة ولا المجاملة حيث يتعلق الأمر بنحو من أنحاء الدين وشؤون العقيدة، فجرأته من جرأتهم، ومواقفه من مواقفهم وهكذا انتشرت دعوة هذا الرجل الإصلاحية في بلاد المشرق وذاع صيته وشاع علمه في الآفاق ودعا الخلق إلى الحق فهدى الله به خلقا كثيرا، وخلف الفحول من تلاميذه ومريديه، واندرست الطرق بطريقته، فالطريقة الميمونية بالمشرق — كما يقول ابن عسكر (الدوحة ص 28) — كالطريقة الشاذلية بالمغرب.

وخلاصة القول فإن ترجمة ابن ميمون طويلة الذيل وتحتاج إلى صفحات وربما إلى مجلدات لكن نقتصر على ما أجملناه ونحيل إلى الراغب في الزيادة على المراجع الآتية :

1 — شذرات الذهب 81/8.

2 — الروض العاطر للنعيمي ص 197.

3 — تاريخ النهرواني 89.

4 — دوحة الناشر لابن عسكر ص 28.

5 — الموسوعة الإسلامية بالفرنسية 399/1.

6 — سلوة الأنفاس للكتاني 74/1.

7 — كشف الظنون 843/1.

8 — الشقائق النعمانية 540/1.

9 — الكواكب السائرة 271/1 — 278.

10 — جامع القرويين للتازي 412/2 — 506.

11 — الأعلام للزركلي 180/5.

12 — بروكلمان 124/2.

13 — مرآة المحاسن للفاسي 13.

14 — مجلة المغرب عدد 1 — 1937.

15 — رسالة المغرب غشت 1943.

16 — الكتاب الذهبي 170 — 171.

17 — هدية العارفين 741/1.

وقد أفرده تلميذه علي بن عطية الملقب بعلوان بكتاب سماه «مجلي الحزن عن المحزون في مناقب الشيخ علي بن ميمون».

ولننتقل إلى استعراض انتاجه العلمي لأنه هو الذي يهمنا معرفته، وبه نزداد معرفة بشخصية ابن ميمون العالم الصوفي الزاهد المصلح وهي النقطة الثانية.

2 ــ إنتاجه العلمي :

من مؤلفات ابن ميمون التي ثبتت لدينا صحة نسبتها إليه ما يلي :

1 ــ رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن، توجد نسخة منه بالمكتبة العامة بالرباط رقم 1780د. ونسخة أخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

2 ــ الرسالة الميمونية في توحيد الأجرومية، توجد نسخة منه بالمكتبة العامة بالرباط ونسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

3 ــ النحو المفيد لأهل السلوك في علم التوحيد.

4 ــ متن الفرائض.

5 ــ الرسالة المجازة في أحكام الإجازة، منها نسخة مصورة على شريط بالمكتبة العامة بالرباط.

6 ــ فضل خيار الناس والكشف عن مكر الوسواس، نسخة منه في المكتبة الظاهرية بدمشق.

7 ــ تنزيه الصديق عن وصف الزنديق، توجد منه أربع نسخ بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

8 ــ مبادىء السالكين إلى مقامات العارفين توجد منه ثلاث نسخ بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

9 ــ بيان الأحكام في السجادة والخرقة والعلام (وهي الطريقة الميمونية)، توجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

10 ــ بيان غربة الإسلام بواسطة صنفي المتفقهة والمتفقرة من أهل مصر والشام ومن والهما من بلاد الأعجام، توجد نسخة منه بالمكتبة الظاهرية بدمشق ونسخة أخرى بمكتبة وزان.

11 ـــ مواهب الرحمن في كشف عورة الشيطان، توجد منه نسختان في المكتبة الظاهرية بدمشق، ونسخة بجامع السيد سلطان علي في بغداد.

12 ـــ تنظيم الشعائر من الصوامع والمساجد والمنابر (هدية العارفين 741/1).

13 ـــ سفينة النجاة، نسبه له البغدادي في هدية العارفين 741/1 وأظن أن هذا الكتاب هو لمحمد بن عراق الذي ترجم لابن ميمون ترجمة وافية استعرض فيها كثيرا من أقواله وأحواله.

14 ـــ شرح الأربعين النووية (هدية العارفين 741/1).

15 ـــ عقد الشرف في التاريخ (هدية العارفين 741/1).

16 ـــ كشف الإمارة في حق السيارة، ألفها كما يقول البغدادي في الشنيعة التي وجدها في جبل عجلون (انظر هدية العارفين 741/1).

17 ـــ منتهى الطلب في أسعار العرب ضم 800 بيت من شعر الشاعر الراعي النميري أشار إليه البغدادي في هدية العارفين 741/1 ويوجد بإحدى مكاتب العراق (انظر أخبار التراث العربي عدد 34 من 25).

18 ـــ إضافة إلى أنظام ورسائل كثيرة تركها مفرقة لم تجمع في كتاب ولاشك أن هناك مؤلفات أخرى لهذا العالم الجليل الذي كان يشغل وقته بالتأليف والتدريس والوعظ والإرشاد والتربية والإصلاح.

3 ـــ تحليل موجز لكتبه الموجودة بالمكتبة الظاهرية :

1) **الكتاب الأول** : تنزيه الصديق عن وصف الزنديق، توجد منه أربع نسخ إحداها قوبلت على نسخة جيدة بخط الشيخ عبد الغني النابلسي والانتصار له، والدفاع عن مذهبه، وقد ألفه ابن ميمون لما حل بالشام ووجد علماءها يفسقون ابن عربي فسألوه عنه فأجابهم بأن ابن عربي من أكابر العارفين بالله، ومن خواص حضرة الحق...

2) **الكتاب الثاني** : فضل خيار الناس والكشف عن مكر الوسواس : يدور محتوى الكتاب حول الإخلاص في العبادة لله والتحذير من العجب والرياء المحبطين للعمل، ويصور فيه ابن ميمون الحالة التي آلى إليها الإنسان المسلم في القرن العاشر الهجري، ويذكر في سبب تأليفه، أنه لما كان في بورسا من بلاد تركية أخبره

بعض الأصحاب عن بعض المشيخة أنه كان في مشقة عظيمة مع الوسواس في صلاته إلى أن وقف على نص عن بعض التابعين فأراد معرفة وجهة نظر ابن ميمون فيه، فألف له هذا الكتاب.

3) **الكتاب الثالث** : بيان غربة الإسلام بواسطة صنفي المتفقهة والمتفقرة من أهل مصر والشام ومن والهما من بلاد الأعجام، يصور فيه ما ارتكبه عامة أهل القرن العاشر الهجري من مخالفات للكتاب والسنة والتخلق بالضلال والبدعة أقوالا وأفعالا بواسطة المتفقهة والمتفقرة مركزا انتقاده على أهل مصر والشام والترك والفرس، وهذا الكتاب له نظير في المكتبة المغربية.

4) **الكتاب الرابع** : مذاهب الرحمن في كشف عورة الشيطان، يحذر فيه من حيل الشيطان وأوصافه مبينا كيفية استيلائه على النفوس الضعيفة، مستشهدا في ذلك بوفرة من الآيات والأحاديث.

5) **الكتاب الخامس** : بيان الأحكام في الخرقة والسجادة والعلام وما ارتكبه من الأقوال والأفعال مشايخ الأوهام وهو المعروف بالطريقة الميمونية، يوضح فيه ما ينبغي للمريد أن يتحلى به وما يجب على شيخ التربية أن يتصف به، حاملا على ما ارتكبه بعض أدعياء التصوف من أعمال يزعمون أنهم يسيرون فيها على هدي العلم اللّدني.

6) **الكتاب السادس** : مبادىء السالكين إلى مقامات العارفين، يركز فيه على الإخلاص في العبادة والإلتزام المطلق بالقواعد الخمس على الوجه المطلوب شرعا، والتحذير مما قد يلحقها من آفة الجوارح.

7) **الكتاب السابع** : رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن.. بناها على سبعة أصول من كل أصل فصل، كل فصل يستند إلى آية، فالفصل الأول في قوله تعالى : ﴿فآسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، الثاني في قوله تعالى : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾، الثالث في قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، الرابع في قوله تعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾، الخامس في قوله تعالى : ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾، السادس في قوله تعالى : ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾، السابع قوله تعالى : ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾.

والباعث على تأليف هذا الكتاب، وصول عالمين من المغرب إلى دمشق فسألهما

ابن ميمون عن مدينة فاس وعلمائها فأخبراه بما كان عليه علماؤها يومئذ، وفيهم بعض شيوخه وأقرانه فأراد تجديد الصلة بهم بواسطة هذه الرسالة، وفي الكتاب معلومات قيمة تفيد في ترجمة بن ميمون وفي التعرف على بعض شيوخه، وهذا الكتاب له نظير في المكتبة المغربية.

8) الكتاب الثامن : الرسالة الميمونية في توحيد الأجرومية، هذا الكتاب لم تسمح الظروف بتصويره، وإن كنا نعرف محتوياته من خلال النسخة الموجودة بالمكتبة العامة بالرباط.

إن هذه المؤلفات التي أسلفنا القول عنها توجد في حالة جيدة، كتبت جميعها بخط مشرقي غاية في الإتقان ونرجو أن نعمل أو يعمل غيرنا على إخراجها للناس كلها أو على الأقل جلها ليستفيد القارىء مما ورد فيها من حقائق وأفكار والله الموفق لكل خير.

تقرير وجيز عن وقائع الندوة

الأستاذ محمد أديوان

أستاذ بكلية الآداب ــ الرباط

عرفت مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية أيام 19 ــ 20 ــ 21 شعبان 1408 موافق لـ 7 ــ 8 ــ 9 أبريل 1988 أياما دراسية بمناسبة انعقاد ندوة المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي، وضعية المجموعات وآفاق البحث، بمشاركة عدد من الباحثين والمتخصصين من المغرب والمشرق العربي وأوروبا وأمريكا الشمالية.

ونظرا لتعدد جلسات هذه الندوة وتنوع موضوعاتها، فإننا سوف نحاول في هذا التقرير تقديم ملخص مركز للمحاور العامة التي دارت حولها أعمال الندوة وعروض السادة الأساتذة المشاركين. ونعتذر عن عدم ذكر أسماء أصحاب العروض مادامت موضوعة في مقدمة التقرير من جهة، ولأن الغاية من هذا التقرير المختصر هو تعريف الرأي العام العربي والعالمي بوقائع هذه الندوة بصورة عامة دون الدخول في تفاصيل العروض المقدمة التي ستنشر عما قريب من طرف المؤسسة المنظمة (الندوة المذكورة) وفيما يأتي حديث مركز عن كل محور من محاور هذه الندوة :

المحور الأول : تقارير عن وضعية المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي :

ألقيت مجموعة من العروض ضمن هذا المحور، كانت الغاية منها التعريف بوضعية المخطوطات العربية في كثير من جهات العالم (العربي والأوروبي والأمريكي).

هكذا تعرف الحاضرون، على وضعية المخطوطات العربية في مجموعة من الخزائن

المغربية، وعلى رأسها خزائن الرباط وفاس ومراكش وسلا ومكناس وتطوان، كما أشارت عروض أخرى إلى وضعية المخطوطات العربية في المملكة العربية السعودية وموريطانيا وتونس، والجزائر والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا.

وقد تبينت من العروض السابقة أن المخطوطات العربية تتفاوت من حيث توزعها بين أقطار العالم، وهي تشكو من عوامل الزمن والأرضة والإهمال في كثير من الأحيان، بيد أن الجهود تبذل في سبيل ترميمها وإصلاح أوضاعها المتردية وصيانتها.

أشارت عروض مختلفة إلى أن جهود الفهرسة، والتعريف بالتراث العربي المخطوط، مستمرة في كثير من البلدان، مما يشي ببوادر نهضة في هذا المجال.

المحور الثاني : توثيق وفهرسة وتنظيم ونشر وصيانة المخطوطات العربية الإسلامية :

ألقى جماعة من الأساتذة المشاركين في أعمال الندوة، عروضا قيمة ضمن هذا المحور، دارت حول أوضاع التوثيق والفهرسة والنشر في مجال التراث العربي المخطوط.

وفي هذا الإطار، تم التعريف بأماكن المخطوطات العربية، وتمت الإشارة إلى فئات المشتغلين بها، ومن المستعربين والمستشرقين والباحثين العرب كما أشير إلى طرق فهرستها والوسائل المتبعة في ذلك.

وتم التنويه في هذا الصدد بمعهد المخطوطات العربية بالكويت وبتجربته الرائدة في هذا المجال.

ولقد أثار أحد العروض، تجربة النمسا في مجال فهرسة المخطوطات العربية، وبين كثيرا من المشكلات التي تعترض سبيل صيانة المخطوطات لاسيما أنها تباع أحيانا في المزاد العلني على رؤوس الاشهاد دون رقيب أو حسيب، وتم التركيز في هذا الصدد على ضرورة تكوين مشرفين على المخطوطات ممن يضطلعون بهذه المهمة خير اضطلاع.

وتناول أحد العروض، تقنيات الفهرسة، فأشار إلى تطور هذا المجال في العالم العربي وقيامه على أسس علمية ومنهجية، في حين يظل اختلاف الوسائل والمناهج واضحا بين الدول العربية في هذا المجال، لا يحتاج إلى دليل، وقد أسفر النقاش

عن دعوة عامة لتكوين لجنة عربية للنظر في شؤون التراث على مستويات الصيانة والفهرسة والتحقيق.

وضمن هذا المحور تم التعريف بمجموعة من المخطوطات العربية التي تتوارى وراء سحب الغبار على رفوف الخزائن العربية والأجنبية، وفي هذا الإطار تمت الإشارة إلى مجموعة من كتب الرحلات المخزنية المخطوطة، كما أشار أحد العروض إلى المخطوطات العربية الإسلامية الأندلسية، مما هو بالخط العبري أو ترجم إلى اللغة العبرية في مختلف المعارف.

وأثيرت في هذا العرض مسألة النهب والحرق التي تعرضت لها كثير من المخطوطات، من طرف الكنائس، وما نجا من حملة النهب والحرق، بقي محافظا على كثير منه في بعض المكتبات.

وقد تمت الإشارة في عرض آخر إلى مشروع كبير هو قيد الإنجاز في تركيا، من أجل فهرسة المخطوطات العربية في تركيا، (وهي تشكل رصيدا ضخما).

المحور الثالث : إشكاليات تحقيق التراث المخطوط للغرب الإسلامي :

تنوعت عروض هذا المحور، بحيث أشار بعضها إلى قضايا عامة، كالحديث عن الآفاق الجديدة لدراسة مخطوطات الغرب الإسلامي والحديث عن قضية التراث والمعاصرة، وأشار البعض الآخر إلى قضايا خاصة، كالقيمة الوثائقية التي تكتسيها بعض الوثائق المخطوطة الإسبانية، التي ترتبط بملابسات الأوضاع الحضارية الأندلسية كوثائق التوكيل على وجه خاص.

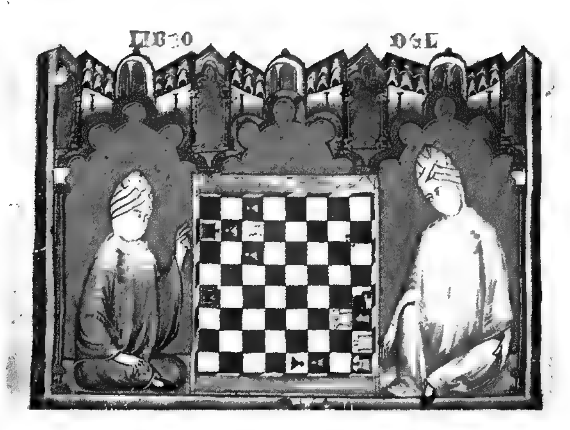
وتم التعريف في عرض آخر بمجموعة من المخطوطات العربية المنسوخة في شمال إسبانيا النصرانية، وتمت الإشارة في عرض آخر إلى وضعية المخطوطات العربية في فرنسا إبان عصر النهضة الأوروبية، وتناول عرض آخر، قضية الاستشراق في ألمانيا، وركز على تنوع مساهمة الألمان في دراسة التراث الإسلامي.

وقد قدم أحد عروض هذا المحور نظرة عن مخطوطات الزوايا، متخذا مثالا على ذلك مخطوطات زاوية تنغملت التي اغتنت عبر التاريخ المغربي بأرصدة من المخطوطات ذات القيمة الكبيرة في التاريخ الثقافي للمنطقة.

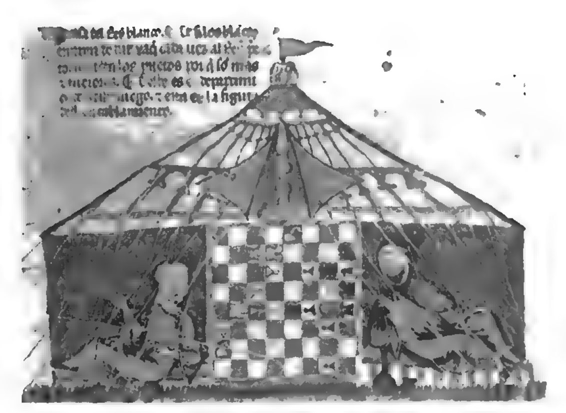
وتناول عرض مشترك، وضعية البحوث عن مخطوطات المورسكيين في اسبانيا

وهي مخطوطات متأثرة ببنيات التعبير العربي، وفي عرض آخر تمت الإشارة إلى الأرشيف المغربي المخطوط، ودوره في إغناء البحث التاريخي والاجتماعي والاقتصادي للبلاد، باعتبار أن الوثائق المكونة لهذا الأرشيف الغني لا تقل أهمية عن باقي مصادر التاريخ المغربي.

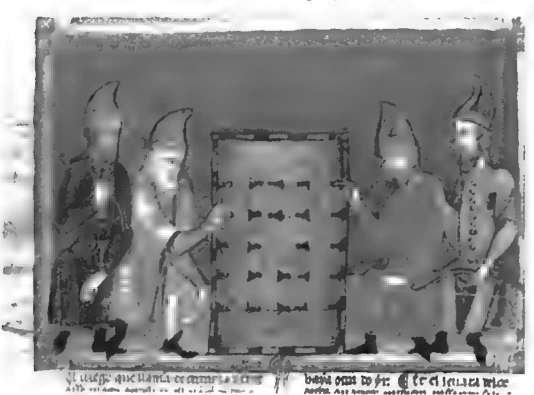
وضمن هذا المحور أيضا، تم التعريف بمخطوطات علي بن ميمون الغماري في المكتبة الظاهرية، في عرض تناول هذه المخطوطات بالتعريف والتصنيف وحدد أهميتها وأماكنها في دمشق.



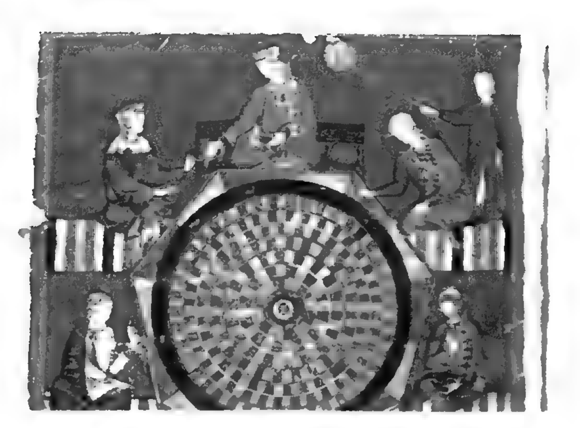
lam. 12 : Libro de los Juegos (fol. 38 v)



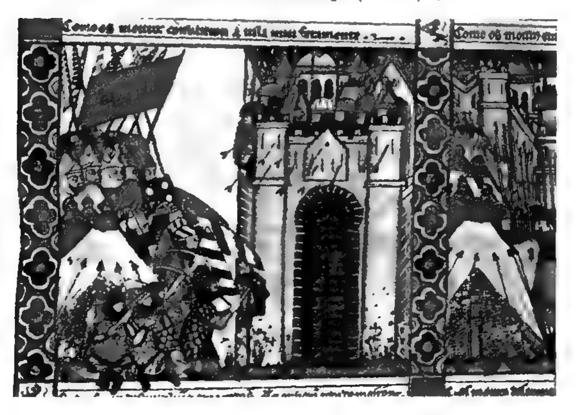
lam. 10 : Libro de los Juegos (fol. 62 v)



lam. 11 : Libro de los Juegos (fol. 91 v)



lam. 8 : Libro de los Juegos (fol. 96 v)



lam. 9 : Lantigas de S° Maria (XCIX)



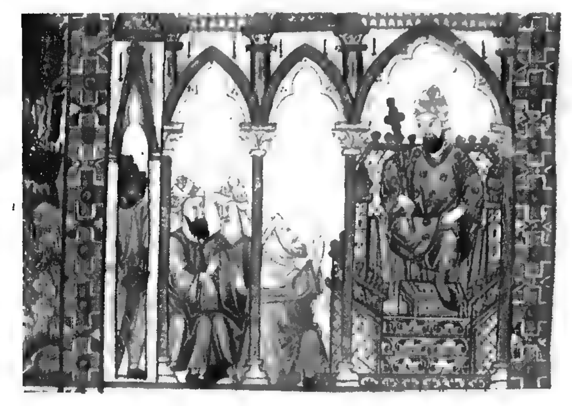
lam. 6 : Lantighas de S° Maria (CLXXXI)



lam. 7 : Libro de los Juegos (fol. 2 v)



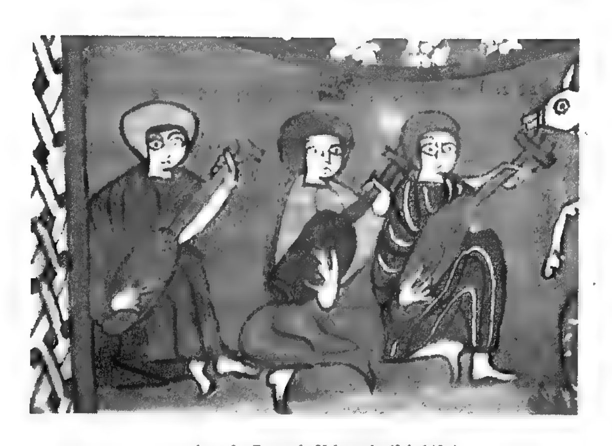
lam. 4 : Beato de Fernando I (fol. 135 v.)



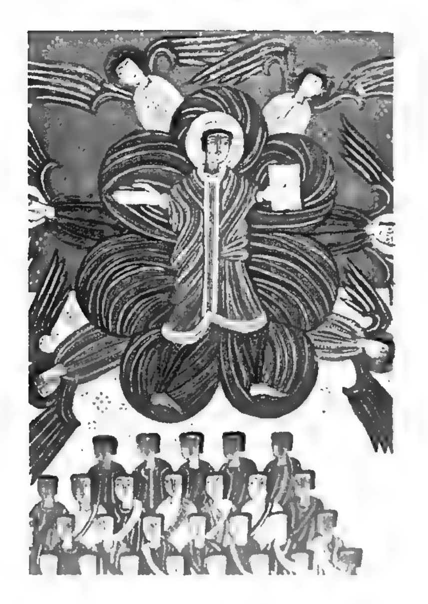
lam. 5 : Lantigas de S° Maria (CLXV)



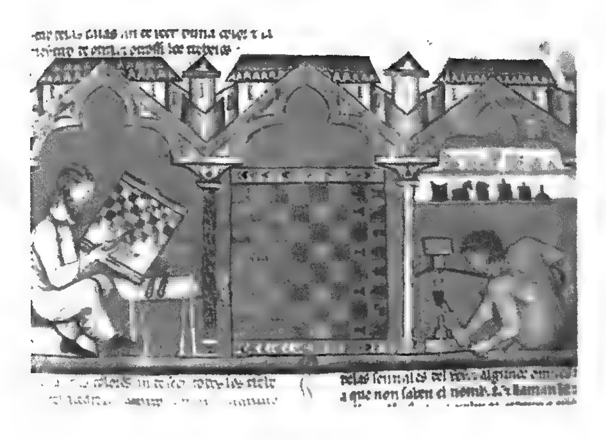
lam. 3 : Beato de Gerona (fol. 134 v.)



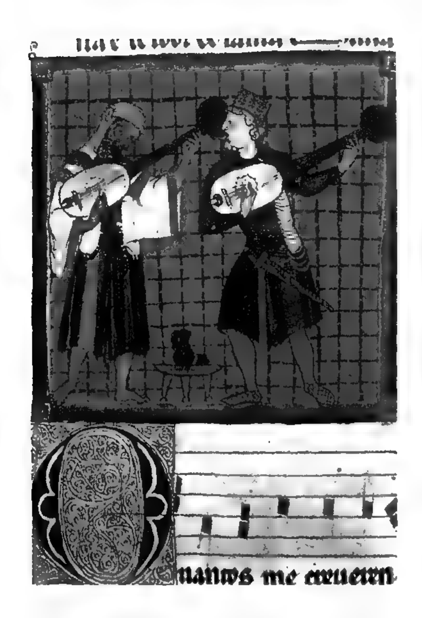
lam. 2 : Beato de Valcavado (fol. 145 r)



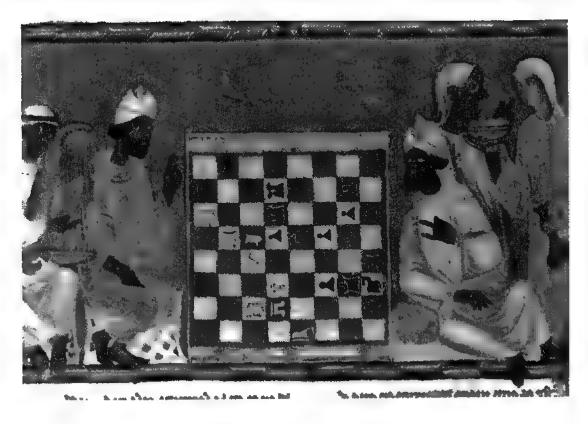
lam. 1 : Beato de Silos (fol. 21 r)



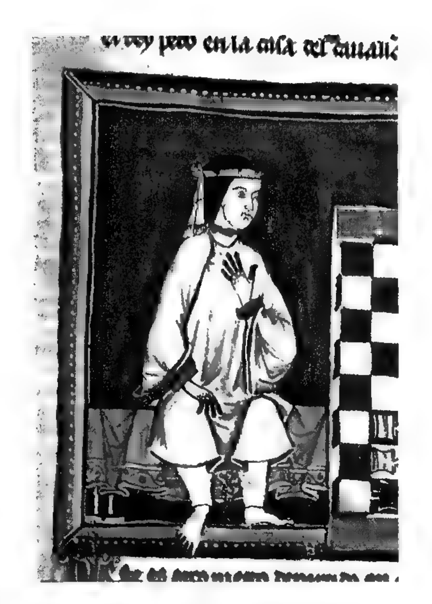
lam. 16 : Libro de los Juegos (fol 3)



lam. 15 : Lantigas de S° María (códice de los músicos)



lam. 14 : Libro de los Juegos (fol. 22)



lam. 13 : Libro de lo Juegos (fol. 52 r)

tocados, zapatos con la punta curvada hacia arriba «según la moda de Córdoba» o «alcorques» que se usaban en el interior de las casas. (lam. 10-14) Las mujeres se adornan con joyas -collares o sartales, «arracadas» en las orejas..-, y muestran a menudo las manos y pies con los dedos y uñas teñidos (lam. 13). En este aspecto resulta extraordinariamente rico el **Libros de los Juegos del Ajedrez, Dados y Tablas,** donde cada uno de los problemas planteados en el juego se ilustra con una miniatura de los propios jugadores los cuales, según expresa el mismo Alfonso X en el prólogo, son todos los que tengan forzosamente que «fincar (permanecer) en las casas» : «mugeres que non cavalgan e estan encerradas», (lam. 12), hombres de cualquier edad, raza (lam. 14), o condición social y en cualquier situación (lam. 10), siendo bastante frecuentes las partidas que se juegan entre un cristiano y un musulmán. En algunas escenas, personajes tocando instrumentos musicales acompañan a los jugadores ; aunque es, sin duda, el **Códice de los músicos** de las Cantigas de Santa María(32) donde se encuentran más ejemplos de la influencia islámica en este campo, ya que no sólo aparecen varios musulmanes entre los músicos representados (lam. 15), sino que ciertos instrumentos tocados por castellanos revelan su origen oriental, como el laúd de clavijero acodado.

Otro estudio interesante sería diferenciar entre las actividades profesionales aquéllas realizadas por musulmanes, como por ejemplo los pescadores del Algarbe(33) o los numerosos mercaderes que venden sus productos en tiendas semejantes a las que se encuentran en zocos y alcaicerías de las ciudades islámicas(34); incluso, ciertos oficios, específicamente característicos, como el uso del torno de pie que aparece en varias miniaturas del **Libro de los Juegos** (lam. 16).

En resumen, teniendo en cuenta el escaso número de códices ilustrados del Occidente Musulmán, creo que las miniaturas que figuran en los manuscritos hispánicos pueden ser una fuente documental muy importante para el conocimiento de la vida en al-Andalus durante la Edad Media.

(32) Biblioteca de El Escorial b I, 2. Vid. J. RIBERA **«La música en las Cantigas. Estudio sobre su origen y naturaleza»** Madrid, 1922, y H. ANGLES **«La música de las Cantigas de Santa Maria de Alfonso X el Sabio. Facsímil, transcripción y estudio crítico»** Barcelona 1943.

(33) Cantiga CLXXXIII del Códice Esc. T. I, 1.

(34) Cantigas CLXXIII del Códice Esc. T. I. 1 entre otras, Vid. G. MENENDEZ PIDAL, **«Las Cantigas. La vida en el siglo XIII»** en Cuaderno de la Alhambra 19-20, 1979-1981, pg. 29 y ss.

Lapidario[22] y el Códice de Las **Cantigas de Florencia**[23].

Teniendo en cuenta el elevado número de miniaturas en las que figuran musulmanes, resulta imposible exponer aquí una relación detallada, por lo que he preferido señalar algunos apectos que considero de interés para futuras investigaciones[24].

En primer lugar, algunos de los personajes pueden ser identificados por el texto[25], como en el caso del sultán Baybars al-Bunduqdārī (lam. 5)[26], del sultán marini Abū Yūsuf ya'qub[27] o del sultán de Granada[28]; también por referencias del texto se reconocen episodios concretos, como el cerco de Marrakuš de 1261-1262 (lam. 6)[29]. Resulta curioso señalar que ciertos personajes importantes se representan tocados con turbante, como los musulmanes ; por ejemplo, el rey de la India y sus sabios, en época pre-islámica, según aparecen en el **Libro de los Juegos** (lam. 7). Es frecuente ver a los castellanos sentados «a la turca», como el propio rey Alfonso X jugando con sus cortesanos a «las tablas por astronomía» (lam. 8).

Sin embargo, la mayor parte de las miniaturas no se refieren a hechos concretos, sino que ilustran, de forma anónima, lo que se ha definido como la «crónica en imágenes» de la vida en el siglo XIII[30]. Así encontramos escenas de guerra (lam. 9) que nos permiten estudiar tanto la táctica bélica como el armamento y defensas utilizados[31] y sobre todo, durante los períodos de paz, representaciones cotidianas que sirven para conocer hasta los menores detalles, las costumbres y formas de vida de los musulmanes de al-Andalus : hay ejemplos numerosos de los diferentes vestidos -«aljubas» y «almexías»-, mantos, tipos de pantalones -«trabaq» y «zaraguelles»-, turbantes o velos utilizados como

---

(22) Biblioteca de El Escorial h I, 15.

(23) Florencia, Biblioteca Nacional ms. B.R. 20.

(24) Entre la abundante bibliografía dedicada a la miniatura alfonsí, cabe destacar algunos estudios en relación con el tema que aquí tratamos. J. GUERRERO LOVILLO, «**Las Cantigas. Estudio arqueológico de sus miniaturas**» Madrid 1949. G. MENENDEZ PIDAL «**La vida española en el siglo XIII**», Madrid 1986. Y más específico, M. GARCIA-ARENL «**Los moros en las Cantigas de Alfonso X el Sabio**» en Al-Qantara, 1987 pg. 133-151.

(25) Vid. GARCIA-ARENAL, op. cit.

(26) Cantiga CLXV del Códice Esc. T. I, 1, donde se le representa varias veces, en el trono y en su tienda, dirigiendo el ataque de Tortosa ciudad que debe identificarse con Orthosia en Siria (M. LOPEZ SERRANO, «**Cantigas de Santa María de Alfonso X el Sabio, rey de Castilla**», Madrid 1974, nota a le lam. 13) y no con Tortosa en el Reino de Aragón (GARCIA-ARENAL, op. cit. pg. 139)

(27) Cantiga CLXXXI del Códice Esc. T. I. 1.

(28) Cantiga CLXXXV del Códice Esc. T. I. 1.

(29) Cantiga CLXXXI del Códice Esc. T. I. 1. Vid. J. MONTOYA «**El fustrado cerco de Marrakuš 1261-62**» en Cuadernos Estudios Medievales, VIII-IX 1980-81. pg. 183-192.

(30) G. MENENDEZ PIDAL. op. cit.

(31) Vid. GUERRERO LOVILLO. op. cit. pg. 112-162.

el de **Morgan**[11], el de **Fernando I**[12] y el de **Silos**[13]. Analizando estas miniaturas podemos constatar la existencia en el Califato de Córdoba de una importante influencia 'abbāsí de origen sasánida, que se manifiesta en la representación de origen sasánida, que se manifiesta en la representación de personajes vestidos con indumentaria oriental : «caftán», pantalón del tipo «trabaq», velo y turbante (lam. 1 y 3) o en ciertas actitudes, como la forma de sentarse «a la turca» -«olorīm»- interpretada en el mundo oriental como símbolo de poder[14] y que debió transmitirse a la iconografía mozárabe a través de los marfiles califales[15]; encontramos numerosos ejemplos -además de la **Biblia Hispalense** ya citada-, en el **Beato de El Escorial**, de **Valcavado** (lam. 2), y de **Silos**[16]. El mismo origen oriental se comprueba en la postura adoptada para utilizar el arco siguiendo el denominado «tiro parto» (lam. 4)[17], o la característica forma islámica de cabalgar «a la jineta» (lam. 3 y 4)[18].

La miniatura de la época de Alfonso X.

Como antes indicamos, se trata de manuscritos elaborados en el taller de la corte de Alfonso X de Castilla, fechados por tanto en la segunda mitad del siglo XIII. Sus ilustraciones son fiel reflejo del ambiente «mudéjar» en que se desarrolla la vida hispánica durante la Baja Edad Media. Abundan las representaciones de musulmanes, lo que constituye un valioso fondo documental para estudiar su forma de vida, actividades, diversidad de tipos sociales y étnicos, indumentaria, costumbres... Entre los Códices Alfonsíes son especialmente interesantes para este tema las **Cantigas de Santa María**, sobre todo el llamada «Códice Rico»[19] y el «Códice de los Músicos»[20], el **Libro de los Juegos del Ajedrez, Dados y Tablas**[21] y en menor medida el

(11) Nueva York, Pierpont Morgan Library ms. 644.

(12) Madrid, Biblioteca Nacional ms. Vit. 14, 2.

(13) Londres, British Library Add. ms. 11695.

(14) Vid. ROUX, J.P. «**Etudes d'Iconographie islamique**», Paris- Leuven 1982, especialmente pgs. 85 y ss.

(15) Vid. FERRRANDIS, J. «**Marfiles árabes de Occidente**» T. I, Madrid 1935 y BECKWITH, J. «**Caskets from Cordoba**» Londres 1960. Encontramos dicha postura en varias piezas fechadas en la segunda mitad del siglo X y comienzos del XI, como el Bote de Almoguira, Arqueta de Leyre, Bote y arqueta del M° Victoria and Albert...

(16) En relación con las representaciones de los Beatos, el tema ha sido tratado por A. SEPULVEDA, «**Una iconografía abbasí en las miniaturas de los beatos mozárabes**» en el 1° Congreso de Estudios Mozárabes, Toledo 1975, pg. 139-153, y posteriormente por P.K. KLEIN, «**La tradición pictórica de los Beatos**» en Actas del Simposio... Madrid 1980 pg. 83-106.

(17) SOLER DEL CAMPO, A. «**Sistemas de combate en la iconografía mozárabe y andalusí altomedieval**» en Bol. Asociación Española de Orientalistas, 1986, pg. 61-87

(18) Ibidem pg. 69.

(19) Biblioteca de El Escorial T. I, 1.

(20) Biblioteca de EL Escorial b I, 2.

(21) Biblioteca de El Escorial T. I, 6.

La miniatura llamada «mozárabe»

El término «mozárabe», aunque de raíz histórica (habitantes de al-Andalus que continúan practicando la religión cristiana), se ha aplicado por extensión a todas las manifestaciones culturales que expresan la incorporación de elementos de origen islámico[1]. Uno de sus aspectos más significativos está representado por la ilustración de manuscritos cuyo fuerte orientalismo es consecuencia -en opinión de varios autores[2] -del florecimiento del arte de la miniatura en los códices hispanomusulmanes, sobre todo en la propia Córdoba, destruidos desgraciadamente en los últimos tiempos del Califato, a causa de la intolerancia religiosa.

Los manuscritos hispánicos que componen esta miniatura «mozárabe», fechados a lo largo de los siglos X y XI, han sido agrupados para su estudio de acuerdo a los centros de elaboración, distinguiéndose dos grandes zonas geográficas : los territorios del Norte de España y al-Andalus ; de esta última, probablemente de la misma ciudad de Córdoba, proceden entre otros, los **«Diálogos de San Gregorio»** fechado en época de Abderraman III[3], el **«Liber Scintillae Scripturarum»** obra de Alvaro de Córdoba[4] y la llamada **«Biblia Hispalense»**, donde aparecen varios personajes vestidos a la moda oriental y sentados con las piernas cruzadas, postura conocida como «a la turca» que se remonta a la Persia sasánida[5].

Pero sin duda, el grupo más interesante lo constituyen las ilustraciones de los «Comentarios al Apocalipsis de Beato de Liébana» conocidos simplemente como **«Beatos»**[6], con ejemplares que pueden fecharse desde mediados del siglo X a principios del siglo XII. Entre ellos, destacan algunos donde la general influencia islámica[7] se muestra con mayor evidencia y originalidad, como son el de la Biblioteca de **El Escorial**[8], de **Valcavado**[9], de la catedral de **Gerona**[10]

---

(1) GOMEZ-MORENO, M. **«Iglesias mozárabes»** Madrid 1919. Reimp. 1975.

(2) GOMEZ-MORENO, M. op. cit. y DOMINGUEZ BORDONA, J. **«Miniatura»** Ars Hispaniae T. XVIII Madrid 1962 pg. 21.

(3) Catedral de Seo de Urgel. Fechado «en la luna de Moharrem del año 27 del reinado del califa Abderraman, hijo de Mohamed y nieto de Abdallah».

(4) Madrid, Academia de la Historia m. 26.

(5) Madrid, Bibl. Nac. Vit. 14,1. También llamado «Codex Toletanus».

(6) Vid. **«Actas del Simposio para el estudio de los códices del Comentario al Apocalipsis» de Beato de Liébana»**. Madrid 1978-1980 3 Vol. **Catálogo** de la Exposición Europalia, 1985.

(7) Tema tratado ya por CHURRUCA, M. **«Influjo oriental en los temas iconográficos de la miniatura española, siglos X al XII»** Madrid, 1939. Recientemente algunos autores como A. Sepúlveda y J. Williams siguen esta línea.

(8) Biblioteca de El Escorial & II 5.

(9) Valladolid, Biblioteca de la Universidad ms. 433.

(10) Catedral de Gerona ms. 7.

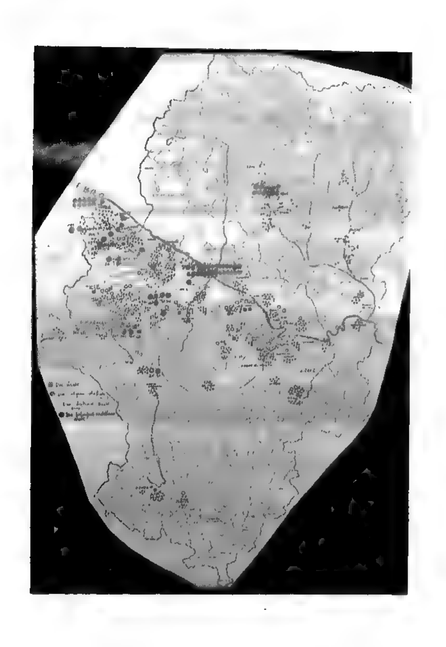
VALOR DOCUMENTAL DE LOS MANUSCRITOS HISPANICOS ILUSTRADOS DE LOS SIGLOS

X AL XIII, EN RELACION CON LA CULTURA DE AL-ANDALUS

TERESA PEREZ HIGUERA
Universidad Complutense de Madrid

De acuerdo a lo reseñado en el título, la presente comunicación se refiere a manuscritos hispánicos, escritos por tanto en latín o castellano y no en lengua árabe. Sin embargo, a pesar de que el tema del Coloquio sean esencialmente los «Manuscritos arabes en el Occidente musulmán», considero de gran interés el estudios de las miniaturas que ilustran numerosos códices hispánicos, por su valor documental como representación de personajes, indumentaria, costumbres y formas de vida de los musulmanes de al-Andalus, y también como testimonio de la influencia islámica sobre la sociedad cristiana medieval. En sentido amplio, esta influencia puede apreciarse tanto en motivos ornamentales -decoración geométrica o vegetal-, como en representaciones de animales ; ahora, teniendo en cuenta el carácter obligatoriamente breve del presente trabajo, me voy a limitar a tratar de las respresentaciones humanas que se incluyen en manuscritos fechados en los siglos X y XIII. Las razones de estos límites cronológicos son fácilmente deducibles. Durante el siglo X, la importancia de Córdoba como capital del Califato es evidente, lo que motiva la transmisión de la cultura islámica desde Córdoba a las tierras del Norte, a través de los «mozárabes» (habitantes de al-Andalus que continúan practicando la religión cristiana). Esta influencia persiste durante los siglos XI y XII, como podemos comprobar en varios manuscritos fechados en esos años. El segundo período -el siglo XIII-, refleja el contacto del reino de Castilla con las grandes ciudades de al-Andalus, como consecuencia de la conquista de Córdoba (1236) y Sevilla (1248). Es de sobra conocido el papel desempeñado por la cultura árabe en la corte de Alfonso X el Sabio, y una de sus principales aplicaciones se manifiesta en la elaboración de manuscritos como el «Lapidario» o el «Libro de los Juegos», abundantemente ilustrados con miniaturas que muestran, de modo bien evidente, la asimilación de ambas culturas en la España «mudéjar».

الحمد لله



Otras valoraciones que permiten establecer los documentos son las **históricas** y las **jurídicas.** Este documento nos atestigua la presencia de mudéjares en Jarque y en Morés, lo cual ya era conocido por otras fuentes. Pero nos atestigua además la presencia de personas concretas, entre ellas dos alfaquíes, con sus nombres : Ibrāhim (sic) b. ʿAlī al-Tārrārī y Muḥammad Malīḥ, y con la mención de sus propiedades personales. Incluso se menciona en la línea 19 la adscripción de bienes inmuebles a la mezquita. Recordemos que la aljama de Morés, en el partido judicial de Calatayud, y según un censo de 1593, tenía entonces, un siglo después de nuestro documento, 259 familias moriscas.

En fin, hay que destacar, también, el aspecto jurídico. El documento que estamos analizando es una procura, que sigue en su formulación otras hispanoárabes conocidas, como dos mozárabe-toledanas del siglo XII y otras dos arábigo-granadinas del siglo XV. Nuestro documento indica además que se actúa «con licencia de quien es preciso», alusión seguramente a la autoridad cristiana que respalda la actividad del alfaquí mudéjar como escribano público.

5. Conclusión

Y concluyo, insistiendo en la importancia documental de este tipo de manuscritos de los mudéjares aragoneses en relación con la situación total (social, cultural, económica...) de estas comunidades, en parte reflejo de la situación andalusí, ya evolucionada, en mayor o menor medida. Estamos ante una cuestión en la que aún falta mucho por hacer.

gráficamente, y ello de forma esporádica sólo indica una pervivencia textual, un arcaísmo gráfico : tenemos en este documento, en la línea 4 (subrayado en amarillo) un>ibrā'<, con **hamza**, pero sus omisiones son numerosas, por ejemplo, en la línea 2 : al-akram, etcétera. En entorno /a-i-/ la **hamza** se representa con **yā'** : así >dāyba< (línea 8), >ʿāyša< (última línea).

- En este nombre >ʿāyša< no se han escrito los puntos de la **tā'marbūṭa.** Ocurre otro tanto tres y cinco líneas antes en >Išqami[l]la<. Esto es reflejo del conocido hecho, en el dialecto andalusí, de que las distintas marcas de femenino (**tā' marbūṭa ; alif maqṣūra ; alif** de prolongación con **hamza**) se uniformizan en un morfema fijo, que es el timbre /-a-/, y el resto, como grafemas opcionales, se vuelven intercambiables. Esto lleva, en este documento, a la grafía de >baṭha<, en la última línea, con **tā, marbūṭa,** cuando en árabe clásico es con **alif** de prolongación y **hamza.**

Vemos, pues, en este documento la presencia del árabe clásico con rasgos del árabe dialectal, los cuales se interfieren con los primeros. Pero hay, asímismo, interferencias romances, en dos planos : en la sintaxis y en el léxico. Destacan algunas construcciones que pueden atribuirse a calcos romances, como esos /sākinūn min/ (lín. 2) y /sākin min/ (lín. 2-3), «habitante de», «vecino de» ; los /yaħuddu maʿa/ de las lín. 20 y 22, «limita con».

Y el romance se infiltra también en el léxico : así en el uso del aragonesismo **jenero** representado >ŷ. nīr< (lín. 14), con **ŷīm,** cuando en dialecto andalusí existía el mozarabismo /yennáyr/, con **yā'**. Y desde luego el romane se infiltra en frases aljamiadas : «en-Ešqami[l]la», «en el diŷo^{h} término d-Ešqami[l]la», «la torre d-el-mašuwelo^{h}, reflejándose así que todas estas localizaciones se estaban manifestando en romance ante el redactor del documento árabe, lo cual es otra prueba más de que lo que se toma de viva voz está expresado, por los mudéjares aragoneses del siglo XV, ya en romance.

Hasta aquí, hemos ejemplificado el aprovechamiento lingüístico que puede extraerse de un documento. Además están las **referencias onomásticas** : voy a destacar ahora sólo dos : la existencia de un nombre bastante completo, con casi todas sus partes clásicas, en la línea 2 : «Abū l-Ḥasan ʿAlī b. Saʿīd b. B.llāš», y frente a ello, que parece un fósil de utilización solemne, la existencia ya a fines del siglo XV de nombres formados sólo por un nombre propio y un apellido, como pasa con el resto de los nombres : «Yūsuf Malīḥ», «Muhammad Tawīl» (en la antepenúltima línea), etcétera, y un curioso «ʿAysa l-Ḥaddād», de la última línea, con un **laqab** de oficio masculino, es decir, plenamente apellidado.

Son aprovechables también los **datos toponímicos,** en toda su amplitud ; pondré sólo un ejemplo : en la línea 3, la tercera palabra >Šyrq< aparece escrita con **yā'**, lo cual nos permite rechazar una etimología árabe que todavía se propugnaba recientemente ; este topónimo, hoy Jarque, debe ser premusulmán.

el orden de los grafemas en 'tawkīl' (lín. 9 : ' tawkilī'). Ha unido dos palabras : 'maᶜa faddān' (al final de la lín. 20). Ha repetido entre las líneas 8 y 9 hacia el final un 'd̲alika', quizás para hacerlo más claro, porque el de arriba va trabado en la **mīm** de otra palabra. Ha olvidado, y luego añadido sobre la línea la palabra 'al-muwakkil', que además ha escrito sin **mīm** (hacia la mitad de la lín. 9). Escribe 'sākin' (en la 2ªlínea) y luego le sobrepone el sufijo de plural en '-ūn'. Olvida media palabra en un «el Terrerī», en la línea 21 hacia el final, en que aparece sólo >al-Tār<. Parece que a este alfaquí de Morés le costaba mucho trabajo escribir en árabe.

Hay algún caso en que sus «incorrecciones» tienen una trascendencia mayor, por no ser meramente gráficas, sino lingüísticas, y manifiestan fenómenos del árabe dialectal :

- acabamos de mencionar la ausencia de **alif ṭawīla** y **maqṣūra** (lín. 11 y lín. 8) en un /hād̲ā/ y en un /ra'à/, lo cual denota la falta de valor fonológico de la cantidad vocálica, como asímismo lo demuestra la grafía Ibrāhim con i breve en las líneas 15 y 21 (aunque se ha escrito con i larga en la línea 1). Otro tanto parece indicar la ausencia de **madda** en /ājar/ (lín. 21).

- La ausencia de valor fonológico de la cantidad consonántica puede apreciarse en que no se ha representado la **šadda** en ningún caso, excepto en una palabra aljamiada >al-Tārrārī< «el de Terrer» (3ª palabra de la lín. 1), en que precisamente se emplea para distinguir el fonema romance /r̄/ (alveolar vibrante múltiple) del fonema /r/ (alveolar vibrante simple), es decir se usa en relación con la fonología romance.

- Las vocales representadas en palabras árabes son escasísimas ; eso sí siempre son correctas, con un interesante >maṭlūb^{an}< (en la lín. 5) que podría llevarnos a pensar en una motivación reminiscente de **tanwīn** conectivo. En cambio, las palabras aljamiadas llevan vocalización completa, o casi : véanse en el documento tales palabras (subrayadas en verde) : «Morés» (lín. 2) ; «En Escamilla» (lín. 18) ; «En el dicho término de Escamilla» (lín. 20) ; «La torre del majuelo» (lín. 22). En cambio >maṭlūb^{an}< (en la lín. 5) que podría llevarnos a pensar en una motivación reminiscente de **tanwīn** conectivo. En cambio, las palabras aljamiadas llevan vocalización completa, o casi : véanse en el documento tales palabras (subrayadas en verde) : «Morés» (lín. 2) ; «En Escamilla» (lín. 18) ; «En el dicho término de Escamilla» (lín. 20) ; «La torre del majuelo» (lín. 22). En cambio >ŷ. nīr< (lín. 14), aragonesismo sobre, el que luego volveremos, no lleva vocalización ninguna.

? Por qué estos mudéjares que no dominan la lengua árabe clásica no recurren a la representación completa del **ductus** vocálico para poderla reproducir exactamente ? ?por qué vocalizan prácticamente todo en aljamiado ? Habrá que seguir indagando razones.

- la cuestión de la **hamza** es otro de los puntos críticos de este tipo de textos. Sin valor fonológico en el dialecto andalusí, cuando aparece representada

Siglo XIII :	en árabe, 13 documentos en aljamiado, ninguno.
Siglo XIV :	en árabe, 5 documentos en aljamiado, ninguno.
Siglo XV :	en árabe, 12 documentos en aljamiado, 2 mitad árabe, mitad aljamiado, 1.
Siglo XVI :	en árabe, 10 documentos en aljamiado, ninguno de los fechados, aunque podrían ser de este siglo algunos de los no fechados. mitad aljamiado, mitad árabe, 1.

El contenido de los documentos en lengua árabe es fundamentalmente jurídico, tratándose de actas, la mayoría de compraventa, préstamo, cambio, hipoteca, depósito, escrituras de poder y de tutela, y además algún contrato y alguna carta, también, de especial solemnidad. El aljamiado aparece en los textos y párrafos más en relación con la vida cotidiana, como en otro lugar ampliaremos.

4. Análisis de un documento

Pasemos a analizar un documento concreto (véase la lámina adjunta)[25]. Fue hallado en octubre de 1981 por dos licenciados de la Universidad de Zaragoza que realizaban sus Tesis Doctorales en el Archivo Histórico de Protocolos de aquella ciudad. Es una hoja de papel, de 23 por 15 cms., y se encontraba junto con otra, similar, sobrecosida a una página del Protocolo de un notario zaragozano, en 1492, como anexo a una comanda en que intervienen mudéjares y un mercader cristiano.

Se trata de una procura concedida por tres mudéjares de Morés a otro de Jarque, con amplio poder para que éste les represente en sus negocios en Zaragoza.

Va fechada «en la decena intermedia de rabīᶜ I, equivalente -dice ; en su línea 14- al 20 de enero de 897», sin indicar año de nuestra Era, que es en realidad el histórico año de 1492. Y consta quién la escribe : Muḥammad Maliḥ, que en la línea primera del documento ha sido citado como «alfaquí». Estamos pues ante un caso más de alfaquí que actúa como escribano.

Este alfaquí del lugar de Morés se encuentra en un rango algo menos que mediano en esa escala de pericia lingüística, en árabe. Su letra es bastante irregular, su grafía algo descuidada : ha olvidado el punto diacrítico de la **ŷīm** en 'ŷa ᶜala' (línea 18), la **rā'** en 'maḍkūr' (lín. 9), la **nūn** de 'faddān' (lín. 18), el **alif ṭawīla** de un 'hāḏā' (lín. 11), et **alif maqṣūra** de 'ra'à' (lín. 8). Ha invertido

(25) Fue publicado en el artículo antes citado en la nota 16.

Un acta de tutelaje, guardada en Montalbán, está fechada en Daroca en 1477, en lengua árabe, publicada por Ana Labarta[17].

Dos actas de mudéjares de Borja, de 1399, fueron halladas en el Archivo General de Navarra y publicadas por José María Millás Vallicrosa[18].

En Saviñán, además de dos manuscritos que ahora no hacen al caso, se encontraron 12 papeles sueltos, descritos por Bosch[19], con actas de compraventa y reparto de herencia y depósito, en árabe ; en cinco de ellas pudo leer don Jacinto Bosch fechas de finales del siglo VX y primera mitad del XVI.

En los fondos de la Biblioteca Nacional de Madrid se guardan documentos mudéjares, publicados algunos por Francisco Fernández y González[20], Julián Ribera[21] y Wilhem Hoenerbach[22], con diversas escrituras aljamiadas de Agreda, Cunchillos, Daroca, Tarazona y Tórtoles, del siglo XV. En árabe las hay de Calatayud, Alfamén, Borja y Morés, del siglo XV y primeros años del XVI. Entre ellos son especialmente significativos dos documentos de Calatayud, de 1506 y 1507, escritos, mitad en árabe (las fórmulas jurídicas) y mitad en aljamiado (las palabras de los declarantes).

Está la página aljamiada de Torrellas, sin fecha, con anotación de algunos gastos, publicada por Ana Labarta[23].

Aparte de documentos no fechados ni fechables, y de otros materiales demasiado dispersos y breves como para considerarlos ahora, existen documentos inéditos, que no he recogido ahora ni señalado en el mapa, con dos excepciones, la ya indicada de las 11 hojillas de Zaragoza, y un interesante bloque documental de Calatorao que ofrece la peculiaridad de estar en árabe, aljamiado y latín, escritos por el mismo mudéjar aragonés, lo cual plantea un caso especial de simultaneidad lingüística[24].

3. Cronología y contenido de los documentos

Hagamos un balance de la situación :

Siglo XII : en árabe, 22 documentos
en aljamiado, ninguno.

---

(17) «Reconocimiento de tutela a un mudéjar de Daroca (Documento árabe de 1477)», **Aragón en la Edad Media**, V, 1983, 207-215.

(18) «Contratos de judíos y moriscos del reino de Navarra», **Anuario de Historia del Derecho Español**, X (1933), 273-286.

(19) «Dos nuevos manuscritos y papeles sueltos de moriscos aragoneses», **Al-Andalus**, XXII (1957), 463-470.

(20) **Estado social y político de los mudéjares de Castilla**, Madrid, 1866 y reimpresión, Madrid, 1985.

(21) **Orígenes de la Justicia de Aragón**, Zaragoza, 1897, 453-461 ; **Disertaciones y Opúsculos**, Madrid, 1928, I, 352-354.

(22) **Spanisch-Islamische Urkunden aus der Zeit der Naṣriden und Moriscos**, Bonn, 1965.

(23) «Una página aljamiada hallada en Torrellas (Tarazona)», **Turiaso**, III (1982), 227-233.

(24) Estos documentos de Calatorao pertenecen al hallazgo de Almonacid, y se encuentran hoy en el Consejo Superior de Investigaciones de Madrid.

De Huesca poseemos 5 manuscritos del siglo XII y 7 del XIII, conservados en el Archivo Catedral de Huesca y publicados por Jacinto Bosch[8]. Están todos en lengua árabe. Son actas de compraventa.

De Zaragoza contamos con 27 documentos manuscritos : 16 relativamente extensos, publicados por Ramón García de Linares[9], y que datan : 8 del siglo XII, 3 del siglo XIII, 3 del siglo XV y uno del año 1501 (otro sin fecha debe corresponder al siglo XII también). Y 11 hojas sueltas, aún inéditas, con fragmentos de cuentas, que deben datar del siglo XII. Nótese -y está representado por la combinación de rojo y azul- que dos de estos documentos más tardíos, uno del siglo XV y el del siglo XVI, están redactados, mitad a mitad, en árabe y aljamiado.

En Tudela se localizan 10 actas de compraventa o de cambio de posesiones entre mudéjares de la zona y cristianos ; 9 de ellas fueron publicadas por Ribera y Asín[10] y la décima, además de todos otra vez, por Mercedes García-Arenal[11]. Casi todas datan del siglo XII, a excepción de 2 del XIII y una del año 1391. Todas, menos esta última llevan la repetición de su texto en latín, interlineado. Y en el Archivo de Protocolos de Tudela se encuentra un documento de 1509, publicado también por García-Arenal[12].

De Veruela procede una escritura de compraventa, en lengua árabe, fechada en 1175, publicada por García-Arenal[13], y otra de 1245 publicada por Ángel González Palencia[14].

La Carta de población a los moros de Urzante, del año 1312, lleva un texto bilingüe interlineado castellano y árabe[15].

Fechadas en Jarque y en Morés, en 1492, existen dos procuras, en lengua árabe, que he editado recientemente[16] ; sobre una de ellas volveremos a hablar más adelante.

---

(8) «Los documentos árabes del Archivo Catedral de Huesca», **Revista del Instituto (Egipcio) de Estudios Islámicos**, V (1957), 1-48.

(9) «Escrituras árabes pertenecientes al Archivo de Ntra. Sra. del Pilar», **Homenaje a D. Francisco Codera**, Zaragoza, 1904, 171-197.

(10) «Documentos bilingües del Archivo de la Catedral de Tudela», **Revista de Aragón**, III (1902), 324-327 ; 406-409.

(11) «Documentos árabes de Tudela y Tarazona», **Al-Qanṭara**,, III (1982), 27-72

(12) «Un nuevo documento»

(13) Art. Cit. en nota 11, doc. VII.

(14) «Notas sobre el régimen de riegos en la región de Veruela en los siglos XII y XIII», Al-Andalus, X (1945), 79-88.

(15) Varias veces publicada, la más reciente por Pilar León Tello, «Carta de población a los moros de Urzante», **Actas del I Congreso de Estudios Árabes e Islámicos**, Madrid, 1964, 329-343.

(16) Mª. J. Viguera, «Dos nuevos documentos árabes de Aragón (Jarque y Morés, 1492)», **Aragón en la Edad Media**, IV, 1981, 235-261.

2. Los mudéjares aragoneses y sus manuscritos «documentales»

Los mudéjares aragoneses fueron los musulmanes que permanecieron en sus tierras, tierras que habían sido la Marca Septentrional de al-Andalus (al-ṯagr al-a'là)[4], después de que las ocuparan los cristianos del Reino de Aragón. Esta ocupación aragonesa fue progresiva, desde el mismo siglo VIII d. J.C., pero desde finales del siglo XI, por diversas razones, los Reyes aragoneses comenzaron a permitir a los musulmanes que se quedaran a vivir en sus tierras, en régimen de libertad, conservando sus propiedades y su organización socio-jurídica y religiosa, a cambio de determinados impuestos. En estas condiciones, y como «mudéjares»,[5] se mantuvieron los musulmanes en Aragón hasta el año 1525, en que pasaron a la situación de «moriscos»[6].

El espacio temporal del mudejarismo aragonés es, pues, desde finales del siglo XI hasta comienzos del siglo XVI. Su espacio geográfico no se extiende por todo, y sólo, el territorio conocido hoy por «Aragón, sino que ocupan - como vemos en el mapa 1 - las áreas de Huesca y de Barbastro, tomadas por los cristianos a finales del siglo XI, en la ribera norte del río Ebro, y aquí también la región de Tudela, tomada junto con Zaragoza a comienzos del siglo XII, y por la ribera sur, donde la densidad de población mudéjar parece haber sido mucho mayor, las regiones de Zaragoza y de Teruel.

De esta procedencia temporal y geográfica conocemos un cierto número de manuscritos «documentales», y vamos a ir localizándolos en el mapa 2 ; utilizo, como base, el mapa publicado por José María Lacarra en la primera edición de su obra **Aragón en el pasado**, incluído en el libro colectivo **Aragón**, donde se refleja la densidad de población mudéjar aragonesa en los siglos XV y XVII[7] : van señalados con un círculo grande negro los puntos con cien familias mudéjares y diez familias con círculo pequeño, según el Censo de 1495 ; con círculo blanco - grande o pequeño - se indican respectivamente cien o diez famlilias, en la fecha de 1610, cuando la expulsión de los moriscos. Ambos son recuentos tardíos, que no podemos aplicar de manera total para saber la densidad mudéjar anterior, pero que al menos nos permiten vislumbrar las zonas generales de asentamiento mudéjar en lo cual sí habría, en su mayor parte, cierta continuidad.

En este mapa señalaré los manuscritos mudéjares aragoneses conocidos y casi todos publicados de la siguiente manera : con un punto rojo va indicado la existencia de un documento en árabe, localizado en aquel lugar ; con punto azul, documento aljamiado ; con punto amarillo, documento con grafía latina :

---

(4) Mª. J. Viguera, **Aragón musulmán**, Zaragoza, 1981.

(5) Véanse las **Actas del Simposio Internacional de Mudejarismo**, las ya citadas y las de años sucesivos.

(6) Mercedes García-Arenal, «Últimos estudios sobre los moriscos : estado de la cuestión», **Al-Qantara**, IV (1983), 101-114.

(7) Zaragoza, 1960.

SOBRE MANUSCRITOS MUDEJARES : Documentos fechados en Aragón entre los siglos 6°-10° de la Hégira (XII-XVI d. J.C.)

María J. VIGUERA
Universidad Complutense
de Madrid

1. Presentación

De los musulmanes que permanecieron en sus tierras de al-Andalus después de la conquista cristiana nos han quedado un buen número de manuscritos que, hoy, principalmente se guardan en la Biblioteca Nacional, en la Real Academia de la Historia y en el Departamento de Arabe del Instituto de Filología del Consejo Superior de Investigaciones Científicas, todos ellos en Madrid(1).

La mayoría de estos manuscritos, que podemos denominar «literarios», son copias de obras jurídicas, religiosas y de relatos diversos, cuyos originales árabes fueron reproducidos con más o menos exactitud por los mudéjares o vertidos por ellos incluso al castellano, aunque conservando la grafía árabe, con el procedimiento que llamamos «aljamiado»(2). Hay que destacar, respecto a estos manuscritos «literarios» mudéjares, árabes o aljamiados, su carácter de copias, pues aquellas comunidades mudéjares, privadas de sus élites político-culturales, no redactaron - menos alguna aislada excepción - ninguna obra original. Pero no vamos a ocuparnos ahora de estos manuscritos «literarios», vamos a tratar sólo de los manuscritos mudéjares «documentales» que contienen actas de contenido jurídico-económico y que escritas en árabe o en aljamiado, o incluso en grafía latina, por los mismos mudéjares, en su pergamino o papel original se han conservado hasta la actualidad. Por el área geográfica de la que proceden estos documentos mudéjares pueden clasificarse en : castellano-mudéjares, valenciano-mudéjares, granadino-mudéjares y aragonés-mudéjares(3). En el curso de esta comunicación nos centraremos sólo en los aragonés-mudéjares.

---

(1) María J. Viguera, «Documentos mudéjares aragoneses», Actas del **XIIIe Congrès de l'Union européenne d'Arabisants et d'Islamisants,** Venecia, 1986.

(2) María J. Viguera, «Un cuaderno aljamiado de deudas (Medinaceli, s. XVI). Ms. Junta núm. XXXVII-8», **Homenaje a Don J.M. Lacarra en su jubilación,** Zaragoza, 1982, V, 213-268.

(3) José Mª. Lacarra, «Introducción al estudio de los mudéjares aragoneses», **Aragón en la Edad Media,** II, 1979, 7-22, y **Actas del I Simposio Internacional de Mudejarismo (1975),** Madrid-Teruel, 1981.

Kitāb al-burhān fī al-qawānīn al-mukmala wa al-farā'id al-muhmala.
6.F. 123-164 v. Saint Jean Chrysostome. Fragments des homélies sur l'épître de Saint Paul aux Hébreux.
7.F. 165-216 v. Ibrāhim ibn ᶜAwn. Kitāb ḥall al-šukūk wa al-radd ᶜalā al-yahūdī al-muḫālif. (incomplet).
XIV°s. (1310 de J.C.). Ecriture orientale.

Mss. 384.
Coran incomplet (ff^os 2 à 139 : I,I-XXIII, 33; ff^os 140 à 248 : XXIII, 110-XCIX, I)
XII^e s./ au début du XIII^e s. Egypte ou Syrie ? Nasḫ.
Acheté à Constantinople.

Enfin, si l'on veut faire le compte des documents arabes présents en France au XVI^e siècle, il est possible encore de signaler une lettre à François 1^er du Sultan Wattasside Ahmed Ben Mohamed, du 21 moharram 940, le 13 août 1533, conservée aux archives des Affaires étrangères.

Elle fait état d'un accord entre le roi de France et le souverain marocain. Ce dernier promet à François 1^er accueil pour ses navires dans les ports marocains et protection des sujets français.

Quelques années plus tard, c'est le roi de Navarre Antoine de Bourbon père d'Henri IV qui reçoit une lettre du Sultan Saâdien Mulay Abdallah al-galib bi-Allah. Un traité est conclu.

La lettre et le traité sont conservés dans les Archives d'Angoulême. Nous signalerons simplement à ce sujet que seul le Maroc à cette époque utilise l'arabe comme langue officielle administrative. L'Empire Ottoman utilise le turc.

CONCLUSION :

Ce n'est pas le lieu ici de s'interroger sur les nombreux problèmes que soulève l'extraordinaire Guillaume Postel, ses manuscrits arabes, sa connaissance admirative pour la langue arabe, son projet de paix avec les musulmans et la tendresse qu'il laisse percevoir pour le livre saint de l'Islam, le Coran.

On peut, par contre, se poser de nombreuses questions au sujet des manuscrits arabes conservés en France au XVI^e siècle à la Bibliothèque royale, chez Catherine de Médicis et chez Philippe de Boistaillé.

- Ont-ils été «choisis» ou découverts au hasard et au gré de trouvailles qui tiennent davantage de la Bibliophilie que de la «Recherche» au sens où nous l'entendons aujourd'hui ?

- A qui servent-ils ?

- Et plus simplement, existent-ils en France au XVI^e siècle des savants susceptibles d'en acquérir la connaissance, Guillaume Postel mis à part ?

- Nous avons essayé de répondre à ces questions dans un «essai» à paraître fin 1988 à Paris, intitulé : «l'Arabe et l'humanisme en France au XVI^e siècle»

3- Dikr al-adwīya allatī tahruǧ al-šawk wa al-sullā' wa al-ᶜizām.
4- Kitāb al-taysīr fī al-mudāwāt wa al-tadbīr, d'Ibn Zuhr.
Copie exécutée à Barcelone en 1165-1166 de J.C.

Mss. 2898. (il est moins sûr que ce mss. ait appartenu à Catherine de Médicis.)
1er livre du Qanūn d'Ibn Sīna, daté de Damas 1584 de J.C.
Ecriture du XVIes.
Ces manuscrits arabes sont signalés par Marie-Rose Séguy dans l'introduction historique du volume II du Catalogue des mss. arabes de la Bibliothèque Nationale par G. Vajda et Y. Sauvan.

D'autre part François Deroche dans son Catalogue des mss. du Coran attribue quatre autres mss. à Catherine de Médicis.

Mss. 3836. (cf. Catherine de Slane) Ce mss. est considéré comme datant du XVIIIes., il ne peut donc avoir appartenu à Catherine de Médicis.

Mss. 3880 (cf. 3840 à 3851 et suiv.). Kitāb al-Muǧāhidīn. Mss. XVes. 47°, 48° et 49° partie de l'ouvrage (incomplet).

Mss. 3882. Même ouvrage que le mss. 3880 (incomplet). Diverses écritures du XVIes.

Mss. 3890. Daté de 1430-1431 de J.C. Même ouvrage que 3880 (incomplet).

D'autre part toujours au XVIe siècle Henri II, en difficulté avec l'Espagne, demande une aide financière au Sultan Ottoman. Il délègue un gentilhomme français auprès du souverain turc : Philippe Hurault de Boistaillé. Ce dernier achète quelques manuscrits arabes bien que nous n'ayons pu établir qu'il ait étudié l'arabe. Ces manuscrits rentreront au XVIIe siècle dans le fonds de la Bibliothèque Royale.

Manuscrits de Bibliothèque Hurault de Boistaillé

Mss. 108. 1-F. Iv-114. Kitāb al-Sawāᶜī. Horologe melkite.
2.F 145-150 Saint Grégoire de Naziance. ᶜIẓa wa tafsīruha ḥasab al-ḥurūf. ffes déplacés.
3.F. 151-264 v. Psaumes pour le rite melkite. (incomplet ps. CXXX). XVes.

Mss. 202.
I.F. I-12 v. Fragment d'un traité anonyme d'apologétique.
2.F. 13-15 v, 39-42 v. Muḥammad ibn Muḥammad al-Gazzālī Abū Ḥamīd. Maqāṣid al-falāsifa. (incomplet).
3.F. 16-36. Muḫtār min kalam al-ḥukamā' al arbaᶜa al-akābir.
Pythagore (16-19 v). Socrate (19 v-24). Platon (24-29).
Aristote (29-36)
4.F. 36 v-38 v. Muḥyī al-Dīn al-ᶜAǧamī al-Iṣfahānī. Kalam fī al-ᶜaql wa al-ᶜaqūl wa al-maᶜqūl. 38-38 v. Qawl fī al-nafs.
5.F. 63-122 v, 43-62 v. al-Nušūᶜ ibn Buṭrus al-Rāhib Abū Šākir.

Makin Girgis. cf. J. Balagna. L'Imprimerie arabe en Occident, XVI^e^, XVII^e^ et XVIII^e^ s.p. 63.

Mss. 249. al-Buḫarī. al-Ǧami^c^ al-Ṣaḥīḥ.

Mss. 374. Ibn Gâẑla. Minhāǧ al-bayān fīmā yasta^c^miluhu al-insān.

Mss. 180. Polémiques christiano-musulmanes. cf. Elia Bar Sinaya. al-Burhān ^c^alā ṣaḥīḥ al-iman. cf. Graf, Die christl. - arab. Lit., p. 64-66.

Mss. II8. Abū al-Barakat. Ǧala' al-^c^uqūl fī ^c^ilm al-uṣūl. cf. Ricerche, pp. 298-299-300.

Mss. 177. Jean Damascène, trad., al-Idah fi al-madhab al-ṣaḥīḥ.

Mss. 23. Lettres de Saint Paul, Actes des Apôtres, lettres de Jacoues, Pierre, Jean, et Jude.

Mss. 15. Praecationes arabicae. (Cod. Palatine, Turc.)

Ces manuscrits sont ceux vendus par Guillaume Postel à Heidelberg au Comte palatin Otto Heinrich, en 1555. cf.

En France, dans le courant du XVIe siècle, un autre grand personnage possède des manuscrits arabes : la reine Catherine de Médicis. Elle aurait dit-on, étudié les «langues anciennes», le grec, le latin, un peu d'hébreu. En bonne italienne de la famille des Médicis, elle ne peut ignorer l'importance de la langue arabe. A la mort d'un de ses oncles, le Cardinal italien Rudolfi, elle hérite d'un fonds qui, à sa mort en 1589, viendra accroître celui de la Bibliothèque Nationale.

Manuscrits de Catherine de Médicis

Ces manuscrits accroissent le fonds de la Bibliothèque Royale après la mort de Catherine de Médicis, survenue en 1589.

Mss. 405. Texte défectueux en deux endroits (entre les ff^os^ 127 et 128, manque IX, 129-X, 76, et entre les ff^os^° 160 et 160 bis, XVI, 41-XVII, 31)
Turquie. Nasḫ. Avant 1459. Provient de la Bibliothèque du Cardinal Ridolfi.

Mss. 1054. I. ^c^Alī al-Ṣaġīr Abū al-Ḥasan. Taqyīd ^c^alā al-Mudawwana.
2. Ḫalaf ibn al-Qāsim al-Barāḏi^c^ī. (fin du Kitāb al-Ṣulḥ-Kitāb al-Tiǧara, bāb ḥukm al-tafriqa bayna al-umm wa waladihā). Ecriture maghrèbine.

Mss. 2873 (Cf. Mss. 2871). Kāmil al-sina^c^a al-ṭibbīya d'^c^Alī ibn ^c^Abbās al-Maǧūsī. Cinq premières sections de l'ouvrage consacrées à la théorie.
mss. du XIV^e^s.

Mss. 2881. Kitāb al-mi'at fī al-ṭibb d'Abū Sahl ^c^Isā ibn Yaḥyā al-Maṣiḥī.
mss. du XV^e^s.

Mss. 2960. I-Abū Marwān ^c^Abd al-Malik ibn Zuhr (Abomeron Avenzohar)...
al-Adwīya allati yasḥalu wuǧūdaha
Copie exécutée à Barcelone-1166 de J.C.
2- al-Tadkira d'Abū al-^c^Alā Zuhr fils d'Ibn Zuhr.

Mss. 30. Averrois Commentarii in Aristotelis Organum Dialecticam videlicet et Rhetoricam. Fol. 121. Actuellement à Leid-Université.

Mss. 34. Codex bombycinus in-4e. (foliis 109.) qui suit Postelli et Posteritatis. Ibi continentur **Fuclidis** elementorum libri V. cum figuris. Actuellement à Copenhague. Bibliothèque.

Mss. 36. Tertia pers, finis quartae et quinta operum Avicennae.
Codices bombycini duo in-4e (ouprum 1e foliorum 336. 2e 226) Acquis à Constantinople en 1536. Actuellement à Leid - Université.

Mss. 38. Avicennae. opera medica arabice, cum scholiis tourcicis In cherta bombyc. fol. 264.
Mss. 45. Codex bombycinus-in-fol. minori, situ et mucore corruptus, olim Postelli, Ibi continentur anonymi Grammatica arabica, cum Lexico arabico-turcico et Syntaxi. (Constat foliis 90).

Mss. 46. Codex bombycinus in-4e. (foliis 114.) qui suit Postelli et amicorum ejus. Ibi continentur. I. Grammatica arabica, cum Lexico et Syntaxi. 2. Loci communes arabice et turcice expositi.

Mss. 47. Codex bombycinus operimento spoliatus, in-fol. (complectens folia 221) qui suit Postelli. Ibi continentur anonymi Lexicon arabico-turcicum. Actuellement à Berlin-Bibliothèque.

Les Manucrits 27, 21, 46, 47 ont été acquis sous forme de micro-films, à l'initiative de l'I.R.H.T., section Humanisme (cf. Jean-François Maillard, C.N.R.S)

Mss. 20 = J. 1393, fonds Philipps. Berlin

Mss. 21 = J. 1389, fonds Philipps. Berlin

Mss. 46 = J. 1391, fonds Philipps. Berlin

Mss. 47 = J. 1397, fonds Philipps. Berlin

Tous ces manuscrits portent des notes de diverses mains dont certaines pourraient être attribuées à Guillaume Postel.

Bibliotique Vaticane (D'aprés Glotgi Levi della Vida)

Mss. 266. Abū al-Fidā'. Taqwīm al-Buldān.
Ibn Buṭlan. Taqwīn al-ṣihha. cf. Ricerche sulla formazione del piu antico fando dei manoscritti orientali della Biblioteca Vaticana. pp. 294-295 note de lecteur.

Mss. I. Liber Thorae, id est, Pentateuchi cum bravi explicatione. Cf. Graft. Cf. aussi Ricerche... pp. 295.

Mss. cf. Ricerche pp. 295-296 portant le n°3. Il s'agit du Tārīẖ al-muslimīn min Ṣāḥib šarīᶜa al-Islām Abī al-Qāsim. Muḥammad ila dawla al-atabikīya. Cet ouvrage est catalogué selon une notice erronée. Epenius a reçu ce manuscrit en prêt. Il est l'auteur de l'édition et de la traduction en latin de ce document en 1625 sous le titre d'Historia Saracenica dont l'auteur, un chrétien, se nomme

En 1538, il publie un alphabet arabe commenté et une grammaire.

François 1er fonde, alors, la première chaire d'arabe à Paris au collège des lecteurs royaux, l'actuel Collège de France. Guillaume Postel devient le titulaire de cette chaire. Il retourne en 1552 à Constantinople et en Syrie.

Il a rapporté de ses deux voyages un certain nombre de manuscrits arabes dont profitèrent la France, l'Italie et l'Allemagne. En voici la liste :

Manuscrits de Guillaume Postel. son écriture

Bibliothèque Nationale

Mss. 242. Chrétien. XVIe s. Collection canonique melkite.
Hadā cawānīn al-talāmid... allatī ahbaracha iqlimintus ᶜan Buṭrus... allatī aǧtamaᶜa ᶜalayha Sayidna al-Masīḥ.

Mss. 1814. Ḥasan al-Tulunī. al-Nuzha al-sanniya fī dikr al-hulafā wa al-muluk al-miṣrīya. Ouvrage continué par un anonyme.

Lettre au sultan al-Ǧaurī et sa réponse.
Prière à réciter après la quatre vingt quatorzième sourate du Coran.
Quelques recettes médicales. XVIes.

Mss. 2308. Muḥammad ibn Abū Bakr Ibn Surun. Rasā'il ihwan al-ṣafā'.
Kitāb risāla fi ᶜilm al-musīqā... XVIIes. ? Si ce manuscrit du fonds Philibert, de la Mare attribué à Postel est du XVIIIes., il ne peut avoir appartenu à postel.

Mss. 2499. ᶜAbd al-Ǧabbār ibn Muḥammad al-Haraqī al-Tabitī.
Kitāb muntaha al-adrāk fī taqāsim al-aflāk. Ex. libris de Postel.
Acq. daté 1536. Notes en arabe : deux mains différentes, dont l'une peut être attribuée à Postel.

Mss. 2778. al-Tifāšī. kitāb al-azhar al-afkār fī ǧawāhir al-ahǧar. Seuls les quatre premières feuillets traitent de ce sujet. Suivis de deux ouvrages en turc. I Privilèges de Médine, manque le début. 2. Privilèges de Jérusalem. XVIes.

بعد موت G.P بقيت مخطوطاته الباريسية في المكتبة لليسوعيين

Bibliothèque du collège jésuite de Clermont.

Catalogue ancien : en latin

منها جزء من القرآن الكريم

Mss. 20. Liber expositionum Alcorani. In charta bombyc. fol. saurate de la vierge.
105 initio mutilus, oli Guillelmi Postelli.
Actuellement à Berlin. - Bibliothèque.

Mss. 21. Codex ch. ritaceus in-fol. qui suit Postelli, Ibi continentur dicta Mahumedis, sive resolutiones de morte et paradiso. Fol. 173. Actuellement à Berlin. - Bibliothèque.

-1.F.2v-115. Halīl ibn Isḥāq al-Ǧundī. Muḫtaṣar. Frontispice : Kitāb Halīl fī al-fatawa bimadhab Mālik ibn Anas. - Madḥ Muḫtaṣar Ḫalīl du cadi Abū ᶜAmr ibn Manẓūr (1v); tables des matières (2)

-2.F. 119 v-181. Muḥammad ibn ᶜAbd Allāh ibn Mālik al-Ṭā'ī al-Ǧayyānī. Tashīl al-fawā'id wa takmīl al-maqāṣid.

-3.F.182 v-198v. Muḥammad ibn ᶜAbd Allah Ibn Mālik al Ṭā'ī al-Ǧayyānī. Alfīya.

-4.F.199v-226v. al-Qāsim ibn Farrūḫ al-Šāṭibī Abū al-Qāsim. al-Šāṭibīya.

- 5.F.227v-231v. ᶜAlī ibn Muḥammad ibn al-Barrī al-Ribāṭī. Durar al-lawāmiᶜ fī aṣl maqra' al-imām Nāfiᶜ.

-6.F.232v-234v. ᶜAbd Allah ibn ᶜUṯmān al-Ḫazraǧī. al-Qaṣīda al-Ḫazraǧīya

-7.F.235-235v. Muḥammad ibn Abī al-Qāsim ibn Muḥammad ibn Yaᶜīš al-Ǧudāmī. [Muḫtaṣar fī al-ᶜArūḍ].

-8.F.236. Réponse à Abū Ḥasan al-Ašᶜarī sur la grammaire.

XVᵉs. (1456 et 1457-58). Ecriture hispano-maghrébine. Entré à la Bibliothèque Royale en 1516.

Pourquoi François 1ᵉʳ s'intéresse t-il aux manuscrits arabes ?

Premièrent : Les guerres d'Italie lui ont donné le goût de promouvoir en France le renouveau des «bonnes lettres».

Or, les érudits italiens du Quattrocento c'est-à-dire du quinzième siècle se sont lancés avec enthousiasme dans l'étude des «langues dites anciennes» : du grec et du latin, de l'hébreu, de l'arabe. Ils cherchent à découvrir ainsi les secrets du cosmos, les fondements d'une «paix universelle», ils désirent jeter les bases de la «science universelle».

N'oublions pas que les sciences grecques, gréco-arabes, et les sciences arabes ne sont connues en Europe que par le truchement de traductions latines.

Désormais, des Européens tiennent à étudier ces sciences dans leurs textes eux-mêmes.

Deuxièmement : François 1ᵉʳ se bat contre l'empereur Charle Quint dont l'empire enserre la France. Il cherche secours auprès du Grand Turs Soliman le magnifique, du roi d'Alger Hayr al-Din Barberousse, du roi du Maroc Ahmed ben Mohamed al-Wattassi.

En 1535, François 1ᵉʳ envoie une ambassade officielle à Constantinople accompagnée par Hayr al-Din Berberousse devenu amiral de la flotte turque.

Un jeune érudit, Guillaume Postel, se joint à cette ambassade, c'est un garçon brillant, émule français du célèbre Pic de la Mirandole : il a étudié le grec, le latin, l'hébreu, et va se passionner pour la langue arabe.

Le roi de France lui confie une somme d'argent afin d'acheter des manuscrits grecs et arabes.

MANUSCRITS ARABES EN FRANCE AU XVIe SIECLE

Josée BALAGNA
Directrice de la Bibliothèque
de l'Institut du Monde Arabe, Paris

En 1494, Charles d'Orléans le poète de la famille royale française compte dans sa bibliothèque le «livre de Macomet». Il tient cour dans la ville de Blois.

Ce «livre de Macomet» est-il le premier Coran entré dans la fameuse bibliothèque de Blois dont héritèrent les rois de France ?

En 1518, François 1er fait établir la première liste des ouvrages qui composent la bibliothèque de Blois. Dans cette liste rédigée par Guillaume Petit, sont signalés aux notices 1595 et 1597 des «Arabic libri» et «duo libri in arabico scripti», sans autre précision.

En 1544, François 1er transporte ses livres de Blois à Fontainebleau. Il est alors question, dans le catalogue, de six manuscrits arabes dont quatre Corans. En voici une courte description :

Manuscrits de la Bibliothèque Royale

1 Inventaire de Fontainebleau, 1544.
Mss. 395. - Deuxième quart du Coran (VII, I-XVIII, 110). Lacune entre les feuillets 60 (XIII, 34) et 61 (XIV, 13), les feuillets 19 à 24 sont dans le désordre. - 844/1440-1441. Espagne. Magribi «andalou».

2 Mss. 408. - Coran. Turquie ? نسخ Nasẖ. Vers 886/1481. Trouvé dans la citadelle d'Otrante.

3 Mss. 414. - Coran. Turquie ? Nasẖ. Vers 943 / 1536.

4 Mss. 419. - Coran mutilé à son début (II, 87 - cxiv, 6) Egypte. Nasẖ. IXes/XVes.

5 Mss. 1053. - H̱alaf ibn Abī al-Qāsim al-Barāḏiʿī. - Tahḏīb masā'il al-Mudawwana wa al-muẖtaliṭa. XVIes. Ière partie : écriture maghrébine ou espagnole. 2ème partie : écriture orientale, Egypte. Provient de la Bibliothèque royale de Blois, entré en 1538.

6 Mss. 1077

SOMMAIRE

MANUSCRITS ARABES EN OCCIDENT MUSULMAN

Etat des collections et perspectives de la recherche



F.R.A.A.S CASABLANCA WALLADA

MANUSCRITS ARABES EN OCCIDENT
MUSULMAN

MANUSCRITS ARABES EN OCCIDENT MUSULMAN

Etat des collections et perspectives de la recherche

F.R.A.A.S CASABLANCA WALLADA